كتاب الفتوح

للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي
(المتوفى نحو سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م)

تحقيق
علي شيري
ماجستير في التاريخ الإسلامي

الجزء الخامس

دار الأضواء

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

دار الأضواء
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب ٢٥/٤٠ غبيري - أو ١١١٣/٦٦٤١ الحمرا.
تلكس ٢٣٧١٧ بيدر أو ٢٣٤٠٧ هادي - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : ثم نزل الضحاك عن المنبر وكتب إلى يزيد بن معاوية هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي لبس رداء البقاء ، وحكم على عباده بالفناء ، فقال عزَّ وجلّ ﴿ **كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[١] .

لعبد الله يزيد أمير المؤمنين ، من الضحاك بن قيس ، سلام عليك ، أما بعد فكتابي إلى أمير المؤسين فكتاب تهنئة ومصيبة ؛ فأما الخلافة التي جاءتك فهي الهنئة ، وأما المصيبة فموت أمير المؤمنين معاوية[٢] ، إنا لله وإنا إليه راجعون . فإذا قرأت كتابي فالعجل العجل ! لتأخذ الناس ببيعة أخرى محدودة ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . قال : ثم أثبت في أسفل كتابه هذين البيتين :

مضى ابن أبي سفيان فرداً لشأنه وخُلِّفْتَ فانْظُرْ هذه كيف تصنعُ
أقمنا على المنهاج واركب محجّة سداداً فأنت المرتجى كيف تفزع

قال : ثم ورد الكتاب على يزيد[٣] ، فوثب صائحاً باكياً ، وأمر بإسراج دوابه وسار يريد دمشق ، فصار إليها بعد ثلاثة أيام من مدفن معاوية[٤] ، وخرج حتى إذا

(١) سورة الرحمن الآية ٢٦ و٢٧ .
(٢) وردت معاوية في الأصل مرتين مكرراً .
(٣) وكان يزيد بحوارين ، موضع من تدمر على مرحلتين . وقيل إنهم كتبوا إليه بعد أن اشتد مرض معاوية ، فأقبل وقد دُفن (الطبري) .
(٤) في البداية والنهاية : ركب الضحاك بن قيس في جيش وخرج ليتلقى يزيد بن معاوية ، فلما وصلوا إلى ثنية العقاب تلقتهم أثقال يزيد ، وإذا يزيد . . . وعليه الحزن ظاهر ، فسلم عليه الناس بالإمارة وعزوه في أبيه .

وافى يزيد قريباً من دمشق فجعل الناس يتلقونه فيبكون ويبكي . وأيمن بن خريم الأسدي بين يدي يزيد وهو يقول[١] :

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بمقدار سمدن له سُمُودا[٢]
فردّ شعورهن السودَ بيضا ... وردّ وجوههن البيض سُودا
فإنّك لو سمعت بكاء هند ... ورملة إذ يَلْطَمْنَ[٣] الخُدودا
بكيتَ بكاء موجعة بحزن ... أصاب الدهرُ واحدها الفريدا
[٤]فصبراً يا بني حرب تعزّوا ... فمن هذا الذي يرجو الخلودا
فقد وارت قبوركم ثناء ... وحزماً لا كفاء له وجودا[٥]
تلقّاها يزيدُ عن أبيه ... فدونكها معاوِيَ عن يزيدا
أديروها بني حرب عليكم ... ولا ترموا بها الغرَضَ البعيدا
فإن دنياكمُ بكمُ اطمأنّتْ ... فأولُوا أهلها خلقاً سديدا
وإن عصفت عليكم فاعصفوها ... عصافاً تستقيم لكم شديدا[٦]

قال : وسار يزيد ومعه جماعة إلى قبر معاوية فجلس وانتحب ساعة وبكى ، وبكى الناس معه ، ثم قام عن القبر وأنشأ يقول[٧] :

جاء البريد بقرطاس يحثّ[٨] به ... فأوجَسَ القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا في كتابكم[٩] ... قال الخليفة أمسى مُدْنفاً وجعا

---

(١) بعض الأبيات في ذيل أمالي القالي ونسبت للكميت الأسدي باختلاف في بعض الألفاظ . ٣ / ١١٥ .
(٢) بالأصل بمقدار صمدت له صموداً وما أثبت عن أمالي القالي .
(٣) في الأمالي : إذ تصكان . وهما بمعنى .
(٤) من هنا الأبيات في طبقات فحول الشعراء ص ٥٢٢ . ونسبت فيه إلى عبد الله بن همام السلولي . باختلاف في الألفاظ .
(٥) البيت في الطبقات :
لقد وارى قليبكم بيانا ... وحلماً لا كفاء له وجودا
(٦) البيت في الطبقات :
وإن ضجرت عليكم فاعصبوها ... عصاباً تستدر به شديدا
(٧) الأبيات في الطبري ٥ / ٣٢٨ ابن الأثير ٢ / ٥٢٦ البداية والنهاية ٨ / ١٥٣ العقد الفريد ٤ / ٣٤٩ الأغاني ١٦ / ٣٣ (ساسي) والمعمرون ص ١٥٧ باختلاف بعض الألفاظ .
(٨) يخبّ به في المصادر .
(٩) في البداية والنهاية : صحيفتكم .

مـادتْ بنا الأرض أو كـادت تميـدُ بنـا ... كـأنمـا العـز من أركـانهـا انقـطعـا[1]
إنّـا نـسيـر عـلى جـرد مـسـوّمـة ... يغشى العجـاج بنا والنجم مـا طلعا[2]
لـسنـا نبـالـي إذا بلّغـن أرحلنـا ... مـا مـات منهنّ بـالبيـداء أو ظلعـا
حتى دفنّـا لخيـر النـاس كـلهـم ... وخيـرهم منتمى جـداً ومضـطجعـا
أغـرُّ أبـلج يُستسقى الـغـمـام بـه ... لو صارع الناس عن أحلامهم صرعا[3]
من لا تـزال لـه نفس عـلى شـرف ... وشـد مقـدار تلك النفس أن تـقعـا
لمـا انتهينـا وبـاب الـدار منصفـقٌ ... وصوت رملة راع[4] القلب فانصدعا[5]
أودى ابن هنـد فـأودى المجـد يتبعـه ... كـانـا يكـونـان دهـراً قـاطعين معـا[6]

قال : ثم ركب يزيد وسار إلى قبة لأبيه خضراء فدخلها وهو معتم بعمامة خز سوداء متقلداً بسيف أبيه معاوية حتى وصل إلى باب الدار ، ثم جعل يسير والناس عن يمينه وشماله قد نزلوا عن دوابهم ، وقد ضربت له القباب والفساطيط المدنجة ، حتى صار إلى القبة الخضراء ، فلما دخلها نظر فإذا قد نصبتْ له فيها فرش كثيرة بعضها على بعض ويزيد يحتاج أن يرقى عليها بالكراسي . قال : فصعد حتى جلس على تلك الفرش، والناس يدخلون عليه يهنئونه بالخلافة ويعزّونه في أبيه؛ وجعل يزيد يقول : نحن أهل الحق وأنصار الدين ، وابشروا يا أهل الشام ! فإن الخير لم يزل فيكم ، وسيكون بيني وبين أهل العراق حرب شديد ، وقد رأيت في منامي كأن نهراً يجري بيني وبينهم دماً عبيطاً وجعلت أجهد في منامي أن أجوز ذلك النهر ، فلم أقدر على ذلك حتى جاءني عبيد الله بن زياد ، فجازه بين يدي وأنا أنظر إليه . قال : فأجابه أهل الشام وقالوا : يا أمير المؤمنين ! امض بنا حيث شئت واقدم بنا على من

---

(١) البداية والنهاية : انقلعا .
(٢) بعده في العقد وابن الأثير والبداية والنهاية :
ثـم انبعثنـا إلى خـوص مـزممـة ... فـأوجس القلب من قرطاسه فـزعا
(٣) في البداية والنهاية : «لو قارع .. قرعا» .
(٤) عن ابن الأثير ، وبالأصل : رفع .
(٥) بعده في ابن الأثير :
ثم ارعـوى القـلب شيئـاً بعـد طيـرتـه ... والـنفس تـعلم أن قـد أثبـتـت جـزعـا
(٦) بعده في البداية والنهاية :
لا يـرقـع النـاس مـا أوهى وأن جهـدوا ... أن يـرقـعـوه ولا يـوهـون مـا رقـعـا

أحببت فنحن بين يديك ، وسيوفنا تعرفها أهل العراق في يوم صفين . فقال لهم يزيد : أنتم لعمري كذلك ، وقد كان أمير المؤمنين معاوية لكم كالأب البارّ بالولد ، وكان من العرب أمجدها وأحمدها وأهمدها وأعظمها خطراً وأرفعها ذكراً وأنداها أنامل وأوسعها فواضل وأسماها إلى الفرع الباسق ، لا يعتريه الفهاهة في بلاغته ولا تدخله اللكنة[1] في منطقه حتى إذا انقطع من الدنيا أثره وصار إلى رحمة الله تعالى ورضوانه . قال : فصاح به صائح من أقاصي الناس وقال[2] : كذبت والله يا عدو الله ! ما كان معاوية والله بهذه الصفة ، وإنما كانت هذه صفة رسول الله ﷺ وهذه أخلاقه وأخلاق أهل بيته لا معاوية ولا أنت . قال : فاضطرب الناس ، وطُلب الرجل فلم يقدروا عليه ، وسكت الناس[3] . وقام إلى يزيد رجل من شيعته يقال له عطاء[4] بن أبي صيفي فقال : يا أمير المؤمنين ! لا تلتفت إلى مقالة الأعداء وقد أعطيت خلافة الله من بعد أبيك فأنت خليفتنا ، وابنك معاوية ولي العهد بعدك لا نريد به بدلاً ولا نبغي عنه حولاً والسلام . قال : ثم أنشأ يقول :

يزيد بن أبي سفيانَ هلْ لكُمُ ... إلى ثناء وودّ غير مُنْصَرِم
إنّا نقول ويقضي (الله) معتذراً ... مهما يشار بنا من صالح ندم
فأفتديها بلكم خُذْها يزيد ... وقال خُذْها بِلا نكْس ولا بَرَم
ولا تَمَهَّدَها في دار غيركُمُ ... إني أخاف عليكم حسرة الندم
إن الخلافة لم تعرف لناكثكم ... بينا دعائمها فيكم ولم ترم
ولا يزال وفود في دياركم ... يَغْشَونَ أبلَجَ سَبّاقاً إلى الكرم

قال : فأمر له يزيد بجائزة حسناء ، ثم قام يزيد على قدميه .

---

(١) بالأصل : النكبة ، والسياق يقتضي ما أثبتناه .

(٢) بهامش الأصل المنسوخ : المتكلم من الملائكة المقربين بإذن الله تعالى .

(٣) في مروج الذهب ٣ / ٨٠ ثم نزل ودخل منزله ، ثم أذن للناس ، فدخلوا عليه لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه . .

(٤) في مروج الذهب : « عاصم » وانظر فيه قوله أمام يزيد معزياً ومهنئاً .

(٥) بالأصل : وأبيك معاوية ولي العهد قبلك .

ذكر كلام يزيد بن معاوية

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال(1) : أيها الناس ! إن معاوية كان عبداً(2) من عباد الله ، أنعم الله عليه ثم قبضه إليه ، وهو خير ممن كان بعده ، ودون ممن كان قبله ، ولا أزكّيه على الله ، هو أعلمَ به مني ، فإن عفا عنه فبرحمته(3) ، وإن عاقبه فبذنبه ، وقد وليت هذا الأمر من بعده ، ولست أقصر عن طلب حق(4) ولا أعذر من تفريط في باطل ، فإذا أراد الله شيئاً كان ـ والسلام ـ . قال : ثم جلس فصاح الناس من كل جانب : سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين . قال : ثم تقدم إليه رجل(5) من وجوه أهل الشام حتى وقف بين يديه رافعاً صوته وهو يقول :

اصبر يزيدُ فارقت ذا ثقة ... واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا
لا رزء أعظم في الأقوام نعلمه ... كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أعطيت طاعة أهل الأرض كلهم ... فأنت ترعاهمُ والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلفٌ ... أما هلكت ولا نسمع بمنعاكا

قال : وبايع الناس بأجمعهم يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده ، وفتح يزيد بيوت الأموال فأخرج لأهل الشام أموالاً جزيلة ، ففرقها عليهم(6) ؛ ثم عزم على الكتب إلى جميع البلاد بأخذ البيعة له . قال : وكان على المدينة يومئذ مروان بن الحكم فعزله يزيد وولى مكانه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان(7) وكتب إليه .

ذكر الكتاب إلى أهل البيعة بأخذ البيعة

من عبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد فإن

---

(1) انظر خطبته في مروج الذهب ٣ / ٨٠ والعقد الفريد ٤ / ٣٥١ .
(2) المروج والعقد : حبلاً من حبال الله .
(3) المروج : إن يغفر الله له فهو أهله .
(4) المروج والعقد : ولست أعتذر عن جهل ، ولا أشتغل بطلب علم .
(5) هو عبد الله بن همام السلولي كما في مروج الذهب ٣ / ٨٠ وانظر مقالته هناك . والأبيات أيضاً وفي الكامل للمبرد باختلاف بعض الألفاظ .
(6) العبارة في مروج الذهب : ثم قام الناس يهنئونه بالخلافة ، فلما ارتفع عن مجلسه أمر لكل واحد منهم بمال على مقداره في نفسه ، ومحله في قومه ، وزاد في عطائهم ورفع مراتبهم .
(7) في الطبري ٥ / ٣٣٨ وابن الأثير ٢ / ٥٢٩ ولي يزيد ، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان . وفي الإمامة والسياسة ١ / ٢٢٥ خالد بن الحكم .

معاوية كان عبد الله[1] من عباده أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكّن له ثم قبضه إلى روحه وريحانه ورحمته وغفرانه ، عاش بقدر ومات بأجل ، عاش براً تقياً وخرج من الدنيا رضياً زكياً ، فنعم الخليفة كان ولا أزكيه على الله ، هو أعلم به مني ، وقد كان عهد إليَّ عهداً وجعلني له خليفة من بعده ، وأوصاني أن أحدث آل أبي تراب بآل أبي سفيان لأنهم أنصار الحق وطلاب العدل ؛ فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة على أهل المدينة ـ والسلام[2] ـ .

قال : ثم كتب إليه في صحيفة صغيرة كأنها أذن فأرة : أما بعد فخذ الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر[3] وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة ، فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه .

قال : فلما ورد كتاب يزيد على الوليد بن عتبة[4] وقرأه قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا ويح الوليد بن عتبة من أدخله في هذه الإمارة ، ما لي وللحسين ابن فاطمة ! قال : ثم بعث إلى مروان بن الحكم[5] فأراه الكتاب فقرأه واسترجع ، ثم قال : يرحم الله أمير المؤمنين معاوية ! فقال الوليد : أشر عليّ برأيك في هؤلاء القوم كيف ترى أن أصنع ، فقال مروان : ابعث إليهم في هذه الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد[6] ، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم ، وأن أبوا قدّمهم واضرب أعناقهم قبل[7] أن يدروا بموت بمعاوية فإنهم إن علموا ذلك وثب كل رجل منهم فأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه ، فعند ذلك أخاف أن يأتيك من قبلهم ما لا قبل لك به وما لا يقوم له إلا عبد الله بن عمر ، فإني لا أراه ينازع في هذا الأمر أحداً إلا أن تأتيه الخلافة فيأخذها عفواً ، فذر عنك ابن عمر[8] وابعث إلى الحسين بن علي وعبد الرحمن بن

---

(١) الطبري : عبداً من عباد الله .

(٢) الكتاب باختلاف في الطبري ٥ / ٣٣٨ والإمامة والسياسة (من تحقيقنا ١ / ٢٢٥) .

(٣) مرّ أن عبد الرحمن بن أبي بكر كان قد توفي منذ زمن ، ولم يرد ذكره في نص نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٣٨ وابن الأثير ٢ / ٥٢٩ والأخبار الطوال ص ٢٢٧ .

(٤) بالأصل « عقبة » خطأ .

(٥) وكان مروان بن الحكم أميراً على المدينة قبل ولاية الوليد عليها ، وكان ما بينهما متباعداً ، حتى وصول كتاب يزيد .

(٦) في الإمامة والسياسة : فإنهم إن بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من أهل الإسلام .

(٧) في الأخبار الطوال : قبل أن يعلن الخبر .

(٨) في الطبري : أما ابن عمر فإني لا أراه يرى القتال ، ولا يحب أن يولى على الناس ، إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفواً .

=

أبي بكر[١] وعبد الله بن الزبير فادعهم إلى البيعة مع أني أعلم أن الحسين بن علي خاصة لا يجيبك إلى بيعة يزيد أبداً ولا يرى له عليه طاعة ، ووالله إن لو كنت في موضعك لم أراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب رقبته كائناً في ذلك ما كان . قال : فأطرق الوليد بن عتبة إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه وقال : يا ليت الوليد لم يولد ولم يكن شيئاً مذكوراً ! قال : ثم دمعت عيناه فقال له عدو الله مروان : أوّه أيها الأمير ! لا تجزع مما قلتُ لك فإن آل أبي تراب هم الأعداء في قديم الدهر لم يزالوا ، وهم الذين قتلوا الخليفة عثمان بن عفان ، ثم ساروا إلى أمير المؤمنين فحاربوه ، وبعد فإني لستُ آمن أيها الأمير ! إنك إن لم تعاجل الحسين بن علي خاصة أن تسقط منزلتك عند أمير المؤمنين يزيد ، فقال له الوليد بن عتبة : مهلاً ! ويحك يا مروان عن كلامك هذا ! وأحسن القول في ابن فاطمة فإنه بقية ولد النبيين .

قال : ثم بعث الوليد بن عتبة إلى الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر[٢] وعبد الله بن عمر[٣] وعبد الله بن الزبير فدعاهم ، فأقبل إليهم الرسول ، والرسول [عبد الله بن ـ][٤] عمرو بن عثمان بن عفان لم يصب القوم في منازلهم ، فمضى نحو المسجد فإذا القوم عند قبر النبي ﷺ ، فسلّم عليهم ثم قام وقال : أجيبوا الأمير ! فقال الحسين : يفعل الله ذلك إذا نحن فرغنا عن مجلسنا هذا إن شاء الله[٥] . قال : فانصرف الرسول إلى الوليد فأخبره بذلك .

وأقبل عبد الله بن الزبير على الحسين بن علي وقال : يا أبا عبد الله ! إن هذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للناس ، وإني قد أنكرت ذلك وبعثه في هذه الساعة إلينا ودعاءه إيانا لمثل هذا الوقت ، أترى في أيّ طلبنا ؟ فقال له الحسين : إذاً

= وفي الأخبار الطوال : أما عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر (كذا) فلا تخافن ناحيتهما . فليسا بطالبين شيئاً من هذا الأمر .

(١) كذا وقد أشرنا إلى وفاته قبل زمن .

(٢) كذا . وقد أشرنا إلى أنه قد مات قبل ذلك بزمن .

(٣) في الطبري وابن الأثير ذكر أنه أرسل فقط إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ولم يأتيا على ذكر عبد الله بن عمر .

(٤) زيادة عن الطبري وابن الأثير والأخبار الطوال والإمامة والسياسة .
زيد في الأخبار الطوال : وهو حينئذ غلام حين راهق .

(٥) في الأخبار الطوال : فقالا للغلام : انطلق ، فإنا صائران إليه على إثرك .

أخبرك أبا بكر[1] ! إني أظن بأن معاوية قد مات ، وذلك أني رأيت البارحة في منامي كأن منبر معاوية منكوس ، ورأيت داره تشتعل ناراً ، فأوّلت ذلك في نفسي أنه مات . فقال له ابن الزبير : فاعلم يـابن علي أن ذلك كذلك ، فما ترى أن تصنع إن دعيت إلى بيعة يزيد أبا عبد الله ؟ قال : أصنع أني لا أبايع له أبداً ، لأن الأمر إنما كان لي من بعد أخي الحسن ، فصنع معاوية مـا صنع وحلف لأخي الحسن أنـه لا يجعل الخلافة لأحده من بعده من ولده وأن يردها إليّ إن كنتُ حيّاً[2] ، فإن كان معاوية قد خرج من دنياه ولم يفيء لي ولا لأخي الحسن بما كان ضمن فقد والله أتانا ما لا قوام لنا به ، انظر أبا بكر أنّيٰ أبايع ليزيد ويزيد رجل فاسق معلن الفسق يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والفهود ويبغض بقية آل الرسول ! لا والله لا يكون ذلك أبداً .

قال : فبينما هما كذلك في هذه المحاورة إذ رجع إليهما الرسول[3] فقال : أبا عبد الله ! إن الأمير قاعد لكما خاصة تقوما إليه ! قال : فزبره الحسين بن علي ثم قال : انطلق إلى أميرك لا أم لك ! فمن أحب أن يصير إليه منا فإنه صائر إليه ، وأما أنا فإني أصير إليه الساعة إن شاء الله تعالى .

قال : فرجع الرسول أيضاً إلى الوليد بن عتبة فقال : أصلح الله الأميـر ! أما الحسين بن علي خاصة فقد أجاب وها هو صائر إليك في إثري ؛ فقـال مروان بن الحكم : غدر والله الحسين ! فقال الوليد : مهلاً ! فليس مثل الحسين يغدر[4] ولا يقول شيئاً ثم لا يفعل .

قال : ثم أقبل الحسين على من بحضرته فقال : قوموا إلى منازلكم فإني صائر إلى هذا الرجل فأنظر ما عنده وما يريد . فقال له ابن الزبير : جعلتُ فداك يـابن بنت رسول الله ﷺ ! إني خائف عليك أن يحبسوك عندهم فلا يفارقونك أبداً دون أن تبايع أو تقتل . فقال الحسين : إني لست أدخل عليه وحدي ، ولكن أجمع أصحابي إليّ وخدمي وأنصاري وأهل الحق من شيعتي ، ثم آمرهم أن يأخذ كل واحد سيفه مسلولاً تحت ثيابه ثم يصيروا بإزائي ، فإذا أنا أومأتُ إليهم وقلتُ : يا آل الرسول ادخلوا ! دخلوا وفعلوا ما أمرتهم به ، فأكون على الامتناع ، ولا أعطي المقادة والمـذلة من

---

(١) هي كنية عبد الله بن الزبير .
(٢) راجع ما لاحظناه ـ في المجلد الثاني ـ حول صلح الحسن ومعاوية .
(٣) لم يرد خبر رجوع الرسول إليهما في أي من المصادر .
(٤) بالأصل « يقدر » وما أثبتناه يوافق السياق .

نفسي ، فقد علمت والله أنه جاء من الأمر ما لا قوام به ، ولكن قضاء الله ماضٍ فيَّ وهو الذي يفعل في بيت رسوله عليه السلام ما يشاء ويرضى .

قال : ثم صار الحسين بن علي إلى منزله ثم دعا بماء ، فلبس وتطهّر بالماء وقام فصلى ركعتين ودعا ربه بما أحب في صلاته ؛ فلما فرغ من ذلك أرسل إلى فتيانه وعشيرته ومواليه وأهل بيته فأعلمهم بشأنه ثم قال : كونوا بباب هذا الرجل فإني ماض إليه ومكلمه ، فإن سمعتم أن صوتي قد علا وسمعتم كلامي وصُحتُ بكم فادخلوا يا آل الرسول واقتحموا من غير إذن ثم اشهروا السيوف ولا تعجلوا ، فإن رأيتم ما تكرهون فضعوا سيوفكم ثم اقتلوا من يريد قتلي !

ثم خرج الحسين من منزله وفي يده قضيب رسول الله ﷺ وهو في ثلاثين رجلاً(١) من أهل بيته ومواليه وشيعته ، حتى أوقفهم على باب الوليد بن عتبة ثم قال : انظروا ماذا أوصيتكم فلا تتعدوه وأنا أرجو أن أخرج إليكم سالماً إن شاء الله .

قال : ثم دخل الحسين على الوليد بن عتبة فسلّم عليه فرد عليه رداً حسناً ثم أدناه وقرّبه ؛ قال : ومروان بن الحكم هناك جالس في مجلس الوليد ، وقد كان بين مروان وبين الوليد منافرة ومفاوضة ، فأقبل الحسين على الوليد فقال : أصلح الله الأمير ! والصلاح خير من الفساد ، والصلة خير من الخشناء والشحناء(٢) وقد آن لكما أن تجتمعا ، فالحمد لله الذي ألّف بينكما ؛ قال : فلم يجيباه في هذا بشيء . فقال الحسين : هل أتاكم من معاوية كائنة خبر فإنه كان عليلاً وقد طالت علته ، فكيف حاله الآن ؟ قال : فتأوّه الوليد وتنفّس الصعداء وقال : أبا عبد الله ! أجرك الله في معاوية فقد كان لك عمّ صدق وقد ذاق الموت ، وهذا كتاب أمير المؤمنين يزيد . فقال الحسين : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وعظّم الله لك الأجر أيّها الأمير ، ولكن لماذا دعوتني ؟ فقال : دعوتك للبيعة ، فقد اجتمع عليه الناس . فقال الحسين : إن مثلي لا يعطي بيعته سرّاً(٣) ، وإنما أحبّ أن تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة ، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحداً(٤) :

---

(١) في الأخبار الطوال ص ٢٢٧ : فجمع نفراً من مواليه وغلمانه . ثم مشى نحو دار الإمارة .

(٢) في الطبري : والصلة خير من القطيعة .

(٣) زيد في الطبري : « ولا أراك تجتزىء بها مني سراً » وفي الإمامة والسياسة : « لا خير في بيعة سر ، والظاهرة خير . فإذا حضر الناس كان أمراً واحداً » .

(٤) في الأخبار الطوال : وأنا طوع يديك ، فإذا جمعت الناس لذلك حضرت ، وكنت واحداً منهم .

فقال له الوليد : أبا عبد الله ! لقد قلتَ فأحسنتَ في القول وأحببت جواب مثلك وكذا ظنّي بك ، فانصرفْ راشداً على بركة الله حتى تأتيني غداً مع الناس ! فقال مروان بن الحكم : أيّها الأمير ! إنه إذا فارقك في هذه الساعة لم يبايع فإنّك لن تقدر منه ولا تقدر على مثلها ، فاحبسه عندك ولا تدعه يخرج أو يبايع وإلا فاضرب عنقه . قال : فالتفت إليه الحسين وقال : ويلي عليك يابن الزرقاء ! أتأمر بضرب عنقي ، كذبت والله[1] ، والله لو رام ذلك أحد من الناس لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك ، وإن شئت ذلك فرم ضرب عنقي إن كنت صادقاً . قال : ثم أقبل الحسين على الوليد بن عتبة وقال : أيّها الأمير ! إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم ، ويزيد رجل فاسق شارب خمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ، مثلي لا يبايع لمثله ، ولكن نصبح وتصبحون وننتظر وتنتظرون أيّنا أحق بالخلافة والبيعة . قال : وسمع من بالباب الحسين فهمّوا بفتح الباب وإشهار السيوف ، فخرج إليهم الحسين سريعاً فأمرهم بالانصراف إلى منازلهم ، وأقبل الحسين إلى منزله[2] .

فقال مروان بن الحكم للوليد بن عتبة : عصيتني حتى انفلت الحسين من يدك ، أما والله لا تقدر على مثلها أبداً ، ووالله ليخرجنّ عليك وعلى أمير المؤمنين فاعلم ذلك ، فقال له الوليد بن عتبة : ويحك ! أشرت عليّ بقتل الحسين وفي قتله ذهاب ديني ودنياي ، والله ما أحبّ أن أملك الدنيا بأسرها[3] وأني قتلت الحسين بن علي ابن فاطمة الزهراء ، والله ما أظن أحداً يلقى الله بقتل الحسين إلا وهو خفيف الميزان عند الله [يوم القيامة][4] لا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم . قال : فسكت مروان[5] .

وبعث الوليد إلى عبد الله بن الزبير فدعاه ، فأرسل إليه ابن الزبير : أيها

(١) في الطبري : كذبت والله وأثمت . وفي ابن الأثير : كذبت والله ولؤمت .

(٢) الطبري : فخرجوا معه حتى أتى منزله .

(٣) في الطبري : قال الوليد : وبخ غيرك يا مروان ، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني ، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها ، وأني قتلت حسيناً .

(٤) زيادة عن الطبري .

(٥) في الإمامة والسياسة : فقال له مروان مستهزئاً : إن كنت إنما تركت ذلك لذلك فقد أصبت . (وفيه خالد بن الحكم بدل الوليد بن عتبة وهو خطأ) ، وزيد في الطبري : يقول له هذا وهو غير الحامد له على رأيه .

الأمير ! لا تعجل فإني لك على ما تحب وأنا صائر إليك إن شاء الله ! قال : فأبى الوليد بن عتبة ذلك وجعل يرسل إليه رسولاً بعد رسول حتى أكثر عليه من الرسل . قال : وجعل أصحاب الوليد بن عتبة ينادون عبد الله بن الزبير ويقولون : يابن الكاهلية ! والله لتأتين الأمير ولتبايعنه أو لنقتلنك[١] . قال : فأقبل جعفر بن الزبير حتى دخل على الوليد بن عتبة فسلّم وقال : أصلح الله الأمير كُفَّ عن عبد الله فإنّك قد دعوته وأنا صائر به إليك غداً إن شاء الله[٢] ولا تلجّ به ومُرْ أصحابك أن ينصرفوا عنه فإنّك لن ترى منه إلا ما تحبّ . فأقبل الوليد على جعفر بن الزبير ، فقال الوليد لجعفر : إن مثلي ومثل أخيك كما قال الله تعالى : ﴿ إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾[٣] . فأمسك الوليد عن عبد الله بن الزبير يومه ذلك ، وأرسل إلى الرسل فأمرهم بالانصراف عنه[٤] .

فلما كان في نصف الليل وهدأت العيون خرج عبد الله بن الزبير ومعه إخوته بأجمعهم ، فقال عبد الله لإخوته : خذوا عليهم غير المحجّة فإني أيضاً آخذ عليها مخافة أن يلحقنا الطلب . قال : فتفرق عنه إخوته ومضى عبد الله ومعه أخوه جعفر ، ليس معهما ثالث ، فأخذ على مجهول الطريق إلى مكة[٥] . وأصبح الوليد ففقد أولاد الزبير وعلم أن عبد الله قد هرب إلى مكة ، فغضب لذلك وضاق به ذرعاً ؛ فقال له مروان : إن الأمير أبقاه الله إذا استشار أمراء المعرفة والنصيحة وأشاروا عليه فلم يقبل فيكون قد أخطأ وضيع الحزم ، والآن فأنا أعلم أنه ما أخطأ طريق مكة فسرِّحْ في طلبه الرجال من قبل أن يمعن في المسير قال : فدعا الوليد برجل يقال له حبيب بن كزبر[٦] فوجه به في ثلاثين[٧] راكباً من موالي بني أمية في طلب عبد الله بن الزبير[٨] .

ثم أرسل إلى كل من كان من شيعة عبد الله بن الزبير فأخذه وحبسه وفيمن

---

(١) في الطبري : أو ليقتلنك .
(٢) في الطبري : كف عن عبد الله فإنك قد أفزعته وذعرته بكثرة رسلك وهو آتيك غداً إن شاء الله .
(٣) سورة هود الآية ٨١ .
(٤) ورد في الإمامة والسياسة ١ / ٢٢٦ أن الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير كانا سوية ودخلا معاً إلى الوليد وخرجا معاً على أن يأتيانه الصبح عندما يدعو الوليد الناس للبيعة .
(٥) في الطبري : فأخذ طريق الفرع ... وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب وتوجه نحو مكة .
(٦) في الأخبار الطوال : حبيب بن كُدين .
(٧) كذا بالأصل والأخبار الطوال ، وفي الطبري ٥ / ٣٤١ : ثمانين .
(٨) زيد في الطبري : فطلبوه فلم يقدروا عليه .

حبس يومئذ ابن عم لعمر بن الخطاب يقال له عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي ، وأمه يقال لها العجماء[1] بنت عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب الخزاعية[2] . قال : وحُبِس أيضاً مصعب بن عبد الرحمن بن عوف .

قال : فمشى رجال من بني عدي إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب فقالوا : يا أبا عبد الرحمن ! إن صاحبنا عبد الله بن مطيع قد حبس مظلوماً لا ذنب له ، والله لتخرجنه أو لتموتن[3] من دونه . فقال لهم ابن عمر : لا تعجلوا بالفتنة ولا تسارعوا إليها ، فكم من رجل قد أفسدت الفتنة عليه دينه ودنياه . قال : ثم أرسل ابن عمر إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه ، وقال : يا معشر بني أمية ! استعينوا بالله وبالحق على إقامة دينكم ودنياكم ، ولا تظلموا فإن الظلم مرتعه وخيم ، ولا تأخذوا بالظنة والتهمة ، فإنكم إن استقمتم أعانكم الله وإن ظلمتم وكلكم الله إلى أنفسكم ، فكفوا عن صاحبنا هذا عبد الله بن مطيع وخلوا سبيله فإنا لا نعلم أن لكم عليه سبيل ولا حقّ تحبسونه به ، فإن زعمتم أنكم ما حبستموه إلا لحق فافعوا ذلك ، وإن كنتم إنما حبستموه على الظن فإنّا لا ندع صاحبنا يحبس مظلوماً . فقال مروان : إنما نحن حبسناه بأمر أمير المؤمنين يزيد وعليكم[4] أن تكتبوا في ذلك إلى أمير المؤمنين ونكتب نحن أيضاً فإنه لا يكون إلا ما تحبون . قال : فوثب أبو جهم بن حذيفة[5] العدوي فقال : نكتب وتكتبون وابن العجماء محبوس ؟ لا والله لا يكون ذلك أبداً .

ثم وثب بنو[6] عدي فجعلوا يحضرون حتى صاروا إلى باب السجن ، فاقتحموا على عبد الله بن مطيع فأخرجوه وأخرجوا كل من كان في السجن ولم يتعرض إليهم أحد . فاغتم لذلك الوليد بن عتبة وأراد أن يكتب بذلك إلى يزيد ، فلبث ولم يكتب .

قال : وأصبح الحسين من الغد خرج من منزله ليستمع الأخبار ، فإذا هو

---

(١) من الترجمة الفارسية ، وبالأصل « العمقاء » .
(٢) في نسب قريش : أم هشام واسمها أميمة بنت أبي الخيار بن أبي عمر بن عامر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث .
(٣) بالأصل : لتموتن .
(٤) بالأصل « ولا عليلم » خطأ .
(٥) بالأصل « خليفة » خطأ وما أثبتناه عن الإصابة .
(٦) بالأصل « بني » تصحيف .

بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه ، فقال : أبا عبد الله ! إني لك ناصح فأطعني ترشد وتسدد ، فقال الحسين : وما ذلك قل حتى أسمع ! فقال مروان : أقول إني آمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد فإنه خَوَلُك في دينك ودنياك ؛ قال : فاسترجع الحسين وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد . ثم أقبل الحسين على مروان وقال : ويحك ! أتأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق ! لقد قلت شططاً من القول يا عظيم الزلل ! لا ألومك على قولك لأنك اللعين الذي لعنك رسول الله ﷺ وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص ، فإن من لعنه رسول الله ﷺ لا يمكن له ولا منه [إلا] أن يدعو إلى بيعة يزيد . ثم قال : إليك عني يا عدو الله ! فإنا أهل بيت رسول الله ﷺ ، والحق فينا وبالحق تنطق ألسنتنا ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء أبناء الطلقاء ، فإذا رأيتم معاوية على منبري فافقروا بطنه » فوالله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدي فلم يفعلوا ما أمروا به ، قاتلهم الله بابنه يزيد ! زاده الله في النار عذاباً . قال : فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين ثم قال : والله ! لا تفارقني أو تبايع ليزيد بن معاوية صاغراً ، فإنكم آل أبي تراب قد ملئتم كلاماً وأشربتم بغض[1] آل بني سفيان ، وحق عليكم أن تبغضوهم وحق عليهم أن يبغضوكم . قال : فقال له الحسين : ويلك يا مروان ! إليك عني فإنك رجس وإنا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عزّ وجلّ على نبيه محمد ﷺ ، فقال : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[2]. قال : فنكس مروان رأسه لا ينطق بشيء ، فقال له الحسين : أبشر يابن الزرقاء بكل ما تكره من الرسول عليه السلام يوم تقدم على ربك فيسألك جدي عن حقي وحق يزيد . قال : فمضى مروان مغضباً حتى دخل على الوليد بن عتبة فخبره بما سمع من الحسين بن علي .

قال : فعندها كتب الوليد[3] إلى يزيد بن معاوية يخبره بما كان من أهل المدينة

---

(١) بالأصل « بعض » والسياق يقتضي ما أثبتناه .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٣ .

(٣) في المقتل لأبي مخنف : بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الله يزيد أمير المؤمنين من عتبة (كذا) ابن أبي سفيان ، أما بعد فإن الحسين بن علي ليس يرى لك خلافة ولا بيعة فرأيك في أمره والسلام » .
ولم نجد نسخة الكتاب في أي من المصادر ، خاصة أنها أجمعت على أن الحسين قد خرج من المدينة بعد خروج ابن الزبير عنها بليلة . (انظر الطبري - ابن الأثير - الأخبار الطوال) .

وما كان من ابن الزبير وأمر السجن ، ثم ذكر له بعد ذلك أمر الحسين بن علي أنه ليس[1] يرى لنا عليه طاعة ولا بيعة . قال : فلما ورد الكتاب على يزيد غضب لذلك غضباً شديداً ، وكان إذا غضب انقلبت عيناه فعاد أحول ، قال : فكتب إلى الوليد بن عتبة .

ذكر كتاب يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة

من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد ، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم ، وذر عبد الله بن الزبير فإنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبداً ما دام حياً ، وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي ، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر والنعمة واحدة والسلام .

قال : فلما ورد الكتاب على الوليد بن عتبة وقرأه تعاظم ذلك وقال : لا والله لا يراني الله قاتل الحسين بن علي ! وأنا [لا][2] أقتل ابن بنت رسول الله ﷺ ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها .

قال : وخرج الحسين بن علي من منزله ذات ليلة وأتى إلى قبر جده ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله ! أنا الحسين ابن فاطمة ، أنا فرخك وابن فرختك وسبطك[3] في الخلف[4] الذي خلفت على أمتك فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني وأنهم لم يحفظوني ، وهذا شكواي إليك حتى ألقاك ـ صلى الله عليك وسلم ـ . ثم وثب قائماً وصفّ قدميه ولم يزل راكعاً وساجداً .

قال : وأرسل الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين لينظر هل خرج من المدينة أم لا ، فلم يصبه في منزله فقال : الحمد لله الذي لم يطالبني الله عزّ وجلّ بدمه ! وظن أنه خرج من المدينة .

قال : ورجع الحسين إلى منزله مع الصبح ، فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى

---

(١) بالأصل : « أليس » .
(٢) زيادة اقتضاها السياق .
(٣) في الأصل « وسبطا » .
(٤) في الأصل « الخلق » ولا معنى لها هنا . وما أثبتناه يوافق ما ورد بعدها .

القبر أيضاً فصلى ركعتين[1] ، فلما فرغ من صلاته جعل يقول : اللّهم ! إن هذا قبر نبيك محمد وأنا ابن بنت محمد وقد حضرني من الأمر ما قد علمت ، اللّهم ! وإني أحب المعروف وأكره المنكر ، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه ما[2] اخترت من أمري هذا ما هو لك رضى .

قال : ثم جعل الحسين يبكي حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعة ، فرأى النبي ﷺ قد أقبل في كبكبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى ضم الحسين إلى صدره وقبل بين عينيه وقال : يا بني ! يا حسين ! كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي وأنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى وهم مع ذلك يرجون شفاعتي ، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة ! فما لهم عند الله من خلاق ؛ حبيبي يا حسين ! إن أباك وأمك [وأخاك][3] قد قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون ، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة . قال : فجعل الحسين ينظر في منامه إلى جده ﷺ ويسمع كلامه وهو يقول : يا جداه ! لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا أبداً فخذني إليك واجعلني معك إلى منزلك . قال: فقال له النبي ﷺ : يا حسين ! إنه لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم فإنك[4] وأباك وأخاك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة[5] .

قال : فانتبه الحسين من نومه فزعاً مذعوراً فقص رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب ، فلم يكن ذلك اليوم في شرق ولا غرب أشد غماً من أهل بيت الرسول ﷺ ولا أكثر منه باكياً وباكية .

وتهيأ الحسين بن علي وعزم على الخروج من المدينة ومضى في جوف الليل إلى قبر أمه فصلى عند قبرها وودعها ، ثم قام عن قبرها وصار إلى قبر أخيه الحسن

---

(١) بالأصل « ركعتان » .
(٢) بالأصل : « إلّا ما » .
(٣) زيادة اقتضاها السياق ، باعتبار ما ورد « قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون » .
(٤) بالأصل : فإني .
(٥) قال الحدادي : فرفع النبي (ص) يده ورأسه إلى السماء فقال : اللّهم أفرغ على حبيبي الصبر وأعظم له الأجر» (عن هامش المقتل) .

ففعل مثل ذلك ثم رجع إلى منزله . وفي وقت الصبح أقبل إليه أخوه محمد ابن الحنفية .

ذكر وصية الحسين بن علي إلى أخيه محمد ابن الحنفية

قال: فلم جاء إليه محمد ابن الحنفية رضي الله عنه قال: يا أخي فدتك نفسي ! أنت أحب الناس إليّ وأعزهم عليّ ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق وليس أحد أحق بها منك فإنك كنفسي وروحي وكبير أهل بيتي ومن عليه اعتمادي وطاعته في عنقي لأن الله تبارك وتعالى قد شرفك وجعلك من سادات أهل الجنة . وإني أريد أن أشير عليك برأيي فاقبله مني . فقال له الحسين : قل ما بدا لك ! فقال : أشير عليك أن تنجو نفسك[١] عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار[٢] ما استطعت ، وأن تبعث رسلك إلى الناس وتدعوهم[٣] إلى بيعتك فإني إن بايعك الناس[٤] وتابعوك حمدت الله على ذلك ، وقمت فيهم بما يقوم فيهم النبي ﷺ والخلفاء الراشدون المهديون من بعده حتى يتوفاك الله وهو عنك راضٍ والمؤمنون كذلك كما رضوا عن أبيك وأخيك ، وإن أجمع الناس على غيرك حمدتُ الله على ذلك[٥] ، وإني خائف عليك أن تدخل مصراً من الأمصار أو تأتي جماعة من الناس فيقتتلون فتكون طائفة منهم معك وطائفة عليك فتقتل منهم . فقال له الحسين : يا أخي ! إلى أين أذهب ؟ قال : أخرج إلى مكة فإن اطمأنت بك الدار فذاك الذي تحب وأحب ، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن فإنهم أنصار جدك وأخيك وأبيك ، وهم أرأف الناس وأرقهم قلوباً وأوسع الناس بلاداً وأرجحهم عقولاً ، فإن اطمأنت بك أرض اليمن وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال وصرت من بلد إلى بلد لتنظر[٦] ما يؤول إليه أمر الناس ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين . فقال له الحسين :

(١) في الطبري : « تنحَّ بتبعتك » وفي ابن الأثير : ببيعتك .
(٢) عن الطبري وابن الأثير وابن كثير ، وبالأصل « الأنصار » .
(٣) في الطبري وابن الأثير : فادعهم إلى نفسك .
(٤) في ابن الأثير والطبري : فإن بايعوا لك .
(٥) في الطبري وابن الأثير : لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك .
(٦) في الطبري وابن الأثير : حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس ، وتعرف عند ذلك الرأي ، فإنك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً ولا تكون عليك الأمور أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً .

يا أخي ! والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت والله يزيد بن معاوية أبداً وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اللّهم ! لا تبارك في يزيد » قال : فقطع عليه محمد ابن الحنفية الكلام وبكى فبكى معه الحسين ساعة ثم قال : جزاك الله يا أخي عني خيراً ! ولقد نصحت وأشرت بالصواب وأنا أرجو أن يكون إن شاء الله رأيك موفقاً مسدداً ، وإني قد عزمت على الخروج إلى مكة وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو إخوتي وشيعتي وأمرهم أمري ورأيهم رأيي . وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم ولا تخف عليّ شيئاً من أمورهم . قال : ثم دعا الحسين بدواة وبياض وكتب فيه .

وصية الحسين رضي الله عنه لأخيه محمد رضي الله عنه

فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب لأخيه محمد ابن الحنفية المعروف ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، جاء بالحق من عنده ، وأن الجنة حق والنار حق . وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وإني لم أخرج أشِراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) وسيرة أبي علي بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم ، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي [الله][1] بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم [بالحق][2] وهو خير الحاكمين ، هذه وصيتي إليك يا أخي ! وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، والسلام عليك وعلى من اتبع الهدى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال : ثم طوى الكتاب الحسين وختمه بخاتمه ودفعه إلى أخيه محمد ابن الحنفية ثم ودعه وخرج في جوف الليل يريد مكة بجميع أهله[3] ، وذلك لثلاث ليال

---

(١) زيادة عن المقتل لأبي مخنف .

(٢) زيادة عن المقتل لأبي مخنف .

(٣) في الأخبار الطوال ص ٢٢٨ مضى . . . ومعه أختاه أم كلثوم وزينب وولد أخيه وإخوته أبو بكر وجعفر =

مضين من شهر شعبان[1] في سنة ستين ، فجعل يسير ويقرأ هذه الآية : ﴿ **فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين** ﴾[2] ، فقال له ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب : يابـن بنت رسول الله ﷺ ! لو عدلنا عن الطريق وسلكنا غير الجادة كما فعل عبد الله بن الزبير كان عندي الرأي ، فإنا نخاف أن يلحقنا الطلب ! فقال له الحسين : لا والله يـابن عمي ! لا فارقت هذا الطريق أبداً أو أنظر إلى أبيات مكة أو يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى ؛ ثم جعل الحسين يتمثل بشعر يزيد بن المفرغ الحميري وهو يقول[3] :

لا سهـرت السـوام فـي فلق الصبـ ـح مـضيئـاً ولادعـيت يـزيـدا[4]
يـوم أعـطى مـن المـخـافـة ضيـ ـمـاً والمنـايـا يـرصـدنني أن أحيـدا

قال : فبينما الحسين كذلك بين المدينة ومكة إذا استقبله عبد الله بن مـطيع العدوي[5] فقال : أين تريد أبا عبد الله جعلني الله فداك ! قال : أما[6] في وقتي هذا أريد مكة ، فإذا صرت إليهـا استخرت الله تعـالى في أمري بعـد ذلك . فقـال له

= والعباس وعامة من كان بالمدينة من أهل بيته إلاّ أخاه محمد ابن الحنفية .

(١) في الطبري : ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب .

(٢) سورة القصص الآية ٢١ .

(٣) من أبيات في الطبري ٥ / ٣٤٢ ابن الأثير ٢ / ٥٣١ الشعر والشعراء ص ١ / ٣٢٢ مروج الذهب ٣ / ٦٧ تهذيب ابن عساكر ٤ / ٣٢٩ الأغاني ٨ / ٢٨٧ باختلاف في الألفاظ .

(٤) قبله :

حتى ذا الـزور وانهـه أن يعـودا إن بـالـبـاب حـارسـيـن قـعـودا

(٥) ورد خبر استقبال عبد الله بن مطيع العدوي في الأخبار الطوال ص ٢٢٨ وابن الأثير ٢ / ٥٣٣ . وقد تقدم قبل قليل أن الوليد بن عتبة قد حبس عبد الله بن مطيع بعد خروج ابن الزبير من المدينة . وأنه كتب إلى يزيد أن بني عدي قد أخرجوه عنوة من السجن وأخبره بامتناع الحسين بن علي (رض) عن البيعة .

الرواية يعني رواية سجن ابن مطيع ـ ضعيفة من وجوه :

ـ اتفاق الروايات على خروج الحسين بن علي من المدينة بعد ابن الزبير بليلة .

ـ لقاؤه ابن مطيع قادماً من مكة إلى المدينة ، والمفترض حسب رواية ابن الأعثم أن يكون في السجن .

ـ وإن كان قد أخرج من السجن ، كيف انتقل من المدينة إلى مكة وعاد منها والتقى الحسين بن علي خلال الطريق ، وقد خرج الحسين بن علي بعد ابن الزبير بليلة . هذا يضعف رواية ابن الأعثم ، ويضعف خبر رسالة الوليد إلى يزيد بشأن قضية السجن ، وامتناع الحسين عن البيعة .

(٦) في ابن الأثير : أما الآن فمكة .

عبد الله بن مطيع : خار[1] الله لك يـابن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه غير أني أشير عليك بمشورة فاقبلها مني ، فقال له الحسين . وما هي يابن مطيع ؟ قال : إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة[2] فيها قتل أبوك وأخوك[3] بطعنة طعنوه كادت أن تأتي على نفسه ، فالزم الحرم فأنت سيد العرب في دهرك هذا ، فوالله لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك والسلام . قال : فودعه الحسين ودعا له بخير وسار حتى وافى مكة ، فلما نظر إلى جبالها[4] من بعيد جعل يتلو هذه الآية : ﴿ **ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل** ﴾[5] .

ودخل الحسين إلى مكة ففرح به أهلها فرحاً شديداً . قال : وجعلوا يختلفون إليه بكرة وعشية ، واشتد ذلك على عبد الله بن الزبير لأنه قد كان طمع أن يبايعه أهل مكة ، فلما قدم الحسين شق ذلك عليه ، غير أنه لا يبدي ما في قلبه إلى الحسين لكنه يختلف إليه ويصلي بصلاته ويقعد عنده ويسمع من حديثه وهو مع ذلك يعلم أنه لا يبايعه أحد من أهل مكة والحسين بن علي بها ، لأن الحسين عندهم أعظم في أنفسهم من ابن الزبير[6] .

قال : وبلغ ذلك أهل الكوفة أن الحسين بن علي قد صار إلى مكة . وأقـام الحسين بمكة باقي شهر شعبان ورمضان وشوال وذي[7] القعدة . قال : وبمكة يومئذ عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، فأقبلا جميعاً حتى دخلا على الحسين وقد عزما على أن ينصرفا إلى المدينة فقـال له ابن عمـر : أبا عبد الله ! رحمك الله اتق[8] الله الذي إليه معادك ! فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت لكم وظلمهم إياكم ، وقد ولي الناس هذا الرجل ، يزيد بن معاوية ، ولست

---

(١) أي جعل لك الخير .

(٢) في الأخبار الطوال ص ٢٢٨ وابن الأثير ٢ / ٥٣٣ فإياك والكوفة فإنها بلدة مشؤومة .

(٣) الأخبار الطوال وابن الأثير : وبها خذل أخوك .

(٤) في النسخ : « حالها » وما أثبتناه الصواب .

(٥) سورة القصص الآية ٢٢ .

(٦) في البداية والنهاية ٨/ ١٧٥ أن ابن الزبير كان يغدو ويروح إلى الحسين ويشير عليه أن يقدم العراق ، ويقول : هم شيعتك وشيعة أبيك .

(٧) بالأصل : ذو .

(٨) بالأصل : اتقي .

آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه[1] الصفراء والبيضاء فيقتلونك[2] ويهلك فيك بشر كثير ، فإني قد سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول : « حسين مقتول ، ولئن قتلوه وخذلوه ولن ينصروه ليخذلهم الله إلى يوم القيامة ! » وأنا أشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس ، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل ، فلعل الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين . فقال له الحسين : أبا عبد الرحمن ! أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه وقد قال النبي ﷺ فيه وفي أبيه ما قال ؟ فقال ابن عباس : صدقت أبا عبد الله ! قال النبي ﷺ في حياته : « ما لي وليزيد لا بارك الله في يزيد ! وإنه يقتل ولدي وولد ابنتي الحسين رضي الله عنه ، والذي نفسي بيده ! لا يقتل ولدي بين ظهراني[3] قوم فلا يمنعونه إلا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم ! ثم بكى ابن عباس وبكى معه الحسين وقال : يابن عباس ! تعلم أني ابن بنت رسول الله ﷺ : فقال ابن عباس : اللّهم نعم نعلم ونعرف أن ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم وعلى آله) غيرك ، وأن نصرك لفرض على هذه الأمة كفريضة الصلاة والزكاة التي لا يقدر أن يقبل أحدهما دون الأخرى . قال الحسين : يابن عباس ! فما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله ﷺ من داره وقراره ومولده وحرم رسوله ومجاورة قبره ومولده ومسجده وموضع مهاجره ، فتركوه خائفاً مرعوباً لا يستقر في قرار ولا يأوي في موطن ، يريدون في ذلك قتله وسفك دمه وهو لم يشرك بالله شيئاً ولا اتخذ من دونه ولياً ، ولم يتغير عما كان عليه رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده ؟ فقال ابن عباس : ما أقول فيهم [إلا][4] **﴿ انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ﴾**[5] **﴿ يرآءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً ﴾**[6] وعلى مثل هؤلاء تنزل[7] البطشة الكبرى ، وأما أنت يابن بنت رسول الله ﷺ فإنك رأس الفخار برسول الله ﷺ وابن نظيره البتول ، فلا تظن يابن بنت رسول الله أن الله غافل عما يعمل

(١) في الأصل « لكان هذا » .
(٢) في الأصل : يقتلونه .
(٣) في الأصل : « الظهراى » .
(٤) زيادة اقتضاها معنى قول ابن عباس .
(٥) سورة التوبة الآية ٥٤ .
(٦) سورة النساء الآيتان ١٤٢ و١٤٣ .
(٧) بالأصل : ينزل .

الظالمون ، وأنا أشهد أن من رغب عن مجاورتك وطمع في محاربتك ومحاربة نبيك محمد ﷺ فما له من خلاق . فقال الحسين : اللّهم اشهد ! فقال ابن عباس : جعلت فداك يابن بنت رسول الله ! كأنك تريدني إلى نفسك وتريد مني أن أنصرك ! والله الذي لا إله إلّا هو أن لو ضربت بين يديك سيفي هذا حتى انخلع جميعاً من كفي لما كنت ممن أوفي من حقك عشر العشر ! وها أنا بين يديك مرني بأمرك . فقال ابن عمر : مهلاً ذرنا من هذا يابن عباس .

قال : ثم أقبل ابن عمر على الحسين فقال : أبا عبد الله ! مهلاً عمّا قد عزمت عليه وارجع من هنا إلى المدينة وادخل في صلح القوم ولا تغب عن وطنك وحرم جدك رسول الله ﷺ ، ولا تجعل لهؤلاء الذين لا خلاق لهم على نفسك حجة وسبيلاً ، وإن أحببت أن لا تبايع فأنت متروك حتى ترى برأيك فإنّ يزيد بن معاوية ـ لعنه الله ـ عسى أن لا يعيش إلا قليلاً فيكفيك الله أمره . فقال الحسين : أفّ لهذا الكلام أبداً ما دامت السماوات والأرض ! أسألك بالله يا عبد الله أنا عندك على خطأ من أمري هذا ؟ فإن كنت عندك على خطأ فردني فإني أخضع وأسمع وأطيع ، فقال ابن عمر : اللّهم لا ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على خطأ ، وليس مثلك من طهارته وصفوته من الرسول ﷺ على مثل يزيد بن معاوية ـ لعنه الله ـ باسم الخلافة ، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف وترى من هذه الأمة ما لا تحب ، فارجع معنا إلى المدينة وإن لم تحب أن تبايع فلا تبايع أبداً واقعد في منزلك . فقال الحسين : هيهات يابن عمر ! إن القوم لا يتركوني وإن أصابوني وإن لم يصيبوني فلا يزالون حتى أبايع وأنا كاره أو يقتلوني ، أما تعلم يا[1] عبد الله ! أن من هوان هذه الدنيا على الله تعالى أنه أتي برأس يحيى بن زكريا عليه السلام إلى بغية من بغايا[2] بني إسرائيل والرأس ينطق بالحجة عليهم ؟ أما تعلم أبا عبد الرحمن ! أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس[3] سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كلهم كأنهم لم يصنعوا شيئاً ، فلم يعجل الله عليهم ، ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ؛ اتق الله أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي واذكرني في صلاتك ، فوالذي بعث جدي

(١) بالأصل « يا أبا عبد الله » .
(٢) بالأصل « بقية من بقايا » وما أثبتناه عن المقتل لأبي مخنف .
(٣) بالأصل « طلوع الشمس إلى الغروب » وما أثبتناه عن المقتل .

محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً لو أن أباك عمر بن الخطاب أدرك زماني لنصرني كنصرته جدي وأقام من دوني قيامه بين يدي جدي ، يـابن عمر ! فإن كان الخروج معي مما يصعب عليك ويثقل فأنت في أوسع العذر ، ولكن لا تتركن لي الدعاء في دبر كل صلاة ، واجلس عن القوم ولا تعجل بالبيعة لهم حتى تعلم إلى ما تؤول الأمور

قال : ثم أقبل الحسين على عبد الله بن عباس رحمه الله فقال : يابن عباس ! إنك ابن عم والدي ، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك ، وكنت مع والدي تشير عليه بما فيه الرشاد ، وقد كان يستنصحك ويستشيرك فتشير عليه بالصواب ، فامض إلى المدينة في حفظ الله وكلائه ولا يخفى عليَّ شيء من أخبارك فإني مستوطن هذا الحرم ومقيم فيه أبداً ما رأيت أهله يحبوني وينصروني ، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم الخليل ﷺ يوم ألقي في النار ﴿ حسبي الله ونعم الوكيل ﴾ فكانت النار عليه برداً وسلاماً .

قال : فبكى ابن عباس وابن عمر في ذلك الوقت بكاء شديداً والحسين يبكي معهما ساعة ثم ودعهما ، وصار ابن عمر وابن عباس إلى المدينة ، وأقام الحسين بمكة قد لزم الصوم والصلاة واجتمعت الشيعة بالكوفة .

ذكر أخبار الكوفة وما كان من كتبهم إلى الحسين ابن علي رضي الله عنهما

قال : واجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صرد الخزاعي فلما تكاملوا في منزله قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وعلى أهل بيته ، ثم ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فترحم عليه وذكر مناقبه الشريفة ، ثم قال : يا معشر الشيعة ! إنكم قد علمتم بأن معاوية قد صار إلى ربه وقدم على عمله وسيجزيه الله تبارك وتعالى بما قدم من خير أو شر ، وقد قعد في موضعه ابنه يزيد ـ زاده الله خزياً ـ وهذا الحسين بن علي قد خالفه[1] وصار إلى مكة خائفاً من طواغيت آل أبي سفيان وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله ، وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم ؛ فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه ، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغروا[2] الرجل من نفسه . فقال القوم : بل ننصره ونقاتل عدوه ، ونقتل أنفسنا دونه حتى ينال حاجته . فأخذ عليهم سليمان بن صرد بذلك ميثاقاً وعهداً أنهم لا يغدرون ولا ينكثون[3] . ثم قال : اكتبوا إليه الآن كتاباً من جماعتكم أنكم له كما ذكرتم ، وسلوه القدوم عليكم . قالوا : أفلا تكفينا أنت الكتاب إليه ؟ قال : لا ، بل يكتب جماعتكم . قال : فكتب القوم إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما .

ذكر الكتاب الأول إلى الحسين رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، من

(١) في الطبري ٥ / ٣٥٢ قد تقبض على القوم ببيعته .
(٢) عن الطبري ، وبالأصل « فلا تغزوا » .
(٣) في إحدى النسخ : ينكبون .

سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة[1] وحبيب بن مظاهر[2] ورفاعة بن شداد وعبد الله بن وال وجماعة شيعته من المؤمنين[3] ؛ أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوّك وعدوّ أبيك من قبلك الجبار العنيد الغشوم الظلوم الذي أبتر[4] هذه الأمة وعضاها[6] وتأمر عليها بغير رضاها ، ثم قتل خيارها واستبقى أشرارها[5] ، فبعداً له كما بعدت ثمود ![7] ثم إنه قد بلغنا أن ولده اللعين قد تأمر على هذه الأمة بلا مشورة ولا إجماع ولا علم من الأخيار ، ونحن مقاتلون معك وباذلون أنفسنا من دونك فاقبل إليه فرحاً مسروراً مأموناً مباركاً سديداً وسيداً أميراً مطاعاً إماماً خليفة علينا مهدياً ، فإنه ليس عليك إمام ولا أمير إلا النعمان بن بشير وهو في قصر الإمارة وحيد طريد ، ليس يجتمع معه في جمعة ولا يخرج معه إلى عيد ولا يؤدى إليه الخراج ، يدعو فلا يجاب ويأمر فلا يطاع ؛ ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه عنا حتى يلحق بالشام ، فاقدم إلينا فلعل الله عزَّ وجلَّ أن يجمعنا بك على الحق ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يابن رسول الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى عبد الله بن سبع[8] الهمداني وعبد الله بن مسمع البكري[9] ، ووجهوا بهما إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما . فقرأ الحسين كتاب أهل الكوفة فسكت ولم يجبهم[10] بشيء[11] .

---

(1) عن الطبري ٥ / ٣٥٢ وابن الأثير ٢ / ٥٣٣ وبالأصل : لحيه .

(2) عن الطبري وابن الأثير ، وبالأصل : مطهر .

(3) زيد في الطبري وابن الأثير : « والمسلمين من أهل الكوفة . سلام عليك ، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو » .

(4) الطبري وابن الأثير : « الذي انتزى على هذه الأمة » وفي الإمامة والسياسة : الذي اعتدى .

(5) في الطبري وابن الأثير : « فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر . . . » وفي الإمامة والسياسة : فانتزعها حقوقها . واغتصبها أمورها وغلبها على فيئها ، وتأمر عليها . . » .

(6) زيد في الطبري : وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها .

(7) من هنا إلى آخر الكتاب وردت العبارة في المصادر باختلاف انظر الطبري وابن الأثير والإمامة والسياسة .

(8) عن الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية . وفي الأصل : « سبلع » وفي الأخبار الطوال : عبيد الله بن سبيع .

(9) في الطبري وابن الأثير وابن كثير : عبد الله بن والٍ . وفي الأخبار الطوال : عبد الله بن وداك السلمي .

(10) بالأصل : « فلم يجيبهم » .

(11) وقد وافوا الحسين بمكة لعشر خلون من شهر رمضان كما في الأخبار الطوال ص ٢٢٩ والبداية والنهاية ٨ / ١٦٢ .

ثم قدم عليه بعد ذلك قيس[1] بن مسهر الصيداوي[2] وعبد الرحمن بن عبد الله[3] الأرحبي وعمارة[4] بن عبيد[5] السلولي وعبد الله بن وال التميمي ، ومعهم جماعة نحو خمسين ومائة[6] ، كل كتاب من رجلين وثلاثة وأربعة ، ويسألوه القدوم عليهم ؛ والحسين يتأنى في أمره فلا يجيبهم بشيء .

ثم قدم عليه بعد ذلك هانىء [بن -][7] هانىء السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي[8] بهذا الكتاب[9] ، وهو آخر ما ورد على الحسين من أهل الكوفة .

ذكر الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم ، للحسين بن علي أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه ، أما بعد [فحيهلا][10] فإن الناس منتظرون لا رأي لهم [في][10] غيرك ، فالعجل العجل يابن بنت رسول الله ﷺ ! قد[11] اخضّر [ت] الجنات[12] وأينعت الثمار[13] وأعشبت الأرض وأورقت الأشجار[13]، فاقدم إذا شئت فإنما تقدم إلى جند لك مجنّد - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبلك - .

---

(١) الأصل والطبري وابن الأثير وابن كثير ، وفي الأخبار الطوال : بشر .

(٢) عن المصادر ، وبالأصل : « الصيدواني » وفي البداية والنهاية : « الصدائي » .

(٣) عن الطبري وابن كثير . وفي الأخبار الطوال : عبد الرحمن بن عبيد . وفي الأصل : عبد الله بن عبد الرحمن .

(٤) عن الطبري وابن كثير ، وبالأصل عامر .

(٥) ابن كثير : عبد الله .

(٦) في الطبري : ثلاثة وخمسين ، وفي الأخبار الطوال : خمسون كتاباً .

(٧) عن الطبري والأخبار الطوال .

(٨) في الأخبار الطوال وتاريخ اليعقوبي : الخثعمي .

(٩) في الأخبار الطوال : معهما أيضاً نحو خمسين كتاباً .

(١٠ - ١٠) زيادة عن الطبري ٥ / ٣٥٣ .

(١١) كذا بالأصل ، جعله كله كتاباً واحداً حمله هانىء وسعيد بن عبد الله الحنفي . أما ما ورد في الطبري ٥ / ٣٥٣ والبداية والنهاية ٨ / ١٦٣ فإلى هنا ينتهي كتاب هانىء بن هانىء السبيعي ، ويبدأ كتاب آخر . والعبارة في الطبري :

وكتب شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعزرة بن قيس (وعروة في الكامل لابن الأثير) وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي (عمر في البداية والنهاية) .

(١٢) في الطبري : الجناب ، وفي البداية والنهاية : الجنان .

(١٣-١٣) بدلها في الطبري : وطمت الجمام . وفي البداية والنهاية : ولطمت الجمام .

فقال الحسين لهانىء وسعيد بن عبد الله الحنفي : خبّراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتب معكما إليّ ! فقالا : يا أمير المؤمنين ! اجتمع عليه شبث[1] بن ربعي وحجار بن أبجر[2] ويـزيد[3] بن الحـارث ويزيـد بن رويم[4] وعروة بن قيس وعمرو[5] بن الحجاج ومحمد بن عمير بن عطارد[6] .

قال : فعندها قام الحسين فتطهر وصلى ركعتين بين الركن والمقام ، ثم انفتل من صلاته وسأل ربه الخير فيما كتب إليه أهل الكوفة ، ثم جمع الرسل فقال لهم : إني رأيت جدي رسول الله ﷺ في منامي وقد أمرني بأمرٍ وأنا ماضٍ لأمره ، فعزم الله لي بالخير ، إنه ولي ذلك والقادر عليه إن شاء الله تعالى .

ذكر كتاب الحسين بن علي إلى أهل الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين[7] ، سلام عليكم أما بعد فإن هانىء بن هانىء وسعيد بن عبد الله قدما عليّ بكتبكم فكانا آخر من قدم عليّ من عندكم[8] ، وقد فهمت[9] الذي قد قصصتم وذكرتم ولست أقصر عما أحببتم ، وقـد بعثت[10] إليكم أخي وابن عمـي وثقتي[11] من أهل بيتي مسلم[12] بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد أمرته أن يكتب إليّ بحالكم ورأيكم ورأي ذوي[13] الحجى والفضل منكم ، وهو متوجه إلى ما قبلكم إن شاء الله تعالى والسلام ولا قوة إلا بالله ، فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم

---

(١) بالأصل : سبت ، وما أثبت عن الطبري والبداية والنهاية .
(٢) بالأصل : « الحر » انظر ما مرّ قريباً .
(٣) بالأصل : يزيد . ما أثبت عن الطبري .
(٤) بالأصل : زيد بن روهم . ما أثبت عن الطبري .
(٥) بالأصل : عمر . ما أثبت عن الطبري .
(٦) في الطبري : التميمي .
(٧) زيد في الطبري : « والمسلمين » وفي الأخبار الطوال : إلى من بلغه كتابي هذا ، من أوليائه وشيعته بالكوفة .
(٨) الطبري : من رسلكم .
(٩) في الأخبار الطوال : وفهمت ما ذكرتم من محبتكم لقدومي عليكم .
(١٠) في الأخبار الطوال : وإني باعث إليكم . .
(١١) عن الطبري والأخبار الطوال ، وبالأصل « بقيتي » .
(١٢) بالأصل « سليمان » وما أثبت عن الطبري .
(١٣) بالأصل : « ذو » .

فقوموا مع ابن عمي وبايعوه وانصروه ولا تخذلوه فلعمري ! ليس الإمام العادل بالكتاب والعادل بالقسط كالذي يحكم بغير الحق ولا يهدي ولا يهتدي ، جمعنا الله وإياكم على الهدى وألزمنا وإياكم كلمة التقوى ، إنه لطيف لما يشاء ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1] ـ .

قال : ثم طوى الكتاب وختمه ودعا مسلم بن عقيل رحمه الله فدفع إليه الكتاب وقال له : إني موجهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إليّ ، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى ، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء ، فامضِ على بركة الله حتى تدخل الكوفة ، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها وادع الناس إلى طاعتي واخذلهم عن آل أبي سفيان ، فإن رأيت الناس مجتمعين[2] على بيعتي فعجل لي بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى[3] ، ثم عانقه وودّعه وبكيا جميعاً .

---

(١) انظر نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٥٣ الأخبار الطوال ص ٢٣٠ ابن الأثير ٢ / ٥٣٤ .
(٢) الأصل : « مجتمعون » وفي الطبري : مجتمعين مستوثقين .
(٣) زيد في الأخبار الطوال : وإن تكن الأخرى ، فعجّل بالانصراف .

ذكر خروج مسلم بن عقيل رضي الله عنه نحو العراق

قال : فخرج مسلم بن عقيل من مكة نحو المدينة مستخفياً لئلا يعلم به أحد من بني أمية ، فلما دخل المدينة بدأ بمسجد رسول الله ﷺ فصلى فيه ركعتين ، ثم أقبل في جوف الليل حتى ودع من أحب من أهل بيته ، ثم إنه استأجر دليلين[1] من قيس عيلان يدلانه على الطريق ويصحبانه[2] إلى الكوفة على غير الجادة . قال : فخرج به الدليلان من المدينة ليلاً وسارا[3] ، فغلطا الطريق وجارا عن القصد واشتد بهما العطش فماتا جميعاً عطشاً[4] .

قال : وكتب مسلم بن عقيل رحمه الله إلى الحسين : بسم الله الرحمن الرحيم ، للحسين بن علي من مسلم بن عقيل ، أما بعد فإني خرجت[5] من المدينة مع الدليلين[6] استأجرتهما فضلا عن الطريق وماتا عطشاً ، ثم إنا صرنا إلى الماء بعد ذلك وكدنا أن نهلك فنجونا بحُشاشة أنفسنا ، وأخبرك يابن بنت رسول الله إنا أصبنا الماء بموضع يقال له المُضيق[7] ، وقد تطيرت من وجهي هذا الذي وجهتني به ،

---

(١) عن الطبري والأخبار الطوال ، وبالأصل « دليلان » .
(٢) بالأصل « يصحبا به » .
(٣) في البداية والنهاية ٨ / ١٦٣ فسارا به على براري مهجورة المسالك .
(٤) عبارة الأخبار الطوال ص ٢٣٠ أن مسلم بن عقيل تركهما بعد أن اشتد عليهما العطش والحر ولم يستطيعا المشي ، فقالا لمسلم : « عليك بهذا السمت . فالزمه لعلك أن تنجو » .
(٥) الطبري : أقبلت .
(٦) بالأصل : الدليلان .
(٧) في الطبري : « المضيق من بطن الخبيث » وفي الأخبار الطوال : « بطن الحربث » . والبطن الموضع =

فرأيك[1] في إعفائي منه ـ والسلام ـ .

قال : فلما قرأ كتاب مسلم بن عقيل رحمه الله علم أنه قد تشاءم وتطير من موت الدليلين[2] وأنه جزع .

فكتب إليه [الحسين] :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى مسلم بن عقيل ، أمّ بعد فإني[3] خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إليّ والاستعفاء من وجهك[4] هذا الذي أنت فيه إلا الجبن والفشل فامض لما أمرت به[5] ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ـ .

فلما ورد الكتاب على مسلم بن عقيل كأنه وجد من ذلك في نفسه ثم قال : والله لقد نسبني أبو عبد الله الحسين إلى الجبن والفشل ، وهذا شيء لم أعرفه من نفسي أبداً . ثم سار مسلم بن عقيل من موضعه ذلك يريد الكوفة ، فإذا برجل يرمي الصيد فنظر إليه مسلم فرآه وقد رمى ظبياً فصرعه ، فقال مسلم : نقتل أعـداءنا[6] إن شاء الله تعالى .

قال : ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة فنزل دار سالم[7] بن المسيب وهي دار المختار بن [أبي][8] عبيد الثقفي .

= الغامض من الوادي . والبطون كثيرة .

(١) الطبري : فإن رأيت أعفيتني منه ، وبعثت غيري ، والسلام . وفي الطبري أيضاً : أن مسلم بن عقيل سرح كتابه إلى الحسين بن علي (رض) مع قيس بن مسهر الصيداوي . أما في الأخبار الطوال أنه أرسل الكتاب مع رسول استأجره من أهل ذلك الماء ، يعني « ماء المضيق » .

(٢) بالأصل : الدليلان .

(٣) الطبري : فقد خشيت .

(٤) الطبري : من الوجه الذي وجهتك له .

(٥) زيد في الأخبار الطوال : فإني غير مُعفيك .

(٦) في الطبري : « يقتل عدونا » .

(٧) الطبري : « مسلم » وفي الأخبار الطوال : « دار المسيب » .

(٨) سقطت من الأصل ، وما أثبتناه عن الطبري والأخبار الطوال .
وفي البداية والنهاية ٨ / ١٦٣ أنه نزل على رجل يقال له مسلم بن عوسجة الأسدي .

ذكر نزول مسلم بن عقيل الكوفة واجتماع الشيعة إليه للبيعة

قال : وجعلت الشيعة تختلف إلى دار مسلم وهو يقرأ عليهم كتاب الحسين والقوم يبكون شوقاً منهم إلى قدوم الحسين . ثم تقدم إلى مسلم بن عقيل رجل من همدان يقال له عابس بن أبي شبيب الشاكري فقال : أما بعد فإني لا أخبرك عن الناس بشيء فإني أعلم[1] ما في أنفسهم ، ولكني أخبرك عما أنا موطن عليه نفسي ، والله أجيبكم [2] إذا دعوتم وأقاتل معكم عدوكم وأضرب بسيفي دونكم أبداً حتى ألقى الله وأنا لا أريد بذلك إلا ما عنده .

ثم قام حبيب بن مظاهر[3] الأسدي الفقعسي قال : وأنا والله الذي لا إله إلا هو على ما أنت[4] عليه . وتبايعت الشيعة على كلام هذين الرجلين ثم بذلوا الأموال ، فلم يقبل مسلم بن عقيل منها شيئاً[5] .

قال : وبلغ ذلك النعمان بن بشير قدوم مسلم بن عقيل الكوفة واجتماع الشيعة عليه ـ والنعمان يومئذ أمير الكوفة ـ فخرج من قصر الإمارة مغضباً[6] حتى دخل

---

(١) في الطبري : ولا أعلم ما في أنفسهم .
(٢) الطبري : لأجيبنكم . . . ولأقاتلن . . ولأضربن .
(٣) بالأصل « مظهر » وما أثبت عن الطبري .
(٤) الطبري : على مثل ما هذا عليه .
(٥) في البداية والنهاية ٨ / ١٦٣ اجتمع على بيعته من أهل الكوفة اثنا عشر ألفاً ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً .
(٦) كذا ، وعبارة البداية والنهاية : أنه لما أخبر خبر مسلم بن عقيل ضرب عن ذلك صفحاً ولم يعبأ به . =

المسجد الأعظم فنادى في الناس فاجتمعوا إليه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أهل الكوفة ! فاتقوا الله ربكم ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيها[1] سفك الدماء وذهاب الرجال والأموال ، واعلموا أني لست أقاتل إلا من قاتلني ، ولا أثب إلا على من وثب عليّ غير أنكم قد أبديتم صفحتكم[2] ونقضتم[3] بيعتكم وخالفتم إمامكم فإن رأيتم أنكم رجعتم عن ذلك ، وإلا فوالله الذي لا إله إلا هو لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم يكن لي [منكم][4] ناصر ، مع أني أرجو أن من يعرف الحق منكم أكثر ممن يريد[5] الباطل .

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد[6] الحضرمي فقال : أيها الأمير أصلحك الله إن هذا الذي أنت عليه من رأيك إنما هو رأي المستضعفين فقال له النعمان بن بشير : يا هذا ! والله لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ إليّ من أن أكون من المغلوبين[7] في معصية الله .

قال : ثم نزل عن المنبر ودخل قصر الإمارة ، وكتب عبد الله بن مسلم[8] إلى يزيد بن معاوية يخبره بذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين من شيعته من أهل الكوفة ، أما بعد فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة وقد بايعه الشيعة للحسين بن علي رضي الله عنهما وهم خلق كثير ، فإن كان لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ فيها أمرك ويعمل فيها بعملك من عدوك ، فإن النعمان بن بشير رجل

= وعبارة الأخبار الطوال أنه كان يحب العافية ويغتنم السلامة . وذهب في الإمامة والسياسة بعيداً في إيضاح موقف النعمان فقال إن النعمان بن بشير قال لما علم بقدوم مسلم : لابن بنت رسول الله (ص) أحب إلينا من ابن بحدل .

(١) الطبري وابن الأثير : فيهما .

(٢) عن الطبري ، وبالأصل « صحيفتكم » .

(٣) الطبري : نكثتم .

(٤) عن الطبري .

(٥) الطبري : يرديه .

(٦) البداية والنهاية : « شعبة » . وفي الأخبار الطوال ص ٢٣١ : « مسلم بن سعيد الحضرمي » .

(٧) الطبري : « الأعزين » وفي البداية والنهاية : « الأقوياء الأعزين » .

(٨) الأخبار الطوال : « كتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمارة بن عقبة ، وكانا عيني يزيد بن معاوية » وانظر عبارة الطبري ٥ / ٣٥٦ .

ضعيف أو هو مضعف والسلام[1] . قال : ثم كتب أيضاً عمارة بن عقبة بن أبي معيط[2] بنحوٍ من ذلك : فكتب إليه عمر[3] بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك .

قال : فلما اجتمعت الكتب عند يزيد بن معاوية دعا بغلام أبيه وكان اسمه سرجون ، فقال : يا سرجون ! ما الذي عندك في أهل الكوفة فقد قدم مسلم بن عقيل وقد بايعه الترابية للحسين بن علي رضي الله عنهما ؟ فقال له سرجون : أتقبل مني ما أشير به عليك ؟ فقال يزيد : قل حتى أسمع ! فقال : أشير عليك أن تكتب إلى عبيد الله[4] بن زياد فإنه أمير البصرة فتجعل له الكوفة زيادة في عمله حتى يكون هو الذي يقدم الكوفة فيكفيك أمرهم . فقال يزيد : هذا لعمري هو الرأي[5] .

ثم كتب يزيد إلى عبيد الله[6] بن زياد : أما بعد فإن شيعتي من أهل الكوفة كتبوا إليّ فخبروني[7] أن مسلم بن عقيل يجمع الجموع ويشق عصا المسلمين ، وقد اجتمع عليه خلق كثير من شيعة أبي تراب[8] ، فإذا وصل إليك كتابي هذا فسر حين تقرأه حتى تقدم الكوفة فتكفيني أمرها ، فقد جعلتها زيادة في عملك وضممتها إليك ، فانظر أين تطلب مسلم بن عقيل بن أبي طالب بها فاطلبه طلب الخَرزة ، فإذا ظفرت به فاقتله ونفّذ إليّ رأسه[9] ، واعلم أنه لا عذر لك عندي دون ما أمرتك به ،

---

(١) قارن مع الطبري ٥ / ٣٥٦ الأخبار الطوال ص ٢٣١ ابن الأثير ٢ / ٥٣٥ .

(٢) الأصل : عمارة بن عطية بن معيط . انظر المصادر السابقة .

(٣) بالأصل « عمرو » وما أثبتناه عن الطبري .

(٤) بالأصل : « عبد الله » . وما أثبتناه عن الطبري .

(٥) في الطبري ٥ / ٣٥٦ أن يزيد استشار سرجون مولى معاوية فقال : «أرأيت معاوية لو نشر لك ، أكنت آخذا برأيه ؟ قال : نعم ، فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة ، فقال : هذا رأي معاوية ، ومات وقد أمر بهذا الكتاب » . وكان الصك بإمرة عبيد الله على العراقين قد كتبه في الديوان لكن معاوية مات قبل انفاذ العهد إليه . فأخذ يزيد برأي سرجون وضم المصرين إلى عبيد الله ، وبعث إليه بعهده على الكوفة .

(٦) بالأصل : عبد الله خطأ .

(٧) الطبري : يخبرونني .

(٨) يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٩) في الطبري : كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام . وانظر الأخبار الطوال ص ٢٣١ وابن الأثير ٢ / ٥٣٥ وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٤٢ وكتب إليه : قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم ، وإنه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم ، وقد بلي به بلدك من بين البلدان ، وأيامك من بين الأيام . فإن قتلته ، وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد ، فاحذر أن يفوتك .

فالعجل العجل والوحا الوحا ـ والسلام ـ . ثم دفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهلي ثم أمره أن يجد السير إلى عبيد الله بن زياد . قال : فلما ورد الكتاب على عبيد الله بن زياد[1] وقرأه أمر بالجهاز إلى الكوفة .

قال : وقد كان الحسين بن علي قد كتب إلى رؤساء أهل البصرة مثل الأحنف بن قيس ومالك بن مِسْمَع والمنذر بن الجارود وقيس بن الهيثم[2] ومسعود بن عمرو[3] وعمر[4] بن عبيد الله بن معمر فكتب إليهم كتاباً[5] يدعوهم فيه إلى نصرته والقيام معه في حقه ، فكان كل من قرأ كتاب الحسين كتمه[6] ، ولم يخبر به أحد إلا المنذر بن الجارود فإنه خشي أن يكون هذا الكتاب دسيساً من عبيد الله بن زياد وكانت حومة[7] بنت المنذر بن الجارود تحت عبيد الله بن زياد ، فأقبل إلى عبيد الله بن زياد فخبره بذلك . قال : فغضب عبيد الله بن زياد وقال : من رسول الحسين بن علي إلى البصرة ؟ فقال المنذر بن الجارود : أيها الأمير رسوله إليهم مولى يقال له سليمان[8] رحمه الله ، فقال عبيد الله بن زياد : عليّ به ! فأتي بسليمان[8] مولى الحسين وقد كان متخفّياً عند بعض الشيعة بالبصرة ، فلما رآه عبيد الله[9] بن زياد لم يكلمه دون أن أقدمه فضرب عنقه صبراً ـ رحمه الله ـ ! ثم أمر بصلبه . ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد[10] يا أهل البصرة[10] ! إني لنِكلٌ[11] لمن عاداني وسمٌّ[12] لمن

(١) وكان في البصرة .
(٢) بالأصل : الحطيم ، وما أثبتناه عن الطبري والأخبار الطوال .
(٣) عن الطبري والأخبار الطوال ، وبالأصل « عمر » .
(٤) عن الطبري ، وبالأصل « عمرو » .
(٥) كتب الحسين بن علي إلى أشراف أهل البصرة نسخة واحدة . انظر نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٥٧ وفي الأخبار الطوال ص ٢٣١ : « سلام عليكم ، أما بعد ! فإني أدعوكم إلى إحياء معالم الحق وإماتة البدع ، فإن تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد ، والسلام » .
(٦) عن الطبري ، وبالأصل « لثمه » .
(٧) في الطبري : « بحرية » ، وفي الأخبار الطوال : هند .
(٨) في الأصل «سليمان بن صرد» وهو خطأ فاحش ، وما أثبتناه عن الطبري . وفي الأخبار الطوال : سلمان .
(٩) بالأصل : عبد الله .
(١٠ـ١٠) مكانها في الطبري : فوالله ما تقرن بي الصعبة ، ولا يقعقع لي بالشنان .
(١١) يقال : إنه لنكل شر ، بكسر النون وسكون الكاف ، أي ينكل بأعدائه . وما أثبتناه عن الطبري ، وفي الأصل « لركن » .
(١٢) عن الطبري ، وبالأصل « سمام » .

حاربني[1] ، فقد أنصف القارة من راماها[2] ؛ يا أهل البصرة ! إن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد ولاني الكوفة وأنا سائر إليها غداً إن شاء الله تعالى ، وقد استخلفت عليكم أخي عثمان بن زياد ، فإياكم والخلاف والإرجاف[3] ، فو الذي لا إله إلا هو ! لو بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه ولأقتلن عريفه[4] ، ولآخذن الأدنى بالأقصى حتى يستقيموا لي ، فاحذروا أن يكون فيكم مخالف أو مشاقّ ، فأنا ابن زياد[5] الذي لم ينازعني عم ولا خال ـ والسلام ـ . قال : ثم نزل عن المنبر .

فلما كان من الغد نادى في الناس وخرج من البصرة يريد الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي والمنذر بن الجارود العبدي [6] وشريك بن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته[6] ؛ فلم يزل يسير حتى بلغ قريباً من الكوفة .

ذكر [مسير] عبيد الله بن زياد ونزوله الكوفة وما فعل بها

قال : فلما تقارب عبيد الله بن زياد من الكوفة نزل ، فلما أمسى وجاء الليل دعا بعمامة غبراء [7] واعتجر بها ثم تقلد سيفه وتوشح قوسه وتكنن كنانته وأخذ في يده قضيباً واستوى على بغلته الشهباء ، وركب معه أصحابه ، وأقبل حتى دخل الكوفة من

---

(1) عن الطبري ، وبالأصل « نادبني » .

(2) عن الطبري والأخبار الطوال ، وبالأصل « القادة من راياها » والقارة قوم رماة من العرب ، وفي المثل : قد أنصف القارة من راماها ، وقد زعموا أن رجلين التقيا أحدهما قاريّ والآخر أسدي . فقال القاري : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك وإن شئت راميتك فقال اخترت المراماة . فقال القاري : قد أنصفتني وأنشد :

قد أنصف القارة من راماها إنا إذا ما فئة تلقاها
ترد أولاها على أخراها

ثم انترع له سهماً فشك فؤاده .

(3) عن الطبري والأخبار الطوال ، وبالأصل « الجلاف » .

(4) عن الطبري ، وبالأصل « وعريقه » .

(5) زيد في الطبري : أشبهته من بين وطيء الحصى ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم . وفي الأخبار الطوال ص ٢٣٢ : حتى تستقيموا ، وقد أعذر من أنذر .

(6) عن الطبري ، ومكانها بالأصل : « وعبد الله بن شريك » وفي الأخبار الطوال : وخرج معه من أشراف أهل البصرة شريك بن الأعور والمنذر بن الجارود .

(7) في الطبري ومروج الذهب : عمامة سوداء .

طريق البادية وذلك في ليلة مقمرة والناس متوقعون قدوم الحسين رضي الله عنه ، قال : فجعلوا ينظرون إليه وإلى أصحابه وهو في ذلك يسلم عليهم فيردون عليه السلام ، وهم لا يشكّون أنه الحسين ، وهم يمشون بين يديه ، وهم يقولون : مرحباً بك يابن بنت رسول الله [قدمت][1] خير مقدم . قال : فرأى عبيد الله بن زياد من تباشير الناس بالحسين بن علي ما ساءه ذلك وسكت ولم يكلمهم ولا ردّ عليهم شيئاً . قال : فتكلم مسلم بن عمرو الباهلي وقال : إليكم عن الأمير يا ترابية ! فليس هذا من تظنون ، هذا الأمير عبيد الله بن زياد . قال : فتفرق الناس عنه ودخل عبيد الله بن زياد قصر الإمارة وقد امتلأ غيظاً[2] وغضباً[3] .

فلما أصبح نادى : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس إلى المسجد الأعظم ، فلما علم أنهم قد تكاملوا خرج إليهم متقلداً بسيف متعمماً[4] بعمامة ، حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أهل الكوفة ! فإن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ولّاني مصركم وثغركم وأمرني أن أغيث مظلومكم ، وأن أعطي محرومكم ، وأن أحسن إلى سامعكم ومطيعكم ، وبالشدة على مريبكم[5] ، وأنا متبع[6] في ذلك أمره ومنفذ فيكم عهده[7] ـ والسلام ـ ، ثم نزل ودخل القصر .

فلما كان اليوم الثاني خرج إلى الناس ونادى بالصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس خرج إليهم بزي خلاف ما خرج به أمس ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنه لا يصلح هذا الأمر إلا في شدة من غير عنف ، ولين في غير

---

(١) زيادة عن الطبري ومروج الذهب والأخبار الطوال .

(٢) بالأصل : غيضاً .

(٣) زيد في مروج الذهب ٣ / ٧٠ انتهى إلى القصر وفيه النعمان بن بشير ، فتحصن فيه ، ثم أشرف عليه . فقال : يابن رسول الله ما لي ولك ؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان ؟ فقال ابن زياد : لقد طال نومك يا نُعيم . وحسر اللثام عن فيه ، فعرفه ففتح له . وتنادى الناس : ابن مرجانة ، وحصبوه بالحصباء ، ففاتهم ودخل القصر . (وانظر الطبري ٥ / ٣٥٩) .

(٤) بالأصل : منعماً .

(٥) في الطبري : مريبكم وعاصيكم .

(٦) الأخبار الطوال : « وأنا منته » ، وفي الطبري : وأنا متبع فيكم أمره .

(٧) زيد في الأخبار الطوال ص ٢٣٣ : وأنا لمعطيكم كالوالد الشفيق ولمخالفكم كالسم النقيع ، فلا يبقين أحد منكم إلا على نفسه » وقارن مع الطبري ٥ / ٣٥٩ .

ضعف ، وأن آخذ منكم البريء بالسقيم ، والشاهد بالغائب ، والولي بالولي . قال : فقام إليه رجل من أهل الكوفة يقال له أسد بن عبد الله المري فقال : أيها الأمير ! إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ وإنما المرء بجده ، والسيف بحده ، والفرس بشده ، وعليك أن تقول وعلينا أن نسمع ، فلا تقدم فينا السيئة قبل الحسنة . قال : فسكت عبيد الله بن زياد ونزل عن المنبر فدخل قصر الإمارة .

وسمع بذلك مسلم بن عقيل وبقدوم عبيد الله بن زياد وكلامه ، فكأنه اتقى على نفسه ، فخرج من الدار التي[1] هو فيها في جوف الليل حتى أتى دار هانىء بن عروة المذحجي رحمه الله فدخل عليه ؛ فلما رآه هانىء قام إليه وقال : ما وراءك ـ جعلت فداك ؟ فقال مسلم : ورائي ما علمت هذا عبيد الله بن زياد الفاسق ابن الفاسق قد قدم الكوفة فاتقيته على نفسي[2] ، وقد أقبلت إليك لتجيرني وتأويني حتى أنظر إلى ما يكون . فقال له هانىء بن عروة : جعلت فداك ! والله لقد كلفتني شططاً ! ولولا دخولك داري[3] لأحببت أن تنصرف ، غير أني أرى ذلك عاراً عليّ أن يكون رجل أتاني مستجيراً ، فانزل على بركة الله[4] . قال : فنزل مسلم بن عقيل في دار هانىء المذحجي . وجعل عبيد الله بن زياد يسأل عنه فلم يجد من يرشده عليه ، وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم رحمه الله في دار هانىء ويبايعون للحسين سراً ، ومسلم بن عقيل يكتب أسماءهم ويأخذ عليهم العهود والمواثيق لا يركنون ولا يعذرون ؛ حتى بايع مسلم بن عقيل نيف وعشرون ألفاً[5] . قال : وهمّ مسلم بن

(١) بالأصل « الذي » ، وقد تقدم أنه نزل في دار المختار بن أبي عبيد . وقيل غير ذلك . انظر ما لاحظنا في مكانه . وانظر الطبري ٥ / ٣٦٢ .

(٢) وكان مسلم قد أخبر بمقالة عبيد الله بن زياد ، وما أخذ به العرفاء والناس ، وكان عبيد الله قد قال للناس : « اكتبوا إلي الغرباء ، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق فمن كتبهم لنا فبريء ومن لم يكتب لنا أحداً فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف ولا يبغي علينا منهم باغٍ فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلال لنا ماله وسفك دمه ، وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره » . وكان هذا سبب خوف مسلم بن عقيل والتجائه إلى دار هانىء بن هانىء سيد قومه .

(٣) زيد في الطبري : وثقتك .

(٤) انظر الطبري ٥ / ٣٦٢ والأخبار الطوال ص ٢٣٣ .

(٥) في الإمامة والسياسة ٢ / ٨ أكثر من ثلاثين ألفاً .

عقيل أن يثب إلى عبيد الله[1] بن زياد فيمنعه هانئ من ذلك ويقول : لا تعجل فإن العجلة لا خير فيها .

ودعا عبيد الله بن زياد بمولى له يقال له معقل[2] فقال : هذه ثلاثة آلاف[3] درهم خذها إليك والتمس لي مسلم بن عقيل حيث كان من الكوفة ، فإذا عرفت موضعه فادخل إليه وأعلمه أنك من شيعته وعلى مذهبه وادفع إليه هذه[4] الثلاثة آلاف درهم وقل له : استعن[5] بهذه على عدوك ، فإنك إذا دفعت إليه الثلاثة آلاف درهم وثق بناحيتك واطمأنّ عليك ولم يكتمك من أمره شيئاً ، وفي غداة غد تعدو[6] عليّ بالأخبار .

قال : فأقبل معقل مولى عبيد الله بن زياد حتى دخل المسجد الأعظم ، فرأى رجلاً من الشيعة يقال له مسلم بن عوسجة الأسدي فجلس إليه فقال : يا[7] عبد الله إني رجل من أهل الشام[8] غير أني أحب أهل هذا البيت وأحبّ من أحبّهم ، ومعي ثلاثة آلاف درهم أريد أن أدفعها إلى رجل قد بلغني عنه أنه يقدم[9] إلى بلدكم هذا يأخذ البيعة لابن بنت رسول الله ﷺ الحسين بن علي ، فإن رأيت هل تدلني عليه حتى أدفع إليه المال الذي معي وأبايعه ؟ وإن شئت فخذ بيعتي له قبل[10] أن تدلني عليه . قال : فظن مسلم بن عوسجة أن القول على ما يقول ، فأخذ عليه الأيمان المغلظة والمواثيق والعهود وأنه يناصح ويكون عوناً لمسلم بن عقيل رحمه الله على عبيد الله بن زياد ، قال : فأعطاه موثقاً من الأيمان ما وثق به مسلم بن عوسجة ، ثم

---

(١) بالأصل : « بعبيد الله » .
(٢) في البداية والنهاية : مولى أبي رهم ، وقيل كان مولى له يقال له معقل .
(٣) بالأصل « ألف » ما أثبت عن الطبري .
(٤) بالأصل : هذه الألف درهم . ما أثبت عن الطبري .
(٥) بالأصل : استعين .
(٦) الأصل : تعدوا .
(٧) بالأصل : يا أبا عبد الله ، وما أثبتناه عن الطبري .
(٨) زيد في الطبري : « مولى لذي الكلاع » وفي البداية والنهاية : من بلاد حمص .
(٩) الطبري : قدم .
(١٠) الطبري : قبل لقائه .

قال له : انصرف عني الآن يومي هذا حتى أنظر ما يكون ! قال : فانصرف معقل مولى زياد[1] .

قال : ومرض شريك بن عبد الله الأعور الهمداني[2] في منزل هانىء بن عروة ، وعزم عبيد الله بن زياد على أن يصير إليه فيجتمع به ، ودعا شريك بن عبد الله مسلم بن عقيل فقال له : جعلت فداك ! غداً يأتيني هذا الفاسق عائداً وأنا مشغله لك بالكلام ، فإذا فعلت ذلك فقم أنت اخرج إليه من هذه الداخلة فاقتله ! فإن أنا عشت فسأكفيك أمر النصرة إن شاء الله .

قال : فلما أصبح عبيد الله بن زياد ركب وسار يريد دار ابن هانىء ليعود شريك بن عبد الله ، قال : فجلس وجعل يسأل منه . قال : وهمّ مسلم أن يخرج إليه ليقتله فمنعه من ذلك صاحب المنزل هانىء[3] ، ثم قال : جعلت فداك ! في داري صبية وإماء وأنا لا آمن الحدثان . قال : فرمى مسلم بن عقيل السيف من يده وجلس ولم يخرج ، وجعل شريك بن عبد الله يرمق الداخلة وهو يقول :

مـا تَنْظُرونَ بسَلْمى عِنْـد فُرصَتِهـا فَقَـدْ وَفى وُدُّهـا واسْتَـوسَقَ الصَّـرمُ[4]

---

(١) العبارة في الطبري : قال له : اختلف إليّ أياماً في منزلي ، فأنا طالب لك الإذن على صاحبك . فأخذ يختلف مع الناس فطلب له الإذن .
وفي البداية والنهاية : فلم يزل يتلطف ويستدل على الدار التي يبايعون بها مسلم بن عقيل حتى دخلها .

(٢) في الأخبار الطوال : البصري ، وقد تناقلت المصادر هذه القصة واختلفت في اسم المريض فمنها من قال هانىء بن عروة المرادي ومنها من قال : شريك بن الأعور ، وقد مرض في منزل هانىء .
انظر تفاصيل ذلك في الطبري ٥ / ٣٦٣ والأخبار الطوال ص ٢٣٣ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٤٣ ابن الأثير ٢ / ٥٣٧ البداية والنهاية ٨ / ١٦٤ - ١٦٥ الإمامة والسياسة ٢ / ٨ - ٩ .

(٣) في رواية الطبري أن هانئاً مرض فجاءه عبيد الله عائداً له ، فقال له عمارة بن عبيد السلولي : إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية ، فقد أمكنك الله منه فاقتله ، فقال هانىء : ما أحب أن يقتل في داري ، فخرج ، فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور ، فأرسل إليه عبيد الله : إني رائح إليك العشية فقال لمسلم : إن هذا الفاجر عائدي العشية ، فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله . . . وانظر المصادر المثبتة في الحاشية السابقة .

(٤) البيت المثبت عن الأخبار الطوال ص ٢٣٤ وكان في الأصل :
مـا تنـظرون بسلمى أن تجيبـوهـا اسقـوني شـربتي وإن منيـتي فيـهـا

فقال له : عبيد الله[1] بن زياد : ما يقول الشيخ ؟ فقيل لـه : إنه مبـرسم[2] أصلح الله الأمير . قال : فوقع في قلب عبيد الله بن زياد أمر من الأمور فركب من ساعته ورجع إلى القصر[3] .

وخرج مسلم بن عقيل إلى شريك بن عبد الله[4] من داخل الدار . فقال لـه شريك : يا مولاي جعلت فداك ! ما الذي منعك من الخروج إلى الفاسق ، وقد كنت أمرتك بقتله وشغلته لك بالكلام ؟ فقال : منعني من ذلك[5] حديث سمعته من عمي علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : الإيمان قيد الفتك[6] ، فلم أحب أن أقتل عبيد الله[7] بن زياد في منزل هذا الرجل . فقال له شريك : والله ! لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً منافقاً . قال : ثم لم يلبث شريك بن عبد الله إلا ثلاثة[8] أيام حتىٰ مات - رحمـه الله - . وكان من خيـار الشيعة غيـر أنه يكتم ذلـك إلا عمن يثق به من إخـوانه . قـال : وخرج عبيد الله بن زياد فصلى عليه ورجع إلى قصره .

فلما كان من الغد أقبل معقل مولى عبيد الله بن زياد إلى مسلم بن عوسجة فقال له : إنك كنت وعدتني أن تدخلني على هذا الرجل فأدفع إليه هذا المال ، فما الذي

= وهو غير مستقيم . وفي الطبري :

مـا تنـظرون بسلمى أن تحيـوهـا　　　اسقنيهـا وان كـالـت فيهـا نفسي

وفي ابن الأثير : « اسقونيها . . . بها نفسي » .

(1) بالأصل : عبد الله .

(2) مبرسم : من البرسام . معرّب وبرّ تعني الصدر ، وسام من أسماء الموت . قال الجوهري : علة معروفة . (اللسان) .

(3) كان مع عبيد الله بن زياد مهران مولى له ، وكأنه قد انتبه وبعد أن كرر شريك كلامه « اسقوني ماء » أن في الأمر مكيدة وغدراً فغمز مولاه عبيد الله فوثب وخرج من الدار ، فقال له مهران : أراد والله قتلك . انظر الطبري ٥/ ٣٦٠ ابن الأثير ٢ / ٥٣٨ الإمامة والسياسة ٢ / ٩ البداية والنهاية ٨ / ١٦٥ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٤٣ .

(4) بالأصل « عقيل » خطأ .

(5) في الأخبار الطوال ص ٢٣٥ : منعني منه خلتان : احداهما : كراهية هانيء لقتله في منزله ، والأخرى قول رسول الله (ص) : الإيمان . . . » .

(6) أخرجه أبو داود في الجهاد (باب ١٥٧) ، والإمام أحمد في مسنده ١ / ١٦٦ - ١٦٧ ، ٤ / ٩٢ وفيه : الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن .

(7) الأصل : لعبيد الله .

(8) في الأخبار الطوال : أياماً .

بدا لك في ذلك ؟ فقال : إذاً أخبرك يا أخا أهل الشام ! إنا شغلنا بموت هذا الرجل شريك بن عبد الله وقد كان من خيار الشيعة وممن يتوالى أهل هذا البيت . فقال معقل مولى عبيد الله بن زياد : ومسلم بن عقيل في دار هانىء ؟ فقال : نعم ؛ قال : فقال معقل[1] : فقم بنا إليه حتى ندفع إليه هذا المال وأبايعه .

قال : فأخذ مسلم بن عوسجة بيده فأدخله على مسلم بن عقيل فرّحب به مسلم وقرّبه وأدناه وأخذ بيعته وأمر أن يقبض منه ما معه من المال . فأقام معقل مولى عبيد الله بن زياد في منزل هانىء يومه ذلك ، حتى إذا أمسى انصرف إلى عبيد الله بن زياد معجباً لما قد ورد عليه من الخبر . ثم قال [عبيد الله] لمولاه : انظر إن تختلف إلى مسلم بن عقيل في كل يوم لئلا يستريبك وينتقل من منزل ابن هانىء إلى مكان غيره فأحتاج أن ألقى في طلبه عتباً[2] .

قال : ثم دعا عبيد الله [بن][3] زياد محمد بن الأشعث بن قيس وأسماء بن خارجة الفزاري وعمرو بن الحجاج الزبيدي . فقال: خبروني عنكم ما الذي يمنع هانىء بن عروة من المصير إلينا[4] ؟ فقالوا : إنه مريض فقال عبيد الله بن زياد : قد كان مريضاً غير أنه قد برىء من علته ويجلس[5] على باب داره ، فعليكم أن تصيروا إليه وتأمروه أن لا يدع ما يجب عليه من حقنا[6] ، فإني لا أحب أن أستفسر رجلاً مثله لأني لم أزل له مكرماً . فقالوا : نفعل أصلح الله الأمير ، نلقاه في ذلك ونأمره بما تحب .

قال : فبينا عبيد الله بن زياد من هؤلاء القوم في محاورة إذ دخل عليه رجل من

---

(١) بالأصل : « فقال عبد الله بن معقل » بزيادة عبد الله بن وهو خطأ .
(٢) في الأخبار الطوال ص ٢٣٦ : فكان الشامي يغدو إلى مسلم بن عقيل فلا يحجب عنه ، فيكون نهاره كله عنده فيتعرف جميع أخبارهم ، فإذا أمسى وأظلم عليه الليل دخل على عبيد الله بن زياد فأخبره بجميع قصصهم وما قالوا وفعلوا في ذلك ، وأعلمه بنزول مسلم في دار هانىء بن عروة .
(٣) سقطت من الأصل .
(٤) في الطبري « إتياننا » . وكان هانىء بن عروة ، وبعد نزول مسلم بن عقيل في داره ، قد آثر عدم الخروج وتمارض وجعل لا يخرج وقد كان قبل يغدو ويروح إلى عبيد الله .
(٥) عن الطبري ، وبالأصل « وجلس » .
(٦) في الأخبار الطوال : من حق التسليم .

أصحابه يقال له عبد الله بن يربوع التميمي فقال : أصلح الله الأمير ! ههنا خبر ، فقال له [ابن][1] زياد : وما ذاك ؟ قال : كنت خارج الكوفة أجول على فرسي وأقلبه إذ نظرت إلى رجل قد خرج من الكوفة مسرعاً يريد البادية ، فأنكرته ثم لحقته وسألته عن حاله وأمره ، فذكر أنه من أهل المدينة ؛ ثم نزلت عن فرسي ففتشته فأصبت معه هذا الكتاب . قال : فأخذ عبيد الله بن زياد الكتاب ففضّه وقرأه وإذا فيه مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم ، للحسين بن علي ، أما بعد فإني أخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة نيف وعشرون ألفاً ، فإذا بلغك كتابي هذا فالعجل العجل ، فإن الناس كلهم معك وليس لهم في يزيد بن معاوية رأي ولا هوىً - والسلام - . قال : فقال ابن زياد : أين هذا الرجل الذي أصبت معه هذا الكتاب ؟ قال : بالباب . فقال : ائتوني به ! فلما دخل ووقف بين يدي ابن زياد فقال له : من أنت ؟ قال : أنا مولى لبني هاشم ، قال : فما اسمك ؟ قال : اسمي عبد الله بن يقطين ، قال : من دفع إليك هذا الكتاب ؟ قال : دفعه إليّ امرأة لا أعرفها . قال : فضحك عبيد الله بن زياد وقال : أخبرني واحدة من ثنتين : إما أن تخبرني من دفع إليك هذا الكتاب ، فتنجو من يدي ؛ وإما أن تقتل . فقال : أما الكتاب فإني لا أخبرك من دفعه إليَّ ، وأما القتل فإني لا أكرهه ، فإني لا أعلم قتيلاً عند الله أعظم ممن يقتله مثلك . قال : فأمر عبيد الله بن زياد بضرب عنقه ؛ فضربت رقبته صبراً - رحمه الله - .

ثم أقبل على[2] محمد بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وأسماء بن خارجة فقال : صيروا إلى هانىء بن عروة فاسألوه أن يصير إلينا فإنا نريد مناظرته .

ذكر هانىء وعبيد الله بن زياد

قال : فركب القوم وساروا إلى هانىء وإذا به جالس على باب داره ، فسلموا عليه وقالوا له : ما الذي يمنعك من إتيان[3] هذا الأمير ؟ فقد ذكرك غير مرة[4] . فقال : والله ما يمنعني من المصير إليه إلا العلة . فقالوا له : صدقت ، ولكنه بلغه

(١) سقطت من الأصل .
(٢) بالأصل : « على أبي محمد » خطأ .
(٣) في الطبري : من لقاء الأمير .
(٤) زيد في الطبري : « وقد قال : لو أعلم أنه شاكٍ لعدته » وفي الإمامة والسياسة ٢ / ٩ أن عبيد الله قال : ائتوني به وإن كان شاكياً .

عنك أنك تقعد على باب دارك عشية واستبطأك ، والإبطاء[1] والجفاء لا يحتمله السلطان من مثلك ، لأنك سيد في عشيرتك ونحن نقسم عليك إلا ركبت معنا إليه . قال : فدعا هانيء ثيابه[2] ولبسها ، ودعا ببغلة[3] له فركبها ؛ وسار مع القوم حتى إذا صار إلى باب قصر الإمارة كأن نفسه أحسّت[4] بالشر[5] فالتفت إلى حسان بن أسماء [بن خارجة][6] فقال له : يابن أخي ! إن نفسي تحدثني بالشر . فقال له حسان : سبحان الله يا عم ! لا أتخوف عليك فلا تحدثك نفسك بشيء من هذا[7] .

ثم دخل القوم على عبيد الله بن زياد وشريح القاضي جالس عنده ، فلمّا نظر إليهم من بعيد التفت إلى شريح القاضي فقال :

أريد حياته ويريد قتلي خليلي من عذيري من مراد[8]

فقال له هانيء بن عروة : وما ذاك أيها الأمير ؟ فقال :[9] بالله ياهانيء[9] جئت بمسلم بن عقيل ، وجمعت له الجموع من السلاح والرجال في الدار حولك ، وظننت أن ذلك يخفى عليّ وأني لا أعلم ؟ فقال : ما فعلتُ[10]! قال ابن زياد : بلى قد فعلتَ ! قال : ما فعلتُ ! فقال ابن زياد : أين معقل ؟ فجاء معقل حتى وقف بين يديه ، فنظر هانيء إلى معقل مولى زياد فعلم أنه كان عيناً عليهم وأنه هو الذي أخبر ابن زياد عن مسلم ، فقال : أصلح الله الأمير ! والله ما دعوت مسلم بن عقيل ولا

---

(١) بالأصل : والاستبطاء ، وما أثبت عن الطبري .
(٢) الطبري : بثيابه .
(٣) عن الطبري ، وبالأصل : بغلة . وفي الأخبار الطوال : ببغلته .
(٤) عن الطبري ، وبالأصل : حسّت .
(٥) في الإمامة والسياسة : فجعل يسير قليلاً ويقف ، ويقول : ما لي أذهب إلى ابن زياد ، فما زال ذلك دأبه حتى دخل عليه .
(٦) زيادة عن الطبري .
(٧) زيد في الطبري : أن أسماء لم يعلم في أي شيء بعث إليه عبيد الله فأما محمد (بن الأشعث) فقد علم به .
(٨) البيت لعمرو بن معدي كرب . الطبري ٥ / ٣٦٥ واللآليء ص ١٣٨ وابن الأثير ٢ / ٥٣٩ ابن كثير ٨ / ١٦٥ الأخبار الطوال ص ٢٣٧ باختلاف روايته .
(٩ ـ ٩) في الطبري : ماهذه الأمور التي تربص في دورك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين .
(١٠) زيد في الطبري : وما مسلم عندي .

آويته . ولكنه جاءني مستجيراً فاستحييت[1] من رده وأخذني من ذلك ذمام[2] ؛ فأما إذا قد علمت فخلّ سبيلي حتى أرجع إليه وآمره أن يخرج من داري فيذهب حيث شاء . فقال [ابن][3] زياد : لا والله ما تفارقني أو تأتيني[4] بمسلم بن عقيل . فقال[5] : إذاً والله لا آتيك به أبداً ! آتيك بضيفي ! فقال : والله لا تفارقني حتى تأتي به ! فقال : والله لا كان ذلك أبداً . قال فتقدم[6] مسلم بن عمرو الباهلي وقال : أصلح الله الأمير ! ائذن لي في كلامه ! فقال : كلمه بما أحببت ولا تخرجه من القصر . قال : فأخذ مسلم بن عمرو[7] بيد هانىء فنحاه ناحية ثم قال : ويلك يا هذا ! أنشدك بالله أن تقتل نفسك أو تدخل البلاء على عشيرتك في سبب مسلم بن عقيل ، يا هذا ! سلمه إليه فإنه لن يقدم عليه بالقتل أبداً . وأخرى فإنه سلطان ، وليس عليك في ذلك عار[8] ولا منقصة . قال هانىء : بلى والله عليَّ في ذلك من أعظم العار أن يكون مسلم في جواري وضيفي وهو رسول ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم وعلى آله) وأنا حيٌّ صحيح الساعدين كثير الأعوان ، والله لو لم أكن إلا وحدي ـ لكن وأنا كثير الأعوان ـ لما سلمته إليه أبداً حتى أموت . قال : فرده مسلم بن عمرو[9] وقال : أيها الأمير ! إنه قد أبى أن يسلم مسلم بن عقيل أو يقتل . قال : فغضب ابن زياد وقال : والله ! لتأتيني به أو لأضربن عنقك . فقال : إذاً والله تكثر البارقة[10] حول دارك . فقال له [ابن][11] زياد : أبالبارقة[12] تخوفني ؟ ثم أخذ قضيباً كان بين يديه فضرب[13] به وجه هانىء ، فكسر به وجهه وأنفه وشق حاجبه .

(١) عن الطبري ، وبالأصل : فاستحيت .
(٢) بالأصل : في الذمام ، وما أثبت عن الطبري .
(٣) سقطت من الأصل .
(٤) الطبري : حتى تأتيني .
(٥) في الأخبار الطوال : أو يحمل بي أن أسلم ضيفي وجاري للقتل؟ والله لا أفعل ذلك أبداً .
(٦) في الطبري : فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم . . .
(٧) عن الطبري ، بالأصل : عمير خطأ .
(٨) الطبري : مخزاة .
(٩) عن الطبري ، وبالأصل : عمير خطأ .
(١٠) عن الطبري ، وبالأصل : « الأبارقة » والبارقة : السيوف على التشبيه .
(١١) سقطت من الأصل .
(١٢) عن الطبري ، وبالأصل : بالأبارقة .
(١٣) في الطبري : فاستعرض وجهه بالقضيب ، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه ، وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب .

قال : فضرب هانىء بيده إلى قائم سيف من سيوف أصحاب ابن زياد فجاذبه ذلك الرجل ومنعه من السيف ، وصاح عبيد الله بن زياد : خذوه ! فأخذوه وألقوه في بيت من بيوت القصر وأغلقوا عليه الباب[1]

قال : ثم وثب أسماء بن خارجة إلى عبيد الله بن زياد فقال : أيها الأمير ! أمرتنا أن نأتيك بالرجل فلما جئناك به وأدخلناه إليك هشمت وجهه وأسلت دمه[2] وزعمت أنك تقتله . قال : فغضب ابن زياد وقال : وأنت ههنا أيضاً ؟ ثم أمر بأسماء بن خارجة فضرب حتى وقع لجنبه . قال : فحبس[3] أسماء ناحية من القصر وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إلى نفسي أنعاك يا هانىء[4] .

قال : وبلغ ذلك بني مذحج[5] ، فركبوا جميعهم عن آخرهم حتى وافوا باب القصر فضجوا وارتفعت أصواتهم ، فقال عبيد الله بن زياد : ما هذا ؟ فقيل له : أيها الأمير هؤلاء عشيرة هانىء بن عروة يظنون أنه قد قتل . فقال ابن زياد للقاضي شريح : قم فادخل إليه[6] وانظر حاله واخرج إليهم وأعلمهم أنه[7] لم يقتل . قال : فدخل شريح إلى هانىء فنظر إليه[8] ، ثم خرج إلى القوم فقال : يا هؤلاء ! لا

(١) ثمة رواية مختلفة أوردها المسعودي في مروج الذهب ٣ / ٧١ للمقابلة التي جرت بين ابن زياد وهانىء : وفيه أن ابن زياد أغلظ القول لهانىء بعدما أنكر معرفته بمكان وجود مسلم بن عقيل ، فقال له هانىء : إن لزياد أبيك عندي بلاء حسناً وأن أحب مكافأته به ، فهل لك في خير ؟ فقال ابن زياد : وما هو ؟

قال : تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك مسالمين بأموالكم فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك . فقال ابن زياد : ادنوه مني ، فأدنوه منه ، فضرب وجهه . . . » .

(٢) في الطبري : وسيلت دمه على لحيته .

(٣) بالأصل : « فجلس » .

(٤) وأما موقف محمد بن الأشعث وهو أحد الذين ذهبوا إلى هانىء يدعونه إلى زيارة ابن زياد ، قال الطبري : فقال : قد رضينا بما رأى الأمير . لنا كان أم علينا ، إنما الأمير مؤدب .

(٥) في الطبري : وبلغ عمرو بن الحجاج ـ (وكانت أخت عمرو تحت هانىء بن عروة ، وهي أم يحيى بن هانىء) ـ أن هانئاً قد قتل ، فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر . .

(٦) الطبري : ادخل على صاحبهم .

(٧) الطبري والأخبار الطوال : أنه حي .

(٨) في الطبري : قال شريح : فلما رآني قال : يا لله يا للمسلمين ! أهلكت عشيرتي ، فأين أهل الدين ، وأين أهل المصر ، تفاقدوا يخلوني . . . (إذسمع الرجة على باب القصر) فقال يا شريح : إني لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني . . .

تعجلوا بالفتنة فإن صاحبكم لم يقتل ، والذي أبلغكم فإنه أبلغكم باطلاً . قال : فرجع القوم وانصرفوا .

قال : وخرج عبيد الله بن زياد من القصر حتى دخل المسجد الأعظم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم التفت فرأى أصحابه عن يمين المنبر وعن شماله وفي أيديهم الأعمدة والسيوف المسللة ، فقال : أما بعد يا أهل الكوفة فاعتصموا بطاعة الله ورسوله محمد ﷺ وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا[1] فتهلكوا وتندموا وتذلوا وتقهروا ، فلا يجعلن أحد على نفسه سبيلاً ، وقد أعذر من أنذر .

قال : فما أتم عبد الله بن زياد ذلك الخطبة حتى سمع الصيحة ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : أيها الأمير ! الحذر الحذر ! هذا مسلم بن عقيل قد أقبل في جميع من بايعه[2] ! قال : فنزل عبيد الله بن زياد عن المنبر مسرعاً وبادر فدخل القصر وأغلق الأبواب .

ذكر مسلم بن عقيل رحمه الله وخروجه على عبيد الله ابن زياد

قال : وأقبل مسلم بن عقيل رحمه الله في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون[3] ، وبين يديه الأعلام وشاكو السلاح ، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه . قال : وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم ، فقاتلوا قتالاً شديداً[4] ، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس .

---

(١) عن الطبري ، وبالأصل ، فتفرقوا .

(٢) في مروج الذهب ٣ / ٧١ ولما بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانىء أمر منادياً فنادى يا منصور وكانت شعارهم ، فتنادى أهل الكوفة بها ، فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل ، فسار إلى ابن زياد ، فتحصن منه ، فحصروه في القصر .

(٣) في الطبري : عقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزير الكندي على ربع كندة وربيعة ، ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد ـ وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان ، وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة .

(٤) في الأخبار الطوال : تحصن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشراف أهل الكوفة والأعوان والشرط وكانوا مقدار مائتي رجل ، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب ، ويمنعونهم من الدنو من القصر فلم يزالوا كذلك حتى أمسوا .

قال : وجعل رجل من أصحاب عبيد الله بن زياد اسمه كثير بن شهاب ينادي من أعلى القصر بأعلى صوته : ألا يا شيعة مسلم بن عقيل ! ألا يا شيعة الحسين بن علي ! الله الله في أنفسكمُ وفي أهاليكم وأولادكم ، فإن جنود أهل الشام قد أقبلت ، وإن الأمير عبيد الله بن زياد قد عاهد الله لئن أقمتم على حربكم ولم تنصرفوا من يومكم هذا ليحرمنكم العطاء وليفرقن مقاتلتكم في مغازي أهل الشام ، وليأخذن البريء بالسقيم والشاهد بالغائب ، حتى لا يبقى منكم[2] بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبالَ أمرها[3][4] .

قال : فلما سمع الناس ذلك تفرقوا وتحادوا عن مسلم بن عقيل رحمه الله ، ويقول بعضهم لبعض : ما نصنع بتعجيل الفتنة وغداً تأتينا جموع أهل الشام ، ينبغي لنا أن نفعل في منزلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم . قال : ثم جعل القوم يتسللون والنهار يمضي ، فما غابت الشمس حتى بقي مسلم بن عقيل في عشرة[5] أفراس من أصحابه لا أقل ولا أكثر واختلط الظلام ؛ فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلي المغرب وتفرق عنه العشرة . فلما رأى ذلك استوى على فرسه ومضى في بعض أزقة الكوفة[6] ، وقد أثخن بالجراحات حتى صار إلى دار امرأة يقال لها طوعة ، وقد كانت فيما مضى امرأة قيس الكندي فتزوجها رجل من حضرموت يقال له[7] أسد بن البطين فأولدها ولداً يقال له أسد . وكانت المرأة واقفة على باب

---

(١) عن الطبري ، وبالأصل : مقابليكم .

(٢) في الطبري : له فيكم .

(٣) الطبري : وبال ما جرت أيديها .

(٤) وكان عبيد الله بن زياد قد أمر بعض أشراف أهل الكوفة أن يسيروا فيمن أطاعهم من أهل الكوفة ويخذلوا الناس عن مسلم بن عقيل . فدعا كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج . . . وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت . . وقال مثل ذلك للقعقاع بن ثور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري . .

ثم جمع الأشراف إليه مجدداً وقال لهم : منّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة ، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة ، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم . (انظر الطبري ٥ / ٣٦٩ - ٣٧٠) والأخبار الطوال ص ٢٣٩ .

(٥) في الطبري : ثلاثون ، وفي مروج الذهب : مئة رجل .

(٦) في مروج الذهب : لا يدري أين يتوجه .

(٧) في الطبري : أسيد الحضرمي ، فولدت له بلالاً . وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره .

دارها ، فسلم عليها مسلم بن عقيل ، فردت عليه السلام ثم قالت : ما حاجتك ؟ قال : اسقيني شربة من الماء فقد بلغ(١) مني العطش ؛ قال : فسقته حتى روى فجلس على بابها ، فقالت : يا(٢) عبد الله ! ما لكَ جالس أما شربتَ ؟ فقال : بلى والله(٣) ولكني ما لي بالكوفة منزل ، وإني غريب قد خذلني من كنت أثق به ، فهل لكِ في معروف تصطنعيه إليَّ فإني رجل من أهل بيت شرف وكرم ، ومثلي من يكافىء بالإحسان . فقالت : وكيف ذلك ؟ ومن أنت ؟ فقال مسلم رحمه الله : خلي هذا الكلام وأدخليني منزلك عسى الله أن يكافئك غداً بالجنة . فقالت : يا عبد الله ! خبرني اسمك ولا تكتمني شيئاً من أمرك ، فإني أكره أن يدخل منزلي من قبل معرفة خبرك وهذه الفتنة قائمة ، وهذا عبيد الله بن زياد بالكوفة . فقال لها مسلم بن عقيل : إنك لو عرفتني حق المعرفة لأدخلتني(٤) دارك . أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب ! فقالت المرأة : قم فادخل رحمك الله ! فأدخلته منزلها(٥) وجاءته بالمصباح وبالطعام فأبى أن يأكل .

فلم يكن بأسرع من [أن ـ](٦) جاء ابنها فلما أتى وجد أمه تكثر دخولها وخروجها إلى بيت هناك وهي باكية ، فقال لها : يا أماه ! إن أمركِ يريبني لدخولك هذا البيت وخروجك منه باكية ، ما قصتكِ ؟ فقالت : يا ولداه ! إني مخبرتك بشيء لا تفشه لأحد(٧) ، فقال لها : قولي ما أحببتِ ، فقالت له : يا بني ! إن مسلم بن عقيل في ذلك البيت وقد كان من قصته كذا وكذا . قال : فسكت الغلام ولم يقل شيئاً ، ثم أخذ مضجعه ونام .

فلما كان من الغد نادى عبيد الله بن زياد في الناس أن يجتمعوا ، ثم خرج من القصر وأتى إلى المسجد الأعظم فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها

---

(١) بالأصل : أبلغ .
(٢) بالأصل : يا أبا عبد الله .
(٣) زيد في الطبري : قالت : فاذهب إلى أهلك ، فسكت ، ثم عادت فقالت مثل ذلك ، فسكت ، ثم قالت له : فيّ الله ، سبحان الله يا عبد الله ، فمر إلى أهلك عافاك الله ، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ، ولا أحله لك .
(٤) بالأصل : إنك لو عرفتيني حق المعرفة لأدخلتيني .
(٥) الطبري : فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه .
(٦) سقطت من الأصل .
(٧) زيد في الطبري : وأخذت عليه الأيمان ، فحلف لها .

الناس ! إن مسلم بن عقيل أتى هذا البلاد وأظهر العناد وشق العصا وقد برئت الذمة من رجل أصبناه[1] في داره ، ومن جاء به فله ديته ، اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً ، ومن أتاني بمسلم بن عقيل فله عشرة آلاف درهم والمنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية وله في كل يوم حاجة مقضية ـ والسلام ـ .

ثم نزل عن المنبر ودعا الحصين بن نمير السكوني[2] فقال : ثكلتك أمك إن فاتتك سكة من سكك الكوفة لم تطبق على أهلها أو يأتوك بمسلم بن عقيل ! فوالله لئن خرج من الكوفة سالماً لنريقن أنفسنا في طلبه ، فانطلق الآن فقد سلطتك على دور الكوفة وسككها . فانصب[3] المراصد وجُدّ الطلب حتى تأتيني بهذا الرجل .

قال[4] : وأقبل محمد بن الأشعث حتى دخل على عبيد الله بن زياد ، فلما رآه قال : مرحباً بمن لا يتهم[5] في مشورة ! ثم أدناه وأقعده إلى جنبه[6] . وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم بن عقيل في دارها إلى عبد الرحمن بن [محمد بن][7] الأشعث فخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمّه . فقال له عبد الرحمن : اسكت الآن ولا تعلم بهذا أحداً من الناس . قال : ثم أقبل عبد الرحمن بن محمد إلى أبيه فسارّه في أذنه وقال : إن مسلماً[8] في دار طوعة ، ثم تنحى عنه . فقال عبيد الله بن زياد : ما الذي قال لك عبد الرحمن ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! البشارة العظمى . فقال : وما ذاك ؟ ومثلك من بشر بخير . فقال : إن ابني هذا يخبرني أن مسلم بن عقيل في[9] دار طوعة عند مولاة لنا . قال[10]: فسر بذلك ، ثم قال : قم فأت به ولك ما

---

(١) الطبري : وجدناه .

(٢) الطبري وابن الأثير : حصين بن تميم .

(٣) الطبري : فابعث مراصدة على أفواه السكك ، واصبح غداً واستبر الدور وجسّ خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل . وانظر الأخبار الطوال ص ٢٤٠ .

(٤) في الطبري ٥ / ٣٧٣ فلما أصبح (يعني عبيد الله) جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه .

(٥) الطبري : بمن لا يستغش ولا يُتهم .

(٦) في الأخبار الطوال : فأقعده معه على سريره .

(٧) زيادة عن الطبري والأخبار الطوال . وفي مروج الذهب ٣ / ٧٢ غدا إلى محمد بن الأشعث فاعلمه .

(٨) بالأصل : مسلم .

(٩) الطبري : في دار من دورنا .

(١٠) في الطبري : فنخس بالقضيب في جنبه ثم قال : قم فأتني به الساعة .

بذلت من الجائزة الحظ الأوفى .

قال : ثم أمر عبيد الله بن زياد خليفته عمرو[1] بن حريث المخزومي أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة راجل[2] من صناديد أصحابه .

قال : فركب محمد بن الأشعث حتى وافى الدار التي فيها مسلم بن عقيل . قال : وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال فعلم أنه قد أتي في طلبه ، فبادر رحمه الله إلى فرسه فأسرجه وألجمه ، وصبّ عليه درعه ، واعتجر بعمامة ، وتقلد بسيفه ، والقوم يرمون الدار بالحجارة ، ويلهبون النار في نواحي القَصَب . قال : فتبسم مسلم رحمه الله ، ثم قال : يا نفس ! اخرجي إلى الموت الذي ليس منه[3] محيص ولا عنه محيد ، ثم قال للمرأة : أي رحمك الله وجزاك عني خيراً ! اعلمي أنما أوتيت من قبل ابنك ، ولكن افتحي الباب . قال : ففتحت الباب ، وخرج مسلم في وجوه القوم كأنه أسد مغضب ، فجعل يضاربهم بسيفه حتى قتل منهم جماعة[4] .

وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد ، فأرسل إلى محمد بن الأشعث وقال : سبحان الله يا[5] عبد الله ! بعثناك إلى رجل واحد تأتينا به فأثلم في أصحابي ثلمة عظيمة . فأرسل إليه محمد بن الأشعث : أيها الأمير ! أما تعلم أنك بعثتني إلى أسد ضرغام ، وسيف حسام ، في كف بطل همام ، من آل خير الأنام . قال : فأرسل إليه عبيد الله[6] بن زياد : أن أعطه[7] الأمان ، فإنك لن تقدر عليه إلا بالأمان . فجعل محمد بن الأشعث يقول : ويحك يابن عقيل ! لا تقتل نفسك ، لك الأمان ! ومسلم بن عقيل يقول :

---

(1) في الأخبار الطوال ص ٢٤٠ : عبيد .
(2) في الطبري : ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس . وفي الأخبار الطوال : مائة رجل من قريش وكره أن يبعث إليه غير قريش خوفاً من العصبية أن تقع .
فبعث معه ـ كما في الطبري : عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في ستين أو سبعين (في مروج الذهب : سبعين ، وجهوا مع عبد الله بن العباس السلمي) من قيس .
(3) مروج الذهب : عنه .
(4) انظر في قتاله للقوم الطبري ٥ / ٣٧٣ مروج الذهب ٣ / ٧٢ .
(5) بالأصل : يا أبا .
(6) بالأصل : عبيد .
(7) بالأصل : أعطيه .

لا حاجة إلى أمان الغدرة ، ثم جعل يقاتلهم وهو يقول[١] :

أقسمتُ لا أقتل إلا حرًّا ... ولو وجدت الموت كأساً مُرًّا
أكره أن أخدع أو أغرّا ... كل امرىء يوماً يُلاقي شرّا
أضربكم ولا أخاف ضرّا

قال : فناداه محمد بن الأشعث وقال : ويحك يابن عقيل ! إنك لا تُكذب ولا تغرّ[٢] ، القوم ليسوا بقاتليك فلا تقتل نفسك . قال : فلم يلتفت مسلم بن عقيل رحمه الله إلى كلام ابن الأشعث وجعل يقاتل حتى أثخن بالجراح وضعف عن القتال ، وتكاثروا عليه فجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة ؛ فقال مسلم : ويلكم ! ما لكم ترمونني بالحجارة كما ترمى الكفار ! وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار ، ويلكم ! أما ترعون حق رسول الله ﷺ وذريته . قال : ثم حمل عليهم على ضعفه فكسرهم وفرّقهم في الدروب ؛ ثم رجع وأسند ظهره إلى باب دار هناك ، فرجع القوم إليه فصاح بهم محمد بن الأشعث : ذروه حتى أكلمه بما يريد .

قال : ثم دنا منه ابن الأشعث حتى وقف قبالته وقال : ويلك يابن عقيل ! لا تقتل نفسك ، أنت آمن ودمك في عنقي . فقال له مسلم : أتظن يابن الأشعث أني أعطي بيدي أبداً وأنا أقدر على القتال ! لا والله لا كان ذلك أبداً ! ثم حمل عليه حتى ألحقه بأصحابه . ثم رجع موضعه فوقف وقال : اللّهم ! إن العطش قد بلغ[٣] مني . قال : فلم يجسر أحد أن يسقيه الماء ولا قرب منه .

فأقبل ابن الأشعث على أصحابه وقال : ويلكم ! إن هذا لهو العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع ، احملوا عليه بأجمعكم حملة واحدة . قال : فحملوا عليه وحمل عليهم ، فقصده من أهل الكوفة رجل يقال له بكير بن حمران الأحمري ، فاختلفا بضربتين فضربه بكير ضربة على شفته العليا[٤] ، وضربه مسلم بن عقيل ضربة فسقط إلى الأرض قتيلاً ؛ قال : فطُعن من ورائه طعنة فسقط

---

(١) الأرجاز في الطبري وابن الأثير ومروج الذهب باختلاف في بعض الألفاظ والتعابير .
(٢) عن مروج الذهب وبالأصل « لا تعرف » .
(٣) الأصل : أبلغ .
(٤) في الطبري ومروج الذهب : فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا ، وأشرع السيف في السفلى ، ونصلت له ثنيتاه .

إلى الأرض ، فأخذ أسيراً[1] ، ثم أخذ فرسه وسلاحه .

وتقدم رجل من بني سليمان يقال له عبيد الله بن العباس فأخذ عمامته ، فجعل يقول : اسقوني شربة من الماء ! فقال له مسلم بن عمرو الباهلي : والله[2] لا تذوق الماء يـابن عقيل أو تذوق الموت ! فقال له مسلم بن عقيل : ويلك يا هذا ! ما أجفاك وأفظك وأغلظك ! أشهد عليك أنك إن كنت من قريش فإنك مِصلق ، وإن كنت من غير قريش فإنك مدع[3] إلى غير أبيك ، من أنت يا عدو الله ؟ فقال : أنا من عرف الحق إذ[4] أنكرته ، ونصح لإمامه[5] إذ فششته ، وسمع وأطاع إذ[4] خالفته ، أنـا مسلم بن عمرو الباهلي ! فقال له مسلم بن عقيل : أنت أولى بالخلود والحميم ، إذ آثرت طاعة بني سفيان على طاعة الرسول محمد ﷺ . ثم قال مسلم بن عقيل رحمه الله : ويحكم يـا أهل الكـوفة ! اسقـوني شربـة من ماء ! فـأتاه غـلام[6] لعمـرو بن حـريث الباهلي بقُلة فيها ماء وقدح فيها فناوله القلة ؛ فكلما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً ، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم وسقطت ثنيتاه في القدح ، فامتنع مسلم بن عقيل رحمه الله من شرب الماء[7] . قال : وأتي به حتى أدخل على عبيد الله بن زياد .

ذكر دخول مسلم بن عقيل على عبد الله بن زياد وما كان من كلامه وكيف قتل

قال : فأدخل مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد فقال له الحرسي : سلم على الأمير ! فقال له مسلم : اسكت لا أم لك ! مالك وللكلام ؟ والله ليس هو لي بأمير فأسلم عليه ! وأخرى فما ينفعني السلام عليه وهو يريد قتلي ! فإن استبقاني فسيكثر عليه سلامي . فقال له عبيد الله بن زياد : لا عليك سلمت أم لم تسلم فإنك

---

(١) كذا ، وثمة اجماع في المصادر أن مسلم بن عقيل أمكنهم من نفسه بعدما أعطي الأمان من محمد بن الأشعث .

(٢) في الطبري : لا والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم .

(٣) بالأصل : داعى .

(٤) بالأصل : إذا .

(٥) بالأصل : الإمام ، وما أثبتناه عن الطبري .

(٦) هو سليمان غلام عمرو ، وفي الطبري أن عمارة بن عقبة بعث غلاماً له يدعى قيساً فجاءه بقُلّة .

(٧) زيد في الطبري ومروج الذهب : فقال الحمد لله ، لو كان من الرزق المقسوم لشربته .

مقتول ؛ فقال مسلم بن عقيل : إن قتلتني فقد قتل شر منك من كان خيراً مني . فقال له ابن زياد : يا شاق ! يا عاق ! خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألقحت الفتنة . فقال مسلم : كذبت يابن زياد ! والله ما كان [(1) معاوية [خليفة بإجماع الأمة ، بل تغلب على وصي النبي بالحيلة ، وأخذ عنه الخلافة بالغصب] و[كذلك] ابنه يزيد(1) . وأما الفتنة فإنك ألقحتها أنت وأبوك(2) زياد بن علاج من بني ثقيف وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شر بريته ؛ فوالله ما خالفت ولا كفرتُ ولا بدلتُ ! وإنما أنا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد . فقال له ابن زياد : يا فاسق ! ألم تكن تشرب الخمر في المدينة ؟ فقال مسلم بن عقيل : أحق والله بشرب(3) الخمر مني من(4) يقتل النفس الحرام وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنه لم يسمع(5) شيئاً . فقال له ابن زياد : يا فاسق ! منّتك نفسك أمراً أحالك الله دونه وجعله لأهله . فقال مسلم بن عقيل : ومن أهله يابن مرجانة ؟ فقال : أهله يزيد ومعاوية . فقال مسلم بن عقيل : الحمد لله كفى(6) بالله حكماً بيننا وبينكم . فقال ابن زياد ـ لعنه الله ـ : أتظن أن لك(7) من الأمر شيئاً(8)؟ فقال مسلم بن عقيل : لا والله ما هو الظن ولكنه اليقين . فقال ابن زياد : قتلني الله إن لم أقتلك(9) ! فقال مسلم : إنك لا تدع سوء القتلة(10) وقبح المثلة(10) وخبث السريرة ، والله لو كان معي عشرة ممن أثق بهم وقدرت على شربة من ماء لطال عليك أن تراني في هذا القصر ، ولكن إن كنت عزمتَ على قتلي ولا بد لك من ذلك فأقم إليّ رجلاً من قريش أوصي إليه بما أريد .

(1 ـ 1) ما بين معكوفتين زيادة عن الترجمة الفارسية ، وما في الأصل هنا : معاوية وابنه يزيد ، والنص غير واضح .

(2) الأصل : وأبيك .

(3) عن الطبري وبالأصل : يشرب .

(4) في الطبري : من يلغ في دماء المسلمين ولغاً فيقتل النفس التي حرم الله قتلها ، ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام ، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن . .

(5) الطبري : لم يصنع

(6) الطبري : رضينا .

(7) الطبري : لكم .

(8) عن الطبري وبالأصل شيء .

(9) زيد في الطبري : قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام .

(10 ـ 10) عن الطبري، وبالأصل : الغفلة وفتح المذلة.

فوثب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص فقال : أوص إليّ بما تريد يا بن عقيل[١] ! فقال : أوصيك ونفسي بتقوى الله فإن التقوى فيها الدرك لكل خير ، وقد علمت ما بيني وبينك من القرابة ، ولي إليك حاجة وقد يجب عليك لقرابتي أن تقضي حاجتي . قال : فقال ابن زياد : لا يجب يابن عمر أن تقضي حاجة ابن عمك وإن كان مسرفاً على نفسه فإنه مقتول لا محالة . فقال عمر بن سعد : قل ما أحببت يابن عقيل ! فقال مسلم رحمه الله : حاجتي إليك أن تشتري فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم فتبيعه وتقضي عني سبعمائة[٢] درهم استدنتها في مصركم ، وأن تستوهب جثتي إذا قتلني هذا وتواريني في التراب ، وأن تكتب إلى الحسين بن علي أن لا يقدم فينزل به ما نزل بي[٣] . قال : فالتفت عمر[٤] بن سعد إلى عبيد الله بن زياد فقال : أيها الأمير ! إنه يقول كذا وكذا . فقال ابن زياد[٥] : أما ما ذكرت يابن عقيل من أمر دَينك فإنما هو مالك يقضى به دينك ، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت ؛ وأما جسدك إذا نحن قتلناك فالخيار في ذلك لنا ، ولسنا نبالي ما صنع الله بجثتك ؛ وأما الحسين فإن لم يُردنا لم نُرده ، وإن أرادنا لم نكفّ عنه ، ولكني أريد أن تخبرني يابن عقيل بماذا أتيتَ إلى هذا البلد ؟ شتت أمرهم وفرقت كلمتهم ورميت بعضهم على بعض ! فقال مسلم بن عقيل : لست[٦] لذلك أتيت هذا البلد ، ولكنكم[٧] أظهرتم المنكر ، ودفنتم المعروف ، وتأمرتم على الناس من غير رضىً ، وحملتموهم على غير ما

(١) كذا بالأصل ، وفي المصادر أن مسلماً وبعد أن استعرض جلساء عبيد الله بن زياد طلب إلى عمر بن سعد أن يقبل أن يوصي إليه ، فقبل .
(٢) الأصل والطبري ، وفي الأخبار الطوال : ألف درهم .
(٣) وكان مسلم بن عقيل وبعد تحوله إلى دار هانىء بن عروة قد بعث كتاباً إلى الحسين بن علي (رض) مع عابس بن أبي شبيب الشاكري وفيه : أما بعد ، فإن الرائد لا يكذب أهله ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً . فعجل الاقبال حين يأتيك كتابي ، فإن الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى والسلام » الطبري ٥ / ٣٧٥ .
وفي رواية عند الطبري أيضاً ٥ / ٣٧٤ أن مسلم لما أسره محمد بن الأشعث أخبره مقدم الحسين ، وأن ابن الأشعث بعث إلى الحسين بخبر أسر مسلم وما آل إليه أمره ويدعوه إلى العودة من حيث أتى .
(٤) بالأصل : عمرو .
(٥) قد أسأت في إفشائك ما أسرَّه إليك ، وقد قيل : « إنه لا يخونك إلا الأمين ، وربما ائتمنك الخائن » كذا في الأخبار الطوال ص ٢٤١ . وانظر الطبري ٥ / ٣٧٧ .
(٦) بالأصل : ليس ، وما أثبتناه عن الطبري .
(٧) العبارة في الطبري ٥ / ٣٧٧ ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم ، وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر .

أمركم الله به ، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف ، وننهاهم عن المنكر ، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة ، وكنا أهل ذلك ، ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ولا تزال الخلافة لنا فإنّا[1] قُهرنا عليها ، لأنكم أول من خرج على إمام هدى ، وشق عصا المسلمين ، وأخذ هذا الأمر غصباً ، ونازع أهله بالظلم والعدوان ، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾[2] . قال : فجعل ابن زياد يشتم علياً والحسن والحسين رضي الله عنهم ، فقال له مسلم : أنت وأبوك أحق بالشتيمة منهم ، فاقض ما أنت قاض ، فنحن أهل بيت موكل بنا البلاء . فقال عبيد الله بن زياد : الحقوا به إلى أعلى القصر فاضربوا عنقه وألحقوا رأسه جسده[3] . فقال مسلم رحمه الله : أما والله يابن زياد ! لو كنت من قريش أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة لما قتلتني ولكنك ابن أبيك .

قال : فأدخله ابن زياد القصر ثم دعا رجلاً من أهل الشام قد كان مسلم بن عقيل ضربه على رأسه ضربة منكرة[4] ، فقال له : خذ مسلماً[5] واصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك .

قال : فأصعد مسلم بن عقيل رحمه الله إلى أعلى القصر وهو في ذلك يسبح الله تعالى ويستغفره وهو يقول : اللّهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا[6] وخذلونا . فلم يزل كذلك حتى أتى به إلى أعلى القصر . وتقدم ذلك الشامي فضرب عنقه ـ رحمه الله ـ .

ثم نزل الشامي إلى عبيد الله بن زياد وهو مدهوش ، فقال له ابن زياد : ما شأنك ؟ أقتلته ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ! إلا أنه عرض لي عارض فأنا له فزع مرعوب . فقال : ما الذي عرض لك ؟ قال : رأيت ساعة قتلته رجلاً حذاي أسود

---

(١) بالأصل : فإن .

(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٧

(٣) في الطبري ٥ / ٣٧٨ ثم اتبعوا جسده رأسه .

(٤) يريد بكير بن حمران الأحمري كما في الطبري والمسعودي وقد تقدم أنه ضربه فقتله . وفي الأخبار الطوال ص ٢٤١ أن الذي تولى ضرب عنقه أحمر بن بكير .

(٥) بالأصل : مسلم .

(٦) بالأصل : غزونا ، وفي الطبري : كذّبونا وغرّونا .

كثير السواد كريه[1] المنظر وهو عاض على إصبعيه ـ أو قال : شفتيه ـ ففزعت منه فزعاً لم أفزع قط مثله . قال : فتبسم [ابن][2] زياد وقال له : لعلك دهشت ، وهذه عادة لم تعتدها[3] قبل ذلك .

(١) بالأصل : كره

(٢) سقطت من الأصل .

(٣) بالأصل : لم تعتادها . خطأ .

ذكر هانىء بن عروة ومقتله بعد مسلم بن عقيل
رحمهما الله تعالى

قال : ثم أمر عبيد الله بن زياد بهانىء بن عروة أن يخرج فيلحق بمسلم بن عقيل ، فقال محمد بن الأشعث : أصلح الله الأمير ! إنك قد عرفت شرفه في عشيرته ، وقد عرف قومه أني[1] وأسماء بن خارجة جئنا به إليك ، فأنشدك الله أيها الأمير إنما وهبته لي فإني أخاف عداوة أهل بيته وإنهم سادات أهل الكوفة وأكثرهم عدداً[2] . قال : فزبره ابن زياد ، ثم أمر بهانىء بن عروة فأخرج إلى السوق إلى موضع يباع فيه الغنم وهو مكتوف . قال : وعلم أنه مقتول فجعل يقول : وامذحجاه ! واعشيرتاه[3] ! ثم أخرج يده من الكتاف وقال : أما من شيء فأدفع به عن نفسي[4] ؟ قال : فصكوه ثم أوثقوه كتافاً ، فقالوا : امدُدْ عنقك ! فقال : لا والله ما كنت الذي أعينكم على نفسي فتقدم إليه غلام لعبيد الله بن زياد يقال له رشيد فضربه بالسيف فلم يصنع شيئاً . فقال هانىء : إلى الله المعاد ، اللّهم ! إلى رحمتك ورضوانك ، اللّهم اجعل هذا اليوم كفارة لذنوبي ! فإني إنما تعصبت لابن بنت نبيك محمد ﷺ . فتقدم رشيد وضربه ضربة أخرى فقتله[5] ـ رحمه الله ـ . قال : ثم أمر عبيد الله بن زياد

---

(١) بالأصل : أن .

(٢) يفهم من عبارة الطبري أن كلام ابن الأشعث لابن زياد بشأن هانىء بن عروة كان قبل مقتل مسلم بن عقيل ، وفيه أن عبيد الله بن زياد وعد محمد بن الأشعث أن يهبه له . ولكنه ـ بعد قتله مسلم بن عقيل ـ لم يفِ لابن الأشعث بوعده .
وفي الأخبار الطوال والإمامة والسياسة أن قتل هانىء بن عروة كان قبل مقتل مسلم بن عقيل .

(٣) في مروج الذهب ٣ / ٧٣ وهو يصيح : يا آل مراد ، وهو شيخها وزعيمها . وفي الطبري : وامذحجاه ولا مذحج لي اليوم . وامذحجاه وأين مني مذحج .

(٤) في الطبري : أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يجاحش به رجل عن نفسه ؟

(٥) عن الطبري ، وبالأصل « وقتله » .

بمسلم بن عقيل وهانىء بن عروة رحمهما الله فصلبا جميعاً منكسين ، وعزم أن يوجه برأسيهما إلى يزيد بن معاوية ؛ فأنشأ رجل من بني أسد يقول[١] :

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانىء في السوق وابن عَقيلِ
إلى بطل قد فلّق السيفُ رأسه ... وآخر يهوى من جدار قتيل
أصابهما أمر الإله فأصبحا ... أحاديث من يسعى بكل سبيل
ترى جَسَداً قد غيّر الموتُ لونَهُ ... ونَضْحَ دمٍ قد سال كل مَسيلِ
فَتى كان أحْيى من فتاةٍ حَيّيةٍ ... وأقطع من ذي شفرتين صقيل[٢]
فإن أنتمُ لم تثْأروا بأخيكمُ ... فكونوا بغايا أرْضِيَتْ بقليل

ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية

قال : ثم كتب ابن زياد إلى يزيد بن معاوية[٣] : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين ، من عبيد الله بن زياد ، الحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤنة عدوه ، أخبر أمير المؤمنين أيده الله أن مسلم بن عقيل الشاق للعصا قدم إلى الكوفة ونزل في دار هانىء بن عروة المذحجي وإني جعلت عليهما العيون[٤] حتى استخرجتهما ، فأمكني الله منهما بعد حَرب ومناقشة ، فقدمتهما فضربت أعناقهما ، وقد بعثتُ برأسيهما مع هانىء بن [أبي][٥] حيّة الوادعي[٦] والزبير بن الأروح التميمي ، وهما من أهل الطاعة والسنة والجماعة فليسألهما[٧]

---

(١) بعضها في الطبري ٥ / ٣٨٠ وابن الأثير ٢ / ٥٤٤ ونسبت فيهما لعبد الله بن الزبير الأسدي ، وقيل للفرزدق . والأخبار الطوال ص ٢٤٢ عبد الرحمن بن الزبير الأسدي ، ومروج الذهب ٣ / ٧٣ والبداية والنهاية ٨ / ١٦٩ قال الشاعر .
وقد وردت الأبيات باختلاف بين المصادر والأصل ، فليرجع القارىء إليها للملاحظة .
(٢) بعده في الطبري :
أيركب أسماء الهماليج آمناً ... وقد طلبته مذحج بذحول
تطيف حواليه مراد وكلهم ... على رقبة من سائل ومسول
(٣) نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٨٠ .
(٤) زيد في الطبري : ودسست إليهما الرجال ، وكدتهما حتى استخرجتهما .
(٥) زيادة عن الطبري والأخبار الطوال .
(٦) بالأصل « الوداعي » وما أثبت نسبة إلى وادعة بطن من همدان ، وفي الطبري : الهمداني .
(٧) عن الطبري ، وبالأصل « فسلهما » .

أمير المؤمنين عما تحبّ[1] فإنهما ذو عقل وفهم وصدق .

قال : فلما ورد الكتاب والرأسان جميعاً[2] إلى يزيد بن معاوية ، قرأ الكتاب وأمر بالرأسين فنصبا على باب مدينة دمشق ، ثم كتب إلى ابن زياد : أما بعد[3] ! فإنك لم تعدُ إذا كنت كما أحبُّ عملتَ عمل[4] الحازم وصُلت صولة الشجاع الرابض[5] فقد كفيتَ ووقيت ظني ورأيي فيك ، وقد دعوتُ رسوليك فسألتهما عن الذي ذكرت فقد وجدتهما في رأيهما وعقلهما وفهمهما وفضلهما ومذهبهما كما ذكرتَ ، وقد أمرتُ لكلّ واحد منهما بعشرة آلاف درهم وسرحتهما إليك ، فاستوص بهما خيراً ؛ وقد بلغني أن الحسين بن علي رضي الله عنهما فد عزم على المسير إلى العراق[6] ، فضع المراصد والمناظر[7] واحترس واحبس على الظن ، واكتب إليّ في كل يوم بما يتجدد لك من خير أو شرٍ - والسلام - .

---

(١) في الطبري : عما أحب .

(٢) في مروج الذهب أن مسلم أول قتيل صلبت جثته من بني هاشم ، وأول رأس حمل من رؤوسهم إلى دمشق .

(٣) نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٨٠ والأخبار الطوال ص ٢٤٢ .

(٤) في الأخبار الطوال : فعلت فعل .

(٥) الطبري : الرابط الجأش .

(٦) الأخبار الطوال : وقد بلغني أن الحسين بن علي قد فصل من مكة متوجهاً إلى ما قبلك .

(٧) المناظر جمع منظرة ، وهو الموضع يرقب فيه العدو .

ابتداء أخبار الحسين بن علي عليهما السلام

قال : وبلغ الحسين بن علي بأن مسلم بن عقيل قد قتل ـ رحمه الله ـ وذلك أنه قدم عليه رجل من أهل الكوفة فقال له الحسين : من أين أقبلت ؟ فقال : من الكوفة ، وما خرجت منها حتى نظرت مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة المذحجي رحمهما الله قتيلين مصلوبين منكسين[١] في سوق القصابين . وقد وجه برأسيهما إلى يزيد بن معاوية قال : فاستعبر الحسين باكياً ثم قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم إنه عزم على المسير إلى العراق ، فدخل عليه عمر[٢] بن عبد الرحمن [بن الحارث][٣] بن هشام المخزومي . فقال : يابن بنت رسول الله ! إني أتيت إليك بحاجة أريد أن أذكرها لك فأنا غير غاشٍ لك فيها ، فهل لك أن تسمعها ؟ فقال الحسين[٤] : هات ، فوالله ما أنت عندي بمسيء الرأي ، فقل ما أحببت ! فقال : قد بلغني أنك تريد العراق وإني مشفق عليك[٥] من ذلك،إنك ترد إلى قوم فيهم الأمراء ومعهم بيوت الأموال ، ولا آمن عليك أن[٦] يقاتلك من أنت أحب إليه من أبيه وأمه ميلاً إلى الدنيا والدرهم ، فاتق الله ولا تخرج من هذا الحرم . فقال له الحسين :

---

(١) بالأصل ، قتيلان مصلوبان منكسان .
(٢) عن الطبري ٥ / ٣٨٢ وبالأصل عمرو .
(٣) زيادة عن الطبري .
(٤) في الطبري : قل ، فوالله ما أظنك بسيء الرأي ، ولا هوٍ للقبيح : الأمر والفعل .
(٥) عليك من مسيرك .
(٦) بالأصل : أنك .

جزاك الله خيراً يا[1] بن عم ! فقد علمت أنك أمرت بنصح ، ومهما يقضي الله من أمر فهو كائن أخذت برأيك أم تركته . قال : فانصرف عنه عمر[2] بن عبد الرحمن وهو يقول :

(٣)

رُبَّ مستنصحٍ سيعصى ويؤذى ونصيح بالغيب يلفي نصيحا

قال : وقدم ابن عباس في تلك الأيام إلى مكة ، وقد بلغه أن الحسين عليه السلام يريد أن يصير إلى العراق ، فأقبل حتى دخل عليه مسلماً ، فقال : جعلت فداك يابن بنت رسول الله ! إنه قد شاع الخبر في الناس وأرجفوا بأنك سائر إلى العراق ، فبين لي ما أنت صانع ! فقال الحسين : نعم ، إني أزمعت[4] على ذلك في أيامي هذه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . فقال ابن عباس رحمه الله : أعيذك بالله من ذلك ! فإن تصر إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونَفَوا[5] عدوّهم ، في مسيرك إليهم لعمري الرشاد والسداد ، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم قاهر لهم وعمالهم يجبون بلادهم ، وإنما دعوك إلى الحرب والقتال ، وإنك تعلم أنه بلد قد قتل فيه أبوك واغتيل فيه أخوك وقتل فيه ابن عمك وبُويع[6] يزيد بن معاوية ، وعبيد الله بن زياد في البلد يُعطي ويفرض ، والناس اليوم إنما هم عبيد الدينار والدرهم ، ولا آمن عليك أن تقتل ، فاتق[7] الله والزم هذا الحرم[8] . فقال له الحسين : والله أن أقتل بالعراق أحب إليَّ من أن أقتل بمكة ، وما قضى الله فهو كائن ، وأنا مع ذلك أستخير الله وأنظر ما يكون[9] .

---

(١) عن الطبري ، وبالأصل : « من » .

(٢) بالأصل : عمرو .

(٣) البيت في الطبري ٥ / ٣٨٢ ومروج الذهب ٢ / ٧٠ باختلاف في ألفاظه .

(٤) الطبري : أجمعت المسير في أحد يوميّ هذين .

(٥) عن الطبري ، وبالأصل « تقوى » .

(٦) بالأصل « وبايعه » .

(٧) بالأصل « فاتقي » .

(٨) في مروج الذهب ٣ / ٦٨ وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام في مكة فاشخص إلى اليمن ، فإنها في عزلة ، ولك فيها أنصار واخوان ، فاقم بها وبث دعاتك . . . فإن عصيتني وأبيت إلا الخروج إلى الكوفة فلا تخرجن نساءك وولدك معك .

(٩) زيد في الطبري هنا أنه بعد خروج ابن عباس ، أتاه ابن الزبير فحدثه ساعة . انظر ما جرى بينهما من حديث الطبري ٥ / ٣٨٣ ومروج الذهب ٣ / ٦٩ .

ثم بعد ذلك أقبل عبد الله بن عباس إليه فدخل[1] وقال : يـابن بنت رسول الله ! إني قد رأيت رأيين[2] إن قبلتَ مني ! فقال الحسين : وما ذاك ؟ قال : تخرج إلى بلاد اليمن ، فإن فيها حصوناً وشعاباً وهي أرض عريضة طويلة ، وإن لك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة ، فإذا استوطنت بها اكتب إلى الناس وأعلمهم مكانك . فقال الحسين : يابن عمي ! إني لأعلم أنك ناصح شفوق[3] ، ولكني أزمعت على المسير إلى العراق ، ولا بد من ذلك[4] . فأطرق ابن عباس رحمه الله ساعة ثم قال : يـابن بنت رسول الله ! إن كنت قد أزمعت ولا بد لك من ذلك فلا تسر بنسائك وأولادك فإني خائف عليك أن تقتل كما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأهله وولده ينظرون إليه ولا يقدرون له على حيلة ، والله يابن بنت رسول الله ﷺ لقد[5] أقررت عين ابن الزبير بخروجك عن مكة وتخليتك إياه هذا البلد ، وهو اليوم لا يُنظر إليه فإذا خرجت نظر إليه الناس بعد ذلك . فقال الحسين رضي الله عنه : إني[6] أستخير الله تعالى في هذا الأمر ماذا يكون .

قال : فخرج ابن عباس من عنده وهو يقول : واحبيباه ! ثم مر ابن عباس بابن الزبير وجعل يقول[7] :

يا لكِ من قُبَّرةٍ بمعمرِ ... خلا لكِ الجوّ فبيضي واصفري
ونقّري ما شئت أن تنقّري ... قد رفع الفخ فماذا تحذري
لا بد من أخذك يوماً فاصبري

---

(١) الأصل والطبري ٥ / ٣٨٣ ، أما في مروج الذهب فقد تحدث عن مقابلة طويلة بين الحسين بن علي وابن عباس (رض) ولم تقطع بلقاء بين الحسين وابن الزبير ، إنما جرت مقابلتهما بعد خروج ابن عباس من لقائه الحسين بن علي (رض) . وانظر الأخبار الطوال ص ٢٤٤ وفيه أن مقابلة ابن عباس الثانية للحسين كانت بعد ثلاثة أيام على المقابلة الأولى .

(٢) بالأصل : رأيان .

(٣) مروج الذهب : أنك لي ناصح وعليّ شفيق .

(٤) يفهم من رواية المسعودي أن كلام ابن عباس كان قبل وصول خبر مقتل مسلم بن عقيل .

(٥) عن الطبري ، وبالأصل « أو » .

(٦) في مروج الذهب ٣ / ٦٨ فكان الذي رد عليه : لأن أقتل والله بمكان كذا أحب إليّ من أن استحل بمكة .

(٧) الأرجاز في الطبري ٥ / ٣٨٤ ومروج الذهب ٣ / ٦٩ وهي تنسب إلى طرفة ملحق ديوانه ص ١٩٣ باختلاف في الألفاظ بين المصادر .

قال : ثم أقبل ابن عباس إلى عبد الله[1] بن الزبير فقال : قرت عيناك يابن الزبير ! هذا الحسين بن علي رضي الله عنهما يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز .

وانتقل الخبر بأهل المدينة أن الحسين بن علي يريد الخروج إلى العراق ، فكتب إليه عبد الله بن جعفر[2] : بسم الله الرحمن الرحيم ، للحسين بن علي ، من عبد الله بن جعفر ، أما بعد ! أنشدك الله أن لا تخرج عن مكة ، فإني[3] خائف عليك من هذا الأمر الذي قد أزمعت عليه أن يكون فيه هلاكك وأهل بيتك ، فإنك إن قتلت أخاف أن يطفىء نور الأرض ، وأنت[4] روح الهدى وأمير المؤمنين ، فلا تعجل بالمسير إلى العراق فإني آخذ لك الأمان من يزيد وجميع بني أمية على نفسك ومالك وولدك وأهل بيتك ـ والسلام ـ .

قال : فكتب إليه الحسين بن علي : أما بعد ! فإن كتابك ورد عليّ فقرأته وفهمت ما ذكرت ، وأعلمك أني رأيت جدي رسول الله ﷺ في منامي فخبّرني بأمر وأنا ماض له ، لي كان أو عليَّ ؛ والله يابن عمي لو كنت في جحر[5] هامة من هوام الأرض لاستخرجوني [و] يقتلوني ؛ والله يابن عمي ليعدين عليّ كما عدت اليهود على السبت ـ والسلام ـ .

قال : وكتب إليه سعيد بن العاص[6] من المدينة[7] : أما بعد ! فقد بلغني أنك قد عزمت على الخروج إلى العراق وقد علمت ما نزل بابن عمك مسلم بن عقيل رحمه الله وشيعته ، وأنا أعيذك بالله من الشيطان[8] فإني خائف عليك منه الهلاك ،

---

(١) بالأصل : عبيد الله خطأ .
(٢) الطبري ٥ / ٣٨٧ وبعث كتابه إلى الحسين (رض) ، مع ابنيه عون ومحمد .
(٣) الطبري : فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له .
(٤) في الطبري : فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين .
(٥) بالأصل : حجر .
(٦) كذا بالأصل ، والصواب « عمرو بن سعيد بن العاص » كما في الطبري وكان عامل يزيد على مكة انظر الأخبار الطوال ص ٢٤٤ .
(٧) كذا . انظر الحاشية السابقة . وانظر نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٨٨ .
(٨) الطبري : الشقاق .

وقد بعثت إليك بابني[1] يحيى بن سعيد فأقبل إليّ معه فلك عندنا الأمان والصلة والبرّ والإحسان وحسن الجوار ، والله لك بذلك عليّ شهيد ووكيل ومراعٍ [2] وكفيل - والسلام - .

فكتب إليه الحسين بن علي رضي الله عنهما : أما بعد ! فإنه لن يشاق[3] من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، وقد دعوت إلى البر والإحسان ، وخير الأمان أمان الله ، ونحن نسأل الله لنا ولك في الدنيا والآخرة عملاً زكياً ، فإن كنت نويت في كتابك هذا إليّ من بري وصلتي فجزيت بذلك خيراً في الدنيا والآخرة - والسلام - .

قال : وإذا كتاب يزيد بن معاوية قد أقبل من الشام إلى أهل المدينة على البريد من قريش وغيرهم من بني هاشم[4] ، وفيه هذه الأبيات :

يا أيها الراكب الغادي لطيته[5] ... على عذافرة[6] في سيرة قحمُ
أبلغ قريشاً على نأي المزار بها ... بيني وبين الحسين الله والرحمُ
وموقف بفناء البيت ينشده ... عهد الإله وما توفي به الذممُ
غنيتم قومكم فخراً بأمكم[7] ... أمّ لعمري حصان برة[8] كرمُ
هي التي لا يداني فضلها أحد ... بنت الرسول وخير الناس قد علموا
وفضلها لكم فضل وغيركم ... من يومكم[9] لهم في فضلها قسمُ

---

(١) كذا ، وفي الطبري عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد (وهو أخو عمرو بن سعيد صاحب الكتاب) .
(٢) عن الطبري ، وبالأصل « راع » .
(٣) في الطبري : فإنه لم يشاقق .
(٤) في البداية والنهاية ٨ / ١٧٧ أن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة ، وأحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق فمنوه بالخلافة ، وعندك منهم خبر وتجربة ، فإن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة ، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه فاكففه عن السعي في الفرقة .
(٥) في ابن كثير : مطيته .
(٦) عن ابن كثير ، وبالأصل « عد نقره » .
(٧) عن البداية والنهاية ، وبالأصل « فخر امامكم » .
(٨) عن البداية والنهاية ، وبالأصل « حره » .
(٩) في البداية والنهاية : قومكم .

إني لأعلم حقاً غير ما كذب ... والطرف يصدق أحياناً ويقتصم
إن سوف يدرككم[1] ما تدعون بها ... قتلى تهاداكم[2] العقبان والرخمُ
يا قومنا لا تشبوا[3] الحرب إذ سكنت ... تمسكوا بحبال الخير واعتصموا
قد غرّت[4] الحرب من قد كان قبلكم ... من القرون وقد بادت بها الأممُ
فانصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً ... فرب ذي بذخ زلّت[5] به القدمُ

قال[6] : فنظر أهل المدينة إلى هذه الأبيات ثم وجهوا بها وبالكتاب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فلما نظر فيه علم أنه كتاب يزيد بن معاوية ، فكتب الحسين الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ـ والسلام ـ .

قال : ثم جمع الحسين أصحابه الذين قد عزموا على الخروج معه إلى العراق ، فأعطى كل واحد منهم عشرة دنانير وجملاً يحمل عليه زاده ورحله ، ثم إنه طاف بالبيت وبالصفا والمروة ؛ وتهيأ للخروج ، فحمل بناته وأخواته على المحامل .

ذكر مسير الحسين رضي الله عنه إلى العراق

قال : وخرج الحسين من مكة يوم الثلاثاء[7] يوم التروية لثمان مضين من ذي الحجة ، ومعه اثنان وثمانون رجلاً من شيعته وأهل بيته ، فسار حتى إذا بلغ ذات عرق[8] فلقيه رجل من بني أسد يقال له بشر بن غالب فقال له الحسين : ممن

---

(١) في البداية والنهاية : يترككم .
(٢) عن البداية والنهاية ، وبالأصل « قبلي بها داكم » .
(٣) عن البداية والنهاية ، وبالأصل « لا تسبوا » .
(٤) في البداية والنهاية : قد جرب .
(٥) في البداية والنهاية :
فانصفوا قومكم لا تهلكوا برحاً ... فرب ذي برح زلت به القدم
وبالأصل « زانت » .
(٦) في البداية والنهاية ٨ / ١٧٧ فكتب إليه ابن عباس : إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه ، ولست ادع النصيحة له في كل ما تجتمع به الألفة وتطفىء به الثائرة .
(٧) وقيل يوم الأربعاء يوم عرفة (انظر مروج الذهب) .
(٨) ذات عرق مهل أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة .

الرجل ؟ قال : رجل من بني أسد ، قال : فمن أين أقبلت يا أخا بني أسد ؟ قال : من العراق ، فقال : كيف خلفتَ أهل العراق ؟ قال : يابن بنت رسول الله خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية ! فقال له الحسين : صدقت يا أخا العرب ! إن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ؛ فقال له الأسدي : يابن بنت رسول الله ! أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿يوم ندعوا كل أناس بإمامهم﴾[1] . فقال الحسين : نعم يا أخا بني أسد ! هم إمامان : إمام هدى دعا إلى هدى ، وإمام ضلالة دعا إلى ضلالة . فهدى من أجابه إلى الجنة ، ومن أجابه إلى الضلالة دخل النار .

قال : واتصل الخبر بالوليد بن عتبة أمير المدينة بأن الحسين قد توجه إلى العراق ، فكتب إلى عبيد الله بن زياد : بسم الله الرحمن الرحيم ، من الوليد بن عتبة إلى عبيد الله بن زياد ، أما بعد ! فإن الحسين بن علي قد توجّه نحو العراق ، وهو ابن فاطمة ، وفاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاحذر يابن زياد أن تبعث إليه رسولاً فتفتح على نفسك ما لا تختار من الخاص والعام ـ والسلام ـ . قال : فلم يلتفت عبيد الله بن زياد إلى الكتاب .

قال : وسار الحسين حتى نزل الخُزَيميّة[2] وأقام بها يوماً وليلةً ، فلما أصبح أقبلت إليه أخته زينب بنت علي فقالت : يا أخي ! ألا أخبرك بشيء سمعته البارحة ؟ فقال الحسين : وما ذاك ؟ فقالت : خرجت في بعض الليل لقضاء حاجة فسمعت هاتفاً يهتف وهو يقول :

ألا يا عين فاحتفلي بجهد ... ومن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا ... بمقدار إلى إنجاز وعدي

فقال لها الحسين : يا أختاه ! المقضي هو كائن .

قال : وسار الحسين حتى نزل الثعلبية[3] وذلك في وقت الظهيرة ، فنزل وترك أصحابه ؛ ثم وضع الحسين رأسه ونام ، ثم انتبه من نومه باكياً ، فقال له ابنه : ما لك

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧١ .
(٢) عن معجم البلدان ، وبالأصل « الحريمة » والخزيمية منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية من الكوفة .
(٣) الثعلبية من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق . (معجم البلدان) وبالأصل : التغلبية . .

تبكي يا أبت لا أبكى الله لك عيناً ؟ فقال الحسين : يا بني إنها ساعة لا تكذب فيها الرؤيا ، أعلمك أني رأيت فارساً على فرس حتى وقف عليَّ فقال : يا حسين ! إنكم تسرعون المسير والمنايا بكم تسرع إلى الجنة ؛ فعلمتُ أن أنفسنا قد نعيت إلينا . فقال له ابنه : يا أبت ألسنا على الحق ؟ قال : بلى يا بني والذي ترجع العباد إليه ! فقال عليٌّ[1] رضي الله عنه : إذاً لا نبالي بالموت . فقال الحسين : جزاك الله عني يا بني خيراً جزي به ولد عن والد .

قال : فلما أصبح الحسين وإذا برجل من الكوفة يكنى أبا هرة الأزدي أتاه فسلم عليه ثم قال : يابن بنت رسول الله ! ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك محمد ﷺ ؟ فقال الحسين : يا أبا هرة ! إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت ، وشتموا عرضي فصبرت ، وطلبوا دمي فهربت ، وأيم الله يا أبا هرة لتقتلني الفئة الباغية ! وليلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً ، وليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة منهن فحكمت في أموالهم وفي دمائهم .

قال : وسار الحسين حتى نزل الشُقوق[2] فإذا هو بالفرزدق بن غالب الشاعر قد أقبل عليه فسلم ثم دنا منه فقبل يده ، فقال الحسين : من أين أقبلت يا أبا فراس ؟ فقال : من الكوفة يابن بنت رسول الله ! فقال : كيف خلفت أهل الكوفة ؟ فقال : خلفت الناس معك وسيوفهم مع بني أمية ، والله يفعل في خلقه ما يشاء ! فقال : صدقت وبررت ، إن الأمر لله يفعل ما يشاء وربنا تعالى كل يوم هو في شأن ، فإن نزل القضاء بما نحب[3] فالحمد لله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد[4] من كان الحق نيته[5] ؛ فقال الفرزدق : يابن بنت رسول الله ! كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم قد قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته ؟ قال : فاستعبر الحسين بالبكاء ثم قال : رحم الله مسلماً ! فلقد صار إلى

---

(١) هو علي الأكبر ، ابن الحسين بن علي (رض) .

(٢) الشقوق منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة . وفي الطبري ٥ / ٣٨٦ وابن الأثير ٢ / ٥٤٧ أن الحسين (رض) لقي الفرزدق بالصفاح ، وهو موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاس . وانظر معجم البلدان .

(٣) عن الطبري ، وبالأصل : يحب .

(٤) عن الطبري وابن الأثير ، وبالأصل « يبعد » .

(٥) عن الطبري وابن الأثير ، وبالأصل « بينه » .

روح الله وريحانه وجنته ورضوانه ، أما إنه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا . قال : ثم أنشأ الحسين يقول :

وإن تكن الدنيا تُعدّ نفيسة فدار ثواب الله أعلى وأنبلُ
وإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتلُ امْرىءٍ بالسيف في الله أفضلُ
وإن تكن الأرزاق رزقاً مقدراً فقلة حرص المرء في الرزق أجملُ
وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به الخير يبخل

قال : ثم ودعه الفرزدق في نفر من أصحابه ، ومضى يريد مكة . فأقبل عليه ابن عم له من بني مجاشع[1] فقال : أبا فراس ! هذا الحسين بن علي ، فقال الفرزدق : هذا الحسين ابن فاطمة الزهراء بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، هذا والله ابن خيرة الله وأفضل من مشى على وجه الأرض بعد محمد وقد كنت قلت فيه أبياتاً قبل اليوم . فلا عليك أن تسمعها ؛ فقال له ابن عمه . ما أكره ذلك يا أبا فراس ! فإن رأيت أن تنشدني ما قلتَ فيه ! فقال الفرزدق : نعم ، أنا القائل فيه[2] وفي أبيه وأخيه وجده صلوات الله عليهم هذه الأبيات :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلمُ
هذا حسين رسول الله والده أمست بنور هداه تهتدي الأمم
هذا ابن فاطمة الزهراء عترتها في جنة الخلد مجرياً بها القلم[3]
إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
بكفه خيزران ريحه عبق بكف أروع في عرنينه شممُ
يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

---

(١) عن جمهرة ابن حزم ، وبالأصل « مجامع » .

(٢) المشهور أن هذه القصيدة قالها الفرزدق في علي بن الحسين -زين العابدين (رض) -. وقصته في ذلك مع هشام بن عبد الملك معروفة ومشهورة في كتب الدواوين . والقصيدة في ديوانه باختلاف في بعض الألفاظ والتعابير .

(٣) البيت في الديوان :

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا

ينشق نـور الـدجى عن نـور غـرتـه | كـالشمس تنجاب عن إشـراقها الـظلم
مـشـتـقـة مـن رسـول الله نـبعـتـه | طـابـت أرومتـه والـخيـم والـشيـم
في معشـر حبهم شكـر وبغضهـمُ[١] | كـفـر وقـربهـم منجى ومـعـتـصـم
يستـدفـع الضـر والبلوى بحبهـم[٢] | ويستـقيـم بـه الإحسـان والـنعـم
إن عـدّ أهـل الـندى كـانـوا أئمتهم | أو قيـل مَن خير أهـل الأرض قيل همُ
لا يستـطيـع[٣]جـواد بعـد جـودهم[٣] | ولا يـدانـيهـم قـوم وإن كـرمـوا[٤]
بيـوتهم من قـريش يستـضـاء بهـا | في النائبات وعند الحكم إن حكموا[٥]
فـجـده مـن قـريش فـي أرومتـهـا | مـحـمـد وعـليٌّ بـعـده عـلَم

قال : ثم أقبل الفرزدق على ابن عمه فقال : والله لقد قلت فيه هذه الأبيات غير متعرض إلى معروفه غير أني أردت الله والدار الآخرة .

[قصة عبيد الله بن الحر الجعفي][٦]

قال وسار الحسين عليه السلام حتى نزل في قصر بني مقاتل ، فإذا هو بفسطاط مضروب ورمح منصوب وسيف معلق وفرس واقف على مذوده ، فقال الحسين : لمن هذا الفسطاط ؟ فقيل : لرجل يقال لـه عبيد الله بن الحر الجعفي قال : فأرسل الحسين برجل من أصحابه يقال له الحجاج بن مسروق الجعفي .

فأقبل حتى دخل عليه في فسطاطه فسلم عليه فرد عليه السلام ، ثم قال : ما وراءك ؟ فقال الحجاج : والله ! ورائي يابن الحر ! والله قد أهدى الله إليك كرامة إن قبلتها ! قال : وما ذاك ؟ فقال : هذا الحسين بن علي رضي الله عنهما يدعوك إلى نصرته ، فإن قاتلت بين يديه أجرت ، وإن مت فإنك استشهدت ! فقال له عبيد الله : والله ما خرجت من الكوفة إلا مخافة أن يدخلها الحسين بن علي وأنا فيها ، فلا أنصره لأنه ليس له في الكوفة شيعة ولا أنصار إلا وقد مالوا إلى الدنيا إلا من عصم الله

---

(١) عن الديوان ، وبالأصل « مبغضهم » .
(٢) عن الديوان ، وبالأصل « بحسبهم » .
(٣-٣) عن الديوان . وبالأصل : جواراً بعد غائبهم .
(٤) عن الديوان ، وبالأصل « كرم » .
(٥) البيت لم يرد في الديوان ، والذي يليه أيضاً .
(٦) عنوان استدركناه للإيضاح .

منهم ، فارجع إليه وخبّره بذاك .

فأقبل الحجاج إلى الحسين فخبره بذلك ، فقام الحسين ثم صار إليه في جماعة من إخوانه ، فلما دخل وسلم وثب عبيد الله[1] بن الحر من صدر المجلس ، وجلس الحسين فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، يابن الحر ! فإن مصركم هذه كتبوا إليّ وخبروني أنهم مجتمعون على نصرتي وأن يقوموا دوني ويقاتلوا عدوي ، وأنهم سألوني القدوم عليهم ، فقدمتُ ولستُ أدري القوم على ما زعموا لأنهم قد أعانوا على قتل ابن عمي مسلم بن عقيل رحمه الله وشيعته ، وأجمعوا على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد يبايعني ليزيد بن معاوية ، وأنت يابن الحر فاعلم أن الله عزَّ وجلّ مؤاخذك بما كسبت وأسلفت من الذنوب في الأيام الخالية ، وأنا أدعوك في وقتي هذا إلى توبة تغسل بها ما عليك من الذنوب ، وأدعوك إلى نصرتنا أهل البيت ، فإن أعطينا حقنا حمدنا الله على ذلك وقبلناه ، وإن منعنا حقنا وركبنا بالظلم كنت من أعواني على طلب الحق[2] . فقال عبيد الله بن الحر : والله يابن بنت رسول الله ! لو كان لك بالكوفة أعوان يقاتلون معك لكنت أنا أشدهم على عدوك ، ولكني رأيت شيعتك بالكوفة وقد لزموا منازلهم خوفاً من بني أمية ومن سيوفهم ، فأنشدك بالله أن تطلب مني هذه المنزلة[3] ، وأنا أواسيك بكل ما أقدر عليه وهذه فرسي ملجمة ، والله ما طلبت عليها شيئاً إلا أذقته حياض الموت ، ولا طلبت وأنا عليها فلحقت ، وخذ سيفي هذا فوالله ما ضربت به إلا قطعتُ . فقال له الحسين رضي الله عنه : يابن الحر ! ما جئناك لفرسك وسيفك ، إنما أتيناك لنسألك النصرة ، فإن كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في شيء من مالك[4] ولم أكن بالذي اتخذ المضلين عضداً ، لأني قد سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول : « من سمع داعية أهل بيتي ولم ينصرهم على حقهم إلا أكبه الله على وجهه في النار». ثم سار الحسين رضي الله عنه من عنده ورجع إلى رحله .

فلما كان من الغد رحل الحسين ، وندم ابن الحر على ما فاته من نصرته ،

---

(١) بالأصل « عبد الله » .

(٢) وكان عبيد الله بن الحر قد قال للرسول الذي أرسله إليه الحسين بن علي : والله ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة من رأيته خرج لمحاربته وخذلان شيعته فعلمت أنه مقتول ولا أقدر على نصره فلست أحب أن يراني ولا أراه . قاله في الأخبار الطوال ص ٢٥١ .

(٣) في الأخبار الطوال : فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة ، فإن نفسي لم تسمح بعد بالموت .

(٤) في الأخبار الطوال : أما إذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا إلى فرسك .

فأنشأ يقول[1] :

أراهـا حَسْـرةً مـا دُمْتُ حيًّـا ... تـردّد بَيْنَ صـدري والتـراقـي
حُسَيْـن حـين يطلب بذل نصـري ... على أهـل العـداوة والشقـاق[2]
فـلو واسيتـه يـومـاً بـنـفـسي ... لـنلت كـرامـة يـوم التـلاقـي
مـع ابن محمـد تفـديـه نفسي ... فـودع ثـم ولـى بـانـطلاق
غـداة يقـول لي بـالقصـر قـولاً ... أتتـركنـا وتـعـزم بـالفـراق[3]
فـلو فـلق التـلهـب قـلبَ حـيٍّ ... لَـهَمَّ الـقلْبُ مِنِّي بـانـفـلاقِ[4]
فقـد فـاز الـذي نصـر الحسين ... وخـاب الأخسـرون ذوو النفـاق

قال : وسار الحسين على مرحلتين من الكوفة .

---

(١) الأبيات في الأخبار الطوال ص ٢٦٢ باختلاف بعض الألفاظ .
(٢) عن الأخبار الطوال وبالأصل « والشقاقي » .
(٣) البيت في الأخبار الطوال :
فـلا أنـسـى غـداة يـقـول حـزنـاً ... أتـتـركـنـي وتـزمـع لانـطلاق ؟
(٤) عن الأخبار الطوال ، وبالأصل « بانقلاقي » .

ذكر الحرّ بن يزيد[1] الرياحي لما بعثه عبيد الله بن زياد لحربه الحسين بن علي رضي الله عنهما

قال : وإذا الحر بن يـزيد[1] في ألف فـارس من أصحاب عبيـد الله بن زياد شاكين في السلاح لا يرى منهم إلا حماليق الحدق ؛ فلما نظر إليهم الحسين رضي الله عنه وقف في أصحابه[2] ، ووقف الحر بن يزيد في أصحابه ، فقال الحسين : أيها القوم ! من أنتم ؟ قالوا : نحن أصحاب الأمير عبيد الله بن زياد ؛ فقال الحسين : ومن قائدكم ؟ قالوا : الحر بن يزيد الرياحي . قال : فناداه الحسين رضي الله عنه : ويحك يابن يزيد[3] ! ألنا أم علينا ؟ فقـال الحر : بـل عليك أبـا عبد الله ! فقـال الحسين : لا حول ولا قوة إلا بالله . قال : ودنت صلاة الظهر ، فقال الحسين رضي الله عنه للحجاج بن مسروق : أذّن رحمك الله وأقمْ الصلاة حتى نصلي ! قال : فأذن الحجاج ، فلما فرغ من أذانه صاح الحسين بالحر بن يزيد فقال له : يا بن يزيد ! أتريد[4] أن تصلي بأصحابك وأصلي بأصحابي ؟

فقال له الحر : بل أنت تصلي بأصحابك ونصلي بصلاتـك . فقال الحسين رضي الله عنه للحجاج بن مسروق : أقم الصلاة ! فـأقام ، وتقـدم الحسين فصلى بالعسكرين جميعاً .

فلما فرغ من صلاته وثب قائماً فاتكأ على قائمة سيفه ، فحمد الله وأثنى عليه

---

(١) بالأصل : « زيد » وما أثبت عن الطبري والأخبار الطوال .

(٢) وذلك في موضع بينه وبين القادسية ثلاثة أميـال وذلك في ذي جشم كمـا في الأخبار الـطوال ص ٢٤٨ وذي حسم كما في البداية والنهاية ٨ / ١٨٦ .

(٣) بالأصل : يابن الحر .

(٤) عن الـطبري ، وبـالأصل « أريـد » وفي الأخبار الـطوال ص ٢٤٩ : أتصلي معنا أم تصلي بـأصحـابـك

ثم قال : أيها الناس ! إنها معذرة إلى الله وإلى من حضر من المسلمين ، إني لم أقدم على هـذا البلد حتى أتتني كتبكم[١] وقدمت عليّ رسلكم أن اقـدم إلينا إنـه ليس علينا[٢] إمام فلعل الله أن يجمعنا بك على الهدى ، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم ، فإن تعطوني ما يثق به قلبي من عهودكم ومن مواثيقكم دخلت معكم إلى مصركم ، وإن لم تفعلوا وكنتم كارهين لقدومي عليكم انصرفتُ إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم[٣] . قال : فسكت القوم عنه ولم يجيبوا بشيء .

وأمر الحر بن يزيد بخيمة له فضربت ، فدخلها وجلس فيها . فلم يزل الحسين رضي الله عنه واقفاً مقابلهم وكل واحد منهم آخذ بعنان فرسه[٤] . وإذا كتاب قد ورد من الكوفة : من عبيد الله بن زياد إلى الحر بن يزيد أما بعد ، يا أخي ! إذا أتاك كتابي فجعجع[٥] بالحسين ولا تفارقه حتى تأتيني به ، فإني أمرت رسولي أن لا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذ أمري إليك ـ والسلام ـ[٦] . قال : فلما قرأ الحر الكتاب بعث إلى ثقات أصحابه فدعاهم ثم قال : ويحكم ورد عليّ كتاب عبيد الله بن زياد يأمرني أن أقدم إلى الحسين بما يسوؤه ، ووالله ما تطاوعني نفسي ولا تجيبني إلى ذلك . فالتفت رجل من أصحاب الحر بن يزيد يكنى أبا الشعثاء[٧] الكندي إلى رسول عبيد الله بن زياد ، فقال له : فيما ذا جئت ثكلتك أمك ؟ فقال له : أطعت إمامي ووفيت ببيعتي وجئت برسالة أميري . فقال له أبو الشعثاء[٧] : لقـد عصيت ربك وأطعت إمـامك وأهلكت نفسـك واكتسبت عـاراً[٩]. فبئس الإمـام إمـامـك! قـال الله عـزَّ وجـلّ:

واصلي بأصحابي ؟

(١) عن الطبري والأخبار الطوال ، وبالأصل « كتبهم » .

(٢) الطبري : لنا .

(٣) في الأخبار الطوال : وإن تكن الأخرى انصرفت من حيث جئتُ .

(٤) في الطبري : أخذ كل رجل منهم بعنان دابته وجلس في ظلها .

(٥) جعجع به أي أزعجه وأخرجه ، وقال الأصمعي : يعني احبسه (اللسان) .

(٦) في الطبري ٥ / ٤٠٨ أما بعد ! فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ، ويقدم عليك رسولي ، فلا تنـزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير مـاء وقد أمـرت رسولي أن يلزمـك ولا يفارقـك حتى يأتيني بإنفاذك أمري ، والسلام .

(٧) عن الطبري ، وبالأصل « أبا البيغاء » وهو يزيد بن زياد بن المهاجر أبو الشعثاء الكندي ثم البهدلي .

(٨) في الطبري : وأطعت إمامك في هلاك نفسك ، كسبت العار والنار .

﴿ وجعلنهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا يُنصرون ﴾[1] .

قال : ودنت صلاة العصر فأمر الحسين مؤذنه فأذن وأقام الصلاة . وتقدم الحسين فصلى بالعسكرين . فلما انصرف من صلاته وثب قائماً على قدميه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! أنا ابن بنت رسول الله ﷺ ونحن أولى بولاية هذه الأمور عليكم من هؤلاء المدَّعين ما ليس لهم[2] والسائرين فيكم بالظلم[3] والعدوان ، فإن تتقوا بالله وتعرفوا الحق لأهله فيكون ذلك لله رضى ، وإن كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم على خلاف ما جاءت به كتبكم وقدمت به رسلكم انصرفت عنكم .

قال : فتكلم الحرب بن يزيد بينه وبين أصحابه فقال : أبا عبد الله ! ما نعرف هذه الكتب ولا مَنْ هؤلاء الرسل . قال : فالتفت الحسين إلى غلام له يقال له عقبة بن سمعان فقال : يا عقبة ! هات الخرجين اللذين[4] فيهما الكتب : فجاء عقبة بكتب أهل الشام والكوفة فنثرها بين أيديهم ثم تنحّى ، فتقدموا ونظروا إلى عنوانها ثم تنحوا ، فقال الحر بن يزيد : أبا عبد الله ! لسنا من القوم الذين كتبوا إليك هذه الكتب ، وقد أمرنا إن لقيناك لا نفارقك[5] حتى نأتي بك على الأمير ؛ فتبسم الحسين ثم قال : يابن الحر ! أو تعلم أن الموت أدنى [إليك][6] من ذلك . ثم التفت الحسين فقال : احملوا النساء ليركبوا حتى تنظر ما الذي يصنع هذا وأصحابه ! قال : فركب أصحاب الحسين وساقوا النساء بين أيديهم ، فقدمت خيل الكوفة حتى حالت بينهم وبين المسير ، فضرب الحسين بيده إلى سيفه ثم صاح بالحر : ثكلتك أمك ! ما الذي تريد أن تصنع ؟ فقال الحر : أما والله لو قالها غيرك من العرب لرددتها عليه كائناً من كان ، ولكن لا والله ما [لي][7] إلى ذلك سبيل من ذكر أمك ، غير أنه لا بد

---

(١) سورة القصص الآية ٤١ .

(٢) عن الطبري ، بالأصل « فيهم » .

(٣) في الطبري : بالجور والعدوان .

(٤) عن الطبري ، وبالأصل « الذين » .

(٥) في الطبري ٥ / ٤٠٢ « وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد » وفي الأخبار الطوال ص ٢٤٩ وقد أمرنا ألا نفارقك إذا لقيناك أو نقدم بك الكوفة » .

(٦) عن الطبري .

(٧) عن الطبري .

أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد ؛ فقال له الحسين : إذاً والله لا أتبعك[1] أو تذهب نفسي . قال الحر : إذاً والله لا أفارقك[2] أو تذهب نفسي وأنفس أصحابي . قال الحسين : برز أصحابي وأصحابك وأبرز إليّ ، فإن قتلتني خذ برأسي إلى ابن زياد ، وإن قتلتك أرحت الخلق منك ؛ فقال الحر : أبا عبد الله ! إني لم أومر بقتلك[3] ، وإنّما أمرت أن لا أفارقك أو أقدم بك على ابن زياد ، وأنا والله كاره إن سلبني الله بشيء من أمرك غير أني قد أخذت ببيعة القوم وخرجت إليك ، وأنا أعلم أنه لا يوافى[4] القيامة أحد من هذه الأمة إلا وهو يرجو شفاعة جدك محمد ﷺ ، وأنا خائف إن أنا قاتلتك أن أخسر الدنيا والآخرة ، ولكن أنا أبا عبد الله ! لست أقدر الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا ، ولكن خذ عني هذا الطريق وامض حيث شئت[5] حتى أكتب إلى ابن زياد أن هذا خالفني في الطريق فلم أقدر عليه ، وأنا أنشدك الله في نفسك[6] ، فقال الحسين : يا حر ! كأنك تخبرني أني مقتول ! فقال الحر : أبا عبد الله ! نعم ما أشك في ذلك إلا أن ترجع من حيث جئت . فقال الحسين : ما أدري ما أقول لك ولكني أقول كما قال أخو الأوس حيث يقول[7] :

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى خيراً وجاهدَ مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مذموماً وخالف مجرما
أقدم نفسي لا أريد بقاءها ... لتلقى خميساً في الوغاء عرمرما
فإن عشت لم ألم وإن مت لم أذم ... كفى بك ذلاً أن تعيش مرغما

ثم أقبل الحسين إلى أصحابه وقال : هل فيكم أحد يخبر الطريق على غير الجادة ؟ فقال الطرماح بن عديّ الطائي : يابن بنت رسول الله ! أنا أخبر الطريق .

---

(١) عن الطبري وبالأصل « أتابعك » .
(٢) الطبري : لا أدعك .
(٣) الطبري : بقتالك .
(٤) في الأصل : إنما يوافى .
(٥) في الطبري ٥ / ٤٠٢ فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة ، تكون بيني وبينك نصفاً .
(٦) زيد في الطبري : وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه ، أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت .
(٧) الأبيات في ابن الأثير ٢ / ٥٥٣ والأول والثاني في الطبري ٥ / ٤٠٤ باختلاف بعض الألفاظ . وسقط البيت الثالث من المصدرين .

فقال الحسين : إذاً سر بين أيدينا ! قال : فسار الطرماح وأتبعه الحسين هو وأصحابه ، وجعل الطرماحُ يقول :

يا ناقتي لا تجزعي[١] من زجري ... وأمض بنا[١] قبل طلوع الفجر
بخير فتيان وخير سفري ... إلى رسول الله أهل الفخر[٢]
السادة البيض الوجوه الزهري ... الطاعنين بالرماح السمري
الضاربين بالسيوف البتري ... حتى تحلى بكريم النجر
بماجد الجد[٣] رحيب الصدر ... أتى به الله لخير أمر
عمره الله[٤] بقاء الدهر ... يا مالك النفع معاً والضر
امدد حسيناً سيدي بالنصر ... على الطغاة من بقايا الكفر
على اللعينين سليلي صخر ... يزيد لا زال حليف الخمر
والعود والصَّنْجُ معاً والزمر ... وابن زياد العهر وابن العهر

قال : وأصبح الحسين من وراء عذيب الهجانات[٥] . قال : وإذا بالحر بن يزيد قد ظهر له أيضاً في جيشه ، فقال الحسين : ما وراءك يابن يزيد ! أليس قد أمرتنا أن نأخذ على الطريق فأخذنا وقبلنا مشورتك ؟ فقال : صدقت ، ولكن هذا كتاب عبيد الله بن زياد قد ورد عليَّ يؤنبني ويعنفني في أمرك . فقال الحسين : فذرنا حتى ننزل بقرية نينوى[٦] أو الغاضرية[٧] ، فقال الحر : لا والله ما أستطيع ذلك ، هذا رسول عبيد الله بن زياد معي ، وربما بعثه عيناً عليَّ . قال : فأقبل الحسين بن علي على رجل من أصحابه يقال له زهير بن القين[٨] البجلي ، فقال له : يابن بنت رسول

---

(١) في الطبري ٥ / ٤٠٥ : « لا تذعري . . . وشمري » .
(٢) البيت في الطبري :
بخير ركبان وخير سفر ... حتى تحلي بكريم النجر
(٣) في الطبري : الماجد الحر .
(٤) في الطبري : ثمت أبقاه .
(٥) عذيب الهجانات هو من منازل حاج الكوفة ، وقيل هو حد السواد .
(٦) نينوى : ناحية بسواد الكوفة .
(٧) الغاضرية : قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء .
(٨) عن الطبري ، وبالأصل « الفير » .

الله[1] ! ذرنا حتى نقاتل هؤلاء القوم ، فإن قتالنا الساعة نحن وإياهم أيسر علينا وأهون من قتال من يأتينا من بعدهم ؛ فقال الحسين : صدقت يا زهير ! ولكن ما كنت بالذي أنذرهم بقتال حتى يبتدروني[2] . فقال له زهير . فسر بنا حتى نصير بكربلاء فإنها على شاطىء الفرات فنكون هنالك ، فإن قاتلونا[3] قاتلناهم واستعنا بالله عليهم . قال : فدمعت عينا الحسين ، ثم قال : اللَّهم ! ثم اللَّهم ! إني أعوذ بك من الكرب والبلاء ! قال : ونزل الحسين في موضعه ذلك ونزل الحر بن يزيد حذاءه في ألف فارس ، ودعا الحسين بدواة وبياض وكتب إلى أشراف الكوفة ممن كان يظن أنه على رأيه .

ذكر كتاب الحسين رضي الله عنه إلى أهل الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وعبد الله بن وال ، وجماعة المؤمنين ، أما بعد[4] ! فقد علمتم أن رسول الله ﷺ قد قال في حياته : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام أو تاركاً[5] لعهد الله ومخالفاً لسنة رسول الله ﷺ فعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغير عليه[6] بقول ولا فعل كان حقاً[7] على الله أن يدخله مدخله ، وقد علمتم أن هؤلاء لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا[8] بالفيء ، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله . وأنا أحق من غيري بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله ﷺ ، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تخذلوني ، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد استوفيتم حقكم وحظكم ورشدكم ، ونفسي مع أنفسكم ، وأهلي وولدي مع أهاليكم

---

(١) في الطبري والأخبار الطوال : يابن رسول الله .
(٢) في الطبري ٥ / ٤٠٩ ما كنت لأبدأهم بالقتال .
(٣) في الطبري : فإن منعونا .
(٤) ورد كلام الحسين بن علي (رض) في الطبري ٥ / ٤٠٣ من خطبة له خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة . وذلك بعد تياسره عن طريق العذيب والقادسية .
(٥) الطبري : ناكثاً .
(٦) عن الطبري ، وبالأصل « لم يعتبر » .
(٧) عن الطبري ، وبالأصل « حقيقاً » .
(٨) عن الطبري ، وبالأصل « استثاروا » .

وأولادكم ، فلكم فيَّ[1] أسـوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهـدكم ومـواثيقكم وخلعتم بيعتكم فلعمري ما هي منكم بنكر[2] ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي ، هل المغرور إلا من اغتر بكم ، فإنما حقكم[3] أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وسيغني الله عنكم ـ والسلام ـ . قال : ثم طوى الكتـاب وختمه ودفعه إلى قيس بن مسهر الصيداوي وأمره أن يسير إلى الكوفة[4] .

قال : فمضى قيس إلى الكوفة وعبيد الله بن زياد قد وضع المراصد والمصابيح على الطرق ، فليس أحد يقدر أن يجوز إلا فتش ؛ فلما تقارب من الكوفة قيس بن مسهـر لقيه عـدو الله يقال لـه الحصين بن نمير السكـوني[5] ، فلما نـظر إليـه قيس كـأنـه اتقى على نفسه ، فأخرج الكتاب سريعاً فمزقه عن آخره . قال : وأمر الحصين أصحابه فأخذوا قيساً وأخذوا الكتاب ممزقـاً حتىّ أتوا بـه إلى عبيد الله بن زيـاد . فقال لـه عبيد الله بن زياد : من أنت ؟ قال : أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين الحسين بن علي رضي الله عنهما ، قال : فلم خرقت الكتاب الذي كان معك ؟ قال : خوفاً ، حتى لا تعلم ما فيه ! قال : وممن كان هذا الكتاب وإلى من كان ؟ فقال : كان من الحسين إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم . قال : فغضب ابن زياد غضباً عظيماً ثم قال : والله لا تفارقني أبـداً أو تدلني على هؤلاء القـوم الذي كتب إليهم هـذا الكتاب ، أو تصعد المنبر فتسب الحسين وأباه وأخاه ، فتنجو من يدي أو لأقطعنك . فقال قيس : أما هؤلاء القوم فلا أعرفهم ؛ وأما لعنـة الحسين وأبيه وأخيـه[6] فإني أفعل .

قال : فأمر به فأدخل المسجـد الأعظم ، ثم صعـد المنبر وجمـع له النـاس

---

(١) عن الطبري ، وبالأصل « بي » .

(٢) في ابن الأثير ٢ / ٥٥٣ « بنكير » .

(٣) الطبري وابن الأثير : فحظلم .

(٤) كـذا ، وقد أرسـل فعلاً قيس بكتـاب من الحسين بن علي (رض) إلى أهل الكـوفـة وذلـك بعـد بلوغ الحسين (رض) الحاجر من بطن الرمة وقبل مقتل مسلم بن عقيل انظر نسخة الكتاب في الطبـري ٥ / ٣٩٤ ـ ٣٩٥ . وكان كتابه هذا رداً على كتاب مسلم بن عقيل له قبل أن يقتل لسبع وعشـرين ليلة وفيه : أما بعد ، فإن الرائد لا يكذب أهله ، إن جمـع أهل الكـوفة معـك ، فاقبـل حين تقرأ كتـابي ، والسلام عليك .

(٥) في الطبري : الحصين بن تميم .

(٦) في الأصل : أباه وأخاه .

ليجتمعوا ويسمعوا اللعنة ، فلما علم قيس أن الناس قد اجتمعوا وثب قائماً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على محمد وآله ، وأكثر الترحم علىٰ علي وولده ، ثم لعن عبيد الله بن زياد ولعن أباه ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم ، ثم دعا الناس إلى نصرة الحسين بن علي[1] . فأخبر بذلك عبيد الله بن زياد فأصعد على أعلى القصر ثم رمي به على رأسه فمات[2] ـ رحمه الله ـ . وبلغ ذلك الحسين فاستعبر باكياً ثم قال : اللّهم اجعل لنا ولشيعتك منزلاً كريماً عندك واجمع بيننا وإياهم في مستقر رحمتك إنك على كل شيء قدير .

قال : فوثب إلى الحسين رجل من شيعته يقال له هلال[3] فقال : يابن بنت رسول الله ! تعلم أن جدك رسول الله [لا] يقدر أن يشرب الله [الخلائق] محبته ولا أن يرجعوا من أمرهم إلى ما يحب ، وقد كان منهم منافقون يبدونه[4] النصر ويضمرون له الغدر ، يلقونه بأحلى من العسل ويلحقونه بأمرّ من الحنظل ، حتى توفاه الله عزَّ وجلّ ؛ وأن أباك علياً قد كان في مثل ذلك ، فقوم أجمعوا على نصره وقاتلوا معه المنافقين والفاسقين والمارقين والقاسطين حتى أتاه أجله ؛ وأنتم اليوم عندنا في مثل ذلك الحال ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه والله يغني عنه ، فسر بنا راشداً مشرقاً إن شئت أو مغرباً ، فوالله ما أشفقنا من قدر الله ، ولا كرهنا لقاء ربنا ، وإنا على نياتنا ونصرتنا ، نوالي من والاك ونعادي من عاداك .

قال : فخرج الحسين وولده وإخوته وأهل بيته رحمة الله عليهم بين يديه ، فنظر إليهم ساعة وبكى وقال : اللّهم ! إنا عترة نبيك محمد ﷺ وقد أخرجنا وطردنا عن حرم جدنا ، وتعدت بنو[5] أمية علينا ، فخذ بحقنا وانصرنا على القوم الكافرين . قال : ثم صاح الحسين في عشيرته ورحل من موضعه ذلك حتى نزل كربلاء في يوم الأربعاء أو يوم الخميس وذلك في الثاني[6] من المحرم سنة إحدى وستين ، ثم أقبل

---

(١) انظر مقالته في الطبري باختلاف ٥ / ٣٩٥ .
(٢) في الطبري : فتقطع فمات .
(٣) في الترجمة الفارسية : هلال بن نافع .
(٤) الأصل : يعدونه .
(٥) بالأصل : بني .
(٦) الأصل والطبري ، وفي الأخبار الطوال ص ٢٥٣ يوم الأربعاء غرّة المحرم . (وذلك في أكتوبر سنة ٦٨٥ م) .

إلى أصحابه فقال لهم : أهذه كربلاء ؟ فقالوا : نعم .

ذكر نزول الحسين رضي الله عنه بكربلاء

فقال الحسين لأصحابه : انزلوا هذا موضع كرب وبلاء ، ههنا مناخ ركابنا ومحط رحالنا وسفك دمائنا . قال : فنزل القوم وحطوا الأثقال ناحية من الفرات ، وضربت خيمة الحسين لأهله وبنيه ، وضرب عشيرته خيامهم من حول خيمته ، وجلس الحسين وأنشأ يقول[1] :

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل ... وكل حيّي عابر سبيل
ما أقرب الوعد من الرحيل ... وإنما الأمر إلى الجليل

قال : وسمعت ذلك أخت الحسين زينب وأم كلثوم فقالتا[2] : يا أخي ! هذا كلام من أيقن بالقتل ، فقال : نعم يا أختاه ! فقالت زينب[3] : واثكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة ! مات جدّي رسول الله ﷺ ، ومات أبي علي ، وماتت أمي فاطمة ، ومات أخي الحسن عليهم السلام ، والآن ينعي إليَّ الحسين نفسه[4] ؛ قال : وبكت النسوة ولطمن الخدود ، قال : وجعلت أم كلثوم تنادي : وا جداه ! وا أبي علياه ! وا أماه ! وا حسناه ! وا حسيناه ! وا ضيعتنا بعدك ! وا أبا عبد الله ! فعذلها الحسين وصبرها وقال لها[5] : يا أختاه ! تعزي بعزاء الله وارضي بقضاء الله ، فإن سكان السماوات يفنون وأهل الأرض يموتون وجميع البرية لا يبقون ، وكل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون ، وإنّ لي ولك ولكل مؤمن ومؤمنة أسوة بمحمد ﷺ . ثم قال لهن : انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن عليَّ جيباً ولا تخمشن وجهاً .

قال : فأقبل الحر بن يزيد حتى نزل حذاء الحسين في ألف فارس ، ثم كتب إلى عبيد الله بن زياد يخبره أن الحسين نزل بأرض كربلاء . قال : فكتب عبيد الله بن

---

(١) الأبيات في الطبري ٥ / ٤٢٠ وابن الأثير ٢ / ٥٦٠ باختلاف في بعض الألفاظ .
(٢) بالأصل : فقالوا .
(٣) انظر مقالة زينب (رض) في الطبري ٥ / ٤٢٠ .
(٤) زيد في الطبري : يا خليفة الماضي ، وثمال الباقي .
(٥) في الطبري ورد قول للحسين بن علي هذا لأخته زينب (رض) . باختلاف وزيادة .

زياد إلى الحسين : أما بعد يا حسين ! فقد بلغني نزولك بكربلاء ، وقد كتب إليَّ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية أن لا أتوسد الوثير ولا أشبع من الخبز ، أو ألحقك باللطيف الخبير أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية ـ والسلام ـ .

فلما ورد الكتاب قرأه الحسين ثم رمى به ثم قال : لا أفلح قوم آثروا مرضاة أنفسهم على مرضاة الخالق . فقال له الرسول : أبا عبد الله ! جواب الكتاب ؟ قال : ما له عندي جواب ، لأنه قد حقت عليه كلمة العذاب .

فقال الرسول لابن زياد ذلك ، فغضب من ذلك أشد الغضب ، ثم جمع أصحابه وقال : أيها الناس ! من منكم تولى قتال الحسين بن علي ولي ولاية أيِّ بلد شاء ! فلم يجبه أحد بشيء . قال : فالتفت إلى عمر[1] بن سعد بن أبي وقاص ، وقد كان عمر[1] بن سعد قبل ذلك بأيام قد عقد له عبيد الله بن زياد عقداً وولاه الريّ ودَسْتبى[2] وأمره بحرب الديلم ، فأراد أن يخرج إليها ، فلما كان ذلك اليوم أقبل عليه ابن زياد فقال : أريد أن تخرج إلى قتال الحسين بن علي ، فإذا نحن فرغنا من شغله سرت إلى عملك إن شاء الله . فقال له عمر[1] : أيها الأمير ! إن أردت أن تعفيني من قتال الحسين بن علي فافعل ! فقال : قد عفيتك فاردد إلينا عهدنا الذي كتبناه لك[2] واجلس في منزلك نبعث غيرك ، فقال له عمر[1] : أمهلني اليوم حتى أنظر في أمري ! قال : قد أمهلتك .

فانصرف عمر[1] إلى منزله وجعل يستشير بعض إخوانه ومن يثق به ، فلم يشر عليه أحد بشيء غير أنه يقول له : اتق[4] الله ولا تفعل . قال : وأقبل عليه حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته فقال : أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين بن علي فإنك تأثم بربك وتقطع رحمك ، وما لك ولسلطان الأرض ، اتق[5] الله أن تتقدم يوم القيامة بدم الحسين ابن فاطمة . قال : فسكت عمر[1] وفي قلبه من الري[6] .

---

(١) بالأصل : « عمرو » وما أثبت عن الطبري .

(٢) الدستبى : كورة كبيرة كانت مشتركة بين الري وهمدان فقسمت كورتين ، وتشتمل على قريب تسعين قرية .

وما أثبت عن الأخبار الطوال ص ٢٥٣ وبالأصل : الدسس .

(٣) بالأصل : عمرو .

(٤) يريد عهده بتوليته الري ودستبى .

(٥) بالأصل : اتقي .

(٦) في الطبري ٥ / ٤٠٩ : فقال له عمر : فإني أفعل إن شاء الله .

فلما أصبح أقبل حتى دخل على عبيد الله بن زياد فقال : ما عندك يا عمر[1] ؟ فقال : أيها الأمير ! إنك قد وليتني هذا الأمر وكتبت لي هذا العهد وقد سمع به الناس[2]وفي الكوفة أشراف ـ وعدّهم[2] ـ . فقال له عبيد الله بن زياد : أنا أعلم منك بأشرافها ، وما أريد منك إلا أن تكشف هذه الغمة وأنت الحبيب القريب . وإلا أردد علينا عهدنا والزم منزلك فإنا لا نكرهك . قال : فسكت عمر[1] ، فقال له ابن زياد : يابن سعد ! والله لئن لم تسر إلى الحسين وتتول حربه وتقدم علينا بما يسوءه لأضربن عنقك ولأنهبن أموالك . قال : فإني سائر إليه غداً إن شاء الله ، فجزاه ابن زياد خيراً ووصله وأعطاه وحياه ودفع إليه أربعة آلاف فارس وقال له : سر حتى تنزل بالحسين بن علي وانظر أن لا تهنه ولا تقتله وخل بينه وبين الفرات أن يشرب . قال : فسار عمر في أربعة آلاف فارس ، وسار الحر في ألف فارس ، فصار خمسة آلاف فارس .

قال : ثم دعا عمر بن سعد رجلاً من أصحابه يقال له عروة بن قيس[3] ، فقال له ! امض يا هذا إلى الحسين فقل له : ما تصنع في هذا الموضع ؟ وما الذي أخرجه عن مكة وقد كان مستوطناً بها ؟ فقال عروة بن قيس : أيها الأمير ! إني كنت اليوم أكاتب الحسين ويكاتبني وأنا أستحيي أن أسير إليه ، فإن رأيت أن تبعث غيري فابعث . قال فبعث إليه رجلاً يقال له فلان بن عبد الله السبيعي[4] ، وكان فارساً بطلاً شجاعاً لا يرد وجهه عن شيء ، فقال له عمر بن سعد : امض إلى الحسين فسَلْه ما الذي أخرجه عن مكة وما يريد .

قال : فأقبل السبيعي نحو الحسين ، ثم قال له الحسين[5] لما رآه : ضع سيفك حتى نكلمك ! فقال : لا ولا كرامة لك ، إنما أنا رسول عمر[6] بن سعد ، فإن

---

(١) بالأصل : عمرو : وقد تكررت كثيراً ، وصححت .

(٢) العبارة في الطبري : فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشراف الكوفة من لست بأغنى ولا أجزأ عنك في الحرب منه .

(٣) في الطبري : « عزرة بن قيس الأحمسي » وفي الأخبار الطوال ص ٢٥٣ : قرة بن سفيان الحنظلي .

(٤) في الطبري : كثير بن عبد الله الشعبي .

(٥) كذا بالأصل ، وعبارة الطبري ٥ / ٤١٠ فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين : أصلحك الله أبا الحسين ، قد جاءك شر أهل الأرض وأجرؤه على دم وأفتكه ، فقام إليه فقال : ضع سيفك . . .

(٧) بالأصول : « عبيد الله » خطأ .

سمعت[1] مني بلغتك ما أرسلت به ، وإن أبيت انصرفت عنك . فقال له أبو ثمامة الصائدي[2] : فإني آخذ سيفك ، فقال : لا والله لا يمس سيفي أحد ؛ فقال أبو ثمامة : فتكلم بما تريد[3] ولا تدن من الحسين ، فإنك رجل فاسق . قال : فغضب السبيعي ورجع إلى عمر بن سعد وقال : إنهم لم يتركوني أصِلُ إلى الحسين فأبلغه الرسالة .

قال : فأرسل إليه قرة بن قيس الحنظلي[4] فأقبل ، فلما رأى معسكر الحسين قال الحسين لأصحابه : هل تعرفون هذا ؟ فقال حبيب بن مظاهر الأسدي : نعم هذا من بني تميم وقد كنت أعرفه بحسن الرأي ، وما ظننت أنه يشهد هذا المشهد . قال : وتقدم الحنظلي حتى وقف بين يدي الحسين فسلم عليه وأبلغه رسالة عمر بن سعد . فقال : يا هذا ، أعلم صاحبك عني أني لم أرد إلى ههنا حتى كتب إليّ أهل مصركم أن يبايعوني ولا يخذلوني وينصروني ، فإن كرهوني أنصرف[5] عنهم من حيث جئت . قال : ثم وثب إليه حبيب بن مظاهر[6] الأسدي ، فقال : ويحك يا قرة ! عهدي بك وأنت حسن الرأي في أهل البيت فما الذي غيرك حتى أتيتنا في هذه الرسالة ؟ فأقم عندنا وانصر هذا الرجل ! فقال الحنظلي : لقد قلت الحق ، ولكني أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته[7] وأنظر في ذلك .

قال : فانصرف الحنظلي إلى عمر بن سعد وخبره بمقالة الحسين رضي الله عنه[8] ، وكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بذلك[9] ؛ فكتب إليه يحرضه على

---

(١) الطبري : سمعتم مني أبلغتكم . . . وإن أبيتم .

(٢) في الأصل : « الصيداوي » وما أثبت عن الطبري .

(٣) زيد في الطبري : وأنا أبلغه عنك .

(٤) ذكر في الأخبار الطوال إيفاده إلى الحسين ، ولم يأت على ذكر السبيعي (الشعبي) .

(٥) بالأصل : « انصرفت » وانظر رد الحسين بن علي (رض) على قرة في الأخبار الطوال ص ٢٥٣ وفيها زيادة واختلاف .

(٦) بالأصل « مطهر » .

(٧) عن الطبري ، وبالأصل « الرسالة » .

(٨) زيد في الطبري ٥ / ٤١١ « فقال له عمر بن سعد : إني لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله » وانظر الأخبار الطوال ص ٢٥٤ .

(٩) نسخة كتابه في الطبري ٥ / ٤١١ وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإني نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي ، فسألته عما أقدمه ، وماذا يطلب ويسأل ، فقال : كتب إليّ أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم ، فسألوني القدوم ففعلت ، فأما إذ كرهوني فبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم فأنا منصرف عنهم .

قتله[1] . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يابن زياد كأنك لا تعرف العواقب ! والله المستعان .

(١) نسخة كتاب عبيد الله بن زياد في الطبري ٥ / ٤١١ وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرت ، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه ، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام » انظر الأخبار الطوال ص ٢٥٤ .

ذكر اجتماع العسكر إلى حرب الحسين ابن علي رضي الله عنه

قال : ثم جمع عبيد الله بن زياد الناس إلى مسجد الكوفة ، ثم خرج فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنكم قد بلوتم آل سفيان فوجدتموهم على ما تحبون ، وهذا يزيد قد عرفتموه أنه حسن السيرة ، محمود الطريقة ، محسن إلى الرعية ، متعاهد الثغور ، يعطي العطاء في حقه ، حتى إنه كان أبوه كذلك ، وقد زاد أمير المؤمنين في إكرامكم ، وكتب إليّ يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ومائتي ألف درهم أفرقها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين بن علي ، فاسمعوا له وأطيعوا ـ والسلام ـ .

قال : ثم نزل عن المنبر ووضع لأهل الشام العطاء فأعطاهم ونادى فيهم بالخروج إلى عمر بن سعد ليكونوا أعواناً له على قتال الحسين . قال : فأول من خرج إلى عمر بن سعد الشمر بن ذي الجوشن السلولي ـ لعنه الله ـ في أربعة آلاف فارس ، فصار عمر بن سعد في تسعة آلاف ؛ ثم أتبعه زيد بن ركاب الكلبي في ألفين ، والحصين بن نمير السكوني في أربعة آلاف ، والمصاب الماري في ثلاثة آلاف ونصر بن حربة في ألفين فتم له عشرون ألفاً . ثم بعث ابن زياد إلى شبث[1] بن ربعي الرياحي [رجلاً وسأل أن يوجه إلى عمر بن سعد ، فاعتل بمرض ، فقال له ابن زياد : أتتمارض ؟ إن كنت في طاعتنا فاخرج إلى قتال عدونا][2] ، فخرج إلى

---

(١) بالأصل : شبيب ، وما أثبت عن الطبري والأخبار الطوال .

(٢) العبارة في الأخبار الطوال ص ٢٥٤ : ثم وجه الحصين بن نمير وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن ليعاونوا عمر بن سعد على أمره .

عمـر[1] بن سعد في ألف فـارس بعد أن أكـرمه ابن زيـاد وأعطاه وحبـاه ، وأتبعـه بحجار بن أبجر[2] في ألف فارس ، فصار عمر بن سعد في اثنين وعشرين ألفاً ما بين فارس وراجل .

ثم كتب ابن زياد إلى عمر بن سعد أني لم أجعل لك علة في قتال الحسين من كثرة الخيل والرجال ، فانظر أن لا تبدأ أمراً حتى تشاورني غدواً وعشياً مع كل غاد ورائح ـ والسلام ـ .

قال : وكان عبيد الله بن زياد في كل وقت يبعث إلى عمر بن سعد ويستعجله في قتـال الحسين ، قال : والتـأمت العساكـر إلى عمـر بن سعـد لست مضين من المحرم .

وأقبل حبيب بن مظاهر[3] الأسدي إلى الحسين بن علي فقال : ههنا حي من بني أسد بالقرب منّي أو تأذن لي أن أسير إليهم أدعوهم إلى نصرتك فعسى الله أن يدفع بهم عنك بعض ما تكره ! فقال له الحسين : قد أذنت لك يا حبيب ! قال : فخرج حبيب بن مظاهر في جوف الليل منكراً حتى صار إلى أولئك القوم ، فحياهم وحيوه وعرفوا أنه من بني أسد ؛ فقالوا : ما حاجتك ؟ يابن عم ! فقال : حـاجتي إليكم قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم ، أتيتكم أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ فإنه في عصابة من المؤمنين ، الرجل منهم خير من ألف رجل ، لن يخذلوه ولن يسلموه ، وفيهم عين نظرت ، وهذا عمر[1] بن سعد قد أحاط به في اثنين وعشرين ألف وأنتم قومي وعشيرتي ، وقد جئتكم بهذه النصيحة فأطيعوني اليوم في نصرته تنالون غداً شرفاً في الآخرة ، فإني أقسم بالله أنه لا يقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله ﷺ صابراً محتسباً إلا كان رفيق محمد ﷺ في أعلى عليين . قال : فوثب رجل من بني أسد يقال له بشر بن عبيد الله ، فقال : والله أنا أول من أجاب إلى هذه الدعوة ؛ ثم أنشأ يقول :

قـد علـم القـوم إذا تـواكـلوا　　　وأحجم الفـرسـان أو تنـاصـلوا

= فأما شمر فنفـذ لما وجهه له ، وأما شبث فاعتل بمرض . فقال له ابن زياد : أتتمارض ؟ إن كنت في طاعتنا فاخرج إلى قتال عدونا . . . ووجه أيضاً الحارث بن يزيد بن رويم .

(١) بالأصل : عمرو .

(٢) عن الأخبار الطوال ، وبالأصل « حجاب بن الحر » .

(٣) بالأصل « مطهر » وفي الأخبار الطوال : مظهر .

إنـي شـجـاع بـطل مـقـاتـلُ　　كـأنـني ليـث عـريـن بـاسـلُ

قال : ثم تبادر رجال الحي مع حبيب بن مظاهر[1] الأسدي .

قال : وخرج رجل من الحي في ذلك الوقت حتى صار إلى عمر[2] بن سعد في جوف الليل فخبره بذلك . فدعا رجلاً من أصحابه يقال له الأزرق بن حرب الصيداوي فضم إليه أربعة آلاف فارس ، ووجه به في جوف الليل إلى حي بني أسد مع الرجل الذي جاء بالخبر . قال : فبينما القوم في جوف الليل قد أقبلوا يريدون معسكر الحسين إذ استقبلهم جند عمر بن سعد على شاطىء الفرات . قال : فتناوش القوم بعضهم بعضاً واقتتلوا قتالاً شديداً ؛ وصاح به حبيب بن مظاهر[1] : ويلك يا أزرق ! مالك ولنا دعنا ! قال : واقتتلوا قتالاً شديداً . فلما رأى[3] القوم بذلك انهزموا راجعين إلى منازلهم . فرجع حبيب بن مظاهر[1] إلى الحسين رضي الله عنه فأعلمه بذلك الخبر . فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال : ثم إن ابن زياد كتب إلى عمر بن سعد : أما بعد[4] ، فقد بلغني أن الحسين يشرب الماء هو وأولاده وقد حفروا الآبار ونصبوا الأعلام ؛ فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت وضيق عليهم ولا تدعهم يشربوا من ماء الفرات قطرة[5] واحدة ، وافعل بهم كما فعلوا بالتقي النقي عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ والسلام ـ .

قال : فعندها ضيق عليهم عمر بن سعد غاية التضييق ثم دعا رجلاً يقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي[6] فضم إليه خيلاً عظيمة[7] وأمره أن ينزل على الشريعة [التي هي حذاء عسكر الحسين رضي الله عنه فنزلت الشريعة] ونادى رجل من

---

(١) بالأصل : مطهر .

(٢) بالأصل : عمرو .

(٣) بالأصل : رأوا .

(٤) نسخة كتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد في الطبري ٥ / ٤١٢ والأخبار الطوال ص ٢٥٤ وابن كثير ٨ / ١٨٩ ببعض اختلاف .

(٥) في الأخبار الطوال : حسوة واحدة .

(٦) عن الطبري وبالأصل : « الزيدي » .

(٧) في الطبري وابن الأثير والأخبار الطوال : في خمسمئة فارس .

أصحاب عمر بن سعد[1] بالحسين فقال : إنك لن تذوق من هذا الماء قطرة واحدة حتى تذوق الموت [غصة بعد غصة] أو تنزل على حكم أمير المؤمنين [يزيد] وحكم عبيد الله بن زياد .

قال : فاشتد العطش[2] من الحسين وأصحابه وكادوا أن يموتوا عطشاً ، فدعا بأخيه العباس رحمه الله وصير إليه ثلاثين[3] فارساً وعشرين[4] راجلاً وبعث معهم عشرين قربة ؛ فأقبلوا في جوف الليل حتى دنوا من الفرات ، فقال عمرو بن الحجاج : من هذا ؟ فقالوا : رجال من أصحاب الحسين يريدون الماء ! فاقتتلوا على الماء قتالاً عظيماً فكان قوم يقتتلون وقوم يملأون القرب حتى ملأوها . فقتل من أصحاب عمرو جماعة ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد . ثم رجع القوم إلى معسكرهم وشرب الحسين من القرب ومن كان معه .

قال : ثم أرسل الحسين رحمه الله إلى عمر بن سعد[5] إني أريد أن أكلمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك . قال : فخرج إليه عمر بن سعد في عشرين فارساً وأقبل الحسين في مثل ذلك ؛ فلما التقيا أمر الحسين أصحابه فتنحوا عنه ، وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر رضي الله عنهم ؛ وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه ، وبقي معه حفص وابنه وغلام له يقال له لاحق[6]. فقال له الحسين رضي الله عنه : ويحك يابن سعد ! أما تتقي الله الذي إليه معادك أن تقاتلني ؟ وأنا ابن من ! علمت يا هذا من رسول الله ﷺ ، فاترك هؤلاء وكن معي فإني أقربك إلى الله عزّ وجلّ ! فقال له عمر بن سعد : أبا عبد الله ! أخاف أن تهدم داري ، فقال له

---

(١) هو عبد الله بن أبي حصين الأزدي ـ عداده في بجيلة كما في الطبري ، نادى الحسينَ وقال له : يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء ، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً . الطبري ٥ / ٤١٢ وفي الإمامة والسياسة ٢ / ١١ فقال له شهر بن حوشب : لا تشربوا منه حتى تشربوا من الحميم .

(٢) بالأصل : الغضب .

(٣) بالأصل : ثلاثون .

(٤) بالأصل : عشرون .

(٥) في الطبري ٥ / ٤١٢ بعث عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري .

(٦) لم يرد في الطبري ، أن أحداً بقي مع الحسين (رض) أو مع عمر بن سعد بل ورد فيه أن أصحابهما تنحوا عنهما وانكشفوا عنهما بحيث لا يسمع كلامهما ولا أصواتهما .
قال ابن كثير في البداية والنهاية ٨ / ١٨٩ فتكلما طويلاً حتى ذهب هزيع من الليل ، ولم يدر أحد ما قالا .

الحسين رضي الله عنه : أنا أبنيها لك[1] . فقال : أخاف أن تؤخذ ضيعتي[2] ، فقال الحسين : أنا أخلف[3] عليك خيراً منها من مالي بالحجاز . قال : فلم يجب عمر إلى شيء من ذلك ، فانصرف عنه الحسين رضي الله عنه وهو يقول : ما لك ذبحك الله من على فراشك سريعاً عاجلاً ولا غفر الله لك يوم حشرك ونشرك ، فوالله إني لأرجو أن لا يأكل من برّ العراق إلا يسيراً[4] .

قال : ورجع عمر بن سعد إلى معسكره ، وإذا كتاب عبيد الله بن زياد قد أقبل على عمر بن سعد يؤنبه فيه ويقول له : يابن سعد ! ما هذه الفترة والمطاولة ؟ انظر إن بايع الحسين وأصحابه ونزلوا على حكمي فابعث بهم سلماً ، وإن أبوا ذلك فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم ، فإنهم لذلك مستحقون ؛ فإذا قتلت الحسين فأوطىء الخيل على ظهره وبطنه[5] . فإذا فعلت ذلك جزيناك جزاء الطائع[6] المطيع ، وإن أبيت ذلك فاقطع حبلنا وجندنا وسلم ذلك إلى شمر بن ذي الجوشن ، فإنه أحزم منك أمراً وأمضى منك عزيمة ـ والسلام ـ . وطوى الكتاب وأراد أن يسلمه إلى رجل يقال له عبد الله بن [أبي المحل بن][7] حزام العامري ، فقال : أصلح الله الأمير ! إن علي بن أبي طالب قد كان عندنا ههنا بالكوفة فخطب إلينا فزوّجناه بنتاً[8] يقال لها أم البنين بنت حزام فولدت له عبد الله وجعفراً والعباس[9] فهم بنو أختنا وهم مع الحسين

---

(١) زيد في الطبري : أحسن مما كانت .

(٢) في الطبري : ضياعي .

(٣) الطبري : فأنا أعطيك .

(٤) وقيل على ما ذكره جماعة من المحدثين ـ كما ورد في الطبري ٥ / ٤١٣ ـ أنه قال له : اختاروا مني ثلاث خصال : إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه ، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه ، وإما أن تسيروني إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم . وانظر الإمامة والسياسة ٢ / ١١ وابن كثير ٨ / ١٨٩ .

وقيل إن عمر بن سعد كتب بذلك إلى عبيد الله بن زياد (نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٤١٤) فهمّ عبيد الله بالقبول إلا أن شمر بن ذي الجوشن حضه على عدم القبول وحرضه على الحسين ودفعه إلى الطلب من الحسين أن ينزل على حكمه ففي ذلك قوة له ومنعة . فنزل على طلبه وكتب إلى الحسين وعمر بن سعد بذلك ، كما سيأتي .

(٥) الطبري : صدره وظهره .

(٦) الطبري : السامع المطيع .

(٧) عن الطبري .

(٨) وهي عمة ابن أبي المحل كما في الطبري .

(٩) زيد في الطبري : وعثمان .

أخيهم ، فإن رسمت لنا أن نكتب[1] إليهم كتاباً بأمان منك عليهم متفضلاً ! فقال عبيد الله بن زياد : نعم وكرامة لكم ، اكتبوا إليهم بما أحببتم ، ولهم عندي الأمان .

قال : فكتب عبد الله بن [أبي] المحل بن حزام إلى عبد الله والعباس وجعفر بني علي رضي الله عنهم بالأمان من عبيد الله بن زياد ، ودفع الكتاب إلى غلام له يقال له عرفان[2] ، فقال : سر بهذا الكتاب إلى بني أختي بني علي بن أبي طالب رحمة الله عليهم فإنهم في عسكر الحسين رضي الله عنه ، فادفع إليهم هذا الكتاب وانظر ماذا يردون عليك .

قال : فلما ورد كتاب عبد الله بن أبي المحل على بني علي ونظروا فيه أقبلوا به إلى الحسين فقرأه وقال له : لا حاجة لنا في أمانك فإن أمان الله خير من أمان ابن مرجانة[3] . قال : فرجع الغلام إلى الكوفة فخبر عبد الله بن [أبي] المحل بما كان من جواب القوم . قال : فعلم عبد الله بن [أبي] المحل أن القوم مقتولون .

قال : وأقبل شمر بن ذي الجوشن حتى وقف على معسكر[4] الحسين رضي الله عنه فنادى بأعلى صوته : أين بنو أختنا[5] عبد الله وجعفر والعباس بنو علي بن أبي طالب ! فقال الحسين لإخوته : أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنه من أخوالكم ! فنادوه فقالوا : ما شأنك وما تريد ؟ فقال : يا بني أختي ! أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين ، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ! فقال له العباس بن علي رضي الله عنه : تباً لك يا شمر ولعنك الله ولعن ما جئت به من أمانك هذا يا عدو الله ! أتأمرنا أن ندخل في طاعة العناد ونترك نصرة أخينا الحسين رضي الله عنه[6] . قال : فرجع الشمر إلى معسكره مغتاظاً[7] .

وجمع الحسين أصحابه بين يديه ، وحمد الله وأثنى عليه ، وقال : اللّهم ! لك

---

(١) الطبري : تكتب .
(٢) الطبري : كزمان .
(٣) الطبري : ابن سمية . وهي جدة عبيد الله بن زياد .
(٤) في الطبري : أصحاب .
(٥) عن الطبري ، وبالأصل : بني أختي .
(٦) زيد في الطبري ٥ / ٤١٦ لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له . وفي البداية والنهاية ٨ / ١٩٠ : إن أمنتنا وابن رسول الله (ص) ، وإلا فلا حاجة لنا بأمانك .
(٧) :بالأصل « مغتاضاً » .

الحمد على ما به فضلتنا(١) وعلمتنا من القرآن ، وفهمتنا(٢) في الدين ، وأكرمتنا به من كرامة رسول الله ﷺ وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة وجعلتنا من الشاكرين . ثم أقبل عليهم وقال : إني لا أعلم أصحاباً أصح منكم(٣) ولا أعدل ولا أفضل أهل بيت ، فجزاكم الله عني خيراً ! فهذا الليل قد أقبل فقوموا واتخذوه جملاً ، وليأخذ كل [رجل](٤) منكم بيد صاحبه أو رجل من إخوتي(٥) وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم ، فإنهم لا يطلبون غيري ، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم .

قال : فعندها تكلم إخوته وجميع أهل بيته فقالوا : يابن بنت رسول الله ! وماذا يقول الناس وماذا نقول لهم إذا تركنا شيخنا وسيدنا وابن بنت نبينا محمد ﷺ ! لم نرم معه بسهم ، ولا نطعن عنه برمح ، ولا نضرب معه بسيف ؛ لا والله يابن بنت رسول الله ! لا نفارقك أبداً ولكننا نفديك بأنفسنا(٦) ونقتل بين يديك ، ونرد موردك فقبح الله العيش بعدك(٧) .

قال : ثم قام مسلم بن عوسجة الأسدي وقال : يابن بنت رسول الله ! نحن عليك هكذا ، وننصرف وقد أحاط بك الأعداء ! لا والله لا يراني الله أفعل ذلك أبداً حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضاربهم(٨) بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ! ووالله لو لم يكن معي سلاح(٩) أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة أبداً ، ولم أفارقهم أو أموت بين يديك ! . قال : ثم قام إليه جماعة كلهم(١٠) على نصرته وقالوا : نفديك أنفسنا .

---

(١) الطبري ٥ / ٤١٨ على أن أكرمتنا بالنبوة .
(٢) الطبري : وفقهتنا .
(٣) الطبري : لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي .
(٤) زيادة عن الطبري ٥ / ٤١٩ .
(٥) الطبري : ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي .
(٦) الطبري : تفديك أنفسنا .
(٧) عن الطبري ، والعبارة في الأصل : « فقبح والله العيش من بعدك » .
(٨) الطبري ٥ / ٤١٩ وأضربهم .
(٩) الأصل « سلاحاً » والتصويب عن الطبري .
(١٠) في الطبري ٥ / ٤١٩ قام سعيد بن عبد الله الحنفي ومما قاله : وإنما هي قتلة واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً .
ثم قام زهير بن القين ومما قاله : والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة ، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك .
وتكلم جماعة أصحابه بكلام قالوا : والله لا نفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء .

قال : وأرسل إليه الحسين رضي الله عنه بريراً[1] . فقال برير : يا عمر بن سعد ! أتترك أهل بيت النبوة يموتون عطشاً وحلت بينهم وبين الفرات أن يشربوه وتزعم أنك تعرف الله ورسوله ؟ قال : فأطرق عمر بن سعد ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال : إني والله أعلمه يا برير علماً يقيناً أن كل من قاتلهم وغصبهم على حقوقهم في النار لا محالة ، ولكن ويحك يا برير[2] ! أتشير عليّ أن أترك ولاية الري فتصير لغيري ؟ ما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبداً ؛ ثم أنشأ يقول :

دعاني عبيد الله من دون قومه ... إلى خطة فيها خرجت لحيني

فوالله لا أدري وإني لواقف ... على خطر بعظم على وسيني

أأترك ملك الريّ والريّ رغبة[3] ... أمّ أرجعُ مذموماً[4] بثأر حسينِ

وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرة عينِ

قال : فرجع برير بن حُضير إلى الحسين فقال : يابن بنت رسول الله ! إن عمر بن سعد قد رضي أن يقتلك بملك الري .

قال : فلما أيس الحسين من القوم وعلم أنهم قاتلوه أقبل على أصحابه فقال : قوموا فاحفروا لنا حفيرة حول عسكرنا هذا شبه الخندق وأججوا فيه ناراً ، حتى يكون قتال القوم من وجه واحد لا نقاتلهم ولا يقاتلون فنشتغل بحربهم ولا نضيع الحرم قال : فوثب القوم من كل ناحية وتعاونوا وحفروا خندقاً ، ثم جمعوا الشوك والحطب وألقوه في الخندق وأججوا فيه النار . وأقبل رجل من معسكر عمر بن سعد يقال له مالك[5] بن حوزة على فرس له حتى وقف عند الخندق وجعل ينادي : أبشر يا حسين ! فقد تلفحك النار في الدنيا قبل الآخرة[6] ! فقال له الحسين : كذبت يا عدو الله ! إني قادم[7] على رب رحيم وشفيع مطاع ، وذلك جدي رسول الله ﷺ . ثم قال

---

(١) لعله برير بن حضير ، وورد اسمه في الطبري ٥ / ٤٢١ ممن كان مع الحسين بن علي (رض) .

(٢) بالأصل « يزيد » .

(٣) عن معجم البلدان (ري) ، وبالأصل « رقبة » .

(٤) عن معجم البلدان ، وبالأصل « مطلوباً » .

(٥) في الطبري ٥ / ٤٣٠ عبد الله .

(٦) في الطبري : « أبشر بالنار » وفي رواية أخرى فيه ٥ / ٤٢٣ أن شمر بن ذي الجوشن أقبل إلى معسكر الحسين (رض) ونادى بأعلى صوته : يا حسين ، استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة .

(٧) الطبري : أقدم .

الحسين : من هذا الرجل ؟ فقالوا : هذا مالك بن حوزة[1] ! فقال الحسين : اللّهم ! حُزْه إلى النار ، وأذقه حرها في الدنيا قبل مصيره إلى الآخرة ! قال : فلم يكن بأسرع أن شبث به الفرس فألقته في النار ، فاحترق[2] . قال : فخر الحسين لله ساجداً مطيعاً ، ثم رفع رأسه وقال : يا لها من دعوة ما كان أسرع إجابتها ! قال : ثم رفع الحسين صوته ونادى : اللّهم ! إنا أهل نبيك وذريته وقرابته ، فاقصم من ظلمنا وغصبنا حقنا ، إنك سميع مجيب .

قال : وإذا المنادي ينادي من عسكر عمر : يا جند الله اركبوا[3] ! قال : فركب الناس وساروا نحو معسكر الحسين ، والحسين في وقته ذلك جالس قد خفق رأسه[4] على ركبتيه ، وسمعت أخته زينب رضي الله عنها الصيحة والضجة ، فدنت من أخيها وحركته فقالت : يا أخي ! ألا تسمع الأصوات قد اقتربت منا ؟ قال : فرفع الحسين رأسه وقال : يا أختاه ! إني رأيت جدي في المنام وأبي علياً وفاطمة أمي وأخي الحسن عليهم السلام فقالوا : يا حسين ! إنك رائح[5] إلينا عن قريب ، وقد والله يا أختاه دنا الأمر في ذلك ، لا شك قال : فلطمت زينب وجهها وصاحت [واخيبتاه] ، فقال الحسين : مهلاً ! اسكتي ولا تصيحي فتشمت بنا الأعداء .

ثم أقبل الحسين على أخيه العباس فقال : يا أخي اركب وتقدم إلى هؤلاء القوم وسلهم عن حالهم[6] وارجع إليّ بالخبر . قال : فركب العباس في إخوته رضي الله عنهم ومعه أيضاً عشرة فوارس[7] حتى دنا من القوم ثم قال : ما شأنكم وما تريدون ؟ فقالوا : نريد أنه قد جاء الأمر من عند عبيد الله بن زياد يأمرنا أن نعرض عليكم أن تنزلوا على أمر عبيد الله بن زياد أو نلحقكم بمن سلف[8] . فقال لهم العباس : لا تعجلوا حتى أرجع إلى الحسين فأخبره بذلك[9] . قال : فوقف القوم في

---

(١) في الطبري : هذا ابن حوزة .

(٢) وفي الطبري ٥ / ٤٣٠ «فاضطرب به فرسه في جدول فوقع فيه وتعلقت رجله بالركاب، ووقع رأسه في الأرض ، ونفر الفرس ، فأخذ يمر به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى مات» .

(٣) بالأصل : « اركبي » .

(٤) الطبري : برأسه .

(٥) في الطبري ٥ / ٤١٦ إنك تروح .

(٦) في الطبري : تلقاهم فتقول لهم : ما لكم ؟ وما بدا لكم ؟ وتسألهم عما جاء بهم ؟

(٧) في الطبري : في نحو من عشرين فارساً .

(٨) الطبري : أو نناژلكم .

(٩) الطبري : فأعرض عليه ما ذكرتم .

مواضعهم ، ورجع العباس إلى الحسين فأخبره بذلك ، فأطرق الحسين ساعة ، والعباس واقف بين يديه ، وأصحاب الحسين يخاطبون أصحاب عمر[1] بن سعد ، فقال لهم حبيب بن مظاهر[2] : أما والله لبئس القوم يقدمون غداً على الله عزَّ وجلّ وعلى رسوله محمد ﷺ وقد قتلوا ذريته وأهل بيته المجتهدين[3] بالأسحار الذاكرين الله كثيراً بالليل والنهار وشيعته الأتقياء الأبرار . قال : فقال رجل من أصحاب عمر يقال له عروة[4] بن قيس : يابن مظاهر ! إنك لتزكي نفسك ما استطعت ، فقال له زهير : اتق[5] الله يابن قيس ! ولا تكن من الذين يعينون على الضلال ويقتلون النفوس الزكية الطاهرة عترة خير الأنبياء . فقال له عزرة[6] بن قيس : إنك لم تكن عندنا من شيعة أهل البيت إنما كنت عثمانياً نعرفك[7] . هؤلاء في المخاطبة والحسين مفكر في أمر نفسه وأمر الحرب والعباس واقف في حضرته .

قال : وأقبل العباس على القوم وهم وقوف فقال : يا هؤلاء ! إن أبا عبد الله يسألكم الانصراف عنه[8] في هذا اليوم حتى ينظر في هذا الأمر ، ثم يلقاكم غداً إن شاء الله تعالى . قال : فخبر القوم بهذا أميرهم عمر[9] بن سعد ، فقال للشمر بن ذي الجوشن : ما ترى من الرأي ؟ فقال : أرى رأيك أيها الأمير ! فقال عمر : إنني أحببت أن لا أكون أميراً ، قال : ثم إني أكرهت[10]. قال : وأقبل عمر على أصحابه[11] فقال : ما الذي عندكم في هذا الرأي ؟ فقال رجل من أصحابه يقال له عمرو بن الحجاج : سبحان الله العظيم ! لو كانوا من الترك والديلم وسألوا[12] هذه المنزلة لقد كان حقاً علينا [أن] نجيبهم إلى ذلك وكيف وهم آل الرسول محمد ﷺ

---

(١) بالأصل : عمرو .

(٢) بالأصل : مطهر .

(٣) بالأصل « المتهجدون » وما أثبت عن الطبري .

(٤) الطبري : عزرة .

(٥) الأصل : اتقي .

(٦) عن الطبري ، وبالأصل « عمرو » .

(٧) زيد في الطبري ٥ / ٤١٧ قال : أفلستَ تستدل بموقفي هذا أني منهم . في كلام كثير .

(٨) الطبري : أن تنصرفوا هذه العشية .

(٩) بالأصل « عبد الله » خطأ .

(١٠) الطبري : قد أردت ألا أكون .

(١١) الطبري : على الناس .

(١٢) الطبري : « ثم سألوك » وفي ابن الأثير : ثم سألوكم .

وأهله ! فقال عمر بن سعد : إنا قد أجلناهم[1] في يومنا هذا . قال : فنادى رجل من أصحاب عمر : يا شيعة الحسين بن علي ! قد أجلناكم[2] يومكم هذا إلى غد فإن استسلمتم ونزلتم على حكم الأمير وجهنا بكم إليه ؛ وإن أبيتم ناجزناكم[3] . قال : فانصرف الفريقان بعضهم من بعض .

قال : وجاء الليل فبات الحسين في الليل ساجداً راكعاً مستغفراً يدعو الله تعالى ، له دوي كدوي النحل . قال : وأقبل الشمر بن ذي الجوشن ـ لعنه الله ـ في نصف الليل ومعه جماعة من أصحابه حتى تقارب من عسكر الحسين ، والحسين قد رفع صوته وهو يتلو هذه الآية ﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم . . . ﴾[4] ـ إلى آخرها . قال : فصاح لعين[5] من أصحاب شمر بن ذي الجوشن : نحن ورب الكعبة الطيبون ، وأنتم الخبيثون وقد ميزنا منكم . قال : فقطع برير الصلاة فناداه : يا فاسق ! يا فاجر ! يا عدو الله ! أمثلك يكون من الطيبين ! ما أنت إلا بهيمة ولا تعقل ، فأبشر بالنار يوم القيامة والعذاب الأليم . قال : فصاح به شمر بن ذي الجوشن ـ لعنه الله ـ وقال : أيها المتكلم ! إن الله تبارك وتعالى قاتلك وقاتل صاحبك عن قريب ! فقال له برير : يا عدو الله ! أبالموت تخوفني ، والله إن الموت أحب إلينا من الحياة معكم ! والله لا ينال شفاعة محمد ﷺ قوم أراقوا دماء ذريته وأهل بيته . قال : وأقبل رجل من أصحاب الحسين إلى برير بن حضير فقال له : رحمك الله يا برير ! إن أبا عبد الله يقول لك : ارجع إلى موضعك ولا تخاطب القوم ، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء فلقد نصحت وأبلغت في النصح .

فلما كان وقت السحر خفق الحسين رأسه خفقة ثم استيقظ فقال : أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة ؟ قالوا : وما الذي رأيت يا بن بنت رسول الله ﷺ ؟ فقال : رأيت كأن كلاباً قد شدت عليّ تناشبني ، وفيها كلب أبقع رأيته أشدها عليّ ، وأظن الذي يتولى قتلي رجل أبقع وأبرص من هؤلاء القوم ؛ ثم إني رأيت بعد ذلك جدي

---

(١) الأصل : أحللناهم .

(٢) عن الطبري ، وبالأصل : أحللناكم .

(٣) الطبري : فلسنا تاركيكم .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٧٨ .

(٥) هو أبو حرب السبيعي عبد الله بن شهر ، وكان مضحاكاً بطالاً ، وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً كما في الطبري ٥ / ٤٢١ .

رسول الله ﷺ ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول لي : يا بني ! أنت شهيد آل محمد ! وقد استبشرت بك أهل السماوات وأهل الصفح الأعلى ، فليكن إفطارك عندي الليلة ، عجل ولا تؤخر ! فهذا أثرك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء ؛ وهذا ما رأيت وقد أزف الأمر واقترب الرحيل من هذه الدنيا ، لا شك في ذلك .

قال : وأصبح الحسين وصلى بأصحابه ، ثم قرب إليه فرسه ، فاستوى عليه وتقدم نحو القوم في نفر من أصحابه ، وبين يديه برير بن حضير[1] الهمداني ، فقال له الحسين : كلم القوم يا برير واحتج عليهم ! قال : فتقدم برير حتى وقف قريباً من القوم والقوم على بكرة قد زحفوا إليهم فقال لهم برير : يا هؤلاء ! [اتقوا الله ، فإن نسل محمد ﷺ قد أصبح بين أظهركم ، وهؤلاء] ذريته وعترته وبناته وحريمه ، فهاتوا ما الذي عندكم وما تريدون أن تصنعوا بهم ! فقالوا : نريد أن نمكن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيهم . فقال برير بن حضير : ولا تقبلون منهم إن رجعوا إلى المكان الذي أقبلوا منه يا أهل الكوفة ؟ أنسيتم كتبكم إليه وعهودكم الذي أعطيتموها من أنفسكم ؟ وأشهدتم الله عليها وكفى بالله شهيداً ؛ يا ويلكم ! دعوتم[2] أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم ، حتى إذا أتوا عليكم أسلمتموهم إلى عبيد الله بن زياد وحُلتم[3] بينهم وبين الماء الجاري ! وهو مبذول يشرب منه اليهود والنصارى والمجوس ، وترده[4] الكلاب والخنازير ، فبئس ما خلفتم محمداً ﷺ في ذريته ، ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة[5] ! ويلكم هذا الحسن والحسين سيدا أهل الجنة من الأولين والآخرين[6] .

قال : وتقدم عمر بن سعد حتى وقف قبالة الحسين على فرس له ، فاستخرج سهماً فوضعه في كبد القوس ثم قال : أيها الناس ! اشهدوا لي عند الأمير عبيد الله بن زياد أني أول من رمى بسهم إلى عسكر الحسين بن علي ! قال : فوقع السهم بين

---

(١) بالأصل « الحصين » وقد مرّ .
(٢) بالأصل : ادعيتم .
(٣) في الطبري : ٥ / ٤٢٨ : وحلأتموه ونساءه وأصيبيته وأصحابه عن ماء الفرات .
(٤) الطبري : وتمرّغ فيه خنازير السواد وكلابه .
(٥) في الطبري : يوم الظمأ ، إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه .
(٦) وردت القصة في الطبري ٥ / ٤٢٨ ونسبها للحر بن يزيد ، أحد أصحاب الحسين بن علي (رض) .

يدي الحسين ، فتنحى عنه راجعاً إلى ورائه وأقبلت السهام كأنها المطر ، فقال الحسين لأصحابه : أيها الناس ! هذه رسل القوم إليكم ، فقوموا إلى الموت الذي لا بد منه .

ذكر ابتداء الحرب بين الحسين وبين القوم

قال : فوثب أصحاب الحسين فخرجوا من باب خندقهم ، وهم يومئذ اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً ، والقوم اثنان وعشرون ألفاً لا يزيدون ولا ينقصون ، فحمل بعضهم على بعض فاقتتلوا ساعة من النهار حملة واحدة ، حتى قتل من أصحاب الحسين نيف وخمسون رجلاً ـ رحمة الله عليهم ـ . قال : فعندها ضرب الحسين بيده إلى لحيته وجعل يقول : اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا لله ولداً ، واشتد غضب الله على النصارى[1] ، واشتد غضب الله على المجوس إذ عبدت الشمس والقمر والنار من دون الله ، واشتد غضب الله على قوم اجتمعت آراؤهم على قتل ابن بنت نبيهم ، والله ما أجبتهم إلى شيء مما يريدونه أبداً حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي ، قال : ثم صاح الحسين : أما من مغيث يغيثنا لوجه الله ؟ أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله ؟

قال : فإذا الحر بن يزيد[2] الرياحي قد أقبل يركض فرسه حتى وقف بين يدي الحسين رضي الله عنه ، فقال : يابن بنت رسول الله ! كنت أول من خرج عليك ، أفتأذن لي أن أكون أول مقتول بين يديك ، لعلي أبلغ بذلك درجة الشهداء فألحق بجدك ﷺ ! فقال الحسين : يا أخي ! إن تبت كنت ممن تاب الله عليهم ، إن الله هو التواب الرحيم[3] .

ذكر الذين قتلوا بين يدي الحسين بن علي

قال فأول : من تقدم إلى قتال القوم الحر بن يزيد الرياحي وهو يقول :

إني أنا الحر ومأوى الضيفْ ... أضرب في أعراضكم بالسيفْ

---

(١) كذا ، والظاهر أن في الكلام نقصاً .

(٢) بالأصل : زيد .

(٣) زيد في الأخبار الطوال ص ٢٥٦ فأبشر ، فأنت الحر في الدنيا ، وأنت الحر في الآخرة إن شاء الله وانظر الطبري ٥ / ٤٢٨ .

عـن خيـر مـن حـل بـلاد الخيفْ أضـربـكـم ولا أرى مـن حيـفْ[1]

قال : وحمل ، ولم يزل يقاتل حتى عرق[2] فرسه فبقي راجلاً ، فجعل يقاتل وهو يقول :

إن تـنـكـروني فـأنـا ابـن الـحـر أشـجـع من ذي لـبـد هـزبـر[3]
ولـسـت بـالـجـيـاد عـنـد الكـر لـكـنـي الـوقـاف عـنـد الـفـر

ثم لم يزل يقاتل حتى قتل -رحمه الله-! فاحتمله أصحاب الحسين رضي الله عنه حتى وضعوه بين يديه وفيه رمق ، فجعل يمسح وجهه الحسين ويقول : أنت الحر ! كما سمتك أمك حرّاً ، وأنت الحر في الدنيا والآخرة . قال : ثم جعل رجل من أصحاب الحسين يقول :

لـنـعـم الـحـر حـر بـنـي ريـاح ونـعـم عـنـد مـخـتـلف الـرمـاح
ونـعـم الـحـر إذ نـادى حـسـيـن فـجـاد بـنـفـسـه عـنـد الـصـبـاح

قال : ثم برز من بعده برير بن حضير[4] الهمداني وهو يقول :

أنـا بـريـر وأبـي حـضـيـر ليس يـروع الأسـد عـنـد الـزئـر
يعـرف فينـا الخيـر أهـل الخيـر أضـربـكـم ولا أرى مـن ضـر
وذاك فعل الحر من برير

قال : ثم حمل فقاتل قتالاً شديداً وهو يقول : اقتربوا مني يا قتلة[5] المؤمنين ! اقتربوا مني يا قتلة أولاد النبيين ! اقتربوا مني يا قتلة ابن بنت نبي رب العالمين وذريته الباقين ! قال : فحمل رجل من أصحاب عبيد الله بن زياد يقال له بجير بن أوس

---

(١) في الطبري ٥ / ٤٤١ .
أضـرب فـي أعـراضـهـم بـالـسـيـف عـن خيـر مـن حـلّ منـىً والـخـيـف
(٢) كذا ، ولعله حتى عقر ، انظر الطبري ٥ / ٤٣٧ .
(٣) في الطبري ٥ / ٤٣٧ .
إن تـعـقـروا بـي فـأنـا ابـن الـحـر أشـجـع مـن ذي لـبـد هـزبـر
(٤) بالأصل : « الحصين » .
(٥) بالأصل « قبيلة » وما أثبت عن المقتل لأبي مخنف وقد صححت أينما وقعت في كلامه .

الضبي[١] فقتله ـ رحمه الله ـ ! ثم جال في الصفين وجعل يقول[٢] :

سلي تخبري عني وأنتِ ذميمة ... غداةَ حسينٍ والرماحُ شوارعُ
ألم آتِ أقصى ما كرهتِ ولم يُخِل ... عليّ غداة الروع ما أنا صانع
فجرّدتُه في عصبة ليس دينهم ... كديني وإني بعد ذاك لقانع[٣]
وقد صبروا للطعن والضرب حُسّرا ... وقد جالدوا لو أن ذلك واقع
وأبلغ عبيد الله إما لقيتَه ... بأني مطيع للخليفة سامع
قتلتُ بريراً ثم حمّلتُ نعمة ... غداة الوغى لما دعا من يقارع

قال : ثم ذكر له بعد ذلك أن بريراً كان من عباد الله الصالحين ، وجاءه ابن عم له يقال له عبيد الله بن جابر فقال له : ويلك يا بجير ! قتلت برير بن حضير[٤] فبأي وجه تلقى الله تعالى غداً[٥] ! قال : فندم حين لم ينفعه الندم ، ثم أنشأ يقول[٦] :

فلو شاء ربي ما شهدت قتالهم ... ولا جعل النعماء عند ابن جابر
لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبة ... يعيره الأبناء عند المعاشر
فيا ليت أني كنت في الحرب حفنة ... ويوم حسين كنت في رمس[٧] قابر
فيا سوءتا ماذا أقول لخالقي ... وما حجتي يوم الحساب القماطر[٨]

---

(١) هو كعب بن جابر بن عمرو الأزدي .

(٢) نسبت الأبيات في الطبري إلى كعب بن جابر ٥ / ٤٣٣ .

(٣) قبله في الطبري :

معي يزني لم تخنه كعوبه ... وأبيض مخشوب الغرارين قاطع

وبعده في الطبري :

ولم ترعيني مثلهم في زمانهم ... ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع
أشد قراعاً بالسيوف لدى الوغى ... ألا كل من يحمي الذمار مقارع

(٤) بالأصل : حصين .

(٥) في الطبري ٥ / ٤٣٢ وبعد أن رجع كعب بن جابر بعدما قتل بريراً : « قالت له امرأته أو أخته النوار بنت جابر أعنت على ابن فاطمة ، وقتلت سيد القراء ، لقد أتيت عظيماً من الأمر . . » .

(٦) في الطبري ٥ / ٤٣٣ : « أن رضي بن منقذ العبدي رد بعدُ على كعب بن جابر جواب قوله » والأبيات في الطبري ، باختلاف بعض الألفاظ .

(٧) عن الطبري ، وبالأصل « الرمس » .

(٨) سقط من الطبري .

قال : ثم خرج وهب بن عبد الله بن عمير[1] الكلبي ، وقد كانت معه أمه[2] يومئذ ، فقالت له أمه : قم يا بني فانصر ابن بنت نبيك محمد ﷺ ! فقال : أفعل ذلك يا أماه ولا أقصر إن شاء الله تعالى . قال : ثم خرج إلى القوم وهو يقول :

إن تنكروني فأنا ابن الكلب سوف تروني وترون ضربي
وحملتي وصولتي في الحرب أدرك ثأري بعد ثأر صحبي
فأدفع الكرب إما إلى الكرب ليس جهادي في الوغى باللعب[3]

ثم حمل ولم يزل يقتل حتى قتل منهم جماعة ، ورجع إلى أمه وامرأته ، ورجع إلى أمه وقال : أرضيت أم لا ؟ فقالت أمه : لا ما رضيت حتى تقتل بين يدي مولاك الحسين . قال : فقالت له المرأة : أسألك بالله أن لا تفجعني في نفسك ، فقالت له أمه : لا تقبل قولها وارجع إلى مكانك وقاتل بين يدي مولاك وابن بنت نبيك محمد ﷺ ليكون غداً في القيامة ممن يشفع لك عند ربك[4] ! فقام وهب بن عبد الله[5] وهو يقول :

إني زعيم لك أم وهب بالطعن فيهم تارة والضرب
ضرب غلام مؤمن بالرب حتى يذوق القوم مسّ الحرب
إني امرؤ ذو نجدة وعصب حسبي قتيلي من عُليم حسبي[6]

ثم حمل ولم يزل يقاتل حتى قطعت يمينه ، ثم قاتل حتى قطعت شماله ، ثم

---

(١) عن الطبري ٥ / ٤٢٩ وفي الأصل « حباب » وفي البداية والنهاية ٨ / ١٩٦ « نمير » وفي المصدرين : عبد الله وليس « وهب » .

(٢) في الطبري والبداية والنهاية : امرأته ، وهي من النمر بن قاسط يقال لها أم وهب بنت عبد . . انظر قصته مطولاً في الطبري ٥ / ٤٢٩ .

(٣) الأرجاز في الطبري :

إن تنكروني فأنا ابن الكلب حسبي بيتي في عليم حسبي
إني امرؤ ذو مرة وعصب ولست بالخوار عند النكب
إني زعيم لك أم وهب بالطعن فيهم مقدماً والضرب
ضرب غلام مؤمن بالرب

(٤) لم يرد في الطبري ذكر لأمه ، إنما ورد فيه أن امرأته أم وهب أخذت عموداً وأقبلت نحوه ، وجعلت تحرضه على القتال وتقاتل معه ، إلى أن ناداها الحسين بن علي (رض) وأعادها إلى المعسكر وبقيت فيه مع النساء ٥ / ٤٣٠ .

(٥) كذا . وانظر الأرجاز في الطبري .

(٦) الطبري : حسبي بيتي .

قتل - رحمه الله - .

ثم برز من بعده عمرو بن خالد الأزدي وهو يقول :

اليوم يا نفس إلى الرحمٰن تمضين بالروح وبالريحان
اليوم تجزين على الإحسان
قد كان منك غابر الزمان ما خط في اللوح لدى الديان
لا تجزعي فكل حي فان
والصبر أحظى لك بالأمان يا معشر الأزد بني قحطان
كونوا لدى الحرب كأسد حفان

قال : ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله - .

ثم تقدم من بعده ابنه خالد وهو يقول :

صبراً على الموت بني قطحان كيما تكونوا في رضى الرحمن
ذي المجد والعزة والبرهان وذي العلى والطول والإحسان
بأننا قد صرن في الجنان وفي قصور حسن البنيان

قال : ثم حمل ولم يزل يقاتل حتى قتل - رحمه الله - .

ثم تقدم من بعده شعبة بن حنظلة التميمي وهو يقول :

صبراً على الأسياف والأسنة صبراً عليها لدخول الجنه
وحور عين ناعمات حسنه لمن يريد الفوز لا بالظنه
يا نفس للراحة فاحمدنه وفي طلاب الخير فارغبنه

قال : ثم حمل وقاتل قتالاً شديداً حتى قتل - رحمه الله - .

وخرج من بعده آخر يقال له عمرو بن عبد الله المذحجي وهو يرتجز ويقول :

قد علمت سعد وحي مذحج أني لدى الهيجاء غير مخرج
علوا بسيفي هامة المدحج واترك القرن لدى التعرج
فريسة الضبع الأخيل الأعوج

قال : ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله - .

ثم تقدم مسلم بن عوسجة الأسدي وهو يقول :

إن تسألوا عني فإني ذو لبد　　من فرع قوم من ذرى بني أسد
فمن تعامى حائد عن الرشد　　وكافر بدين جبار صمد

قال : ثم حمل فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل ـ رحمه الله[1] ـ .

وخرج من بعده عبد الرحمن بن عبد الله اليزني وهو يقول :

أنا ابن عبد الله من آل يزن　　ديني على دين حسين وحسن
أضربكم ضرب فتى من اليمن　　أرجو بذاك الفوز عند المؤتمن

ثم حمل فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده يحيى بن سليم المازني وهو يقول :

لأضربن القوم ضرباً فيصلا　　ضرباً شديداً في الغداة معجلا
لا عاجزاً فيها ولا مُوَلْولا　　ولا أخاف اليوم موتاً مقبلا
لكنني كالليث أحمي أشبلا

ثم حمل فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ .

ثم خرج من بعده قرة بن أبي قرة الغفاري وهو يقول :

قد علمت حقاً بنو[2] غفار　　وخندف بعد بني نزار
بأنني الليث لدى الغبار　　لأضربن[3] معشر الفجار
بكل عضب ذكر[4] بتار　　ضرباً وحتفاً عن بني الأخيار
رهط النبي السادة الأبرار[5]

---

(١) قتله مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي كما في الطبري ٤٣٦/٥ وفيه أنه لما صرع مشى إليه الحسين فإذا به رمق ، فقال : رحمك ربك يا مسلم .
وقال له حبيب بن مظاهر : عزعليّ مصرعك يا مسلم ، أبشر بالجنة ، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً : بشرك الله بخير وفيه أيضاً أنه لما تنادى أصحاب عمرو بن الحجاج : قتلنا مسلم بن عوسجة . قال شبث بن ربعي : أما والذي أسلمت له لرب موقف له قد رأيته في المسلمين كريم ، لقد رأيته يوم سلق آذربيجان قتل ستة من المشركين . . . أفيقتل منكم مثله وتفرحون ؟ .

(٢) عن الطبري ، وبالأصل « بني » .

(٣) في الطبري : لنضربن .

(٤) الطبري : صارم .

(٥) الأرجاز في الطبري ٥ / ٤٤٢ والبداية والنهاية ٨ / ٢٠١ ونسبا فيهما الفتى غفاري ، قال الطبري في قصته : ٥ / =

ثم حمل فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ .

ثم خرج من بعده مالك بن أنس الباهلي وهو يرتجز ويقول :

قد علمت مالك وذودان ... والخندفيون ومن قيس غيلان
بأن قومي آفة الأقران ... لدى الوغى وسادة الفرسان[1]
فباشروا الموت بطعن آن ... لسنا نرى العجز عن الطعان
آل عليّ شيعة الرحمن ... آل زياد شيعة الشيطان

ثم حمل فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده عمرو بن مطاع الجعفي وهو يقول :

أنا ابن جعف وأبي مطاع ... وفي يميني مرهف قطاع
وأسمر في رأسه لمّاع ... ترى له من ضوئه شعاع[2]
اليوم قد طاب لنا القراع ... دون حسين الضرب والنطاع
نرجىء بذاك الفوز والرفاع ... عن حر نار حين لا امتناع

ثم حمل فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ . وخرج من بعده حبيب بن مظاهر الأسدي وهو يرتجز ويقول :

أنا حبيب (و)[3] أبي مظاهرُ[4] ... فارس هيجاء وحربٍ تُسعَرُ
أنتم أعدّ عُدّة وأكثر ... ونحن أعلى حجةً وأقهر[5]
(و) أنتم عند الوفاء أغدر[6] ... ونحن أوفى منكم وأصبر

= ٤٤٢ فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا . . . تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه ، فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزرة (في ابن الأثير : عروة) الغفاريان . . . أحببنا أن نقتل بين يديك ، نمنعك وندفع عنك ، قال : مرحباً بكما ، ادنوَا مني فَدَنَيا منه فجعلا يقاتلان قريباً منه وأحدهما يقول » وذكر الأرجاز باختلاف في بعض الأشطار .

(١) في المقتل : يا قوم كونوا كأسود الجان .

(٢) مكانها في المقتل :

كأنه من لمعه شعاع ... ادنوا فقد طاب لنا القراع
دون الحسين الضرب والقراع ... صلى عليه الملك المطاع

(٣) زيادة عن الطبري ٥ / ٤٣٩ .

(٤) عن الطبري وبالأصل « مطهر » .

(٥) في الطبري : وأظهرُ .

(٦) الرجز في الطبري : حقاً وأتقى منكم وأعذر .

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ[1] .

وخرج من بعده حُويّ مولى أبي[2] ذر الغفاري وكان أسود فجعل يرتجز ويقول :

كيف ترى الفجار ضرب الأسود بالمشرفي القاطع المهنّدِ
بالسيف صلنا عن نبي محمد أذب عنه باللسان واليد
أرجو بذاك الفوز يوم المورد من الإله الواحد الموحّد[3]
إذ لا شفيع عنده كأحمد

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده أنيس بن معقل الأصبحي وهو يرتجز ويقول :

أنا أنيس وأنا ابن معقلِ وفي يميني نصل سيف مصقلِ
أضرب به في الحرب حتى ينجلي أعل به الهامات وسط القسطلي
من الحسين الماجد المفضل ابن رسول الله خير مرسل

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده يزيد بن [زياد بن ـ][4] المهاصر الجعفي[5] وهو يقول :

أنا يزيدٌ وأبي مُهاصِرْ ليث عبوس في العرين جاذر[6]
يا رب إني للحسين ناصر ولابن سعد تارك وهاجر
وابن زياد خاذل وغادر وللأعادي مبغض ونافر
وكلهم إلى الجحيم صائر

---

(١) طعنه رجل من بني تميم ، ثم ضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف . ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه . ولما كان زمن مصعب بن الزبير ، وفي غزوة باجميرا قتله ابن حبيب القاسم . (عن الطبري ٥ / ٤٤٠) .

(٢) بالأصل : أبو .

(٣) الرجز في المقتل :

عند الوصي والشفيع الأمجد

(٤) عن الطبري ، وهو أبو الشعثاء الكندي ٥ / ٤٤٥ .

(٥) في الطبري ٥ / ٤٤٥ الكندي ، من بني بهدلة . وفي البداية والنهاية ٨ / ٢٠١ الكناني .

(٦) في الطبري : أشجع من ليث بغيل خادر .

قال : ثم حمل فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ[1] .

وخرج من بعده الحجاج بن مسروق وهو يقول :

[أقدم هديتَ هادياً مهديّا فاليوم تلقى جدّك النبيّا
ثم أباك ذا الندى عليّا ذاك الذي نعرفه وصيا
والحسن الخير التقي الوفيا[2] وذا الجناحين الفتى الكميا
وأسد الله الشهيدَ الحيّا][3]

ثم حمل فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده سعيد بن عبد الله الحنفي وهو يقول :

أقدم حسين اليوم تلقى أحمدا وشيخك الخير علياً ذا الندى
وحسناً كالبدر وافى الأسعدا وعمك القرن الهجان الأصيدا
وذو الجناحين هنوا وسعدا وحمزة الليث الهزبر الأسدا
في جنة الفردوس يعلو أصعدا

ثم حمل فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده زهير بن القين البجلي وهو يرتجز ويقول :

[أنا زهير وأنا ابن القينِ أذودكم[4] بالسيف عن حسين
إن حسيناً أحد السبطين من عترة البر التقي الزين
ذاك رسول الله غير المين أضربكم ولا أرى من شين]

ثم حمل ولم يزل يقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ[5] .

وخرج من بعده هلال بن رافع البجلي[6] وجعل يرميهم بالسهام وهو يقول :

---

(١) قال في الطبري أن أبا الشعثاء كان ممن خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين ، فلما ردوا الشروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قتل .

(٢) في الطبري ٥ / ٤٤١ : وحسناً والمرتضى علياً .

(٣) نسبت الأرجاز في الطبري والبداية والنهاية إلى زهير بن القين .

(٤) في الطبري ٥ / ٤٤١ « أذودهم » وفي البداية والنهاية ٨ / ١٩٩ فكالأصل .

(٥) في الطبري : شد عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه .

(٦) في الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية : نافع بن هلال الجملي .

[أرمي بها معلمة[1] أفواقها والنفس لا ينفعها أسواقها
مسمومة تجري لها أحقابها لتملأن أرضها رشاقها]

قال : ثم لم يزل يرميهم حتى فنيت سهامه ، ثم ضرب بيده إلى سيفه وجعل يقول :

[أنا الغلام التمي البجلي ديني على دين حسين بن علي[2]
إن أقتل اليوم وهذا عملي وذاك رأيي أو ألاقي أملي]

ثم حمل فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ[3] .

ثم خرج من بعده جنادة بن الحارث الأنصاري وهو يقول :

[أنا جناد وأنا ابن الحارث لست بخوّار ولا بناكث
عن بيعتي حتى ترى موارث اليوم سلوي في الصعيد ماكث]

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده ابنه عمرو بن جنادة وهو يقول :

[أصف الخناق من ابن هند وارمه من عامه لفوارس الأنصارِ
ومهاجرين مخضبين رماحهم تحت العجاجة من دم الكفار
حسنت على عهد النبي محمد فاليوم تخضب من دم الفجار
واليوم تخضب من دماء أراذل رفض القرآن لنصرة الأقدار
طلبوا بثأرهم ببدر إذ أتوا بالمرهفات وبالقنا القتار
والله ربي لا أزال مضارباً في الفاسقين بمرهف بتار
هذا على الأزدي حق واجب في كل يوم تعانق وكرار]

وهذه تسمية من قتل بين يدي الحسين من ولده وإخوانه وبني عمه رضي الله عنهم

كان أول من خرج منهم عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وهو يقول :

---

(١) في البداية والنهاية ٨ / ١٩٩ معلماً .
(٢) في الطبري والبداية والنهاية : أنا الجملي ، أنا على دين علي .
(٣) أخذ أسيراً ، بعدما قتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد ، وقتله شمر بن ذي الجوشن كما في الطبري ٥ / ٤٤٢ .

[اليوم ألقى مسلماً وهو أبي وفتيةً ماتوا على دين النبي
ليس كقوم عرفوا بالكذب لكن خيار وكرام النسب
من هاشم السادات أهل الحسب]

ثم حمل فقاتل حتى قتل منهم جماعة وقتل[1] ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده جعفر بن عقيل بن أبي طالب وهو يقول :

[أنا الغلام الأبطحي الطالب من معشر في هاشم وغالب
ونحن حقاً سادة الذوائب هذا حسين سيد الأطائب]

ثم حمل فقاتل حتى قتل[2] ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده أخوه عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وهو يرتجز ويقول :

[أبي عقيل فاعرفوا مكاني من هاشم وهاشم إخواني
كهول صدق سادة القرآن هذا حسين شامخ البنيان]

فقاتل حتى قتل[3] ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده أخوه محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو يقول :

[نشكو إلى الله من العدوان فعال قوم في الردى عميان
قد بدلوا معالم الفرقان ومحكم التنزيل والتبيان
وأظهروا الكفر مع الطغيان]

فقاتل حتى قتل[4] ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده أخوه عون[5] بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو يقول :

---

(١) قتله عمرو بن صبيح الصدائي كما في الطبري ٥ / ٤٤٧ وفي الأخبار الطوال ص ٢٥٧ عمرو بن صبح الصيداوي . رماه عمرو بسهم فوضع كفه على جبهته فأخذ لا يستطيع أن يحرك كفيه ثم انتحى له بسهم آخر ففلق قلبه .

(٢) قتله عبد الله بن عزرة (ابن الأثير : عروة) الخثعمي كما في الطبري وابن الأثير . وقد ورد ذكر قتله فيهما بعد أخيه عبد الرحمن .

(٣) شد عليه عثمان بن أسير الجهني وبشر بن سوط الهمداني ثم القابضي فقتلاه (الطبري) . وفي الأخبار الطوال أن الذي رماه عبد الله بن عروة الخثعمي .

(٤) قتله عامر بن نهشل التيمي كما في الطبري .

(٥) بالأصل « عور » وقد مرّ ذكره مع أخيه محمد وكان أبوهما عبد الله بن جعفر قد أرسل معهما كتاباً إلى الحسين قبل خروجه من مكة فبقيا معه وانضما إليه عند خروجه .

[إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان الزهر
نطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً من معشر]

ثم حمل فقاتل حتى قتل[1] ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده عبد الله بن الحسن[2] بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكأنّ على وجهه شقة قمر ، وعليه يومئذ قميص وإزار ، وفي يده سيف له حسام قاطع ، وهو يرتجز ويقول :

إن تنكروني فأنا فرع الحسن سبط النبي المصطفى والمؤتمن
هذا حسين كأسير مرتهن بين أناس لاسقوا صوب المزن

فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ .

قال : فصاح الحسين : صبراً يا بني ! وصبراً يا أهل بيتي ! فوالله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً . قال : ثم تقدم إخوة الحسين عازمين على أن يموتوا من دونه ، فأول من تقدم أبو بكر بن علي ـ واسمه عبد الله ، وأمه ليلى بنت مسعود بن خالد الربعي التميمية ـ فتقدم وهو يقول :

شيخي عليٌّ ذو الفخار الأطول من هاشم الخير الكريم المفضل
هذا حسين ابن النبي المرسل عنه نحامي بالحسام المصقل
تفديه نفسي من أخ مبجل يا رب فامنحني ثواب المنزل

قال : فحمل عليه رجل من أصحاب عمر[3] بن سعد يقال له زحر بن بدر النخعي فقتله[4] ـ رحمه الله ـ .

فخرج من بعده أخوه عمر[5] بن علي فجعل يقول :

---

(١) قتله عبد الله بن قطبة الطائي ثم النبهاني .

(٢) بالأصل : « الحسين » وما أثبت عن مروج الذهب ٣ / ٧٦ .

(٣) الأصل : عمرو .

(٤) قال ابن الأثير : وقد شك في قتله ، ولم يذكره المسعودي فيمن قتل مع الحسين من إخوته . وورد في الأخبار الطوال : أبو بكر بن الحسن بن علي ومثله في مروج الذهب ، وأمه أم ولد ، وقد قتله عبد الله بن عقبة الغنوي .

(٥) بالأصل : « عمرو » وما أثبت عن جمهرة أنساب العرب وفيه : أمه الصهباء بنت ربيعة بن بجير التغلبية .
ولم يرد اسمه في الطبري ولا مروج الذهب ولا الأخبار الطوال ولا ابن الأثير .

[أضربكم ولا أرى فيكم زحر ذاك الشقي بالنبي من كفر
يا زحر يا زحر بل آن من عمر لعلك اليوم تبوء من سقر
شر مكان من حريق وسعر لأنك الجاحد يا شر البشر]

قال : ثم حمل على قاتل أخيه فقتله ، واستقبل القوم فجعل يضرب فيهم بسيفه ضرباً منكراً وهو يرتجز ويقول :

[خلوا عداة الله خلوا عن عمر خلوا عن الليث العبوس المكفهر
يضربكم بسيفه ولا يفر وليس فيها كالجبان المستجر]

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده أخوه عثمان بن علي ـ وأمه أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كلاب العامرية ـ وهو يقول :

[إني أنا عثمان ذو المفاخر شيخي عليّ ذو الفعال الطاهر
وابن عمّ النبيّ الطاهر أخو حسين خيرة الأخائر
وسيد الكبار والأصاغر بعد الرسول والوصيّ الناصر]

فقاتل حتى قتل[1] ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده أخوه جعفر بن علي بن أبي طالب ـ وأمه أم البنين بنت حزام ـ فجعل يرتجز ويقول :

إني أنا جعفر ذو المعالي ابن عليّ الخير ذو النوال
أخي حسين ذو[2] الندى المفضال

ثم حمل فقاتل حتى قتل[3] ـ رحمه الله ـ :

ثم خرج من بعده أخوه عبد الله بن علي وهو يرتجز ويقول :

أنا ابن ذي النجدة والأفضال ذاك على الخير ذو الفعال

---

(١) رماه خولي بن يزيد بسهم فقتله قاله ابن الأثير ٢ / ٥٨١ وفي الأخبار الطوال ص٢٥٧ رماه يزيد الأصبحي بسهم فقتله . ثم خرج إليه فاحتز رأسه .

(٢) بالأصل : ذي .

(٣) قتله هانىء بن ثويب الحضرمي كما في الأخبار الطوال .

سيف رسول الله ذي النكال في كل يوم ظاهر الأهوال

ثم حمل فقاتل حتى قتل(١) ـ رحمه الله ـ .

وخرج من بعده أخوه العباس بن علي وهو يقول :

أقسمت بالله الأعز الأعظم وبالحجور صادقاً وزمزم
وذو الحطيم والفنا المحرم ليخضبنّ اليوم جسمي بالدم
أمام ذي الفضل وذي التكرّم ذاك حسين ذو(٢) الفخار الأقدم

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل من القوم جماعة وقتل(٣) ـ رحمه الله ـ .

ثم تقدم من بعده علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه وهو يومئذ ابن ثماني عشرة(٤) سنة ، فتقدم نحو القوم ورفع الحسين شيبته نحو السماء وقال : اللّهم اشهد على هؤلاء القوم ! فقد برز إليهم غلام أشبه القوم خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك محمد ﷺ ، فامنعهم بركات الأرض ، فإن متعتهم إلى حين ففرّقهم فرقاً ، واقطعهم قطعاً ، واجعلهم طرائق قِدداً ، ولا تُرض الولاة عنهم أبداً ، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا . قال : ثم صاح الحسين بعمر(٥) بن سعد فقال : ما لك قطع الله رحمك ، ولا بارك لك في أمرك(٦) ، وسلط عليك بعدي من يقتلك على فراشك ، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من محمد ﷺ . ثم رفع الحسين صوته وقرأ ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم** ﴾(٧) . قال : ثم تقدم عليّ بن الحسين بن علي عليهما السلام وهو يقول :

أنا علي بن الحسين بن علي من عصبة جدّ أبيهم النبي(٨)

---

(١) قتله هانيء بن ثويب الحضرمي أيضاً (الطبري ـ الأخبار الطوال) .
(٢) بالأصل : ذي .
(٣) قتله زيد بن رقاد الجني وحكيم بن الطفيل السنبسي (الطبري) .
(٤) بالأصل : ثمانية عشر .
(٥) الأصل : « بعمرو » .
(٦) عن المقتل ، وبالأصل « أثرك » .
(٧) سورة آل عمران الآيتان ٣٣ و٣٤ .
(٨) في الطبري ٥ / ٤٤٦ : نحن ورب البيت أولى بالنبي .
وفي مروج الذهب ٣ / ٧٦ : نحن وبيت الله أولى بالنبي .

والله لا يحكم فينا ابن الدعي أطعنكم بالرمح حتى ينثني
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي ضرب غلام علوي قرشي

ثم حمل رضي الله عنه ، فلم يزل يقاتل حتى ضجّ أهل الشام من يده ومن كثرة من قتل منهم ؛ فرجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة ، فقال : يا أبة ! العطش قد قتلني ؛ وثقل الحديد قد أجهدني ، فهل إلى شربة من الماء سبيل . قال : فبكى الحسين ثم قال : يا بني ! قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدك محمداً ﷺ فيسقيك بكأسه الأوفى ! قال : فرجع علي بن الحسين إلى الحرب وهو يقول :

الحرب قد بانت لها حقائق وظهرت من بعدها مصادق
والله رب العرش لا نفارق جموعكم أو تغمدوا البوارق

ثم حمل ، فلم يزل يقاتل حتى قتل[1] ـ رحمه الله ـ .

قال : فبقي الحسين فريداً وحيداً ليس معه ثان إلا ابنه علي رضي الله عنه وهو يومئذ ابن سبع سنين[2] ، وله ابن آخر يقال له علي في الرضاع ، فتقدم إلى باب الخيمة فقال : ناولوني ذلك الطفل حتى أودعه ! فناولوه الصبي ، فجعل يقبله وهو يقول : يا بني ! ويل لهؤلاء القوم إذ كان غداً خصمهم جدك محمد ﷺ . قال : وإذا بسهم قد أقبل حتى وقع في لبة الصبي قتله[3] ، فنزل الحسين رضي الله عنه عن فرسه وحفر له بطرف السيف ورماه بدمه وصلى عليه ودفنه ، ثم وثب قائماً وهو يقول[4] :

[كفر القوم وقدماً رغبوا عن ثواب الله رب الثقلينِ
قاتلوا قدماً علياً وابنه حسن الخير كريم الأبوين

---

(١) في الطبري وابن الأثير ومروج الذهب والبداية والنهاية والأخبار الطوال : أن علي بن الحسين (علي الأكبر) وأمه ليلى ابنة مرة بن عروة بن مسعود الثقفي كان أول من قاتل من بني هاشم ، وهو أول قتيل منهم بين يدي أبيه الحسين ، اعترضه مرة بن منقذ بن النعمان العبدي فطعنه فصرع وقطعه الناس بسيوفهم .
وفي الطبري : سمع الحسين يقول بعد مقتل علي : قتل الله قوماً قتلوك يا بني ! ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول ! على الدنيا بعدك العفاء .
(٢) في نسب قريش : ابن ثلاث وعشرين سنة وكان مريضاً .
(٣) واسمه عبد الله رماه رجل من بني أسد فذبحه كما في ابن الأثير . وفي البداية والنهاية : يقال له : ابن موقد النار .
(٤) الأبيات في كشف الغمة باختلاف بعض الألفاظ .

حسداً منهم وقالوا أجمعوا — نقتل الآن جميعاً للحسين
يا لقوم من أناس رذل — جمعوا الجمع لأهل الحرمين
ثم ساروا وتواصوا كلهم — باحتياجي لرضاء الملحدين
لم يخافوا الله في سفك دمي — لعبيد الله نسل الكافرين
وابن سعد قد رماني عنوة — بجنود كوكود الهاطلين
لا لشيء كان منّي قبل ذا — غير فخري بضياء الفرقدين
بعلي الخير من بعد النبي — والنبي القرشي الوالدين
خيرة الله من الخلق أبي — بعد جدي فأنا ابن الخيرتين
فضة قد خلصت من ذهب — فأنا الفضة وابن الذهبين
من له جد كجدي في الورى — أو كشيخي وأنا ابن القمرين
فاطم الزهراء أمي وأبي — قاصم الكفر ببدر وحنين
وله في يوم أحد وقعة — شفت الغل بفض العسكرين
ثم بالأحزاب والفتح معاً — كان فيها حتف أهل الثقلين
في سبيل الله ماذا صنعت — أمة السوء معاً بالفرقدين
عترة البر النبي المصطفى — وعلى الورد يوم الجحفلين]

قال : ثم استوى الحسين على فرسه ، وتقدم حتى واجه القوم وقال : يا أهل الكوفة ! قبحاً لكم وترحاً ، وبؤساً لكم وتعساً ، استصرختمونا والهين فأتيناكم موجبين فشحذتم علينا سيفاً كان في أيماننا ، وجئتم علينا ناراً نحن أضرمناها على عدوكم وعدونا ، فأصبحتم وقد آثرتم العداوة على الصلح من غير ذنب كان منا إليكم ، وقد أسرعتم إلينا بالعناد ، وتركتم بيعتنا رغبة في الفساد ، ثم نقضتموها سفهاً وضلة لطواغيت الأمة وبقية الأحزاب ونبذة الكتاب ، ثم أنتم هؤلاء تتخاذلون عنا وتقتلونا ، ألا ! لعنة الله على الظالمين .

قال : ثم تقدم الحسين حتى وقف قبالة القوم وسيفه مصلت في يده وأنشأ من نفسه عازماً على الموت وهو يقول :

أنا ابن عليّ الخير من آل هاشم — كفاني بهذا مفخر حين أفخر
وجدي رسول الله أكرم من مشى — ونحن سراج الله في الخلق يزهر
وفاطمة أمي سلالة أحمد — وعمي يدعى ذا[1] الجناحين جعفر

(١) بالأصل : ذو .

وفينا كتاب الله أنزل صادقاً ... وفينا الهدى والوحي والخير[1] يذكر
ونحن أمان الأرض للناس كلهم ... نصول بهذا في الأنام ونفخر
ونحن ولاة الحوض نسقي ولاتنا ... بكأس رسول الله ما ليس ينكر
وشيعتنا في الناس أكرم شيعة ... ومبغضنا يوم القيامة يخسر

قال ، ثم إنه دعا إلى البراز فلم يزل يقتل كل من خرج إليه من عيون الرجال حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ، قال : وتقدم الشمر بن ذي الجوشن ـ لعنه الله ـ في قبيلة عظيمة ، فقاتلهم الحسين بأجمعهم وقاتلوه حتى حالوا بينه وبين رحله ؛ قال : فصاح بهم الحسين رضي الله عنه : ويحكم[2] يا شيعة آل سفيان ! إن لم يكن دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه ، وارجعوا إلى أحسابكم[3] إن كنتم أعواناً [كما] تزعمون . قال : فناداه الشمر بن ذي الجوشن ـ لعنه الله ـ : ماذا تقول يا حسين ؟ قال : أقول أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني ، والنساء ليس لكم عليهن[4] جناح فامنعوا[5] عتاتكم وطغاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً ! فقال الشمر : لك ذلك يابن فاطمة ! قال : ثم صاح الشمر بأصحابه وقال : إليكم عن حريم الرجل واقصدوه في نفسه فلعمري إنه لكفوء كريم .

قال : فحمل عليه القوم بالحرب ، فلم يزل يحمل عليهم ويحملون[6] عليه وهو في ذلك يطلب الماء ليشرب منه شربة ، فكلما حمل بنفسه على الفرات حملوا عليه حتى أحالوه عن الماء ، ثم رمى رجل منهم بسهم يكنى أبا الجنوب[7] الجعفي فوقع السهم في جبهته[8] فنزع الحسين السهم فرمى به وسالت الدماء على وجهه ولحيته ، فقال الحسين رضي الله عنه : اللّهم ! إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة الطغاة[9] ، اللّهم ! فأحصهم عدداً، واقتلهم

---

(1) بالاصل : بالخير .
(2) الطبري ٥ / ٤٥٠ ويلكم .
(3) الطبري : فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي احساب .
(4) بالأصل : عليهم .
(5) الطبري : امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهالكم .
(6) بالأصل : ويحملوا .
(7) عن الطبري ٥ / ٤٥٠ وبالأصل « أبا الحتوف » واسمه عبد الرحمن الجعفي .
(8) في الطبري : في فمه . وفي ابن الأثير ٢ / ٥٧١ والبداية والنهاية ٨ / ٢٠٣ أن الذي رماه حصين بن نمير في حنكه ، قال ابن الأثير : وقيل إن الذي رماه رجل من بني أبان بن دارم .
(9) في الطبري وابن الأثير : اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك .

مدداً[1] ، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً ، ولا تغفر لهم أبداً .

قال : ثم حمل عليهم كالليث المغضب ، فجعل لا يلحق منهم أحد إلا لفحه بسيفه لفحة ألحقه بالأرض والسهام تقصده من كل ناحية وهو يتلقاها بصدره ونحره وهو يقول[2] : يا أمة السوء ! فبئس ما أخلفتم محمداً في أمته وعترته ، أما إنكم لن تقتلوا[2] بعدي عبداً من عباد[3] الله فتأهبوا قتله بل يهون عليكم عند قتلكم إياي ، وأيم الله ! إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون . قال : فصاح به الحصين بن نمير[4] السكوني فقال : يابن فاطمة ! وبماذا ينتقم لك منا ؟ قال : يلقي بأسكم بينكم ويسفك دماءكم ثم[5] يصب عليكم العذاب صباً . قال : فصاح الشمر بن ذي الجوشن ـ لعنه الله ـ بأصحابه فقال : ما وقوفكم وماذا تنتظرون بالرجل[6] وقد أوثقته السهام ؟ احملوا عليه ، ثكلتكم أمهاتكم ! قال : فحملوا عليه من كل جانب ، قال : وأوثقته الجراح بالسيوف فضربه رجل يقال له زرعة بن شريك التميمي ـ لعنه الله ـ ضربة على يده اليسرى ، وضربه عمرو بن طلحة الجعفي[7] ـ لعنه الله ـ على حبل عاتقه من ورائه ضربة منكرة ، ورماه سنان بن أنس[8] النخعي ـ لعنه الله ـ بسهم ، فوقع السهم في نحره ، وطعنه صالح بن وهب اليزني[9] ـ لعنه الله ـ طعنة في خاصرته ، فسقط الحسين رضي الله عنه عن فرسه إلى الأرض واستوى قاعداً ونزع السهم من نحره وأقرن كفيه فكلما امتلأتا[10] من دمه خضب به رأسه ولحيته وهو يقول : هكذا حتى ألقى ربي بدمي مغصوباً على حقي ! قال : وأقبل عمر[11] بن سعد حتى وقف عليه وقال لأصحابه : انزلوا إليه فخذوا

---

(١) في الطبري وابن الأثير وابن كثير : بددا .
(٢) في الطبري ٥ / ٤٥٢ : أعلى قتلي تحاثون ، أما والله لا تقتلون .
(٣) بالأصل : عبيد .
(٤) بالأصل « مالك » وما أثبت عن الطبري .
(٥) الطبري : ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم .
(٦) وكان قد مكث طويلاً من النهار ، وكان الناس يتقون بعضهم ببعض بقتله ، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء .
(٧) في الطبري ٥ / ٤٥٠ القشعم بن عمرو بن يزيد الجعفي .
(٨) في الطبري : سنان بن أنس بن عمرو النخعي .
(٩) في الأصل « المزني » وما أثبت عن الطبري .
(١٠) بالأصل : امتلئا .
(١١) بالأصل : عمرو .

رأسه ! قال : فنزل إليه نصر بن خرشبة الضبابي ـ لعنه الله ـ وكان أبرص فضربه برجله فألقاه على قفاه ثم أخذ بلحيته ، فقال له الحسين : أنت الأبقع الذي رأيتك في منامي ، قال : أو تشبهني بالكلاب يابن فاطمة ! قال : ثم جعل يضرب بسيفه ـ لعنه الله ـ على مذبح الحسين وهو يقول :

أقتلك اليوم ونفسي تعلم   علماً يقيناً ليس فيه مرغم
ولا محال لا ولا تأثم   إن أباك خير من تكلم

قال : فغضب عمر[1] بن سعد ثم قال لرجل : انزل أنت إلى الحسين فأرحه ! قال : فنزل إليه خولي بن يزيد الأصبحي ـ لعنه الله ـ فاحتز رأسه[2] .

وتقدم إليه رجل من بني تميم يقال له الأسود بن حنظلة ـ لعنه الله ـ وأخذ سيفه ، وتقدم إليه جعفر بن الوبر الحضرمي ـ لعنه الله ـ فأخذ قميصه فلبسه فصار أبرص وأسقط شعره ، وأخذ سراويله يحيى بن عمرو الحرمي فلبسه فصار زمناً مقعداً من رجليه ، وأخذ عمامته جابر بن زيد الأزدي فاعتم بها فصار مجذوماً ، وأخذ درعه مالك بن بشر الكندي فلبسه فصار معتوهاً[3] .

قال : وارتفعت في ذلك الوقت غبرة شديدة سوداء مظلمة ، فيها ريح أحمر لا يرى فيها أثر عين ولا قدم حتى ظن القوم أن قد نزل بهم العذاب ، فبقوا كذلك ساعة ثم انجلت عنهم .

قال : وأقبل بعد ذلك فرس الحسين وكان قبل ذلك غار من بين أيديهم أن لا يؤخذ ، فوضع رأسه في دم الحسين رضي الله عنه وأقبل يركض إلى خيمة النساء وهو يصهل . قال : فلما نظر أخوات الحسين إليه وبناته وأهل بيته رضوان الله عليهم إلى

---

(١) بالأصل : عمرو .

(٢) العبارة في الطبري ٤٥٣/٥ : «وبعد أن طعنه سنان بن أنس بالرمح : قال لخولي بن يزيد الأصبحي : احتز رأسه ، فأراد أن يفعل فضعف وأرعد ، فقال له سنان : فتّ الله عضديك ، وأبان يديك ، فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه ثم دفعه إلى خولي بن يزيد » انظر مروج الذهب وابن الأثير والبداية والنهاية . وفي الأخبار الطوال ص ٢٥٨ احتز رأسه شبل بن يزيد أخو خولي .

(٣) في الطبري ٥ / ٤٥٣ وابن الأثير ٢ / ٥٧٢ : « وسلب الحسين ما كان عليه ، فأخذ سراويله بحر بن كعب ، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وكانت من خز ، وكان يسمى بعد قيس قطيفة . وأخذ نعليه رجل من بني أود يقال له الأسود وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم . . ومال الناس على الورس (ابن الأثير : الفرش) والحلل والابل فانتهبوها » وانظر البداية والنهاية ٨ / ٢٠٥ والأخبار الطوال ص ٢٥٨ .

الفرس وليس عليه أحد رفعوا أصواتهم بالصراخ والعويل ، وأقبل القوم حتى أحدقوا بالخيمة ، وأقبل الشمر بن ذي الجوشن ـ لعنه الله ـ حتى وقف قريباً من خيمة النساء فقال لقومه : ادخلوا فاسلبوا بزيهن ! قال : فدخل القوم فأخذوا كل ما كان في الخيمة[1] ، حتى أفضوا إلى قرط كان في أذن أم كلثوم رضي الله عنهم فأخذوه وخرموا أذنها ؛ وخرج القوم من الخيمة وأضرموها بالنار .

وأرسل عمر[2] بن سعد بالرأس إلى عبيد الله بن زياد فجاءه الرجل بالرأس واسمه بشر بن مالك[3] حتى وضع الرأس بين يديه وجعل يقول :

أملأ[4] ركابي فضة و[5]ذهبا أنا قتلت الملك المحجبا
ومن يصلي القبلتين في الصبا وخيرهم إذ يذكرون النسبا[6]
قتلت خير الناس أماً وأباً

قال : فغضب عبيد الله بن زياد من قوله ثم قال : إذ علمت أنه كذلك فلم قتلته ؟ والله لا نلت مني خيراً ولألحقنك به ، ثم قدمه وضرب عنقه[7] .

قال : وساق القوم حرم رسول الله ﷺ من كربلاء كما تساق الأسارى[8] ، حتى إذا بلغوا بهم إلى الكوفة خرج الناس إليهم فجعلوا يبكون وينوحون ، قال : وعلي بن

---

(١) في الطبري : ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه فأن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها .
(٢) الأصل : عمرو .
(٣) كذا بالأصل . والأرجاز في الطبري ٥ / ٤٥٤ وابن الأثير ٢ / ٥٧٣ مروج الذهب ٣ / ٧٥ البداية والنهاية ٨ / ٢٠٥ ونسبت إلى سنان بن أنس ، قالها أمام عمر بن سعد . وفي مروج الذهب انطلق بالرأس إلى ابن زياد وهو يرتجزها .
وفي الأخبار الطوال ص ٢٥٩ أن عمر بن سعد بعث برأس الحسين مع خولي بن يزيد الأصبحي .
(٤) في المصادر : أوقر .
(٥) عن المصادر المذكورة سابقاً ، وبالأصل : أو ذهبا .
(٦) في المصادر : ينسبون نسبا .
(٧) في مروج الذهب : بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس .
(٨) أقام عمر بن سعد بعد قتله الحسين يومين ثم ارتحل إلى الكوفة وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان وعلي بن الحسين مريض ، فاجتازوا بهم على الحسين وأصحابه صرعى ، فصاح النساء ولطمن خدودهن وصاحت زينب أخته : يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء ، مرمل بالدماء ، مقطع الأعضاء ، وبناتك سبايا ، وذريتك مقتلة .

الحسين في وقته ذلك قد نهكته العلة فجعل يقول : ألا ! إن هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا فمن قتلنا .

ذكر كلام زينب بنت علي رضي الله عنها

قال خزيمة الأسدي(١) : ونظرت إلى زينب بنت علي رضي الله عنه يومئذ ولم أرَ خُفـرة قط أفصح منها كأنها تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأومأت(٢) إلى الناس أن اسكتوا ! فارتدت الأنفاس ، ثم قالت : الحمد لله وصلواته على أبي محمد رسول الله وعلى آله الطاهرين الأخيار ، أما بعد ! يا أهل الكوفة ! يا أهل الختل والخذل ! [أتبكون](٣) فلا رقت لكم دمعـة ، إنما مثلكم كمثل التي « نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً تتخذون أيمانكم دخلا بينكم » [ألا](٣) بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم ، وفي العذاب أنتم خالدون أتبكون وتنتحبون ! أي والله فابكوا كثيراً(٤) واضحكوا قليلاً ، كل ذلك بانتهاككم حرمة ابن خاتم الأنبياء وسيد شباب أهـل الجنة غـداً وملاذ حضـرتكم ومفزع نـازلتكم ومنار حجتكم ومـدرة سنتكم ، ألا ساء مـا تزرون ، وبُعـداً لكم وسحقـاً ! فلقـد خـاب السعي ، وتبّت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وتوليتم بغضب الله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة ، [أتدرون](٥) ويلكم يا أهل الكوفة ! أي كبد(٦) لرسول الله ﷺ فريتم وأي دم له سفكتم ، وأي حريم له ورثتم ! وأي حرمة له انتهكتم **﴿ لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السمٰوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ﴾**(٧) لقد جئتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض أفعجبتم إن أمطرت(٨) السماء دماً ! ولعذاب الآخرة أخـزى وأنتم لا تنصرون . فـلا يستخفنكم المهل ولا يحقـره البدار ، ولا يخـاف [عليه] فوت الثأر ، كلا ! إن ربك لبالمرصاد . قال خزيمة(٩) : فوالله ! لقد رأيت

---

(١) عن الدر المنثور في طبقات ربات الخدود ، وبالأصل : بشر بن حريم .
(٢) بالأصل : « أومت » .
(٣) زيادة عن المقتل .
(٤) بالأصل : طويلاً .
(٥) زيادة عن المقتل .
(٦) في الأصل : « كيد » خطأ .
(٧) سورة مريم الآية ٨٩ و٩٠ .
(٨) بالأصل : « فطرت » وما أثبت عن الدر المنثور .
(٩) بالأصل : « بشر » وقد تقدمت الإشارة إليه في بداية كلام زينب بنت علي (رض) .

الناس يومئذ حيارى قد ردّوا أيديهم في أفواههم ، قال : ونظرت إلى شيخ من قدماء أهل مكة وقد بكى حتى اخضلت[1] لحيته وهو يقول : قد صدقت المرأة ! كهولهم خير كهول ، وشبابهم خير شباب إذا نطقوا نطق سحبان .

ذكر دخول القوم على عبيد الله بن زياد

قال : ثم أتى القوم حتى أدخلوا على عبيد الله بن زياد ونظرت إليه زينب بنت علي رضي الله عنه فجلست ناحية[2] ، فقال ابن زياد : من الجالسة ؟ فلم تكلمه ، فقال الثانية : من الجالسة ؟ فلم تكلمه ، فقال رجل[3] من أصحابه : هذه زينب بنت علي رضي الله عنه فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم[4] وأكذب أحدوثتكم! فقالت زينب : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد ﷺ وطهرنا في كتابه تطهيراً ، وإنما يفضح[5] الفاسق ويكذب الفاجر. فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك ؟ فقالت زينب رضي الله عنها : ما رأيت إلا جميلاً[6] ، هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم يابن زياد ، فتحاجون وتخاصمون ، فانظر لمن الفلح يومئذ ! ثكلتك أمك يابن مرجانة ! قال : فغضب ابن زياد من ذلك ، فقال له عمرو بن حريث[7] المخزومي : أصلح الله الأمير ! إنها امرأة ، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها[8] ؛ فقال ابن زياد : لقد أشفى الله [نفسي][9] من طاغيتك والعصاة المردودة[10] من أهل بيتك. فقالت زينب: لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي[11]واجتثثت أصلي ، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت . فقال ابن زياد : هذه شجاعة لا حرج ، لعمري لقد كان أبوك شاعراً شجاعاً ، فقالت

---

(١) بالأصل « أخضبت » وما أثبت عن الدر المنثور .

(٢) في الطبري أن زينب لبست أرذل ثيابها وتنكرت وحفت بها إماؤها .

(٣) الطبري ٥ / ٤٥٧ فقال بعض إمائها .

(٤) في الطبري وابن الأثير : فضحكم وقتلكم .

(٥) في الطبري : لا كما تقول أنت ، إنما يفتضح الفاسق .

(٦) بالأصل : « حملا » وما أثبت المناسب للسياق .

(٧) عن الطبري ، وبالأصل : صالح .

(٨) زيد في الطبري : ولا تلام على خطل .

(٩) عن الطبري . وفي ابن الأثير : غيظي .

(١٠) الطبري وابن الأثير : المردة .

(١١) في الطبري زيد : وأبرتَ أهلي .

زينب رضي الله عنها : يابن زياد ! وما للمرأة والشجاعة .

قال : فالتفت ابن زياد إلى علي بن الحسين رضي الله عنه قال[1] : أو لم يقتل علي بن الحسين ؟ قال : ذاك أخي وكان أكبر مني فقتلتموه[2] وإنّ له مطلاً منكم يوم القيامة ، فقال ابن زياد : ولكن الله قتله ، فقال علي بن الحسين رضي الله عنه : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ﴾[4] . فقال ابن زياد لبعض جلسائه : ويحك ! خذه إليك فأظنه قد أدرك الحلم ! قال : فأخذه مري[5] بن معاذ الأحمري ، فنحاه ناحية ثم كشف عنه فإذا هو أنبت ، فرده إلى عبيد الله بن زياد وقال : نعم ، أصلح الله الأمير ! قد أدرك ، فقال : خذه إليك الآن فاضرب عنقه ! قال : فتعلقت به عمته زينب بنت علي وقالت له : يابن زياد[6] ! إنك لم تبق منا أحداً ، فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه . فقال علي بن الحسين لعمته : اسكتي حتى أكلمه ! ثم أقبل علي رضي الله عنه على ابن زياد فقال : أبالقتل تهددني ؟ أما علمت أن القتل لنا عادة ، وكرامتنا الشهادة[7] ! قال : فسكت ابن زياد ثم قال : أخرجوهم عني ! وأنزلهم في دارك إلى جانب المسجد الأعظم . ثم نادى عبيد الله بن زياد في الناس فجمعهم في المسجد الأعظم ثم خرج وصعد المنبر .

ذكر عبد الله بن عفيف الأزدي ورده على ابن زياد ومقتله رحمه الله

قال : فصعد ابن زياد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال في بعض كلامه : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه[8] وقتل الكذاب ابن

---

(١) لما عرض علي بن الحسين على ابن زياد قال له : ما اسمك ؟ قال : أنا علي بن الحسين قال : أو لم يقتل . . . (عن الطبري ٥ / ٤٥٨) .

(٢) في الطبري : قتله الناس .

(٣) سورة الزمر الآية ٤٢ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٤٥ .

(٥) عن الطبري ، وبالأصل « مروان » .

(٦) في الطبري ٥ / ٤٥٨ : حسبك منا ، أما رويت من دمائنا ، وهل أبقيت منا أحداً .

(٧) في الطبري ٥ / ٤٥٨ قال : يابن زياد ، إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلاً تقيّاً يصحبهن بصحبة الإسلام . فقال له ابن زياد : تعال أنت ، انطلق مع نسائك ، فبعثه معهن .

(٨) في الطبري ٥ / ٤٥٨ يزيد بن معاوية وحزبه .

الكذاب [1] .

قال : فما زاد على هـذا الكلام شيئاً ووقف ، فقام إليـه عبد الله بن عفيف الأزدي رحمه الله ، وكان من خيار الشيعة وكان أفضلهم وكان قد ذهبت عينه اليسرى في يوم الجمل والأخرى في يوم صفين ، وكان لا يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف إلى منزله ، فلما سمع مقالة ابن زياد وثب قائماً ثم قال : يابن مرجانة ! الكذاب ابن الكـذاب أنت وأبوك ومن استعملك[2] وأبـوه ، يا عـدو الله أتقتلون [3] أبناء النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين [4] ؟ قال : فغضب ابن زياد ثم قال : من المتكلم ؟ فقال : أنا المتكلم يا عدو الله ! أتقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله عنها الرجس في كتابه وتزعم أنك على دين الإسلام ؟ واعوناه ! أين أولاد المهاجرين والأنصار لا ينتقمون من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد نبي رب العالمين . قال : فازداد غضباً عدو الله حتى انتفخت أوداجه ثم قال : عليَّ به ! قال : فتبادرت إليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذوه ، فقامت الأشراف من الأزد من بني عمه فخلصوه من أيدي الجلاوزة وأخرجوه من باب المسجد فانطلقوا به إلى منزله .

ونزل ابن زياد عن المنبر ودخل القصر ، ودخل عليه أشراف النـاس فقال : أرأيتم ما صنع هؤلاء القوم ؟ فقالوا : قد رأينا أصلح الله الأمير إنما الأزد فعلت ذلك فشد يديك بساداتهم فهم الذين استنقذوه[5] من يدك حتى صار إلى منزله . قال : فأرسل ابن زياد إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فأخذه وأخذ معه جماعة من الأزد فحبسهم وقال : والله لا خرجتم من يدي أو تأتوني بعبد الله بن عفيف .

قال : ثم دعا ابن زيـاد لعمرو بن الحجـاج الزبيـدي ومحمد[6] بن الأشعث وشبث[7] بن الربعي وجماعة من أصحابه وقال لهم : اذهبوا إلى هذا الأعمى أعمى

---

(١) زيد في الطبري : الحسين بن علي وشيعته .

(٢) الطبري ٥ / ٤٥٩ : ومن ولاّك .

(٣) عن الطبري ، وبالأصل : أن تقتلون .

(٤) الطبري : وتكلّمون بكلام الصدّيقين .

(٥) الأصل : استنقضوه .

(٦) بالأصل « عمر » وقد مرّ أن محمد بن الأشعث من أصحاب ابن زياد .

(٧) بالأصل « شبيب » خطأ .

الأزد الذي قد أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه ، ائتوني به ! قال : فانطلقت رسل عبيد الله[1] بن زياد إلى عبد الله بن عفيف ، وبلغ ذلك الأزد فاجتمعوا ، واجتمع معهم أيضاً قبائل اليمن ليمنعوا عن صاحبهم عبد الله بن عفيف . وبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث وأمره بقتال القوم .

قال : فأقبلت قبائل مضر نحو اليمن ودنت منهم اليمن ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إلى أصحابه يؤنبهم ، فأرسل إليه عمرو بن الحجاج يخبره باجتماع اليمن عليهم . قال : وبعث إليه شبث[2] بن الربعي : أيها الأمير ! إنك قد بعثتنا إلى أسود الآجام فلا تعجل ! قال : واشتد قتال القوم حتى قتل جماعة منهم من العرب ، قال : ودخل أصحاب ابن زياد إلى دار ابن عفيف فكسروا الباب واقتحموا عليه ، فصاحت به ابنته : يا أبت ! أتاك القوم من حيث لا تحتسب ! فقال : لا عليك يا ابنتي ! ناوليني السيف ؛ قال : فناولته فأخذه وجعل يذب عن نفسه وهو يقول :

أنا ابن ذي الفضل العفيف الطاهر عفيف شيخي وابن أم عامر
كم دارع من جمعهم وحاسر وبطل جندلته مغادر

قال : وجعلت ابنته تقول : يا ليتني كنت رجلاً فأقاتل بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة . قال : وجعل القوم يدورون عليه من خلفه وعن يمينه وعن شماله وهو يذب[3] عن نفسه بسيفه ، وليس يقدر أحد أن يتقدم إليه ؛ قال : وتكاثروا عليه من كل ناحية حتى أخذوه . فقال جندب بن عبد الله الأزدي : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أخذوا والله عبد الله بن عفيف فقبح والله العيش من بعده .

قال : ثم أتي به حتى أدخل على عبيد الله بن زياد ، فلما رآه قال : الحمد لله الذي أخزاك ، فقال له عبد الله بن عفيف : يا عدو الله بهذا أخزاني ، والله لو فرج الله عن بصري لضاق عليك موردي ومصدري . قال: فقال ابن زياد : يا عدو نفسه ! ما تقول في عثمان بن عفان رضي الله عنه ؟ فقال : يابن عبد بني علاج ! يابن مرجانة وسمية ! ما أنت وعثمان بن عفان ؟ عثمان أساء أم احسن وأصلح أم أفسد ، الله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي بين خلقه وبين عثمان بن عفان بالعدل والحق ، ولكن سلني

---

(١) بالأصل : عبيد .
(٢) بالأصل : شبيب .
(٣) بالأصل : « بدت » وما أثبت المناسب للسياق .

عن أبيك وعن يزيد وأبيه ! فقال ابن زياد : والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت ؛ فقال عبد الله بن عفيف : الحمد لله رب العالمين ! أما إني كنت أسأل ربي عزّ وجلّ أن يرزقني الشهادة والآن فالحمد لله الذي رزقني إياها بعد الإياس منها وعرفني الإجابة منه لي في قديم دعائي ! فقال ابن زياد : اضربوا عنقه ! فضربت رقبته وصلب ـ رحمة الله عليه ـ[1] .

قال : ثم دعا ابن زياد بجندب بن عبد الله الأزدي فقال : يا عدو الله ! ألست صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم صفين ؟ فقال : بلى والله يابن زياد ! أنا صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا زلت له ولياً ولا أبرأ إليك من ذلك . فقال ابن زياد : أظن أني أتقرب إلى الله تعالى بدمك ، فقال جندب : والله ما يقربك دمي من الله ولكنه يباعدك منه ، وبعد فإنه لم يبق من عمري إلا أقلّه وما أكره أن يكرمني الله بهوانك ، فقال ابن زياد : أخرجوه عني فإنه شيخ قد خرف وذهب عقله ! قال : فأخرج عنه وخلّي سبيله .

قال : ثم قدم إليه سفيان بن يزيد ، فقال له ابن زياد : ما الذي أخرجك عليّ يابن المعقل؟ فقال له : بلغني أن أصحابك أسروا عمي فخرجت أدافع عنه ، قال : فخلى سبيله وراقب فيه عشيرته . ثم دعا بعبد الرحمن[2] بن مخنف الأزدي فقال له : ما هذه الجماعة على بابك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! ليس على بابي جماعة وقد قتلتَ صاحبك الذي أردتَ وأنا لك سامع مطيع[3] ، وإخوتي لك جميعاً كذلك ؛ قال : فسكت عنه ابن زياد ثم خلاه وخلّى سبيل إخوته وبني عمه .

ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية وبعثته إليه برأس الحسين بن علي رضي الله عنهما

قال : ثم دعا ابن زياد زجر[4] بن قيس الجعفي فسلم إليه رأس الحسين بن علي

(١) في الطبري ٥ / ٤٥٩ فأرسل إليه من أتاه به (وكان فتية من الأزد انتزعوه فأتوا به بيته) فقتله وأمر بصلبه في السبخة (في ابن الأثير : في المسجد) فصلب هنالك .
(٢) عن الطبري ٥ / ٤٥٩ وبالأصل : عبد الله .
(٣) وكان عبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالساً في المسجد عندما قام عبد الله بن عفيف الأزدي يرد كلام ابن زياد ويشتمه ، فقال له عبد الرحمن : ويح غيرك ، أهلكت نفسك ، وأهلكت قومك .
(٤) بالأصل : « زيد » وسيرد صحيحاً ، وما أثبت عن الطبري ٥ / ٤٥٩ زيد في الطبري : وكان معه أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي .

رضي الله عنهما ورؤوس إخوته ورأس علي بن الحسين ورؤوس أهل بيتـه وشيعته رضي الله عنهم أجمعين . ودعا علي بن الحسين أيضاً فحمله وحمل أخواته وعماته وجميع نسائهم إلى يزيد بن معاوية . قال : فسار القوم بحرم رسول الله ﷺ من الكوفة إلى بلاد الشام على محامل بغير وطاء من بلد إلى بلد ومن منزل إلى منزل كما تساق أسارى الترك والديلم .

قال : وسبق زحر بن قيس الجعفي برأس الحسين إلى دمشق حتى دخل على يـزيد فسلم عليـه ودفع إليـه كتاب عبيـد الله بن زياد . قـال : فأخـذ يزيـد كتـاب عبيد الله بن زياد فوضعه بين يديه ، ثم قال : هات ما عندك يا زحر ! فقال زحر : أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك وبنصره إياك ، فإنه ورد علينا الحسين بن علي في اثنين وثلاثين رجلاً من شيعته وإخوته وأهل بيته[١] ، فسرنا إليهم وسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم عبيد الله بن زياد[٢] ، فأبـوا علينا فقـاتلناهم من وقت شروق الشمس إلى أن أضحى النهار ، فلما أخذت السيوف مأخذها من الرجال[٣] جعلوا ينقصون[٤] إلى غير وَزَر ، ويلوذون منا بالآكام والحفر ، كما يخاف الحمام من الصقور ، فوالله يا أمير المؤمنين ! ما[٥] كان إلا جزر جزور أو نومة قائل[٥] حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم بالعراء مجردة ، وثيابهم بالدماء مرملة ، وخدودهم بالتراب معفرة[٦] . قال : فأطرق يزيد ساعة ثم رفع رأسه فقال : يا هذا ! لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين بن علي ، أما والله ! لو صار إليّ لعفوت عنه ، ولكن قبح الله ابن مرجانة ! قال : وكان عبد الله بن الحكم[٧] أخو مروان بن الحكم قاعداً عند يزيد بن معاوية فجعل يقول شعراً[٨] . فقال يزيد : نعم ، لعن الله ابن

---

(١) في الطبري ٥ / ٤٥٩ وابن الأثير ٢ / ٥٧٦ في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته .

(٢) زيد في الطبري : أو القتال .

(٣) الطبري : من هام الرجال ، ابن الأثير : من هام القوم .

(٤) الطبري : يهربون .

(٥) عن الطبري وابن الأثير ، وبالأصل : كانوا عندنا إلا كقهوة الحامل .

(٦) زيد في الطبري وابن الأثير : تصهرهم الشمس ، وتسفي عليهم الريح ، زوارهم العقبان والرخم بقيّ سبسب .

(٧) في الطبري ٥ / ٤٦٠ وابن الأثير ٢ / ٥٨٠ « يحيى بن الحكم » وزيد في ابن الأثير والبداية والنهاية ٨ / ٢١٣ أن مروان بن الحكم أتاهم فقال : كيف صنعتم ؟ ولما علم ما جرى : قام فانصرف عنهم .

(٨) في الطبري : فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم : =

مرجانة إذ قدم على مثل الحسين ابن فاطمة ، أما والله ! لو كنت صاحبه لما سألني خصلة إلا أعطيته إياها ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ولو كان بهلاك بعض ولدي ، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً فلم يكن له منه مردّ .

قال : ثم أتي بالرأس حتى وضع بين يدي يزيد بن معاوية في طشت من ذهب ، قال : فجعل ينظر إليه وهو يقول :

نُفلّق هاماً من رجال أعزة ... علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما[1]

قال : ثم أقبل على أهل مجلسه وقال : هذا كان يفتخر عليّ ويقول : أبي خير من أب[2] يزيد ، وأمّي خير من أمه[3] ، وجدي خير من جد يزيد ، وأنا خير من يزيد[4] ، فهذا الذي قتله ؛ فأما قوله : إن أبي خير من أب يزيد ، فقد حاج أبي أباه فقضى[5] الله لأبي على أبيه ؛ وأما قوله : إن أمي خير من[6] أم يزيد ، فلعمري أنه صدق أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمي ؛ وأما قوله بأن جدي خير من[7] جد يزيد ، فليس أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يقول : إنه خير من محمد ﷺ ؛ وأما قوله :

= لهام بجنب الطف أدنى قرابة ... من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى ... وبنت رسول الله ليس لها نسل

وفي ابن الأثير : وليس لآل المصطفى اليوم في نسل .
وفي البداية والنهاية ٨ / ٢١٣ أن يحيى بن الحكم قال لهم : حجبتم عن محمد (ص) يوم القيامة ، لن أجامعكم على أمر أبداً ، ثم قام فانصرف . وزيد في الطبري بعدما قال يحيى شعره : قال : فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال : اسكت .

(١) البيت في الطبري ٥ / ٤٦٠ والمفضلية ص ١٢ وابن الأثير ٢ / ٥٧٧ ومروج الذهب ٣ / ٧٥ والأخبار الطوال ص ٢٦١ والبداية والنهاية ٨ / ٢٠٩ باختلاف في المصادر ببعض ألفاظه . والبيت تمثل به يزيد قال : إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام وقبله في ابن الأثير :

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت ... قواضب في أيماننا تقطر الدما

(٢) بالأصل : « أبي » .
(٣) بالأصل : « وأمه خير من أمي » خطأ ، فالقائل هو الحسين (رض) .
(٤) في الطبري ٥ / ٤٦٤ : وأنا خير منه وأحق بهذا الأمر .
(٥) في الطبري : وعلم الناس أيهما حكم له .
(٦) في الطبري : من أمه .
(٧) في الطبري وابن الأثير : من جده .

خير مني ، فلعله لم يقرأ هذه الآية : ﴿ قل اللّهم مُلك الملك ﴾ إلى ﴿ قدير ﴾[1] .
قال : ثم دعا بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين رضي الله عنه وهو يقول : لقد كان أبو عبد الله حسن المنطق ! فأقبل إليه أبو برزة[2] الأسلمي أو غيره ، فقال له : يا يزيد ! ويحك ! أتنكت[3] بقضيبك ثنايا الحسين وثغره ! أشهد لقد رأيت رسول الله ﷺ يرشف ثناياه وثنايا أخيه ويقول : « أنتما سيدا شباب أهل الجنه ، فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعد له نار جهنم وساءت مصيراً » ، أما إنك يا يزيد لتجيء يوم القيامة وعبيد الله بن زياد شفيعك ويجيء هذا ومحمد ﷺ شفيعه . قال : فغضب يزيد وأمر بإخراجه ، فأخرج سحباً . وجعل يزيد يتمثل بأبيات عبد الله[4] بن الزبعرى وهو يقول :

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... وقعة[5] الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا[6] واستهلوا فرحا ... ثم قالوا يا يزيد لا تسل[7]
حين ألقتْ بقناة[8] بَرْكها ... واستحرَّ القتل في عبد الأشل
فجزيناهم ببدر مثلها ... وأقمنا مثل بدر فاعْتَدَل[9]

ثم زاد فيها هذا البيت من نفسه فقال :

لست من عتبة إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

قال : وأتي بحرم رسول الله ﷺ حتى أدخلوا مدينة دمشق من باب يقال له باب

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٦ .
(٢) في الأصل « أبو بردة » وما أثبت عن الطبري وابن الأثير ، واسمه : نضلة بن عبيد .
(٣) عن الطبري ، وبالأصل « أتنكث » .
(٤) بالأصل : عبيد الله .
(٥) في البداية والنهاية ٨ / ٢٠٩ جزع .
(٦) البداية والنهاية : فأهلو .
(٧) البداية والنهاية : ثم قالوا لي هنياً لا تسل .
(٨) عن طبقات فحول الشعراء ص ١٨٥ وبالأصل « يقيناً » وفي البداية والنهاية :
حين حكت بفناء بركها ... واستحرّ . . .
وبالأصل : واستخبر .
(٩) البيت في البداية والنهاية :
قد قتلنا الضعف من أشرافكم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل
قلت : أجمع المؤرخون على أن يزيد بن معاوية تمثل بهذه الأبيات بعد وقعة الحرة ، وقتله الأنصار بالمدينة وذلك سنة ٦٣ .

تُوماء[١] ، ثم أتي بهم حتى وقفوا على درج باب المسجد حيث يقام السبي . وإذا الشيخ قد أقبل حتى دنا منهم وقال : الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح الرجال من سطوتكم وأمكن أمير المؤمنين منكم . فقال له علي بن الحسين : يا شيخ ! هل قرأت القرآن ؟ فقال : نعم قد قرأته ، قال : فعرفت هذه الآية ﴿ **قل لا أسئلكم عليه أجراً إلَّا المودة في القربى** ﴾[٢] ؟ قال الشيخ : قد قرأت ذلك ، قال علي بن الحسين رضي الله عنه : فنحن القربى يا شيخ ! قال : فهل قرأت في سورة بني إسرائيل : ﴿ **وآت ذا القربى حقه** ﴾[٣] ؟ قال الشيخ : قد قرأت ذلك ، فقال علي رضي الله عنه : نحن القربى يا شيخ ! ولكن هل قرأت هذه الآية ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنَّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى** ﴾[٤] . [قال الشيخ : قد قرأت ذلك ، قال علي][٥] : فنحن ذو القربى يا شيخ ! ولكن هل قرأت هذه الآية ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[٦] ؟ قال الشيخ : قد قرأت ذلك ، قال علي : فنحن أهل البيت الذين خصصنا بآية الطهارة . قال : فبقي الشيخ ساعة ساكتاً نادماً على ما تكلمه ، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللّهم ! إني تائب إليك مما تكلمته ومن بغض هؤلاء القوم ، اللّهم إني أبرأ إليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والإنس .

قال : ثم أتي بهم حتى أدخلوا على يزيد وعنده يومئذ وجوه أهل الشام ، فلما نظر إلى علي بن الحسين رضي الله عنه قال له : من أنت يا غلام ؟ فقال : أنا علي بن الحسين ، فقال : يا علي ! إن أباك الحسين قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيت ؛ فقال علي بن الحسين : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتٰبٍ من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير** ﴾[٧] . فقال يزيد لابنه خالد[٨] : اردد عليه يا بني ! فلم يدر خالد ماذا يقول[٩] ،

---

(١) باب توماء (توما) أحد أبواب مدينة دمشق .
(٢) سورة الشورى الآية ٤٣.
(٣) سورة الإسراء الآية ٢٦ .
(٤) سورة الأنفال الآية ٤١ .
(٥) زيادة اقتضاها السياق .
(٦) سورة الأحزاب الآية ٣٣ .
(٧) سورة الحديد الآية ٢٢ .
(٨) في البداية والنهاية : أجبه .
(٩) في الطبري وابن الأثير وابن كثير : فما درى خالد ما يرد عليه .

فقال يزيد[1] : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾[2] .

قال : فقام رجل من أهل الشام فقال : يا أمير المؤمنين ! هب لي هذه الجارية[3] ! فقال له يزيد : اسكت ، ويلك ! لا تقل ذلك ، فهذه ابنة عليّ وفاطمة ، وهم أهل بيت لم يزالوا مبغضين لنا منذ كانوا .

قال : فتقدم علي بن الحسين حتى وقف بين يدي يزيد بن معاوية وجعل يقول :

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
فالله يعلم أنا لا نحبكم ولا نلومكم إن لم تحبونا

فقال يزيد : صدقت يا غلام ولكن أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين ، فالحمد لله الذي أذلهما وسفك دماءهما ؛ فقال له علي بن الحسين : يابن معاوية وهند وصخر ! لم يزالوا آبائي وأجدادي فيهم الإمرة من قبل أن نلد ، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم بدر وأُحُد والأحزاب في يده راية رسول الله ﷺ ، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفار ؛ ثم جعل علي بن الحسين يقول[4] :

ماذا تقولون[5] إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد منقلبي[6] منهم أسارى ومنهم[7] ضرجوا بدم

---

(1) في المصادر : فقال له يزيد : قل .
(2) سورة الشورى الآية ٣٠ .
(3) يريد فاطمة بنت علي (رض) كما في الطبري .
(4) الأبيات في الطبري ٥ / ٤٦٧ وابن الأثير ٢ / ٥٧٩ ومروج الذهب ٣ / ٨٣ والبداية والنهاية ٨ / ٢١٥ .
ورد في الطبري وابن الأثير : « أنه لما ورد خبر مقتل الحسين أهل المدينة خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوي بثوبها وهي تقول . . . » .
وفي مروج الذهب : خرجت بنت عقيل بن أبي طالب في نساء من قومها حواسر حائرات وهي تقول :
(5) بالأصل : « يقولون » ، وما أثبت عن المصادر .
(6) في المصادر : بعد مفتقدي .
(7) في مروج الذهب : نصف أسارى ونصف . . .

ما كان هذا جزائي إذ نصحتكم[1] أن تخلفوني بسوء[2] في ذوي رحمي

ثم قال علي بن الحسين ـ رحمه [الله] ـ : ويلك يا يزيد ! إنك لو تدري ما صنعتَ وما الذي ارتكبتَ من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذاً لهربت في الجبال وفرشت الرماد ! ودعوت بالويل والثبور أن يكون رأس الحسين ابن فاطمة وعلي رضي الله عنه منصوباً على باب المدينة ! وهو وديعة رسول الله ﷺ فيكم ، فأبشر بالخزي والندامة غداً إذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه .

قال : فالتفت حبر من أحبار اليهود وكان حاضراً فقال : من هذا الغلام يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا صاحب الرأس هو أبوه ، قال : ومن هو صاحب الرأس يا أمير المؤمنين ؟ قال : الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ قال : فمن أمه ؟ قال : فاطمة بنت محمد ﷺ . فقال الحبر : يا سبحان الله ! هذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة ! بئس ما خلفتموه في ذريته ، والله لو خلف فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لكنا نعبده من دون الله ! وأنتم إنما فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابن نبيكم فقتلتموه ، سوءة لكم من أمة ! قال : فأمر يزيد بكرٍّ في حلقه ، فقام الحبر وهو يقول : إن شئتم فاضربوني أو فاقتلوني أو قرروني ، فإني أجد في التوراة أنه من قتل ذرية نبي لا يزال مغلوباً أبداً ما بقي ، فإذا مات يصليه الله نار جهنم .

قال : ثم دعا يزيد بالخاطب وأمر بالمنبر فأحضر ، ثم أمر الخاطب فقال : اصعد المنبر فخبر الناس بمساوىء الحسين وعلي وما فعلا ! قال : فصعد الخاطب المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أكثر الوقيعة في عليّ والحسين ، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد فذكرهما بكل جميل . قال : فصاح علي بن الحسين : ويلك أيها الخاطب ! اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق ، فانظر مقعدك من النار . ثم قال علي بن الحسين : يا يزيد أتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه رضا الله ورضا هؤلاء الجلساء وأجر وثواب ؟ قال : فأبى يزيد ذلك ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ! ائذن له ليصعد المنبر لعلنا نسمع منه شيئاً ! فقال : إنه إن صعد المنبر لم ينزل إلا بفضيحتي أو بفضيحة آل سفيان ؛ قيل له : يا أمير المؤمنين ! وما قدر ما يحسن هذا ؟ قال : إنه من نسل قوم قد رزقوا العلم رزقاً حسناً . قال : فلم يزالوا به

---

(١) مروج الذهب : نصحت لكم .
(٢) مروج الذهب : بشرٍ .

حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم خطب خطبة أبكى منها العيون وأوجل منها القلوب ، ثم قال : أيها الناس ! من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي ، أيها الناس ! أنا ابن مكة ومنى وزمزم والصفا ، أنا ابن خير من حج وطاف وسعى ولبَّى ، أنا ابن خير من حمل البراق ، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، أنا ابن من بلغ به جبريل إلى سدرة المنتهى ، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلى بملائكة السماء ، أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن سيدة النساء ! قال : فلم يزل يعيد ذلك حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب .

قال : وخشي يزيد أن تكون فتنة ، فأمر المؤذن فقال : اقطع عنا هذا الكلام ! قال : فلما سمع المؤذن قال : الله أكبر ! قال الغلام : لا شيء أكبر من الله ، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ! قال الغلام : يشهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ، فلما قال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله ! التفت علي بن الحسين من فوق المنبر إلى يزيد فقال : محمد هذا جدي أم جدك ؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبتَ وكفرتَ ، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته ؟ قال : فلما فرغ المؤذن من الأذان والإقامة تقدم يزيد يصلي بالناس صلاة الظهر . فلما فرغ من صلاته أمر بعلي بن الحسين وأخواته وعماته رضوان الله عليهم ، ففرغ لهم داراً فنزلوها وأقاموا أياماً يبكون وينوحون على الحسين رضي الله عنه .

قال : وخرج علي بن الحسين ذات يوم ، فجعل يمشي في أسواق دمشق ، فاستقبله المنهال بن عمرو الصابيء فقال له : كيف أمسيت يابن رسول الله ؟ قال : أمسينا كبني إسرائيل في آل فرعون ، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، يا منهال ! أمست العرب تفتخر على العجم لأن محمداً منهم ، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها ، وأمسينا أهل بيت محمد ونحن مغصوبون مظلومون مقهورون مُقتّلون مثبورون مطرودون ، فإنا لله وإنّا إليه راجعون على ما أمسينا فيه يا منهال .

قال : ثم أمر لهم يزيد بزاد كثير ونفقة ، وأمر بحملانهم[1] إلى المدينة . فلما

(١) في ابن الأثير ٢ / ٥٧٨ لما أراد أن يسيرهم إلى المدينة أمر يزيد النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم ويسير معهم رجلاً أميناً من أهل الشام ومعه خيل يسير بهم إلى المدينة . وانظر الطبري ٥ / ٤٦٢ .

فصلوا من دمشق سمعوا منادياً ينادي في الهواء وهو يقول[1] :

أيها القاتلون ظلماً[2] حسينا ... أبشروا بالعذاب والتنكيلِ
كل من في[3] السماء يدعو عليكم ... من نبيّ ومرسل وقتيل[4]
قد لعنتم على لسان ابن داو ... د وموسى وحامل[5] الإنجيل

تم مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما.

---

(١) في الطبري ٥ / ٤٦٧ وابن الأثير ٢ / ٥٨٠ أنه سمع بعض أهل المدينة ليلة قتل الحسين منادياً ينادي ، وذكرا الأبيات .

(٢) في الطبري وابن الأثير : جهلا .

(٣) في الطبري وابن الاثير : كل أهل .

(٤) في الطبري « وملاكٍ وقبيل » وفي ابن الأثير : « وملك وقبيل » .

(٥) ابن الأثير : وصاحب الإنجيل .

ذمر ما كان بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما

قال : فلما قتل الحسين رضي الله عنه استوسق العراقان جميعاً لعبيد الله بن زياد وكانت الكوفة والبصرة لابن زياد من قبله ، قال : وأوصله يزيد بألف ألف درهم جائزة ، فدعا عبيد الله بن زياد بعمرو بن حريث[1] المخزومي فاستخلفه على الكوفة ، ثم صار إلى البصرة فاشترى دار عبد الله بن عثمان الثقفي ودار سليمان بن علي الهاشمي التي صارت لسليمان بن علي بعد ذلك ، فهدمهما جميعاً ، ثم بناهما وأنفق عليهما مالاً جزيلاً وسماهما الحمراء والبيضاء[2] ، فكان يشتي في الحمراء ويصيف في البيضاء . قال : ثم علا أمره وارتفع قدره وانتشر ذكره ، وبذل الأموال واصطنع الرجال ، ومدحته الشعراء حتى قال فيه المليح بن الزبير الأسدي [هذه الأبيات :

إليك عبيد الله تهوي ركابنا ... تسعف إخوان الفلاة وندأب
وقد ضمرت حتى كأن عيونها ... بقايا نطاق أو زكي منصّب
فقلت لها : لا تشتكي الأين إنه ... أمامك قوم من أمية أغلب
وكان زياد حل في رأس شامخ ... أشم له ركن قوي ومنصب
وأشبهه حزماً وعزماً ونائلاً ... وبعثاً إذا الحرب العوان تلهّب
إذا ذكروا فضل امرىء ونواله ... ففضل عبيد الله أنسى وأطيب]

(١) عن الطبري ، وبالأصل « الحارث » .
(٢) كذا ، وفي معجم البلدان وردت « البيضاء » أنها دار بناها عبيد الله ولم يرد فيه ذكر « للحمراء » .

قال : وكان عبيد الله بن زياد أميراً[1] على العراقين جميعاً : البصرة والكوفة ، لا ينازعه فيهما منازع .

ذكر قدوم سلم[2] بن زياد أخي عبيد الله بن زياد على يزيد بن معاوية وتوليته بلاد خراسان

قال : وقدم سلم[2] بن زياد على يزيد بن معاوية من البصرة ، قال : فقربه وأدناه ، ثم قال : ما الذي أقدمك يا سلم[2] وكيف خلفت أخاك ؟ فقال : خلفته على ما يحب أمير المؤمنين ، غير أني أحببت النظر إلى أمير المؤمنين وأن أكون تحت كنفه فليس يرون غيري . قال : فعلم يزيد أنه يحب أن يوليه بعض الأعمال ، فقال له يزيد : لعمري ما أنت بدون غيرك يا سلم[2] ! ولقد وجبت محبتكم يا بني زياد على آل سفيان . ثم قال : يا غلام ! أطعمنا ، فقدمت المائدة فطعما جميعاً ، فلما أكلا دعا يزيد بالشراب فلما دارت الكأس التفت يزيد إلى ساقيه وجعل يقول :

اسقني[3] شربة تروي عظامي[4] ثم مل[5] فاسق مثلها ابن زياد
موضع البين والأمانة عندي وعلى ثغر مغنم وجهاد[6]

قال : فنادمه يزيد يومه ذلك ، فلما كان من الغد دعا به فعقد له عقداً وضم إليه جيشاً من أهل الشام وولاه بلاد خراسان[7] . قال : فدعا سلم بن زياد رجلاً من أهل الشام يقال له حارث بن معاوية المازني فجعله إلى مقدمته ، ثم ودع سلم بن زياد يزيد بن معاوية وخرج من الشام طالباً البصرة ليحمل معه أهله وولده ، ويعلم أهل البصرة أنه قد ولي بلاد خراسان لكي يخرج معه من أهل البصرة من أحب الجهاد[8] .

---

(١) بالأصل : « أمير » .
(٢) بالأصل « مسلم » وما أثبت عن الطبري ٤٧١/٥ . وقد صححت أين وقعت في الخبر .
(٣) عن مروج الذهب ٣ / ٨٢ وبالأصل « سقيني » .
(٤) مروج الذهب : مشاشي .
(٥) عن مروج الذهب وبالأصل « ما » .
(٦) البيت في مروج الذهب :
صاحب السر والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي
(٧) في الطبري ٥ / ٤٧٢ ولاه خُراسان وسجستان .
(٨) في الطبري ٤٧٢/٥ : «قدم سلم بن زياد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد بنخبة ألفي رجل ينتخبهم - وقيل أربعة آلاف - فكان سلم ينتخب الوجوه والفرسان » .

قال : فجاء سلم حتى نزل على جسر البصرة وبينه وبين أخيه عبيد الله السيف ، وذاك أن عبيد الله قد كان متزوجاً بامرأة يقال لها أم محمد بنت عبيد الله بن عثمان الثقفي[1] ثم طلقها وتزوجها أخوه سلم بن زياد ، فكان ذلك مما ولد العداوة بينهما . قال : وجعل عبيد الله بن زياد ينظر فكل من خرج من أهل البصرة إلى أخيه سلم يعمد إلى داره فيهدمها ، حتى هدمت دور كثيرة بالبصرة ، وكتب سلم بن زياد بذلك إلى يزيد بن معاوية ، فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد وعزم عليه أن يبني كل دار هدمها بالجص والآجر والساج ، ففعل ذلك صاغراً . قال : وكان حنظلة بن عرابة[2] الشاعر أيضاً مما هدمت داره لما لحق بسلم بن زياد فأنشأ في ذلك يقول :

[تخيرت القلوب فحظ رحلي — إلى سلم ولم يحظ اختياري
يقولون اعتذر من حب سلم — إذاً لا يقبل الله اعتذاري
إذا مرت يجركم نعالي — فقوموا فانظروا في شأن داري
وقوموا ظالمين فهدموها — وألقوا في صحيفتكم صغاري]

قال : وسار سلم بن زياد إلى بلاد خراسان ومعه المهلب بن أبي صفرة وسادات البصرة ، حتى إذا صار إلى مدينة مرو نزلها ثم جعل يغزو أطراف خراسان ، فكلما فتح فتحاً أو أصاب نفلاً[3] أخرج من ذلك الخمس فوجه به إلى يزيد وقسم باقي ذلك في أصحابه ، فلم يزل سلم بن زياد بخراسان إلى أن مات يزيد . وسنرجع إلى خبره إن شاء الله تعالى .

ذكر كتاب يزيد بن معاوية إلى محمد ابن الحنفية ومصيره إليه وأخذ جائزته

قال : ثم كتب يزيد بن معاوية إلى محمد بن علي وهو يومئذ بالمدينة ، فكتب إليه : أما بعد فإني أسأل الله لي ولك عملاً صالحاً يرضى به عنا ، فإني لا أرى اليوم في بني هاشم رجلاً هو أرجح منك فهماً وعلماً ، ولا أحضر فهماً وحكماً ، ولا أبعد من كل سفه ودنس ، وليس من يتخلق بالخير تخلقاً ويتبجل بالفضل تبجلاً كمن جبله الله على الخير جبلاً ، وقد عرفنا ذلك منك قديماً وحديثاً وشاهداً وغائباً ، غير أني قد

---

(١) في الطبري : أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي .
(٢) كذا ، ولعله حنظلة بن عرادة كما في الطبري ، ولم يرد أنه كان شاعراً .
(٣) بالأصل « نعلا » كذا . وما أثبت مناسب للسياق .

أحببت زيارتك والأخذ بالحظ من رؤيتك ورأيك ، فإذا نظرت في كتابي هذا فأقبل إلينا آمناً مطمئناً أرشدك الله أمرك وغفر لك ذنبك[1] ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ـ .

قال : فلما ورد الكتاب على محمد بن علي أقبل على ابنه جعفر وعبد الله فاستشارهما في ذلك ، فقال له ابنه عبد الله : يا أبت ! اتق الله في نفسك ولا تصر[2] إليه فإني خائف عليك أن يلحقك بأخيك الحسين ولا يبالي ؛ فقال محمد : يا بني ! ولكني لا أخاف ذلك منه . فقال له ابنه جعفر : يا أبت ! إنه قد ألطفك في كتابه إليك ولا أظن أنه كتب إلى أحد من قريش : أرشدك الله أمرك وغفر لك ذنبك ، أرجو أن يكف الله شره عنك ؛ فقال محمد بن علي : يا بني ! إني توكلت على الله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وكفى بالله وكيلاً .

قال : ثم تجهز محمد بن علي وخرج من المدينة وسار حتى قدم على يزيد بن معاوية بالشام ، فلما استأذن أذن له وقربه وأدناه وأجلسه معه على سريره ، ثم أقبل عليه بوجهه فقال : يا أبا القاسم ! أجرنا الله وإياك في أبي[3] عبد الله الحسين بن علي ، فوالله لئن كان نفعك فقد نفعني ولئن كان أوجعك فقد أوجعني ، ولو كنت أنا المتولي لقتله لما قتلته ولدفعت عنه القتل ولو كان بذهاب ناظري ، ولفديته بجميع ما ملكت يدي وإن كان قد ظلمني وقطع رحمي ونازعني حقي ؛ ولكن عبيد الله بن زياد لم يعمل برأيي[4] في ذلك فعجل عليه القتل فقتله ، ولن يُستدرك ما فات ، وبعد فإنه ليس يجب علينا أن نرضى بالدية في حقنا ولكن يجب على أخيك رحمه الله أن ينازعنا حقنا وما قد خصنا الله به دون غيرنا وعزيز عليٍّ ما ناله والسلام ، فهات الآن ما عندك يا أبا القاسم !

قال : فتكلم محمد بن علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني قد سمعت كلامك فوصل الله رحمك ورحم حسيناً وبارك له فيما صار إليه من ثواب ربه والخلد الدائم الطويل عند الملك الجليل ، وقد علمنا أن من نقصك فقد نقصنا ، ومن عزاك

(١) بالأصل : دينك .
(٢) بالأصل : ولا تصير .
(٣) بالأصل : « أبا » .
(٤) بالأصل : رأي .

فقد عزانا من فرح وترح ، وأظن أنك لو شهدت ذلك بنفسك لكنت ترى أجمل الرأي والعمل ولجانبت أسوأ الرأي والفعل والخطل ، والآن فإن حاجتي إليك أن لا تسمعني فيه ما أكره فإنه أخي وشقيقي وابن أبي ، وإن زعمت أنه ظلمك وقد كان عدواً لك كما تقول ، قال : فقال له يزيد : إنك لا تسمع فيه إلا خيراً ، ولكن[1] هلم فبايعني ، واذكر ما عليك من الدين حتى أقضيه عنك ! فقال محمد بن علي رضي الله عنه : أما البيعة فقد بايعتك ، وأما ما ذكرت من أمر الدين فما عليّ دين والحمد لله ، وإني من الله تبارك وتعالى بكل نعمة سابغة لا أقوم بشكرها ، قال : فالتفت يزيد إلى ابنه خالد فقال : يا بني ! إن ابن عمك هذا بعيد من اللوم والدنس والكذب ، ولو كان غيره كبعض من عرفت لقال : عليّ من الدين كذا وكذا ، ليستغنم أخذ أموالنا . قال : ثم أقبل عليه يزيد فقال : بايعني يا أبا القاسم ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : إني قد أمرت لك بثلاثمائة ألف درهم فابعث من يقبضها ، إذا أردت الانصراف عنا أوصلناك إن شاء الله ؛ قال : فقال له محمد بن علي رحمه الله : أيها الأمير لا حاجة لي في هذا المال ولا فيما جئت به ؛ فقال يزيد : فلا عليك أن تقبضه وتفرقه فيمن أحببت من أهل بيتك ، قال : فإني قد قبلته .

قال : فأنزله يزيد في بعض منازله ، وكان محمد بن علي يدخل إليه صباحاً ومساءً ، وإذا وفد المدينة قد أقبلوا على يزيد[2] وفيهم المنذر بن الزبير وعبد الله بن [أبي][3] عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي[4] وعبد الله بن[5] حنظلة بن أبي عامر الأنصاري ، فأقاموا عند يزيد أياماً فأجازهم يزيد لكل رجل بخمسين ألف درهم وأجاز المنذر بن الزبير بمائة ألف درهم[6] .

فلما أراد الانصراف إلى المدينة أقبل محمد بن علي رضي الله عنه حتى دخل على يزيد فاستأذنه في الانصراف معهم إلى المدينة فأذن له في ذلك ووصله بمائتي

(١) بالأصل : « ولكني » .
(٢) وكان ذلك سنة ٦٢ ، انظر سبب قدوم هذا الوفد في الطبري ٥ / ٤٧٩ ابن الأثير ٢ / ٥٨٧ البداية والنهاية ٨ / ٢٣٥ .
(٣) زياد عن المصادر .
(٤) في البداية والنهاية : الحضرمي .
(٥) بالأصل : عبد الله بن قيس بن حنظلة .. وما أثبت عن الطبري .
(٦) زيد في الطبري ٥ / ٤٨٠ أكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم ثم انصرفوا من عنده ، وقدموا المدينة كلهم إلا المنذر بن الزبير فإنه قدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة .

ألف درهم أخرى وأعطاه عروضاً[1] بمائتي ألف درهم ، ثم قال : يا أبا القاسم ! إني لا أعلم على وجه الأرض في مثل اليوم رجلاً هو أعلم منك بالحلال والحرام ، وقد كنت أحببت أن لا تفارقني وأن تعظني وتأمرني بما فيه حظي ورشدي ، فو الله لا أحب أن تنصرف عني وأنت ذامّ[2] لشيء من أخلاقي ؛ قال : فقال له محمد بن علي : أما ما كان منك إلى الحسين فذاك شيء لا تستدرك ، وأما الآن فإني ما رأيت منك منذ قدمت عليك إلا خيراً ، ولو رأيت منك خصلة أكرهها لما وسعني السكوت دون ما أنهاك عنها وأخبرك بحق الله فيها الذي أخذ الله تبارك وتعالى على العلماء في علمهم أن يبينوه للناس ولا يكتمونه ولست مؤدياً عنك من إلى ورائي من الناس إلّا خيراً غير أني أنهاك عن شرب هذا الخمر المسكر فإنه رجس من عمل الشيطان ، وليس من ولي أمور الأمة ودعي له بالخلافة على رؤوس الأشهاد على المنبر كغيره من الناس ، فاتق الله في نفسك وتدارك ما فات من أمرك ـ والسلام ـ .

قال : فسر يزيد بما سمع من محمد بن علي سروراً شديداً ثم قال : إني قابل منك ما أمرتني به ، وإني أحب أن تكاتبني في كل حاجة تعرض لك من صلة أو تعاهد ولا تقصرن في ذلك ؛ فقال محمد بن علي : أفعل ذلك إن شاء الله ولا أكون إلا عند ما تحب .

قال : ثم ودعه محمد بن علي ورجع إلى المدينة ففرق ذلك المال كله في أهل بيته وسائر بني هاشم وقريش ، [وما] من سائر النساء والرجال والذرية والموالي إلا صار إليه شيء من ذلك المال . ثم خرج محمد بن علي من المدينة إلى مكة ، فأقام بها مجاوراً لا يعرف شيئاً غير الصوم والصلاة .

ابتداء ذكر عبد الله بن الزبير وفتنته ودعوته الناس إلى بيعته

قال : وتحرك عبد الله بن الزبير ودعا إلى نفسه وجعل يبايع سراً ، ويزيد لا يعلم بشيء من ذلك ؛ قال : وأقبل نفر من أصحاب عبد الله بن الزبير منهم عبد الله بن مطيع العدوي والعباس بن سهل الأنصاري وجماعة من أولاد المهاجرين والأنصار حتى دخلوا على محمد بن علي رحمه الله فسلموا عليه . فرد عليهم السلام وأمرهم

(١) في الأصل : عروض .
(٢) بالأصل : « دام » .

بالجلوس . فقال : ما حاجتكم ؟ فقالوا : يا أبا القاسم ! إنا قد عزمنا على قتال هذا اللعين يزيد بن معاوية ، وهذا عبد الله بن الزبير قد بايعناه ونريد منك أن تكون يدك مع أيدينا ؛ فقال محمد بن علي : إذاً لا نفعل ، قالوا : ولم ذلك ؟ قال : لأني قد بايعته وأخذت جائزته ولم أخلعه فأقاتله ، فقالوا : ولم بايعته وأنت أنت ؟ قال : خوفاً منه على نفسي وولدي ، وإبقاء على من بقيَ من أهل بيتي ، لأني رأيت أخي الحسين رضي الله عنه قتل فلم آمن يزيد على نفسي ، وقد رأيت أخي الحسن بايع معاوية من قبل وأخذ جائزته ، والحسن كان أفضل مني ، فإن بايعت يزيد كان لي أسوة بأخي ؛ فقالوا : إن أخاك الحسن رأى رأياً ؛ فقال : وأنا رأيت ذلك الرأي الذي رآه أخي ، فقالوا : يا هذا إن يزيد رجلٌ يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والقرود وقد فسق وكفر[1] ؛ قال : فقال لهم محمد بن علي : إني قد كنت عنده بالشام مقيماً إلى وقت الانصراف عنه فلم أطلع منه على كفر ولا فجور ، وأكثر ما ينتهي إليّ من خبره أنه كان يشرب الخمر وقد نهيته عن ذلك وقضيت ما عليّ ولم يؤاخذني ربي بذنبه ؛ فقالوا له[2] : يا هذا ! إنه ليأتي من المنكر والفواحش أشياء ولكنه ما يطلعك على ذلك ، فقال لهم محمد بن علي رضي الله عنه : فلقد اطلعتم على ذلك منه[3] فوالله لئن كان أطلعكم على ما ذكرتم فأنتم شركاؤه في فعله إذا رأيتم شيئاً من المنكر فلم تغيروه ، وإن كان لم يطلعكم على شيء من ذلك فقد شهدتم[4] بغير الحق ، فاتقوا الله يا هؤلاء في أنفسكم وكفوا عما عزمتم عليه ، فإني خائف عليكم أن تسفكوا دمكم في غير حق . قال : فأطرق القوم ساعة[5] ثم قالوا : يا أبا القاسم ! لعلك إنما تكره البيعة لابن الزبير لأنك ترى أنك أحق بالبيعة منه ، إن كنت إنما تكره ذلك لهذا الشأن فاخرج بنا حتى نبايعك ! قال محمد بن علي : لا أستحل القتال تابعاً ولا متبوعاً . فقالوا : يا محمد ! أنت قاتلت مع أبيك يوم الجمل ويوم صفين ويوم النهروان ! قال : فتبسم محمد بن علي ثم قال : ويحكم ! وأين تجدون مثل أبي في دهركم

(١) في البداية والنهاية ٨ / ٢٥٥ إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب .
(٢) في البداية والنهاية : قالوا : إن ذلك كان منه تصنعاً لك . فقال : والذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إلي الخشوع .
(٣) في البداية والنهاية : أفاطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟
(٤) في البداية والنهاية : شهدتم بما لم تعلموا .
(٥) زيد في البداية والنهاية : قالوا : إنه عندنا لحق وإن لم يكن رأيناه . فقال لهم : أبى الله ذلك على أهل الشهادة ، فقال : ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ .

هذا ، والله لا أقاتل أهل القبلة ولا أتبع مولياً ولا أجهز على جريح ولا أدخل داراً إلا بإذن أهله . قال[1] : فقالوا : والله لا نفارقك حتى تخرج معنا أو تبايع من بايعناه ؛ فقال : والله لا خلعت من بايعت ولا تابعت من لم يجعل الله له في عنقي بيعة ، فاتقوا الله ربكم واذكروا ما نزل بأخي الحسين بن علي رضي الله عنهما وولده وإخوته وبني عمه وشيعته رضوان الله عليهم فإني لكم منه نذير مبين ، يا قوم ! لا ترضوا أحداً بسخط الله عليكم ، فقد أنذرت إليكم ـ والسلام ـ. قال : فانصرف القوم إلى عبد الله بن الزبير فخبروه بذلك ، قال : فسكت عنه ابن الزبير ولم يقل شيئاً . وسنرجع إلى هذا الخبر إن شاء الله تعالى .

ذكر حبس المختار بن أبي عبيد بالكوفة وما كان من عبيد الله بن زياد لعنه الله

قال : وتحدث أهل الكوفة بشيء من أمر عبد الله بن الزبير وشاع ذلك بالكوفة ، وقدمها عبيد الله بن زياد من البصرة فدعا بخليفته عمرو بن حريث(٢) المخزومي فقال : ويحك يا عمرو ! بلغني عن ابن الزبير أمر من الأمور فلا أدري ذلك حق أم باطل ، ولست أخاف على أمير المؤمنين من ابن الزبير ، وإنما أخاف عليه [من] هذه الترابية شيعة أبي تراب علي بن أبي طالب ، ولكن هل تعلم اليوم بالكوفة أحداً لا يتولى علياً وولده ؟ [فقال عمرو](٣) : ما أعلم ذلك أيها الأمير إلا علماً يقيناً إلا من كان لعلي عدواً . قال : فوثب عمارة(٤) بن عقبة بن أبي معيط فقال : أصلح الله الأمير ! ههنا المختار بن أبي عبيد وهو الذي كان يؤلب عليك بالأمس الناس حتى خرج عليك مسلم بن عقيل ، وقد كان فيما مضى عثمانياً واليوم فقد صار ترابياً .

قال : وإنما تكلم عمارة بن عقبة(٤) بهذا الكلام لشيء كان بينه وبين المختار قبل ذلك ، وذلك أنهما قعدا ذات يوم بالمدينة بمسجد الرسول ﷺ ، فتذاكرا قريشاً وفضلها وشرفها وما قد خصها الله بها من الكرامة ، فقال المختار : إن الله قد أعطى

---

(١) زيد في البداية والنهاية : قالوا : فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا. قال : لو أمرتهما لقاتلت .
(٢) بالأصل : « حرث » وقد مرّ .
(٣) زيادة اقتضاها السياق .
(٤) بالأصل « عمارة بن الوليد بن عقبة . . » وما أثبت عن الطبري ٥ / ٥٧١ .

قريشاً فضلاً غير مستنكر ، وإنما أعطاها ذلك بمحمد ﷺ ، وأما في الجاهلية فنحن أولى بالفضل من قريش ، ووالله لقد جاء الله تبارك وتعالى بالإسلام وهل دار من دورنا إلا وفيها امرأة من قريش وما في دور قريش من نساءنا إلا ثلاث أو أربـع . قال : فغضب عمارة بن عقبة ؛ ثم وثب فصار إلى عم المختار سعد بن مسعود[1] الثقفي وعنده جماعة من جلسائه ، فجلس إليه عمارة بن عقبة[2] وشكى إليه المختار وذكر ما كان من كلامه ، فقال سعد بن مسعود : أما إني سأعرفه صاحب سفه وطيش أحياناً ولوددت أني أكلبه ، وأيم الله لأسأنه إن شاء الله تعالى . قال : وأقبل المختار إلى عمه [قال : فلمـا رآه عمارة بن عقبـة نهض ، فقال : فقـد شكاني إليـك ؟ فقال عمه] : أجل لقد شكاك إليَّ وخبـرني بما كـان من استطالتـك عليه وإنـك لظالم متعدٍ[3] ، وبلى خبّرني عنك أعلى قريش يستطيل ويفتخـر ، وإياهـا ينتقص ومنها رسول الله ﷺ ؟ فقال المختار : يا عم ! والله لقد كان المستطيل عليّ في الكلام ، ويجب عليك أن تسمع مني كما سمعت منه ! فقال له عمه : لست بسامع منك ولا قابل عنك عذراً حتى تنطلق إليه فتعتذرمما كان ، قاتلك الله أنت الظالم ! قال فقال المختار : والله يا عم ! لقد كان هو الظالم وأنا مطيعك في لقائه والاعتذار إليـه . قال : فوثب المختار فنهض إلى عمارة بن عقبة[4] فاعتذر إليه وذكر حقه وقرابته ، قال : فقبل عمارة عذره في وقته ذلك وقلبه فيه ما فيه .

[ثم] رجعنا إلى الخبر الأول

قال : فلما كان ذلك اليوم وتكلم عبيد الله بن زياد ـ لعنه الله ـ بما تكلم أحب عمارة أن يغريه بالمختار فقال ما قال ، فغضب عبيد الله بن زياد ثم قال : عليَّ به ! فأتي بالمختار ، فلما دخل وقف بين يدي عبيد الله بن زياد فقـال له يـا بن[5] أبي عبيد ! أنت المقبل في الجيوش بالأمس لنصرة مسلم بن عقيل[6] وأنت ممن يتولى

(١) بالأصل « سعيد » وما أثبت عن جمهرة ابن حزم .
(٢) بالأصل « الوليد » .
(٣) بالأصل : متعدي .
(٤) بالأصل : الوليد .
(٥) بالأصل : « يابن بنت أبي عبيد » .
(٦) في الطبري ٥ / ٥٦٩ أن المختار بن أبي عبيد بايع مسلم بن عقيل فيمن بايعه من أهل الكوفة . . . حتى خرج ابن عقيل والمختار في قرية له تدعى لقفا . . . فأقبل المختار في موالٍ له حتى انتهى إلى باب الفيل بعد الغروب .

علياً وولده ؟ فقال : إني أحبهم بمحبة رسول الله ﷺ لهم ، وأما نصرتي لمسلم بن عقيل فلم أفعل ، وهذا عمرو بن حريث المخزومي يعلم ذلك ، وهو شيخ أهل الكوفة يعلم أني كنت في ذلك الوقت لازماً لمنزلي . قال : واستحيى عمرو بن حريث أن يشهد على رجل مسلم في ذلك الوقت بين يدي عبيد الله بن زياد فيقتل ، غير أنه قال : صدق أيها الأمير لم يقاتل مع مسلم بن عقيل ، ولقد كذب عليه في هذا[1] ، فإن رأى الأمير أن لا يعجل عليه فإنه من أبناء المهاجرين . قال : فرفع عبيد الله بن زياد ـ لعنه الله ـ قضيباً كان بين يديه فاعترض به وجه المختار فشتر[2] به عينه فصار المختار أشتر في ذلك الوقت ، ثم قال : يا عدو الله ! لولا شهادة عمرو بن حريث لضربت عنقك . ثم قال : انطلقوا به إلى السجن ! قال : فمضوا به إلى السجن .

قال : وبلغ ذلك[3] عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو ختن المختار على أخته صفية بنت أبي عبيد فاغتم لذلك ، قال : وجزعت أيضاً أخت المختار لحبس أخيها بالكوفة وأيقنت عليه من عبيد الله بن زياد أن يقتله . قال : [فسألت أخت المختار زوجها عبد الله بن عمر أن يشفع في أخيها ؛ فكتب عبد الله إلى يزيد كتاباً يشفع في صهره[4] . فقال يزيد لما قرأ الكتاب : ويشفع أبو عبد الرحمن في صهره فإنه أهل ذلك ، فأمر كاتبه فكتب إلى عبيد الله بن زياد : أما بعد فخل سبيل المختار ساعة[5] تنظر في كتابي هذا ـ والسلام ـ .

قال : فلما قرأ عبيد الله بن زياد كتاب يزيد بعث إلى المختار وأخرجه من

---

(١) يذكر سبباً آخر لحبس المختار غير الذي نقله المؤلف قال : ٥ / ٥٦٩ فلما كان المختار وقف على باب الفيل مر به هانىء بن أبي حية الوادعي فقال للمختار : « ما وقوفك ها هنا إلا أنت مع الناس ولا أنت في رحلك . قال : أصبح رأيي مرتجاً لعظم خطيئتكم ، فقال له : أظنك والله قاتلا نفسك » . وأخبر عمرو بن حريث بذلك . . . ثم أخرج المختار إلى عمرو بن حريث وسلم عليه وجلس تحت رايته حتى أصبح . فمشى عمارة بن عقبة بذلك إلى عبيد الله بن زياد .

(٢) الشتر : انقلاب جفن العين من أعلى إلى أسفل وتشنجه .

(٣) سأل المختار زائدة بن قدامة أن يسير إلى عبد الله بن عمر بالمدينة يسأله أن يكتب له إلى يزيد بن معاوية ليخلي سبيله عبيد الله (عن الطبري) .

(٤) نسخته عن الطبري ٥ / ٥٧١ :
أما بعد ، فإن عبيد الله بن زياد حبس المختار وهو صهري وأنا أحب أن يعافى ويصلح من حاله ، فإن رأيت رحمنا الله وإياك أن تكتب إلى ابن زياد فتأمره بتخليته فعلت . والسلام عليك .

(٥) الطبري ٥ / ٥٧١ : حين تنظر .

السجن ، فقال [له] : إني قد أمهلتك ثلاثاً فإن[1] أصبتك بالكوفة بعد ثلاثة أيام ضربت عنقك - والسلام - .

ذكر هرب المختار من ابن زياد وما كان من بيعته لعبد الله بن الزبير

قال : فخرج المختار من الكوفة قاصداً نحو الحجاز ، حتى إذا صار بواقصة[2] إذا هو برجل من أهل الكوفة يقال له الصقعب بن زهير ، فسلم عليه ثم قال : أبا إسحاق ! ما لي أرى عينك على هذه الحالة ! صرف الله عنك السوء ! فقال[3] : غرضها هذا المدعي عبيد الله بن زياد عبد بني علاج ابن سمية ومرجانة[4] . فقال : ما له ! شلت يمينه سريعاً عاجلاً ! فقال : نعم يا صقعب ! وقتلني الله إن[5] لم أقتله وأقطع أعضاءه عضواً عضواً ، ولكن خبرني عن عبد الله بن الزبير أين تركته ؟ فقال : تركته وهو يظهر العداوة ليزيد بن معاوية ، وهو أظن يبايع سراً ، فقال : بشرك الله بالخير يا صقعب ! فوالله إنه لرجل قومه[6] وهو من أبناء المهاجرين الأولين ، وما هو بدون غيره يا صقعب ! والله إني أرى الفتنة قد أرعدت وأبرقت وكأنك يا صقعب بي وقد خرجت وسمعت وقيل لك إن المختار بن أبي عبيد في عصابة من المؤمنين[7] يطلب بدم الوصيين أولاد بنت نبيّ رب العالمين ، فوربك يا صقعب لأقتلن عدد الذين قتلوا على دم يحيى بن زكرياء عليه السلام . فقال له الصقعب : ويحك يا أبا إسحاق ! هذه والله أعجوبة وأحدوثة أن يكون هذا منك ، فقال المختار : نعم والله يا صقعب ! هو والله ما قلت لك فاحفظ عني حتى ترى مصادقه[8] . فإنه كائن لا محالة . قال : وجعل المختار يقول : والذي أنزل القرآن وشرع الأديان ، وكتب الإيمان وكره العصيان ، لأقتلن العتاة من آل درغمان ومذحج وهمدان ، ونهد

---

(١) الطبري : فإن أدركتك بالكوفة بعدها قد برئت منك الذمة . فخرج إلى رحله .
(٢) واقصة : منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة .
(٣) الطبري ٥ / ٥٧٢ خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت إلى ما ترى .
(٤) بالأصل « مرجان » .
(٥) الطبري : إن لم أقطع أنامله وأباجله وأعضاءه إرباً إرباً .
(٦) الطبري : إنه لرجل العرب اليوم .
(٧) الطبري : في عصائبه من المسلمين .
(٨) الطبري : مصداقه .

وخولان ، وبكر وهران ، وبعل ونبهان وعيص وذبيان ، وقبائل قيس غيلان ، تعصباً لابن بنت نبي الرحمن ؛ نعم يا صقعب وحق السميع العليم ، العلي العظيم ، العدل الكريم ، الرحمن الرحيم ، لأعركن عرك الأديم بني محمد وسليم ، والأشراف من بني تميم .

قال : ثم ضرب[1] المختار راحلته ومضى حتى صار إلى مكة فدخل على عبد الله بن الزبير فسلم عليه وحياه ، فرحب به ابن الزبير وقربه ، وقال : من أين أقبلت يا أبا إسحاق ؟ قال : من الكوفة ، قال : فما تخبرني عنهم ؟ قال : أخبرك عنهم أنهم في السر أعداء وفي العلانية أتقياء[2] ؛ قال فقال له عبد الله بن الزبير : هذه والله صفة أهل السوء العبيد[3] إذا حضر مواليهم خدموهم وإذا غابوا عنهم عابوهم[4] ؛ فقال المختار : ذرني من هذا وابسط يدك أبايعك وأعطنا[5] ما يرضينا وثب بنا على الحجاز حتى نأخذها ، فإن أهل الحجاز كلهم معك وأنت أقرب إلى جماعة الناس ، وأدهى[6] عند ذوي النهى من يزيد بن معاوية . قال : فسكت ابن الزبير ولم يقل شيئاً . فقام المختار من عنده مغضباً فركب من ساعته ومضى إلى الطائف فأقام بها حولاً كاملاً عند بني عمه من بني ثقيف .

قال : وافتقده عبد الله بن الزبير فقال لبعض من يلوذ به من أصحابه[7] : لك علمٌ بالمختار بن أبي عبيد ؟ فقال : ما لي به علم منذ رأيته عندك ههنا ، ولكني سمعت نفراً من أهل الطائف يذكرون أنه مقيم عندهم هناك ، وأنه ابن عماته صاحب العقرب ، وأنه سيد الجبارين وقاتل الملحدين[8] : قال : فضحك ابن الزبير ثم قال : قاتله الله من متكهن كذاب ! والله لئن أهلك الله الجبارين فإن المختار أولهم[9] .

---

(١) الطبري : حرك .
(٢) الطبري : أولياء .
(٣) الطبري : صفة عبيد السوء .
(٤) الطبري : شتموهم ولعنوهم .
(٥) عن الطبري : وبالأصل « واعطينا » .
(٦) بالأصل : وأرمى .
(٧) هو عباس بن سهل بن سعد كما في الطبري ٥ / ٥٧٣ .
(٨) في الطبري : وهو يزعم أنه صاحب الغضب ، ومبير الجبارين .
(٩) الأصل وابن الأثير ، وفي الطبري : أحدهم .

قال : فما كان بأسرع من أن قدم المختار من الطائف بعد ذلك بثلاثة أيام ، فأقبل نحو البيت الحرام ، وعبد الله بن الزبير ينظر إليه وعنده نفر من أصحابه حتى دنا المختار من البيت واستلم الحجر الأسود ثم طاف فصلى ركعتين وجلس ، فجاءه قوم من أهل مكة فسلموا عليه وجلسوا عنده . فقال عبد الله بن الزبير لأصحابه : إني لا أراه يصير إلينا ! فقال العباس بن سهل الأنصاري : إن شئت أتيتك به أو بخبره ! فقال ابن الزبير : نعم فافعل .

فأقبل العباس بن سهل إلى المختار وسأله عن أحواله وأحوال بني عمه بالطائف ، ثم قال : يا أبا إسحاق ليس مثلك من يغيب عما اجتمع عليه أهل الشرف وبيوتات العرب ! فقال المختار : وما ذلك ؟ فقال العباس : إنه لم يبق حي من أحياء العرب إلا وقد جاء عميدهم وبايع هذا الرجل عبد الله بن الزبير ، فعجباً لك ولرأيك ألا ما أتيته فأخذت بحظك من هذا الأمر ! فقال المختار : والله يا أخا الأنصار ! إني أتيته في العام الماضي وأشرت عليه بالرأي ودعوته إلى حظه فطوى أمره دوني[1] ، ورأيته مستغنياً عني فأحببت أيضاً أن رآني عنه مستغنياً ، فوالله إنه لأحوج إليَّ مني إليه . فقال له العباس بن سهل : صدقت يا أبا إسحاق ! قد كان ذلك ، غير أنك كلمته وهو ظاهر في المسجد وهذا كلام لا يجب إلا والستور دونك مسدولة والأبواب دونك مغلقة ، ولكن القه الليلة وأنا معك حتى تسمع كلامه ويسمع كلامك ! فقال المختار : إني فاعل ذلك إن شاء الله إذا صلينا العشاء الآخرة . قال : فنهض الأنصاري من عنده إلى عبد الله بن الزبير فخبره بما كان منه .

فلما كان الليل وصليا العشاء الآخرة أقبل المختار ومعه العباس بن سهل الأنصاري حتى صار إلى ابن الزبير، قال: فمد يده إلى المختار فصافحه ورحب به ثم سأله عن أقربائه وأهله بالطائف ، فتحدثا ساعة ، ثم أقبل عليه ابن الزبير وقال : إنك كلمتني بهذا الكلام والناس حضور والحيطان لها[2] آذان وليس من أحد إلا وله عدو وصديق ، وهذا وقت خلوة فهات الآن ما عندك ! فقال المختار : إنه لا خير في الإكثار عن المنطق ، ولا حظ في التقصير عن الحاجة ، وأنت اليوم رجل قومك وقد جئتك أبايعك على أنه لا تقضي الأمور دوني وعلى أن أكون أول من تأذن له[3] وآخر

(١) الأصل والطبري ، وفي ابن الأثير : فكتم عني خبره .
(٢) بالأصل : والحيطان ليس لها آذان .
(٣) عن الطبري وبالأصل : يأذنك عليك .

من يخرج عنك ، فإذا أظهرك الله على يزيد بن معاوية فاستخلفني على أجل أعمالك(١) فأنتفع وأرد على أهل بيتي شيئاً . فقال له ابن الزبير : أنا أبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فقال المختار : لا والله لا أبايعك إلا على هذه الخصال ! قال : فسكت ابن الزبير ، فقال له العباس : اشتر منه دينه حتى ترى من رأيك ! قال ابن الزبير : أبا إسحاق ! فإني أبايعك على ما ذكرت ، قال : ثم بسط يده فبايعه المختار وأتى إلى منزله .

قال : فجعل الناس يبايعون عبد الله بن الزبير ، حتى بايعه خلق كثير من أهل الحجاز وغيرهم من أهل الأمصار ، ويزيد بن معاوية لا يعلم بشيء من ذلك . حتى إذا علم ابن الزبير أنه قد قوي ظهره بهؤلاء الخلق الذين قد بايعوه أظهر عيب يزيد سراً وجهراً وجعل يلعنه ويقول فيه وفي بني أمية كل ما قدر عليه من الكلام القبيح ، ثم إنه كان يصعد المنبر فيقول : أيها الناس ! إنكم قد علمتم ما سارت به فيكم بنو أمية من نبذ الكتاب والسنة ، وما سار به معاوية بن أبي سفيان إنه تأمر على هذه الأمة بغير رضا ، وادعى زياد بن أبيه رداً منه على رسول الله ﷺ ، والنبي ﷺ يقول : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ، فادعى معاوية زياداً وزعم أنه أخوه ، وقتل حجر بن عدي الكندي ومن معه من المسلمين ، ثم إنه أخذ البيعة لابنه يزيد في حياته ، ونقض ما كان في عنقه من بيعة الحسين بن علي رضي الله عنهما ، ثم هذا يزيد بن معاوية قد علمتم ما فعل بالحسين وإخوته وأولاده وبني عمه ، قتلهم كلهم وأسر من بقي منهم وحملهم إلى الشام على محامل ليس لهم وطأ ولا راعى فيهم حق رسول الله ﷺ ، وهو مشغول بلعب الفهود والقرود ، وشرب الخمر والمعاصي والفجور ، فاتقوا الله عباد الله ! فقد علمتم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما ولي أمر هذه الأمة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب وقال في خطبته : أيها الناس ! أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . مع كلام كثير كان له ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولست أذكر أحداً من الخلفاء الراشدين إلا أخبر عن أني أنهاكم عن طاعة من عصى الله وتعدى مرة . قال : فكان الناس يجتمعون إليه ويقولون بقوله حتى فشا ذلك في الناس . قال : وبلغ ذلك يزيد فلم تحمله الأرض غيظاً .

---

(١) الطبري : وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك .

ابتداء حرب واقم[1] وما قتل فيها من أولاد المهاجرين والأنصار والعبيد والموالي

قال : ولما بلغ يزيد بن معاوية ما فيه عبد الله بن الزبير من بيعة الناس له واجتماعهم إليه ، دعا بعشرة نفر من وجوه أصحابه[2] ، منهم النعمان بن بشير الأنصاري ، وشريك بن عبد الله الكناني ، وزمل بن عمرو العذري[3] ، ومالك بن هبيرة السكوني ، وعبد الله بن عضاة الأشعري ، وروح بن زنباع الجذامي ، وأبو كبشة السكسكي ، وسعيد بن عمرو الهمداني ، وعبد الله بن مسعدة الفزاري ، وعبد الرحمن بن مسعود الفزاري[4] ؛ فدعا بهؤلاء العشرة ثم قال لهم : إن عبد الله بن الزبير قد تحرك بالحجاز وأخرج يده من طاعتي ودعا الناس إلى سبي وسب أبي ، وقد اجتمعت إليه قوم يعينونه على ذلك ، ويزينون له أمره. وأنا أكره البغي عليه قبل الاعتذار إليه ، ولكن صيروا إليه ! فإذا دخلتم عليه فعظموا حقه وحق أبيه الزبير ، وخبروه بالذي بلغني عنه وسلوه بعد ذلك أن يلزم الطاعة ولا يفارق الجماعة وأن يرجع إلى الأمر الذي خرج منه ، وعليكم بالرفق والتأني[5] ، فإن أجاب إلى ذلك فخذوا بيعته وانصرفوا عنه ، وإن أبى إلاّ العداوة وشق العصا فخوفوه وحذروه ما نزل بالحسين بن علي . وليس الزبير عندي بأفضل من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولا ابنه عبد الله بأفضل من الحسين بن علي ، وانظروا أن لا تلبثوا عنده فإني متعلق القلب بورود خبركم عليَّ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال : فخرج القوم من الشام وساروا إلى مكة ودخلوا على عبد الله بن الزبير ،

---

(١) واقم : أطم من آطام المدينة ، وحرة واقم إلى جانبه . وفي هذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة سنة ٦٣ .

(٢) في الأخبار الطوال ص ٢٦٣ : من أشراف أهل الشام . وفيه ص ٢٦٢ أن يزيد كان قدم إلى ابن الزبير رجلاً في عشرة نفر من حرسه وقال له : انطلق فانظر ما عنده ، فإن في الطاعة فخذه بالبيعة ، وإن أبى فضع في عنقه جامعة وائتني به . وأتاه الحرسي ، فقال له ابن الزبير : انصرف إلى صاحبك فأعلمه أني لا أجيبه إلى شيء مما يسألني . قال الحرسي : ألست في الطاعة . قال : بلى غير أني لا أمكنك من نفسي . فانصرف الحرسي إلى يزيد وأخبره بذلك .

(٣) بالأصل : « رمل بن عمرو المعذري » والتصويب عن الإصابة .

(٤) فيمن ذكر في الأخبار الطوال : مسلم بن عقبة .

(٥) في الأخبار الطوال : فقال لهم (يعني يزيد) : انطلقوا فأعيدوه إلى الطاعة والجماعة وأعلموه أن أحب الأمور إليَّ ما فيه السلامة .

وعنده يومئذ المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن مطيع العدوي والعباس بن سهل الأنصاري ووجوه أولاد المهاجرين والأنصار ، قال : فسلموا عليه ، فرد عليهم السلام ورحب بهم وقربهم وأدناهم ثم سألهم عن حالهم وأمرهم ، فأدوا إليه رسالة يزيد ؛ فقال عبد الله بن الزبير : وما الذي يريد مني يزيد بن معاوية ؟ إنما أنا رجل مجاور لهذا البيت عائذ به من شر يزيد بن معاوية وغير يزيد ، فإن تركني فيه وإلا انتقلت عنه إلى بلد غيره ، وكنت فيه إلى أن يأتيني الموت . قال : ثم أمر لهم بمنزل ، فصاروا إليه يومهم ذلك وأمر لهم بما يصلحهم .

فلما كان من الغد خرج فصلى بأصحابه الفجر ، ثم أقبل فجلس في الحجر ، واجتمع إليه أصحابه ، وأقبل إليه هؤلاء الوفد الذين قدموا عليه من عند يزيد وتكلموا كلاماً يرجون به اتباعه ليزيد وطاعته له . قال : فأقبل إليه النعمان بن بشير فقال : بلغ[1] يزيد عنك أنك تصعد المنبر فتذكره وتذكر أباه معاوية بكل قبيح ، وأنت تعلم أنه إمام وقد بايعه الناس ، ولا نحب لك أن تخرج يدك من الطاعة وتفارق الجماعة ، وبعد فإن الغيبة لا خير فيها . قال : فقطع عليه الكلام عبد الله بن الزبير ، ثم قال : يابن بشير ! إن الفاسق لا غيبة له ، وما قلت فيه إلا ما قد علمه الناس منه ، ولو كان على ما كان عليه الأئمة الأخيار سمعنا وأطعنا ولذكرناه بكل جميل ؛ وبعد فإني أنا في هذا البيت بمنزلة حمامة من حمام مكة ، أفتحل لكم أن تؤذوا حمام مكة ؟ قال : فغضب عبد الله بن عضاة الأشعري فقال : نعم والله يابن الزبير[2] ! نؤذي حمام مكة ونقتل حمام مكة ، وما حرمة حمام مكة يابن الزبير ! أتصعد المنبر وتتكلم في أمير المؤمنين بكل قبيح ثم تشبه نفسك بحمام مكة ؟ ثم قال : يا غلام ! ائتني بقوسي وسهم ! قال : فأتي بقوسه وسهامه . فأخذ سهماً فوضعه في كبد قوس[3] ثم سدده نحو حمام مكة وقال : يا حمامة ! أيشرب أمير المؤمنين ويفجر ؟ قولي نعم ! أما والله لو قلت : نعم ، لما أخطأك سهمي هذا ؛ يا حمامة ! أيلعب أمير المؤمنين بالقرود والفهود ويفسق في الدين ؟ قولي : نعم ! أما والله لئن قلت : نعم ، لا أخطأك سهمي هذا ؛ يا حمامة ! فتقتلين أم تخلعين الطاعة وتفارقين الجماعة وتقيمين في

---

(١) في الأصل : بلغه .
(٢) في الأخبار الطوال ص ٢٦٣ وكان ابن الزبير قال لابن عضاة : أتستحل قتالي في هذا الحرم ؟ قال : نعم إن أنت لم تجب إلى طاعة أمير المؤمنين .
(٣) في الأخبار الطوال : وفوق فيها سهماً ، فبوأه نحو الحمامة .

الحرام عاصية ؟ قولي نعم[1] ! قال : ثم أقبل عبد الله بن عضاة على ابن الزبير فقال له : ما لي لا أرى الحمامة تنطق بشيء وأنت الناطق بجميع ما كلمتها فيه على المنبر ، أما والله يابن الزبير ! إني خائف عليك وأقسم بالله قسماً صادقاً لتبايعن يزيد طائعاً أو كارهاً أو لتعرفني في هذه البطحاء وفي يدي راية الأشعريين . قال : فقال له المختار بن أبي عبيد : أما والله يابن عضاة ! لئن أنت رمت ذلك وأردت بصاحب هذا البيت سوءاً ليدمرن الله عليك وعلى صاحبك يزيد كما دمر على أصحاب الفيل إذ راموه فجعل كيدهم في تضليل[2] ، فإن شئت فرم ذلك ! فقال له عبد الله بن عضاة : يابن أبي عبيد ! أما ! إن عبيد الله بن زياد قد كان حازم الرأي في حبسك بالكوفة ، ولو ضرب عنقك لأصاب الرأي ، ولكن لا جزى الله صهرك عبد الله بن عمر خيراً[3] . قال ابن أبي عبيد : والله ما كان أبوه أمير المؤمنين ، وقد قتل وسفك دماء المؤمنين ، وقد قتل ابن بنت نبي رب العالمين . قال : وارتفعت الأصوات بين عبد الله بن عضاة وبين المختار ، فأقسم عبد الله بن الزبير على المختار أن يسكت ، فسكت ؛ ثم أقبل على عبد الله بن عضاة فقال : يا هذا ! أتستحل في البيت الحرام وقد أخبر الله تعالى في كتابه ﴿ **ومن دخله كان آمناً** ﴾[4] ؟ فقال ابن العضاة : إنما يستحل الحرام من حل فيه وخلع الطاعة وفارق الجماعة . قال : وكثر الكلام بين القوم[5] ولم يجبهم ابن الزبير إلى ما يريدون ، فانصرفوا عنه ، حتى إذا صاروا إلى يزيد فخبروه بذلك ، فأمهله يزيد وجعل يتأنى في أمره ويقول لأصحابه : ويحكم ! إني قتلت بالأمس الحسين بن علي وأقتل اليوم عبد الله بن الزبير ! أخاف أن تشعث

---

(١) في الأخبار الطوال : ثم قال : يا حمامة ، أتعصين أمير المؤمنين ؟ والتفت إلى ابن الزبير ، وقال : أما أنها لو قالت نعم ، لقتلتها

(٢) الأصل : تظليل .

(٣) وكان عبد الله بن عمر ، كتب إلى يزيد يطلب إليه التدخل لدى عبيد الله بن زياد لتخلية سبيله ، وقد مرّ ذلك قريباً .

(٤) سورة آل عمران الآية ٩٧ .

(٥) زيد في الأخبار الطوال ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ أن ابن الزبير خلا بنعمان بن بشير فقال : أنشدك الله ، أنا أفضل عندك أم يزيد ؟ فقال : بل أنت . فقال : فوالدي خير أم والده ؟ قال : بل والدك . قال : فأمي خير أم أمه ؟ قال : بل أمك . قال : فخالتي خير أم خالته ؟ قال : بل خالتك . قال : فعمتي خير أم عمته ؟ قال : بل عمتك ، أبوك الزبير وأمك أسماء بنت أبي بكر وخالتك عائشة وخالتك خديجة بنت خويلد .

قال : أفتشير عليّ بمبايعة يزيد . قال النعمان : أما إذا استشرتني فلا أرى لك ذلك .

عليّ العامة ولا يحتمل ذلك لي ويتنغص عليّ أمري . قال : وجعل عبد الله بن الزبير يجمع الجموع وجعل يقوي أمره يوماً بعد يوم، ومحمد ابن الحنفية رضي الله عنه معتزل عنه في منزله ولا يدخل في طاعته .

ذكر الوقعة الأولى بين مكة والمدينة بين عمرو بن الزبير وأخيه عبد الله ومقتل عمرو بن الزبير

قال : وكان يومئذ أمير المدينة عمرو بن سعيد بن العاص(١) من قبل يزيد بن معاوية ، فكتب إليه يزيد من الشام يخبره بخبر عبد الله بن الزبير وأخيه ، فعزم عمرو بن سعيد على ذلك(٢) ، وكانت بنو أمية يكرمون عمرو بن الزبير لأن أمه بنت خالد بن سعيد بن العاص ، فكانوا يكرمون عمرو بن الزبير لأنه ابن أختهم . قال : وكان عمرو بن الزبير من أشد الناس عداوة لأخيه عبد الله بن الزبير ، فدعاه عمرو بن سعيد بن العاص فعقد له عقداً وضم إليه جيشاً كثيفاً(٣) ووجه به إلى محاربة أخيه عبد الله بن الزبير .

قال : فخرج عمرو بن الزبير [يومئذ في جيشه من المدينة ، يريد مكة ، وبلغ ذلك عبد الله بن الزبير] فنادى في الناس وخرج من مكة في جيش ، حتى التقى القوم بين مكة والمدينة(٤) ، واختلطوا واقتتلوا ساعة من النهار ، فقتل من الفريقين جماعة . ثم حمل عبد الله بن الزبير في جميع أصحابه وحمل المختار بن أبي عبيد من الميمنة والعباس بن سهل الأنصاري من الميسرة ، فوقعت الهزيمة على جماعة بني أمية ، فقتل من القوم مقتلة عظيمة وأسر منهم من أسر ، وفيمن أسر يومئذ عمرو بن الزبير(٥) . فلما وقف بين يديه قال : قبحك الله من أخ وذي رحم ! فإنك لم

---

(١) كذا بالأصل والطبري وابن الأثير ، وفي مروج الذهب ٣ /٩٢ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان .

(٢) في الطبري ٥ / ٣٤٤ وابن الأثير ٢ / ٥٣٢ أن عمرو بن سعيد استشار عمرو بن الزبير فيمن يرسله إلى أخيه؟ قال : لا توجه إليه رجلاً أبداً أنكأ له مني .
وكان عمرو بن الزبير على شرطه عمرو بن سعيد .

(٣) كانوا نحو ألفين (الطبري ٥ / ٣٤٦) .

(٤) انظر تفاصيل أوردها الطبري بروايات متعددة ٥ / ٣٤٤ - ٣٤٦ وانظر ابن الأثير ٢ / ٥٣٢ .

(٥) وبعد هزيمته أجاره أخوه عبيدة بن الزبير . ثم انطلق به إلى عبد الله . فدخل على ابن الزبير فقال : ما هذا الدم الذي في وجهك يا خبيث؟ فقال عمرو:

لسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على أقدامنا تقطر الدما

تذكر ما كان من البلاء عندك وقيامي بحقك وأخذي إياك من يد مروان بن الحكم ، ولكن أنت قديم العداوة ، وكنت تضرب وجهي بالسيف قال : ثم جاء بهم إلى مكة فحبسه .

فلما كان من الغد أقامه للناس ونادى : أيها الناس ! أن أمير المؤمنين يقول لكم : من كانت له مظلمة عند عمرو بن الزبير فليحضر ! قال : فكان يجيء الرجل من بعد الرجل فيقول : يا أمير المؤمنين ! إن هذا شتمني ؛ فيقول : اشتمه ! ويقول آخر : إن هذا ضربني ، فيقول : اضربه ! حتى جاء مصعب[1] بن عبد الرحمن بن عوف فقال : يا أمير المؤمنين ! إنه جلدني مائة سوط بلا ذنب كان مني إلا لميلي إليك ، قال : فأمر به عبد الله بن الزبير فجرد من ثيابه ، وأمر مصعباً[2] أن يجلده ، فجلده مصعب بيده مائة سوط ؛ ثم أمر به عبد الله بن الزبير ، فحبس[3] ولم يداو[4] فمات .

ثم قال : أتدرون لم عملت بعمرو بن الزبير هذا ؟ فقالوا : لا يا أمير المؤمنين ! قال : إنه صار إلى معاوية زائراً ، فكتب له بمائة ألف درهم ، ففتح الكتاب وضاعفها مائة ألف أخرى ، فدفع إليه ذلك المبلغ زياد - مائتي ألف درهم - ؛ فلما دفع إليه زياد حسابه ، قال معاوية : ما أمرت لعمرو بن الزبير إلا بمائة ألف درهم ، وعلم معاوية أنه هو الذي عمل في الكتاب الزيادة ؛ فكتب إلى مروان بن الحكم وهو عامله بالمدينة أن يأخذ من عمرو بن الزبير مائة ألف درهم ، فصرت أنا إلى مروان وضمنت له المائة ألف ، فأخذه مروان فحبسه فأخرجته ، وهذا جزائي منه أن يخرج عليّ ليضرب وجهي بالسيف ؛ قال : فلم يعذر عبد الله بن الزبير في هذا .

---

(١) بالأصل « مصعب بن سعيد بن عبد الرحمن » وما أثبت عن جمهرة ابن حزم .
وفي الطبري ٥ / ٣٤٤ أن عمرو بن الزبير لما ولى شرطه عمرو بن سعيد : نظر إلى كل من كان يهوى هوى ابن الزبير فضربه وكان ممن ضرب : المنذر بن الزبير وابنه محمد بن المنذر (وقد رفضا أن يستقيدا منه) وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام وخبيب بن عبد الله بن الزبير ومحمد بن عمار بن ياسر ، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين . ولم يرد فيهم مصعب .

(٢) بالأصل : مصعب .

(٣) حبس في حبس عارم . وفي مروج الذهب ٣ / ٩٢ فأقامه للناس بباب المسجد الحرام مجرداً ، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات .

(٤) بالأصل : ولم يداوى .

قال : وشق على عامة أهل مكة ما فعل عبد الله بن الزبير بأخيه . قال : وقد كان عبد الله بن الزبير قبل ذلك يصعد المنبر فيقول : أيها الناس ! إن بطني شبراً وما عسى يكفي شبراً[1]، إنما يكفيني في كل يوم قبضة من طعام . وإنما أريد [أن] أسير فيكم بسيرة الصالحين وسيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . قال : وكثيراً ما كان يقرأ سورة الأعراف على المنبر ويقرأها حرفاً حرفاً، وكان يدور في أسواق مكة يتشبه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه . فلما فعل بأخيه ما فعل وأقامه للناس وأمر بضربه حتى مات ، فجعل بعض أهل مكة يقول في ذلك[2] :

[تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة ... وبطنك شبر أقل[3] من الشبرِ
وأنت إذا ما نلت شيئاً قضمته ... كما قضمت نار الغضا حطب السدر[4]
لكم سيرة الفاروق لا شك غيره ... وسنة صديق النبي أبي بكر
فلما كذبتَ الله ما قد وعدته ... وما كنت قد وكّدت في جانب الحجر
فأصبحت ما تجري لك اليوم طاعة ... ببلدة أعراب ولاه ولا قفر
فإن كنتَ تخشى أن[5] تبيت بنعمة ... قريباً لردَّتْك العطوف على عمرو]

قال : وذكر ذلك أبو حرة[6] مولى بني مخزوم في تغزله حيث يقول :

ما زال في سورة الأعراف يقرأها ... حتى فؤادي مثل[7] الخزّ في اللبنِ
يقول للناس بطني غير ما كذب ... شبراً هنياً ودون القوت يكفيني
لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد ... أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين
[أما تصبك من الأيام جائحة ... لا سهل منك على دنيا ولا دين
ولا نقول إذا أصبحت مغتبطاً ... ألا أميرُ برب الناس آمين][8]

(١) في مروج الذهب ٣ / ٩١ فما عسى أن يسع ذلك من الدنيا .
(٢) وهو الضحاك بن فيروز الديلمي ـ كما في مروج الذهب ٣ / ٩١ .
(٣) مروج الذهب : أو أقلّ .
(٤) قضمت : يقال قضمت الدابة الشعير ، وقضمت النار أي أكلت وأحرقت الحطب مع صوت يسمع .
(٥) في مروج الذهب : فلو كنت تجزى إذ تبين بنعمة .
(٦) بالأصل « أبو حدة » وما أثبت عن مروج الذهب ٣ / ٩١ وفيه : أبو حرة مولى الزبير .
(٧) بالأصل : « كمثل » وما أثبت عن مروج الذهب .
(٨) مكان هذين البيتين في مروج الذهب ٣ / ٩١ .
إن امرءاً كنت مولاه فضيعني ... يرجو الفلاح لعمري حق مغبون

ثم أعلن عبد الله بن الزبير ما هو فيه ، وأرسل إلى سعد مولى عتبة بن أبي سفيان وهو متحصن بالطائف ، فأرسل إليه بقوم فحاصروه حتى استنزلوه في خمسين رجلاً من أصحابه من شيعة يزيد بن معاوية ، فأتوا بهم إليه فأمر بحبسهم ؛ ويقال : إنه قتلهم عن آخرهم ـ والله أعلم ـ .

قال : ثم أقبل حتى نزل دار البلاط بمكة فجعلها دار إمارته . قال : وتفرق كل من كان بمكة من شيعة بني أمية خوفاً على أنفسهم ؛ فصاروا إلى الشام ، وأنشأ بعض أهل مكة يقول :

[بلى أم حمدٍ ما تحمّد أهله ... فكيف بذي وجد من القوم آلفِ
من أجل أبي بكر جلتْ عن بلادها ... أميّة والأيامُ دارُ تعارف
وقد حلّ في دار البَلاط مطوّع ... قبول على الأرحام ليس بعاطف
وعما قليل سوف يأتي بيثرب ... عليها من الأبطال ذات زواحف]

قال : وبلغ أهل المدينة أن عبد الله بن الزبير بايعه أهل مكة والطائف وسائر الحجاز فوثبوا على عاملهم عمرو بن سعيد بن العاص[1] فأخرجوه من المدينة ، وأخرجوا من كان معه من بني أمية فطردوهم بأجمعهم وبايعوا عبد الله بن الزبير[2] .

---

(1) كذا بالأصل ، وفي الطبري ٥ / ٤٨٢ وابن الأثير ٢ / ٥٩٣ والإمامة والسياسة ١ / ٢٣٠ عثمان بن محمد بن أبي سفيان .

(2) في الطبري بايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل .
ويرى صاحب الإمامة والسياسة أن السبب في خلع أهل المدينة يزيداً أن يزيد كان قد أرسل إليهم كتاباً جاء فيه :
بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد، فإني قد نفستكم حتى أخلفتكم ورفقتكم حتى أخرفتكم ، ووضعتكم على رأسي ثم وضعتكم وآيم الله لئن آثرت أن أضعكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل منها عددكم وأترككم أحاديث تناسخ كأحاديث عاد وثمود ، وآيم الله لا يأتيكم مني أولى من عقوبتي ، فلا أفلح من ندم .
قلت : لم يكن كتاب يزيد إلى أهل المدينة ، ولا تعيينه عثمان بن محمد بن أبي سفيان ذلك الفتى الغرّ الحدث الغمر الذي لم يجرب الأمور ولم يحنكه السن ولم تضرسه التجارب والذي كان لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله السبب في خلافهم على يزيد ، وخلعهم إياه ونكثهم بيعتهم له .
وقد يكون هو العامل الذي حرك الأسباب الحقيقية لتحرك أهل المدينة خاصة ودفعها إلى الواجهة حيث أخذت المواجهة بين المدنيين والحكم الأموي المتمثل بيزيد الطابع الصدامي والأكثر دموية .
ولحركة المدينة أسباب كثيرة منها سياسية ومنها اقتصادية واجتماعية ، وأهم هذه الأسباب :
ـ السياسة الأموية التي وضع معاوية بن أبي سفيان خطوطها الأولى كانت وراء الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالمدينة والتي دفعت بها إلى حدود الضيق والفقر (انظر تفاصيل حول هذه السياسة أوردها =

قال : وبلغ ذلك ابن الزبير فأرسل إلى عبد الله بن حنظلة[1] بن أبي عامر الغسيل - غسيل الملائكة - فولاه المدينة ؛ قال : فخلت مكة والمدينة من بني أمية .

قال : وجعل عبد الله بن حنظلة أمير المدينة يشتم يزيد بن معاوية ويظهر عيب يزيد وعيب بني أمية ، ويقول فيهم ويقذفهم بكل عجيب. فقال له مسلم: أيها الأمير ! مهلاً عن بني أمية ، فإنك تعلم أنك قدمت على معاوية فأجلسك معه على سريره ورد عليك صدقة أبيك ثم قضى حوائجه وأمر له بمائة ألف درهم ، ثم إنك قصدت ابنه يزيد فأجلسك أيضاً على سريره وأكرمك ، فوالله ما كافيت ابنه يزيد ولا معاوية ، ما لك ولبني أمية تشتمهم وتظهر عيبهم وأنت لا تدري ما يكون في عاقبة هذا الأمر ؛ فقال له عبد الله : اسكت ويحك يا مسلم ! فوالله ما خرجت بسيفي وطردت بني أمية عن المدينة حتى كنت أصعد إلى سطح بيتي في جوف الليل فأخاف أن ينحروني

= د . إبراهيم بيضون في كتابه الحجاز والدولة الإسلامية ص ٢٥٠ وما بعدها) .

- القهر السياسي الذي عانى منه الحجاز عامة والمدينة ومكة خاصة حيث حظر على زعمائهما تجاوز الاهتمامات الاجتماعية والثقافية بعد انتقال الخلافة إلى الشام .
- رفض الحكم الأموي ، وقد جاء غياب معاوية فرصة لإظهار هذا الرفض من الخفاء إلى العلن ، وقد كان غيابه مؤشراً للإنفجار المرتقب حيث كان وجوده عاملاً في منعه أو تجميده .
- فشل الخليفة يزيد أمام الأزمات الخطيرة التي واجهت حكمه وانغماسه (حسب الروايات) بالترف والمجون واستغراقه حتى العبث في حياته الخاصة في إذكاء روح المعارضة وتجرؤها على الإعلان عن نفسها .
- ضربه الرموز الإسلامية بمنتهى العنف ، حيث رأى في اتباعه هذه السياسة مدخلاً إلى إثبات حضوره السلطوي لكن هذا شجع المعارضة على المبادرة إلى اتخاذ موقف علني ضده .
- ثورة الحسين التي كانت السباقة إلى رفض الأمر الواقع والتي انتهت بمأساة دموية في العراق وأوقعت النظام الأموي وأدواته في ارتباك شديد .
- حركة ابن الزبير التي استطاعت أن تستثمر النقمة المتزايدة على الحكم الأموي .
- وجود الوالي عثمان بن محمد بن أبي سفيان والذي وصف بأنه غرّ قليل التجربة حديث السن واخفاقه في التعاطي مع المستجدات الخطيرة في مكة والمدينة .
- محاولة أهل المدينة (الأنصار) إعادة التوازن الذي اختل منذ السقيفة . وهنا لا بد من الإشارة إلى أن دعوة ابن الزبير للمدينة لبيعته بعد مقتل الحسين لم يرافقها في المدينة كثير من الحماسة فقد انقسمت بين مؤيد له ومتحفظ ومتردد ، لكن اللقاء مع ابن الزبير تمحور حول هدف كبير مشترك هو الإطاحة بالخليفة الأموي ، وما تولي عبد الله بن حنظلة (من الأوس) إلا إشارة على التوجه الأنصاري لأهل المدينة . وهذا ما سيؤدي (كما سيرد) إلى استفراد المدينة في الحملة العسكرية التي استهدفتها .

(١) بالأصل : حنضلة .

بالهجوم لما أرى من كثرة بني أمية وجورهم وأعمالهم القبيحة ولا أقدر أن أغيرها .

قال : وبلغ يزيد بن معاوية ما قد فعله أهل المدينة بعامله عمرو بن سعيد بن العاص[1] وببني أمية وما فعله عبد الله بن الزبير بمكة ، فدعا بالضحاك بن قيس الفهري[2] وأمره أن يسير إلى المدينة ومكة فيتولى حرب عبد الله بن الزبير ، فقال الضحاك : لا والله يا أمير المؤمنين لا أحب أن أكون أول من أراق دم قريش ، فادع لهذا الأمر غيري . قال : فتركه ودعا مسلم بن عقبة المري وكان شيخاً كبيراً من أبناء بضع وتسعين سنة ، فكلمه يزيد في ذلك وأمره بالخروج إلى عبد الله بن الزبير ، فقال : أنا شيخ كبير ، فقال له : لا بد لك من ذلك فإن أبي أوصاك بحفظي من بعده[3] ، ولا أجد أحداً[4] يقوم بذلك سواك ؛ فإذا تقاربت من المدينة فاجعل طريقك عليها ، فإن كان أهل المدينة قتلوا أحداً من بني أمية فادخلها بالسيف وأرق الدماء فيها ثلاثة أيام ، ثم سر بعد ذلك إلى مكة ؛ وإن لم يكن أهل المدينة قتلوا أحداً فلا تتعرض لهم إلا بكل خير[5] . قال : ثم أمر يزيد الناس فجمعهم لمسلم[6] بن عقبة المري فاجتمع إليه عشرون ألف فارس وسبعة آلاف راجل[7] ، فأعطى يزيد كل واحد منهم مائتي دينار ، ولكل راجل مائة دينار ، وأمرهم بالمسير مع [مسلم بن][8] عقبة وشيعهم حتى إذا صار إلى موضع يقال له الثنية ودعه يزيد ثم

---

(١) كذا ، وقد مرّ أنه عثمان بن محمد بن أبي سفيان .

(٢) في الطبري : « عمرو بن سعيد » وفيه : أن يزيد كتب إلى ابن مرجانة (عبيد الله بن زياد) أن اغز ابن الزبير : فقال : لا أجمعهما للفاسق أبداً . أقتل ابن بنت رسول الله وأغزو الكعبة . ثم أرسل إليه يعتذر (انظر ابن الأثير ٢ / ٥٩٤) .

(٣) في رواية في الطبري ٥ / ٤٩٥ أن معاوية لما حضرته الوفاة قال ليزيد : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة، فإنه رجل قد عرفت نصيحته . وجاء في الإمامة والسياسة ١ / ٢٣١ أن يزيد قال له : سر إلى هذه المدينة بهذه الجيوش ، وإن شئت أعفيتك فإني أراك مدنفاً منهوكاً ، فقال : نشدتك الله ألا تحرمني أجراً ساقه الله إليّ .

(٤) بالأصل : أحد .

(٥) انظر وصية يزيد لمسلم بن عقبة في الطبري ٥ / ٤٨٤ وابن الأثير ٢ / ٥٩٤ والإمامة والسياسة ١ / ٢٣٢ .

(٦) بالأصل : لعمرو .

(٧) في الطبري وابن الأثير وابن كثير : اثنا عشر ألف فارس ، زيد في البداية والنهاية : وخمسة عشر ألف راجل .

(٨) زيادة عن الطبري .

أوصاه بوصية ثم جعل يقول[1] :

[أبلغ أبا بكر إذا الليلُ سرى وهَبَطَ القوم على وادي القرى
عشرون ألفٍ بين كهل وفتىً أجمع سكرانٍ من القوى ترى
أمْ جمع يقظان نفى عنه الكرى يا عجباً من ملحدٍ يا عجبا
مخادع في الدين يقفو بالعرى -]

ذكر مسير مسلم بن عقبة المري إلى مكة

قال : وسار مسلم بن عقبة مع الجيش يريد مكة ، فلما تقارب من المدينة استقبله بنو أمية مطرودين[2] من المدينة فوقفوا إليه[3] وسلموا عليه فقال لهم مسلم : هل قتل منكم أحد ؟ قالوا : لا ولكن أخرجنا عن المدينة مطرودين[4] ؛ فقال : لا بأس عليكم ، ارجعوا معي حتى نفرغ من عبد الله بن الزبير ، فقد أمرني يزيد بأمر وأنا منته[5] إلى أمره .

قال : فرجعت معه بنو أمية ونزل مسلم بن عقبة المدينة عن يساره ومضى نحو الساحل لكي يخرج إلى مكة ، ثم إنه نزل في بعض المنازل قريباً من المدينة فتطرف[6] عسكره ، ووقعت الصيحة ، فقال مسلم : ما هذا ؟ فقالوا : أيها الأمير ! هؤلاء سفهاء المدينة قد خرجوا يتطرفون عسكرنا يريدون الغارة علينا . قال : فغضب مسلم بن عقبة وقال : ارجعوا الآن إليهم حتى ننزل بهم ما هم أهله ! قال : فرجع القوم حتى نزلوا بموضع يقال له حرة واقم .

ذكر حرة واقم وما قتل فيها من المسلمين

قال : وخرج أهل المدينة مع أميرهم عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر[7] إلى

---

(١) الطبري ٥ / ٤٨٤ ابن الأثير ٢ / ٥٩٤ مروج الذهب ٢ / ٨٤ الأخبار الطوال ص ٢٦٥ البداية والنهاية ٨ / ٢٣٩ باختلاف في بعض الألفاظ بين المصادر . وما أثبت يوافق رواية الطبري للأرجاز .
(٢) الأصل : مطرودون .
(٣) وذلك بوادي القرى (الطبري) .
(٤) الأصل : مطرودون .
(٥) الأصل : منتهي .
(٦) بالأصل : فتطرفوا .
(٧) في الطبري ٥ / ٤٨٧ عبد بن مطيع كان على قريش من أهل المدينة ، وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار ومعقل بن سنان على المهاجرين (انظر ابن الأثير والأخبار الطوال) .

حرب أهل الشام ، فعبى عبد الله بن حنظلة أصحابه وجعل على ميمنته يعقوب بن طلحة بن عبيد الله(١) ، وعلى ميسرته أبو جهم بن حذيفة العدوي(٢) ، وعلى الجناح عبد الله بن خزيمة بن أبي ثابت(٣) الأنصاري ؛ وعبى مسلم بن عقبة أصحابه عن المدينة . قال : فاختلطوا واقتتلوا . فوقعت الهزيمة على أهل المدينة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، فأما المقتل فقيل إنهم لما انهزموا أخذهم السيف فقتل من أولاد المهاجرين ألف وثلاثمائة وقتل من أبناء الأنصار ألف وسبعمائة ، ومن العبيد والموالي وسائر الناس ثلاثة آلاف وخمسمائة : فتلك ستة آلاف وخمسمائة رجل(٤) ودخل أهل الشام إلى المدينة بالسيف فجعلوا يقتلون كل من يقدرون عليه من صغير أو كبير ، ثم وضعوا الغارة على أهل المدينة فأغاروا عليها ثلاثة أيام ولياليها وفجروا بالنساء . قال أبو سعيد الخدري : فوالله ما سمعنا الأذان بالمدينة منذ ثلاثة أيام إلا من قبر النبي ﷺ .

قال : ومسلم بن عقبة المري قد وضع له سرير على باب المسجد وكل من أتي به ضرب عنقه . قال : فبينما هو كذلك إذا أتي بأبي جهم بن حذيفة(٥) العدوي وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال له مسلم بن عقبة : من أنت ؟ فقال : أنا أبو جهم بن حذيفة العدوي ! قال : وتتكنى عليَّ وتقول أنا أبو جهم [بن حذيفة ، بايع الآن يزيد بن معاوية على أنك عبد من عبيده ! فقال أبو جهم] يا سبحان [الله] كيف أكون عبداً ليزيد وأنا رجل من قريش معروف الحسب والنسب ! فقال مسلم بن عقبة : اضربوا عنقه ! فقال : إني أبايع على ما تأمرني به ، فقال : لا والله لا أقبلك ؛ ثم قدمه فضرب عنقه(٦) . ثم أتى بعبد الرحمن بن سمرة بن جندب ، فقال

---

(١) بالأصل : عبد الله خطأ .

(٢) كذا بالأصل ، وفي الطبري : محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي .

(٣) الصواب : ثابت ، ولم نجد لخزيمة بن ثابت ولداً اسمه عبد الله .

(٤) في عدد من قتل من أهل المدينة أقوال . قال خليفة بن خياط في تاريخه ص ٢٥٠ : فجميع من أصيب من الأنصار مئة رجل وثلاثة وسبعون رجلاً ، وجميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمئة رجل وستة رجال .

وقد ذكر خليفة ص ٢٤٠ وما بعدها أسماء من قتل يوم الحرة . وانظر في عدد من قتل ابن الاثير ٢ / ٦٠٠ سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٢٠ العقد الفريد ٤ / ٣٩٠ مروج الذهب ٣ / ٨٥ النجوم الزاهرة ١ / ١٦١ الامامة والسياسة ١ / ٢٣٧ البداية والنهاية ٨ / ٢٢٠ والمعرفة والتاريخ ٣ / ٣٢٥ .

(٥) بالأصل : عمرو خطأ ، وقد مر أنه محمد بن أبي جهم .

(٦) انظر في كيفية مقتله الأخبار الطوال ص ٢٦٦ والإمامة والسياسة ٢ / ١٥ .

له مسلم : من الرجل ؟ قال : رجل من بني أمية ، فقال : بايع يزيد على أنك عبده ! فقال : ما كنت قط إلا حراً فكيف أكون عبداً ليزيد وأنا معه في عبد شمس ، فقال : اضربوا عنقه ! فجردوه بين يديه فضربوا عنقه . ثم قال : اطلبوا لي معقل بن سنان ! فإنه ابن عمي فلعله قد خاف مني ؛ فطلبوه فأصابوه وقد خرج من المدينة يريد مكة ، فأخذوه فقالوا : إن ابن عمك قد أمرنا أن نأتي بك إليه فقال ويحكم ! اتقوا الله فإني عارف به وإن كان ابن عمي ؛ فقالوا : والله لا نفارقك أو نأتي بك إليه قال : ثم أتوا به وقد أجهده العطش ، وكان شيخاً قد أسن ، فلما نظر إليه ابن عقبة قال : يا غلام ! عليّ بقدح من سويق الكوز[1] الذي زودناه أمير المؤمنين ! قال : فأتي بقدح فيه سويق الكوز مكتوت بالقند ، فجرعوه بالماء ثم ناولوه إياه ، فقال له مسلم بن عقبة : اشرب أبا محمد ! فعزيز عليّ ما نالك من العطش . فلما شرب قال له مسلم بن عقبة : أتذكر إذ أنا وأنت بالطبرية وأمير المؤمنين يزيد إذ ذاك في دعوة فلان ابن فلان، فالتفت إليّ وقلتَ[2] : إلى كم هذا الذل والهوان الذي نحن فيه من الله ! لئن أخّر الله لي في الأجل لأبايعن رجلاً من أبناء المهاجرين ! أما إنك وفيت بما قلتَ فبايعتَ لعبد الله بن الزبير ، وهو لعمري رجل من أبناء المهاجرين الأولين ، أتعرف هذا الحديث ؟ فقال : نعم ، أعرفه ، فقال : إذ عرفته فاضرب يا غلام عنقه ! فقال : أنا ابن عمك ، أنا رجل من أشجع وأنت من بني مرة ويجمعني وإياك قيس غيلان ، فقال مسلم بن عقبة : ولذلك أقتلك لأنك ابن عمي ؛ ثم قدمه فضرب عنقه[3] . فقال في ذلك بعض أهل مكة :

[رمانا يزيد بابن عقبة مسلم ... فلا سلمت حدثاً من الحدثان
يقود إلى أهل المدينة جحفلاً ... له لجبٌ كالبحر في الجريان
يُقتّل سُكان المدينة عنوةً ... وقد أصبحوا صرعى بكل مكان
وأصبحت الأنصار تبكي[4] سراتها ... وأشجع تبكي[5] معقل بن سنان]

قال ثم قدم إليه عمرو بن أسد بن خزيمة بن أسد ، فلما وقف بين يديه قال

---

(١) الطبري : العسل . وفي الإمامة والسياسة : البلح .

(٢) الأصل : قال .

(٣) خبر مقتل معقل بن سنان في الطبري ٥ / ٤٩٧ والأخبار الطوال ص ٢٦٦ وابن الأثير ٢ / ٥٩٨ والإمامة والسياسة ١ / ١٥ باختلاف بين المصادر وبينها وبين الأصل .

(٤) عن الاستيعاب ، وبالأصل تبغى .

(٥) عن الاستيعاب وبالأصل « يسعى » .

[ابن][1] عقبة : ما أكثر قبائل قريش ! من أنت من قريش ؟ قال : أنا رجل من بني أسد بن عبد العزى بن قصي ، ولي حرمة بأمير المؤمنين يزيد ؛ قال : ومن أجل ذلك خرجت عليه وبايعتَ عبد الله بن الزبير ؟ فقال مروان بن الحكم : هـذا نديم أميـر المؤمنين وجليسه ، فقال [ابن][1] عقبة : من هٰهنا جاء في عنقه ! فلم يزل القوم يحاورون في عنق مروان حتى سقط ؛ فقال عبد الملك[2] بن مروان : أيها الأمير ! حسبك فقد أبلغت من الشيخ ! فقال مسلم بن عقبة : يا عبد الملك ! أنت عندي أرجى من مروان[3] وأبعد منه همة ، يراني وقد قتلتُ ابن عمي معقل بن سنان فيقول : هذا نديم أمير المؤمنين وجليسه !

قال : ثم أتي بعلي بن عبد الله بن عباس ، فلما قدم إليه قامت قبائل كندة من كل ناحية فقالـوا : أيها الأمير ! إن هذا الـذي قدم عليك منا وإلينا ، وذلك أن عبد الله بن العباس خطب إلينا فزوجناه بنت عم لنا يقال لهـا زرعة بنت مِشْـرَح[4] فأولدها ، هذا الفتى ابن أختنا فخل سبيله ! فقال : يا معشر كندة ! خلعتم أيديكم من الطاعة ! فقالوا : ما خلعنا أيدينا من الطاعة ، ولكنا لا نمكنك من ابن أختنا تقتله ! فقال لهم : إذاً فيبايع أمير المؤمنين يزيد ! فقالوا[5] : أما البيعة فإنه يبايع على أنه والله أشرف من يزيد وأكرم فيه أباً وأماً . قال : فبايع علي بن عبد الله بن عباس يزيد بن معاوية وتنحى ناحية من بين يدي مسلم بن عقبة .

قال : وسمع مسلم بن عقبة صياحاً وصراخاً فقال : ما هذا ؟ فقيل : إنه قد أتي

---

(١) سقطت من الأصل .

(٢) بالأصل « عمرو » .

(٣) بالأصل : عبيد .

(٤) بالأصل : زرعة بنت عمرو بن مشرح وما أثبت عن نسب قريش ص ٢٨ وفي جمهرة ابن حزم : زهرة بنت منشرح الكندية .

(٥) في ابن الأثير ٢ / ٥٩٩ فقال الحصين بن نمير السكوني: لا يبايع ابن اختنا إلا كبيعة علي بن الحسين ، فقامت كندة مع الحصين فتركه مسلم .

ذكر ابن الأثير : فقال علي :

أبي العباس قرم بني قصي ... وأخوالي الملوك بني وليعة
هم منعوا ذماري يوم جاءت ... كتائب مسرف وبنو اللكيعة
أرادوني التي لا عز فيها ... فحالت دونه أيدٍ سريعة

والأبيات في مروج الذهب ٣ / ٨٦ باختلاف بعض الألفاظ .

بعلي بن الحسين بن يديه[1] وهؤلاء أقاربه يصيحون ، فقال : أعلموه أنه لا بأس عليه ! قال : فلما أتي بعلي بن الحسين وثب مسلم بن عقبة فصافحه وقبل بين عينيه وأقعده معه على سريره ، ثم قال له : لا بأس عليك وأمير المؤمنين يزيد بن معاوية يقرأ عليك السلام ويقول لك : لا تلمني على حبس عطائي لك ، إنما[2] شغلني عنك عبد الله بن الزبير وأنا موجه إليك بعطائك موفراً . قال : ثم أمر له مسلم بن عقبة بألف درهم ، وقال : احملوه إلى منزله .

ولم يزل مسلم بن عقبة يفعل بأهل المدينة ما فعل ثلاثة أيام ولياليهن ، ثم خرج يوم الرابع منها وقد انتهب وأغار وقتل من قتل وفعل ما فعل ، وخرج يريد مكة[3] إلى عبد الله بن الزبير حتى إذا صار إلى بعض الطريق أدركته الوفاة[4] ، فدعا بالجند والمقاتلة الذين كانوا معه . ثم دعا الحصين بن نمير السكوني فأقعده بين يديه ثم أقبل إليه فقال : اسمع مني ما أقول لك يابن برذعة الحمار ! إني قد وليتك هذا الجيش ، ولو كان الأمر إليّ ما فعلتُ ، غير أن أمير المؤمنين أمرني بذلك وأنا ميت لا محالة[5] ، فانظر أن تفعل في أهل مكة وفي عبد الله بن الزبير كما رأيتني فعلتُ بأهل المدينة . ثم جعل يقول : اللّهم ! إنك تعلم أني لم أعص خليفة قط ، اللهم ! [إني] لا أعلم[6] عملاً أرجو به النجاة إلا ما فعلت بأهل المدينة . ثم اشتد به الأمر فمات ، فغسلوه وكفنوه ودفنوه ؛ وبايع الناس للحصين بن نمير السكوني من بعده ، وسار القوم يريدون مكة ، وخرج أهل ذلك المنزل فنبشوه من قبره وصلبوه على نخلة[7] . قال : وبلغ ذلك أهل العسكر فرجعوا إلى أهل ذلك المنزل فوضعوا السيف فيهم ، فقتل[8] منهم من قتل وهرب الباقون ، ثم أنزلوه من النخلة فدفنوه ثم أجلسوا

(١) جاء يمشي بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك حتى جلس بينهما عند مسلم (ابن الأثير) .
(٢) في الطبري ٥ / ٤٩٣ : إن هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وصلتك .
(٣) خلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي (طبري) .
(٤) في قفا المشلّل وذلك في آخر المحرم سنة ٦٤ هـ . وكانت إصابته بالذبحة كما في الأخبار الطوال ص ٢٦٧ .
(٥) زيد في الأخبار الطوال ص ٢٦٧ لأن من شأن اليمانية الرقة ، غير أني لا أعصى أمير المؤمنين .
(٦) في الطبري ٥ / ٤٩٧ : إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أحب إليّ من قتل أهل المدينة .
(٧) في الإمامة والسياسة ١ / ٢٤٢ أتته أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة . . . فنبشت عنه . . . فصلبته على المشلل .
(٨) بالأصل : فقتلوا .

على قبره من يحفظه .

وسار القوم يريدون مكة وعبد الله بن الزبير يومئذ في جمع كثيف وقد بلغه ما قد فعل بأهل المدينة فعزم على حربهم . قال : وبلغ ذلك رجل من أهل البصرة ، فخرجوا إلى عبد الله بن الزبير لمعاونته[1] ، وجعل عبد الله بن الزبير يحارب القوم . قال : والحصين بن نمير قد أمر بالمجانيق فنصبت ، فجعل يرمي أهل مكة رمياً متداركاً لا يفتر من الرمي ، فجعل رجل[2] من أهل مكة يقول في ذلك :

ابن نميرٍ[3] بئس ما تولّى قد أحرق المقام والمصلّى
وبيت ذي العَرش العلي الأعلى قبلة من حجّ له وصلّى

قال : وإذا بصاعقة قد نزلت فأحرقت منجنيقاً كان لهم .

قال : فلم يزل القوم يرمون المسجد الحرام والبيت بالنيران والحجارة ، فلما رأى عبد الله بن الزبير ذلك خرج إليهم فيمن كان عنده من الجيش ، فحاربهم حرباً شديداً فقتل منهم جماعة ، وجعل المختار بن أبي عبيد يقاتل بين يدي عبد الله بن الزبير أشد القتال وهو يقول :

أنا ابن الكرّار لستُ من بني الفرّار[4]

ثم حمل فقاتل حتى ضجّ أهل الشام من قتاله . فأقام القوم على ذلك أياماً لا يفترون عن القتال ليلاً ونهاراً حتى قتل من أهل الشام خلق كثير وكذلك من أصحاب عبد الله بن الزبير .

قال : فبينما الحصين كذلك إذا برجل من أهل الشام قد قدم عليه فسلّم ثم جلس عنده فقال : أيها الشيخ الضال ! أنت حائم على بيت الله الحرام ترميه

---

(١) وفي الطبري ٥ / ٤٩٧ وقدم عليه كل أهل المدينة ، وقد قدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في أناس من الخوارج يمنعون البيت .

(٢) هو أبو وجزة المدني ، يزيد بن عبيد السلمي السعدي كما في مروج الذهب ٣ / ٨٧ .

(٣) عن مروج الذهب ، وبالأصل : أن نميرا .

(٤) بالأصل : « ابناء الفرارين » وفي الطبري ٥ / ٥٧٥ نادى المختار : يا أهل الإسلام إليّ إليّ ، أنا ابن أبي عبيد بن مسعود ، وأنا ابن الكرار لا الفرار ، أنا ابن المقدمين غير المحجمين ، إليّ يا أهل الحفاظ وحماة الأوتار .

بالحجارة والنيران ويزيد بن معاوية قد مات ومضى إلى سبيله[1] ؛ فقال الحصين : ويلك ! ما تقول ؟ فقال : أقول ما تسمع ، فقال له : وما كان سبب ذلك ؟ فقال : إنه شرب من الليل شراباً كثيراً ثم أصبح مخموراً فذرعه القيء ثم لم يزل كذلك إلى أن مات حتى قذف عشرين طشتاً من ذهب فهذه قصته[2] . قال الحصين : ويحك ! لمن بايع الناس بعده ؟ فقال : بايعوا ابنه معاوية بن يزيد ، غير أنه خلع نفسه من الخلافة[1] ، فقال : ولم ذلك ؟ فقال : إذاً أخبرك أنه ملك أربعين يوماً ، فلما كان بعد ذلك صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب وقال في خطبته : أيها الناس ! إنما أنا لحم ودم ، واللحم والدم لا يصبران على نار جهنم ، وأنا خالع هذا الأمر ، فقلدوا أموركم من أحببتم ! فناداه الناس من كل مكان فقالوا : يا أمير المؤمنين ! فاعهد عهدك إلى من أحببت فإنا له سامعون مطيعون ! فقال : ما أنا بأمير المؤمنين ولا أعهد إلى أحد ، فإن نال خيراً فقد نال منه آل أبي سفيان ، وإن كان شراً فلا أحب أن أوردهم الدنيا وأمضي في الآخرة[3] ؛ ثم نزل عن المنبر فصار إلى منزله[4] ، فعاش ثلاثة أيام ومات[5] ، والناس في الشام في أمر عظيم من الاختلاف .

---

(١) وفي الطبري ٥ / ٥٠١ وابن الأثير ٢ / ٦٠٤ أن خبر هلاك يزيد بلغ عبد الله بن الزبير قبل أن يعلم به الحصين بن نمير ومن معه من عسكر الشام .

(٢) مات يزيد بقرية من قرى حمص يقال لها حوارين من أرض الشام لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ٦٤ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . (الطبري ٥ / ٤٩٩ وانظر ابن الأثير ٢ / ٦٠٢ ومروج الذهب ٣ / ٦٦ ونسب قريش ص ١٢٨ الجوهر الثمين لابن دقماق ص ١ / ٧٩ تاريخ خليفة ص ٢٥٣) .

(٣) انظر خطبته في الطبري ٥ / ٥٣٠ ابن الأثير ٢ / ٦٠٥ ومروج الذهب ٣ / ٨٨ . والإمامة والسياسة ٢ / ١٧ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٤ الفخري ص ١١٨ تاريخ ابن العبري ص ١١١ باختلاف بين المصادر وبينها وبين الأصل .

(٤) موقف الخليفة معاوية بن يزيد بن معاوية المفاجىء وبعد وقت قصير جداً على توليته مقاليد الخلافة ، حيث بقي محجوباً لا يرى حاول بعض المؤرخين تعقبه . قال ابن العبري : إنه كان قدرياً ، حيث قال : إني لا أحب أن ألقى الله بتبعاتكم فشأنكم وأمركم ولوه من شئتم وتخلى للعبادة حتى مات . ورأى الفخري أنه كان صبياً ضعيفاً وقد عرف بأبي ليلى لضعفه كما قال المسعودي في مروجه : هذه الكنية للمستضعف من العرب .

ونرى أن اعتكافه وعزلته في منزله واحتجابه عن الناس يعود لأسباب كثيرة أقلها ثلاثة :

١ ـ عدم اقتناعه ـ من حيث المبدأ ـ بأحقيته للولاية (الفخري) .

ب ـ اشتداد الصراع بين أطراف القيادة الأموية بين القيسية (الضحاك) واليمنية .

ج ـ ظهور عبد الله بن الزبير الرجل القوي بعد موت يزيد ودعوته الناس لمبايعته وادعائه الخلافة وظفره بالحجاز والعراق وخراسان ومصر واليمن والشام إلا الأردن .

(٥) لم يرد في الطبري ولا ابن الأثير ولا عند المسعودي أنه كان مريضاً قال المسعودي في مروجه : وقد =

قال : فبقي الحصين حائراً ماذا يصنع ! ثم أرسل إلى عبد الله بن الزبير فقال إن أذنت لي أن أدخل مكة فأهلّ بالعمرة ! فأرسل إليه عبد الله بن الزبير : ذلك إليك . قال : فدخل أهل الشام إلى مكة نادمين على ما كان منهم ، فلما عزموا على الرحيل منها إلى الشام أقبل الحصين إلى عبد الله بن الزبير فجلس إليه ثم قال : أبا بكر ! إن يزيد بن معاوية قد مضى إلى حال سبيله ، وليس بالشام خليفة ، وهذا الجيش معي كما ترى ، فاخرج معي إلى الشام حتى تكون خليفة هناك فأنت رجل من أبناء المهاجرين الأولين . قال : فرفع عبد الله بن الزبير صوته ، وقال : لا والله أو أقتل بكل رجل قُتل من الحرة عشرة آلاف من أهل الشام(١) . قال : فقال له الحصين : ويحك(٢) يابن الزبير ! تزعم أنك عاقل وأنا أكلّمك بهذا سراً وتكلمني جهراً ، وأدعوكِ إلى أن تكون خليفة وتوعدني بالقتل ! يابن الزبير ! إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ من مكة ، ثم إنه لم يرضها له داراً حتى نقله إلى المدينة ، فكانت المدينة داره وقراره إلى أن أدركته الوفاة ﷺ والمدينة موضع قبره ومنزله ومنبره ، ثم صار الأمر من بعده إلى أبي بكر ، ثم إلى عمر ، ثم إلى عثمان ـ رضي الله عنهم ـ ؛ فلما قتل أهل المدينة عثمان انتقلت الخلافة إلى الشام والشام دار الخلافة ، فاقبل مني يابن الزبير واخرج معي إلى الشام ، فأنا أول من يبايعك ثم يبايعك أهل هذا العسكر وأهل الشام جميعهم . قال : فأبى عبد الله بن الزبير أن يجيب الحصين بن نمير إلى ذلك .

قال : فرحل الحصين إلى الشام بعسكره ذلك ، وانصرف أهل البصرة إلى البصرة ، وبها يومئذ عبيد الله بن زياد ، ثم أرسل إليهم فدعاهم ثم قال : يا أعداء الله ! أخرجتم من البصرة لنصرة عبد الله بن الزبير لتعينوه على أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ؟ قال فقالوا له : أيها الأمير ! إنا ما خرجنا إلى مكة لنعين عبد الله بن الزبير على يزيد ، وإنما خرجنا لننصر البيت الحرام من أهل الشام ، وأما يزيد فقد مضى لسبيله ولعله قد بلغك ذلك ! قال : وكان الخبر وقع إلى عبيد الله بن زياد بأن يزيد قد

= تنوزع في سبب وفاته فمنهم من رأى أنه سقي شربة ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أنه طعن ٣ / ٨٩ .

(١) في مروج الذهب ٣ / ٩٩ : أبعد قتل أهل الحرة ، لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشام ، وانظر الطبري ٥ / ٥٠٢ الأخبار الطوال ص ٢٦٨ والإمامة والسياسة ٢ / ٢٠ .

(٢) في مروج الذهب : من زعم يابن الزبير أنك داهية فهو أحمق . وانظر ما جرى بينهما في المصادر السابقة . حيث أضاع عبد الله بن الزبير فرصة ثمينة لم تتكرر وسيدفع بعد قليل ثمن غلطته هذه حياته . وكان آخر ما قال له الحصين : والله لا تفلح أبداً وستعلم أينا المقتول .

مات فلم يصدق[1] ، فلما خبّره هؤلاء القوم بما خبروه علم وتيقن أن يزيد قد مضى لسبيله فاتقى لنفسه من أهل البصرة[2] ، فأرسل إلى نفر من خاصة أصحابه فدعاهم ثم استشارهم في أمره ، فأشاروا عليه بأن يحبس هؤلاء القوم الذين قدموا من مكة .

قال : فأرسل عبيد الله بن زياد إلى هؤلاء القوم فجمعهم إليه ثم أمر بهم فحبسهم . ثم خرج في جوف الليل في جماعة من خاصته[3] حتى صار إلى دار مسعود بن عمرو الأزدي وهو شيخ الأزد بالبصرة ، فاستجار به عبيد الله بن زياد ، فأجاره وأجار من كان معه .

قال : وأصبح أهل البصرة فعلموا أن عبيد الله بن زياد قد هرب ، فاجتمعوا وراحوا إلى داره البيضاء والحمراء[4] فغاروا عليها ، ثم دخلوا إلى أم عبيد الله بن زياد فسلبوها وسلبوا امرأته وحرمه حتى أخذوا مقانعهن من رؤوسهن ، قال : واجتمعت الناس إلى الدارين جميعاً وأخرجوا كل من كان في حبس عبيد الله بن زياد ـ لعنه الله ـ ! وجعلوا يطلبونه فلا يقدرون عليه[5] .

قال : واتقى عبيد الله بن زياد ـ لعنه الله ـ أن يعلم بمكانه ، فأقبل على مسعود بن عمرو فقال له : إنك قد أجرتني وأجرت أصحابي هؤلاء ، وأنا خائف على نفسي من أهل البصرة وأنا أريد منك أن تتم إحسانك وأن تخلصني كيف شئت وأنى شئت[6] ؛ فقال له مسعود بن عمرو : أفعل ذلك إن شاء الله ! فقد كان لأبيك عليّ حق واجب . قال : ثم دعى بثلاثين[7] رجلاً من أصحابه وأمرهم أن يخفروا

---

(١) في الطبري ٥ / ٥٠٦ أن عبيد الله أرسل مولى له يقال له أيوب بن حمران إلى الشام ليأتيه بخبر يزيد فلما قدم أيوب أسر بموته إلى عبيد الله .

(٢) انظر أمر عبيد الله بن زياد وأهل البصرة بعد موت يزيد بن معاوية في الطبري ٥ / ٥٠٤ .

(٣) انظر كيفية هربه من قصره في الطبري ٥ / ٥١٠ ـ ٥١١ الإمامة والسياسة ٢ / ٢٧ والأخبار الطوال ص ٢٨٢ إلى وصوله إلى دار مسعود بن عمرو وكان قائده إلى هناك الحارث بن قيس فقال مسعود بن عمرو للحارث : أهلكت قومك يابن قيس ، وعرضتنا لحرب جميع أهل البصرة ، وقد كنا آجرنا أباه زياد من قبله فما كانت عنده مكافأة .

(٤) كذا ، ولم نجدها .

(٥) في الأخبار الطوال ص ٢٨٣ : أتوا داره فاقتحموها ليقتلوه ، فلم يصادفوا فيها أحداً ، فانطلقوا إلى الحبس فكسروه وأخرجوا من كان فيه وبقي أهل البصرة تسعة أيام بغير والٍ .

(٦) وذلك بعد أيام كما في الأخبار الطوال ؛ وفي الطبري بعد أربعين ليلة .

(٧) في الطبري ٥ / ٥٢٢ مئة من الأزد .

عبيد الله بن زياد حتى يلحقوه بالشام . قال : فخرج عبيد الله بن زياد في جوف الليل مع جماعة من خاصته وغلمانه وحشمه ومعه هؤلاء الثلاثون رجلاً ، فساروا حتى أصبحوا على مرحلتين من البصرة ، واستقام لهم الطريق فساروا وجعل عبيد الله بن زياد ـ لعنه الله ـ يفكر في أمره ، فقال له بعض من كان معه[1] : أيها الأمير ! إني أراك مفكراً وكأن قد علمت فيما تفكر . فقال عبيد الله بن زياد : وما ذلك ؟ فقال : إن فكرتَ فقلت يا ليتني لم أقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وليتني لم أبن داري البيضاء والحمراء[2] وليتني لم أستعمل الدهاقين على كور البصرة[3] ! فقال ابن زياد ـ لعنه الله ـ : لا والله ما أصبت ! أما الحسين بن علي ـ رحمه الله ـ فإنه صار إلى أهل العراق يريد قتلي فاخترت أن أقتله ؛ وأما داري الحمراء والبيضاء فإني أنفقت عليهما مالي الذي وصلني به يزيد[4] ؛ وأما الدهاقين فإني استعملتهم برضاء أهل البصرة ؛ ولكنني كنت أفكر يا ليتني كنت قتلت أولئك القوم الذين قدموا من عند عبد الله بن الزبير ، فإني أعلم أنهم هم فراعنة أهل البصرة ، وسيكون لهم نبأ[5] . وبلغ ذلك أهل البصرة أن مسعود بن عمرو الأزدي هو الذي أجار عبيد الله بن زياد ، فجاؤوا إليه ودخلوا عليه فقتلوه في جوف الليل ونهبوا ماله[6] .

قال : وسار عبيد الله بن زياد ـ لعنه الله ـ حتى صار إلى الشام ، وبلغ ذلك سلم[7] بن زياد وهو يومئذ بخراسان بمدينة مرثي كما ولاه يزيد بن معاوية من قبل ، وكان أيضاً لا يصدق موت يزيد ، غير أنه قعد في منزله وأغلق بابه ، واحتجب عن الناس ؛ فبعث إليه شاعره حنظلة بن قيس بن عروة التميمي[8] بهذه الأبيات :

---

(١) وهو رجل من بني يشكر ، اكتراه مسعود ليهدي ابن زياد ومن معه على الطريق .

(٢) كذا ، وتكرر ذكر الحمراء ولم نجدها . وفي الطبري ٥ / ٥٢٢ : ليتني لم أكن بنيت البيضاء . وفي الأخبار الطوال : القصر الأبيض .

(٣) الأصل والطبري ، ومكانها في الأخبار الطوال : وندمت على ما كان من قتلك الخوارج من أهل البصرة على الظنة والتوهم .
وزيد في الطبري : تقول : ليتني كنت اسخى مما كنت .

(٤) بالأصل : « معاوية بن يزيد » خطأ وما أثبت عن الطبري .

(٥) انظر ما ورد هنا في الطبري ٥ / ٥٢٣ والأخبار الطوال ص ٢٨٥ والإمامة والسياسة ٢ / ٣٠ .

(٦) انظر خبر مقتل مسعود بن عمرو في الطبري ٥ / ٥١٧ .

(٧) بالأصل : مسلم .

(٨) كذا ، وفي الطبري ٥ / ٥٤٥ حنظلة بن عرادة ، وقد مرّ خبره لما عين يزيد بن معاوية سلم على خراسان وتوجه إلى البصرة يختار من رجالها ، فاختاره معه . وانظر ابن الأثير ٢ / ٦٢٢ .

يـا أيـهـا الـرجـل المـغلّق بـابـه — حـدثـت أمـور[1] شـأنهـن عـظيـمُ
حـدثـت أمـور[2] في أمـيـة جـمـة — ويـزيـد أعـلـن شـأنـه الـمكـتـوم
طـرقـت منـيتـه وعـنـد وسـاده — عـود وزقّ راعـف مـرثـوم[4]
ومُـرِنّـةٍ تبـكـي[5] عـلى نشـوانـه — بـالصنـج[6] تقعـد سـاعـة وتقـوم
فـلئن رضيت لـتـرضيـن عشيـرتـي — ولئـن غـضبـت لـتغـضبـن تـمـيـم

قال : فعندها علم سلم[7] بن زياد أن يزيد بن معاوية قد مات ، فتجهز وخرج يريد بلاد الشام ، وخلف المهلب بن أبي صفرة على بلاد خراسان . وخرج يريد الشام ومعه مال جزيل يزيد على خمسمائة ألف دينار ، فلما صار في بعض الطريق استقبله عبد الله بن خازم السلمي فقال : إلى أين يا عدوّ الله ؟ إلى أين يابن مرجانة ؟ إلى أين يابن عبد بني علاج ؟ غصبت أهل خراسان أموالهم فأكلت وادخرت ولبست وركبت ، ثم حملت أموال خراسان تريد الشام ، والله يا عدو الله لا تفارقني أو آخذ جميع ما معك وأجعلك صفراً . قال : ولم تزل الرسل بينهم إلى أن صالحه على نصف ما معه وأطلقه[8] ، ومضى سلم[9] بن زياد إلى الشام وتغلب ابن خازم على بلاد خراسان ، فأخذها وجعل يدعو لعبد الله بن الزبير .

قال : وخرج عليه رجل من أهل خراسان يقال له بكير بن وشاح التميمي ، فمع هذا جيش ومع هذا جيش ، فلم يزالا يقتتلان مدة من المدد إلى أن قتل عبد الله بن خازم واحتوى بكير بن وشاح على بلاد خراسان .

ثم رجعنا إلى أخبار الشام

قال : وأهل الشـام يومئـذ في أمر عـظيم من الاختلاف ، فقـوم يؤمون إلى

(١) الطبري وابن الاثير : الملك .
(٢) بالأصل : أموراً وما أثبت عن الطبري .
(٣) بالأصل : أموراً . وصدره في المصدرين : « قتلى بجنزة والذين بكابل » وفي ابن الأثير : قتلى بحرة .
(٤) عن الطبري وبالأصل « مكتوم » .
(٥) عن المصدرين وبالأصل « ومر به يبكي » .
(٦) عن الطبري ، وبالأصل وابن الأثير : بالصبح .
(٧) الأصل : مسلم .
(٨) في الطبري ٥ / ٥٤٦ كتب لعبد الله بن خازم عهداً على خراسان وأعانه بمئة ألف درهم .
(٩) الأصل : مسلم .

عبد الله بن الزبير ، وقوم يؤمون إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، وقوم إلى الضحاك بن قيس الفهري ، وآخرون يؤمون إلى مروان بن الحكم[1] .

قال : واجتمع الناس إلى الضحاك بن قيس الفهري[2] ، وأرسل مروان بن الحكم إلى روح بن زنباع الجذامي فقال له : أشر عليَّ برأيك ! فقال : أشير عليك أن تطلب هذا الأمر لنفسك ، فإنك اليوم شيخ كبير بني أمية ، وأنت ابن عم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وأنت أحق بهذا الأمر من الضحاك بن قيس . قال :

---

(۱) كان موت يزيد بن معاوية وارتباك الإسرة الأموية في معالجة النتائج السلبية التي انعكست عليها عاملاً دعم موقف وسياسة ابن الزبير الذي خرج منتصراً من هزيمة عسكرية محققة وامتد نفوذه وانتشر ، هذا الانتشار زاد في إرباك القيادات الأموية حتى أن مروان بن الحكم نفسه فكر في أن يلحق به وينضاف إلى جملته (مروج الذهب) ونرى ذلك واضحاً عند قدوم الحصين بن نمير الشام حيث قال لمروان ولبني أمية : نراكم في اختلاط شديد فاقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شامكم .
وجاء بعد وقت قصير جداً الاختفاء الغامض لمعاوية بن يزيد ليزيد أزمة الأسرة الأموية خطورة ويفتح الصراعات بين الأجنحة الممثلة للسلطة الأموية على مختلف الاتجاهات ويضع الجميع على مفترق مصيري ، حيث الفراغ في السلطة المركزية يقابله تمدد نفوذ وسلطة ابن الزبير .
أمام هذا الواقع الأزمة ، وأمام هذه الفتنة العمياء الصماء المرتقبة برز اتجاهان تجاذبا الصراع على النفوذ بعد ما تمزقت الجبهة الأموية نتيجة الصراعات القديمة الجديدة بين الأجنحة القبلية التي كانت تقوم عليها ـ وترتكز ـ السلطة المركزية الأموية السفيانية وتجلى هذا الصراع بين أجنحة ثلاثة كل منها يعمل لإيصال مرشحه للخلافة :
ـ جناح خالد بن يزيد بن معاوية ممثل الشرعية السفيانية .
ـ جناح مروان بن الحكم ، شيخ بني العاص ، والذي طرح مرشحه كمرشح تسوية أو إجماع .
ـ جناح عمرو بن سعيد (الأشدق) وكان الأضعف في مواجهة التيارين الآخرين .
كان هذا الصراع بين أجنحة الاتجاه اليمني ـ الكلبي .
وأما الاتجاه القيسي وبعد أن رأى تماسك الاتجاه الأول وحرصه على المحافظة على المعادلة التقليدية في الشام ، تطلع إلى ابن الزبير وتحالف معه . وفي الاجتماع اليمني الذي عقد في الجابية جرت التسوية بين أجنحة هذا الاتجاه الثلاثة فطرح مروان كمرشح تسوية على أن يكون خالد بن يزيد ولياً للعهد فضلاً عن تعيينه أميراً على حمص ، وأعطيت للقطب الثالث عمرو بن سعيد ولاية عهد خالد وإمارة دمشق (انظر تفاصيل وافية أوردها د . إبراهيم بيضون في كتابه تكون الاتجاهات السياسية في الإسلام الأول ص ۲۱۱ وما بعدها ومروج الذهب ۳ / ۱۰۳) . واشترط حسان بن بحدل ـ وكان رئيس قحطان وسيدها بالشام ـ ما كان لهم من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية منها : أن يفرض لهم لألفي رجل ألفين ألفين ، وإن مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه ، وعلى أن يكون لهم الأمر والنهي وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأيٍ منهم ومشورة . فأجابه مروان إلى ما سأل (مروج الذهب ۳ / ١٠٤) .

(۲) في الطبري ٥ / ٥٣٠ بايعه أهل دمشق على أن يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع أمر أمة محمد .

فعندها جعل مروان يجمع الناس حتى صار إليه ثمانية عشر ألفاً أكثرهم جماعة اليمن ، وفي ذلك يقول مروان بن الحكم حيث يقول :

أعددتُ غسّان لهم وكلبّا والسكسكيين رجالاً غلبا
لا يأخذون الملك إلا غصبا بالطعن أحياناً وحيناً ضربا[1]

قال : والضحاك يومئذ في نيف وعشرين ألفاً أكثرهم قبائل قيس بن غيلان . ثم إنه بعث إلى النعمان بن بشير ، والنعمان يومئذ بمدينة حمص ، قد كان ولاه يزيد بن معاوية قبل موته . قال : فكتب إليه الضحاك بن قيس يسأله المدد ، فأمده النعمان بن بشير بألفي رجل ، فصار الضحاك في اثنين وعشرين ألفاً . قال : وتواعد القوم للقتال[2] ، فأنشأ رجل من أصحاب مروان يقول في ذلك :

أرى عسكراً جمعاً لسفك دمائنا وعما قليل لا نشك محاربُ
وأشهدكم أني لمروان سامع مطيع وللضحاك عاص مجانب
إمامانِ أما واحد فعلى الهدى وآخر يدعو للضلالة كاذبُ
فلا بد من حرب يفرّق جمعنا يثلم فيها المرهفات القواضب

قال : ثم دنا القوم بعضهم من بعض ، قال : فكان وقعتهم بموضع يقال له مرج راهط[3] إلى جانب زرّاعة[4] الضحاك بن قيس ، والزراعة يقال لها

(١) وردت أرجاز مروان بن الحكم حين بويع له في الطبري ٥ / ٥٢٨ وابن الأثير ٢ / ٦١٨ ومروج الذهب ٣ / ١٠٥ .

(٢) أشرنا إلى أن الصراع قد فتح على مصراعيه بين الأجنحة القبلية الداعمة للأمويين وحدث من ذلك تحرك العصبية فكانت مرج راهط بين العصبيتين القيسية الممثلة بالتحالف بين الضحاك وابن الزبير والقبائل المنضوية تحت لواء الضحاك واليمنية التي تمثلت في الأجنحة المتحالفة بزعامة مروان بن الحكم .
وكان من أبرز نتائج هذه المعركة :
- انهزام الخط الزبيري الذي أخفق في الاستقطاب القبلي .
- استمرارية النظام الأموي عبر مرحلة انتقالية تمثلها خلافة مروان بن الحكم على أن تعود الخلافة للبيت السفياني ممثلاً بخالد بن يزيد (حسب الاتفاق الذي جرى بين أجنحة النظام الأموي - انظر ما لاحظناه قريباً) لكن مروان بن الحكم عمد إلى خرق هذا الاتفاق - من خلال تزوجه بأم خالد بن يزيد ليحط من قدره ويضعفه ثم مبادرته بعد ذلك إلى تعيين ولديه لولاية العهد مطوقاً أية محاولة في المستقبل لانتزاع السلطة من بيت بني العاص أو بني مروان .

(٣) على أميال من دمشق (مروج الذهب) .

(٤) بالأصل « ذراعة » وما أثبت عن معجم البلدان .

جَوْبَر[1] ، وقد ذكر ذلك بعض العرب[2] في قصيدة له حيث يقول :

إذا فاخر القيسيُّ فاذكر بلاءه ... بزرّاعة الضحاك شرقيَّ جَوْبَرا

قال : فاقتتل القوم هناك قتالاً شديداً ، فقتل الضحاك بن قيس وقتل عامة أصحابه ، وانهزم الباقون ، واستأمر عامتهم إلى مروان بن الحكم فبايعه الناس بموضع يقال له دير أيوب[3] ، فدخل مروان إلى دمشق فاستوسق له الأمر . فكتب إلى النعمان بن بشير : أما بعد فقد بلغني ما كان من معونتك للضحاك بن قيس ، وقد قتل الله الضحاك وشيعته وأمكن منهم ، وقد استقر الأمر قراره ، فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فزوج ابنتك عمرة من ابني عبد الملك ، وادخل في طاعتي ، وادع لي هنالك بالخلافة على منبر حمص ، فإذا فعلت ذلك محوت ما كان منك إليَّ من خطيئتك ، وإن أنت تربصت أو ارتبت بعثت إليك من يقتلك ويأخذ ابنتك غصباً ـ والسلام ـ .

قال : فلما ورد كتاب مروان على النعمان بن بشير وقرأه جعل يقول لمن عنده : ما كنت أدخل في طاعة مروان الطريد ابن الطريد ، ولا أزوج ابنتي من ابنه ! ثم تجهز وخرج من حمص يريد مكة إلى عبد الله بن الزبير يريد أن يبايعه ويكون معه ، وبلغ ذلك مروان بن الحكم فوجه إليه رجلاً[4] يقال له عبد الرحمن بن الخلي[5] فقال له : سر فأينما رأيت النعمان فجئني به أسيراً ، فإن تأبى عليك فاضرب عنقه وأتني برأسه ! قال : فسار عبد الرحمن يريد إلى حمص ، فلما دخلها سأل عن النعمان بن بشير ، فخبر أنه رحل عنها ، فسار عبد الرحمن في طلبه ، فلحقه في بعض المنازل ، فقتله واحتز رأسه ، واحتوى على قليله وكثيره ، وجاء بالرأس حتى وضعه بين يدي مروان بن الحكم . فلما أتته عمرة فلا ندري تزوجت بعبد الملك أم لا ـ والله أعلم ـ[6] .

---

(١) جوبر قرية بالغوطة من دمشق ، وقيل نهر بها .
(٢) هو عمرو بن مخلاة الكلبي (معجم البلدان « زراعة ») .
(٣) دير أيوب : قرية بحوران من نواحي دمشق .
(٤) في الأصل : رجل .
(٥) في الطبري عمرو بن الخلي وفي ابن الأثير : عمرو بن الجلي . وفي مروج الذهب ٣ / ١٠٦ خالد بن عدي الكلاعي اتبعه فيمن خف معه من أهل حمص فلحقه وقتله وبعث برأسه إلى مروان . وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٦ تبعه قوم من حمير وباهلة فقتلوه في البرية واحتزوا رأسه .
(٦) في الأخبار الطوال ص ٣٠٩ أن عمرة بنت النعمان بن بشير كانت زوجة المختار بن أبي عبيد .

قال : وأقام مروان في خلافته تسعة أشهر ومات[1] ، وصار الأمر من بعده إلى ابنه عبد الملك بن مروان ، وبكير بن الوشاح يومئذ على بلاد خراسان ضابطاً لها معيناً عليها ، فلما بلغه أن الأمر صار إلى عبد الملك بن مروان جعل يدعو له بخراسان ؛ وعبد الله بن الزبير يومئذ بالحجاز وقد بايعه أهل الحجاز وأهل البصرة وأهل الكوفة ، وعامله بالبصرة عبد الله بن حارث بن نوفل النوفلي .

* * * *

(١) في سبب موته أقوال منها أن امرأته أم خالد سقته السم فلما أحس بالموت جمع بني أمية وأشراف أهل الشام فبايع لابنه عبد الملك (الأخبار الطوال ص ٢٨٥) وفي مروج الذهب ٣ / ١٠٧ وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات . وقيل : أعدت له لبناً مسموماً . وانظر ابن الأثير ٢ / ٦٤٧ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٧ والإمامة والسياسة ٢ / ٢٣ والبداية والنهاية ٨ / ٢٨٢ .
ومات في شهر رمضان سنة ٦٥ بدمشق .

كتاب الفتوح

للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي

(المتوفى نحو سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م)

الجزء السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتداء أخبار الأزارقة

قال : والأزارقة(1) يومئذ قد جمعوا جموعاً كثيرة ، وخرجوا من البصرة فصاروا

---

(1) الأزارقة : باب من النسب ، وهو أن يسمى كل واحد منهم باسم الأب ، إذا كانوا ينسبون إليه ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة . وقد تنسب الجماعة إلى الواحد على رأي أو دين فيكون له مثل نسب الولادة كما قالوا : أزرقي لمن كان على رأي ابن الأزرق .

والأزارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي ضرب من الخوارج الذين كانوا من قبل على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشيء الشاذ من الفروع . وبعد اختلافهم وافتراقهم صارت الخوارج على أربعة أضرب :

- الإباضية وهم أصحاب عبد الله بن إباض .
- الصفرية - واختلفوا في تسميتهم - فقال قوم : سموا بابن الصفار ، وقال آخرون - وأكثر المتكلمين عليه هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم .
- ومنهم البيسهية وهم أصحاب أبي بيهس .
- ومنهم الأزارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي .

ومما ذكره فيهم الشهرستاني في الملل والنحل ص ٥٦ قال : وبدع الأزارقة ثمانية منها : أن أطفال المشركين في النار مع آبائهم ، إسقاط الرجم عن الزاني إذ ليس في القرآن ، وإسقاط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء وأنه يجوز أن يبعث الله نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته أو كان كافراً بعد البعثة ، وأنهم جوزوا الكبائر والصغائر على الأنبياء عليهم السلام ، وأنهم أكفروا القعدة عن القتال (وانظر الفرق للبغدادي ص ٥٦) .

وكان من أمرهم أنهم عزموا على أن يقصدوا مكة لما توجه ابن عقبة يريد المدينة يوم الحرة يمنعون الحرم منه واتفقوا على امتحان ابن الزبير فإن كان على رأيهم بايعوه . وذهبوا وقاتلوا مع ابن الزبير ولم يبايعوه ثم ناظروه (انظر الكامل للمبرد ١٢٠٦/٣) . . . . =

إلى الأهواز[1] ، فغلبوا عليها وعلى جميع كنوزها ، وقتلوا عمّالها وجبوا أموالها ، ورئيسهم يومئذ أبو راشد[2] بن الأزرق الحنفي ، وقد بايعته الأزارقة وسموه أمير المؤمنين . قال : وكتب أمير البصرة عبد الله بن الحرث[3] إلى عبد الله بن الزبير بذلك ، فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله أمير المؤمنين من عبد الله بن الحرث[3] ، أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أيده الله أن نافع بن الأزرق الحنفي وعطية بن الأسود وعبيدة[4] بن هلال اليشكري وأخاه[5] محرز بن هلال ، أنهم قد صاروا إلى الأهواز ، فغلبوا عليها وأخذوا أموالها وقتلوا عمالها وقتلوا أهلها ، وقد لحق بهم من أهل البصرة وغيرها من كان على دينهم ويرى برأيهم ، وقد عقدوا لواء ورأسوا على أنفسهم نافع بن الأزرق الحنفي ، وقد والله هالنا أمرهم يا أمير المؤمنين ! وأنا أحببت أن لا أطوي ذلك عنك لترى في ذلك رأيك ـ والسلام .

قال : فكتب إليه عبد الله بن الزبير : أما بعد فقد ورد كتابك عليّ تذكر فيه أمر الأزارقة وما كان من اجتماعهم بالأهواز وغلبهم عليها ، فإذا ورد كتابي هذا فاقرأه على وجوه أهل البصرة ، وتدارك هؤلاء الخوارج قبل أن يكثر جمعهم ، وابعث إليهم برجل يرتضيه أهل البصرة ، وقوّه بالمال والسلاح والرجال ، ولا تقصر في شيء مما كتبت به إليك ـ والسلام .

قال : فلما ورد كتاب عبد الله[6] بن الزبير على عبد الله بن الحرث وقرأه أرسل

= تفرقت الخوارج عن ابن الزبير لما تولى عثمانَ فصارت طائفة إلى اليمامة وكان فيمن صار إلى البصرة نافع بن الأزرق الحنفي .

(1) وكان خروجهم من البصرة سنة ٦٤ وذلك بعد موت يزيد بن معاوية ووثوب الناس بعبيد الله بن زياد وضعف أمره فكسر الخوارج أبواب السجون وخرجوا منها (وقيل إن عبيد الله كُلِّم فيهم فأطلقهم ، فأفسدوا البيعة عليه ، وفشوا في الناس ، يدعون إلى محاربة السلطان ويظهرون ما هم عليه ، حتى اضطرب على عبيد الله أمره) وتحول عبيد الله عن دار الإمارة إلى الأزد ، واشتغل الناس بقتال الأزد وربيعة وبني تميم وقيس ، فاغتنمت الخوارج اشتغال الناس ببعضهم البعض فتهيئوا واجتمعوا ، وخرجوا مع ابن الأزرق . . . .

(2) وهي كنية نافع بن الأزرق .

(3) في الطبري والأخبار الطوال والكامل للمبرد « الحارث » وهو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الملقب بـ « ببة » . وكان الناس بالبصرة قد اصطلحوا عليه يصلي بهم .

(4) بالأصل « عبيد الله » وما أثبت عن الطبري .

(5) بالأصل « أخوه » .

(6) الأصل: عبيد الله .

إلى وجوه أهل البصرة فجمعهم ، منهم الأحنف بن قيس التميمي ، وسويد بن منجوف[1] الذهلي ، ومالك بن مسمع الجحدري ومن أشبههم من سادات العرب ، فشاورهم في أمر الأزارقة . قال : فسكت[2] القوم ولم يشيروا بشيء ، وقال: انظرنا الآن أيها الأمير ثلاثة أيام حتى ندبر رأياً في ذلك ونلقاك بعد ذلك إن شاء الله تعالى . قال : ثم انصرف القوم إلى منازلهم وأنشأ الصلتان العبدي في ذلك يقول :

أما لسويد لا تشير ومالك ... وأحنف ما بعد الثلاثة يذهبُ
وما لهم لا ينظرون لواحد ... يدور عليه الرأي لا يتذبذبُ
ولو شهد الصهر المصلّب أجمعوا ... عليه جموعاً ثم لم يتهيّبُ
وكان الذي يثني الحسام باسمه ... وأولهم بعد المهلّب مطلب
فإن رجع الله المهلّب لم نخف ... عدوّاً له في الحرب ناب ومخلب

قال : ثم اتفقت آراء أهل البصرة على رجل من قريش يقال له مسلم بن عبيس[3] بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، فمشوا إليه وسألوه أن يسير إلى الأزارقة ، فأجاب إلى ذلك . ثم إنه جمع سبعمائة[4] رجل وخرج إلى الأزارقة فالتقى بهم[5] .

وأقام ابن الحنفية بالطائف لا يرى ابن الزبير ولا يذكره ، ويقولون إن هذا الرجل في نفر من أصحابه ، وقيل : إنهم كانوا أربعين رجلاً . قال : وأنشد في ذلك[6] :

(١) عن جمهرة ابن حزم ، وبالأصل : « متخوف » .
(٢) الأصل : فسكتوا .
(٣) في الأصل : « قيس » وما أثبت عن الأخبار الطول والكامل للمبرد وزيد فيه : وكان ديناً شجاعاً .
(٤) في الأخبار الطوال ص ٢٧٠ : خمسة الآف فارس .
(٥) وكان نافع بن الأزرق قد اشتدت شوكته وكثرت جموعه وأقام بالأهواز يجبي الخراج ويتقوى به ثم أقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر .
وقد سار إليه ابن عبيس في أبطال البصرة ولما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال : إني ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة ، وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم ، فمن كان الجهاد شأنه فلينهض ، ومن أحب الحياة فليرجع فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه . فلما صاروا بدولاب (وهو موضع بقرب الأهواز) خرج إليهم نافع فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل وتضاربوا بالسيوف فقتل في المعركة ابن عبيس .
(٦) الأبيات في مروج الذهب ٩٥/٣ ونسبت للسيد الحميري (وهو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، شاعر مشهور) وهي في ديوانه ص ٣٧٩ .

ألا قل للوصي فدتك نفسي ... أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر[1] بمعشر زاروك منا ... وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك[2] أهل الأرض طرًّا ... مقامك عنهمُ ستين[3] عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ... ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى برونق[4] شعب رضوى ... تراجعه الملائكة الكلاما[5]

وقال السيد بن محمد الحميري في ذلك :

يا شعب رضوى بالمزية لا ترى ... حتى متى تحمى وأنت قريب
غاب ابن خولة غيبة ما غابها ... قبل ابن خولة في الحياء غريب
إني لأرجو أن أومله كما ... قد كان يؤمل يوسف يعقوب
لو غاب عنا ألف عام أيقنت ... منا النفوس بأنه سيؤوب،

[وقال أيضاً في قصيدة له :

أيا راكباً نحو المدينة جسرة ... عذافرة تهوى[6] بها كل سَبْسَبِ
إذا ما هداك الله عاينت[7] جعفرا ... فقل يا أمين الله وابن المهذّب
ألا يا أمين الله وابن رسوله ... أتوب إلى الرحمن ثم تأوبي
إليك من الأمر الذي كنت مطنباً ... معاندة مني لنسل المطيب
وما كان قولي في ابن خولة مطنباً ... أحارب فيه جاهداً كل معرب
ولكن روينا عن وصي محمد ... وما كان فيما قال بالمتكذب
بأن ولي الأمر يفقد[8] لا يرى ... ستيراً كفعل الخائف المترقب[4]

(١) في الأصل : « أظل » وما أثبت عن الديوان .
(٢) عن الديوان ومروج الذهب وبالأصل قل .
(٣) في الديوان ومروج الذهب : سبعين .
(٤) في الديوان : بمورق .
(٥) عن مروج الذهب ، وبالأصل :

بنا حفة الملائكة الكراما

(٦) عن الأغاني وبالأصل : وفيها غدا نطوي .
(٧) في الأغاني لاقيت .
(٨) من الديوان ص ١١٦ وبالأصل : « يقعد » .
(٩) بالأصل : « سنياً كمثل الخائف المترهب » وأثبتنا عجزه عن الديوان .

يسيــر بنصـر الله من بيت ربــه ... على سؤدة مـنــه وأمــر مسبب
يـسيــر إلـى أعــدائــه بلوائــه ... فيفـاهم قتلى بحــران مغضب
ولما روى أن ابن خولة غائب(١) ... صـرفنـا إليه قـولنـا لم نكـذب
وقلنا هو المهدي والعالم الـذي ... يعيش به من عدله كل مجـدبِ
فإن قلت لا فالحق(٢) قولك والذي ... أمـرت فحتم غيـر مـا متعصّب
فـأشهـد ربي أن قـولـك حجـة ... على الخلق طراً من مطيع ومذنب
فـإن ولي الأمـر والعـالم الـذي ... تــطلع نفسي نحـوه بتــطرب(٣)
لـه غيبة لا بـد من أن يغيبها(٤) ... فـصلى عـليــه الله من مـتغـيب
ألا أيها اللاحـي علينا دع الجفا ... فمـا أنت فيما قلتـه بمصوّب(٥)
أتلحى أمـين الله بـعــد أميـنــه ... وصاحب حوض شربه غير مشرب
لـه من لجين صيـر الـدهـر كله ... ومن كوثر المعروف عينا بمنقب
وبـطحـاؤه مســك ودر حصـاؤه ... ومطهر ما بين اللجين ومذهب(٦)
متى ما يرد مولاه يسقى ومن يرد ... عـدو له ممن بـرى الله يضـرب
فتب تـوبـة من ضيم آل محمـد ... إلى الله تنجو من عظيم التحوب].

ذكر اجتماع أهل البصرة عند الأمير
الحارث بن عبد الله بـن أبي ربيعة(١)
واتفاقهم على المهلب بن أبي صفرة

قـال : ثم أرسل الحـارث بن عبد الله(٨) إلى أكـابر أهـل البصرة وأشـرافهم

---

(١) بالأصل : « غائباً » .
(٢) عن الديوان وبالأصل : « والحق » .
(٣) عجزه بالأصل : « به تطلع نفسي دونه تتقرب » وما أثبت عن الديوان .
(٤) بالأصل : « أن يستعينها » وما أثبت عن ديوانه .
(٥) من هنا الأبيات من قصيدة أخرى ، انظر ديوان السيد الحميري ص ١١٩ .
(٦) البيت في الديوان :
وحـافـاتـه در ومـسـك ترابـه ... وقـد حـاز مـاء مـن لجـين مـذهـب
(٧) مرّ قريباً أن ابن عبيس توجه لقتال الخوارج وقد قتل في المعركة عند دولاب ، وقتل أيضاً أمير الخوارج نافع بن الأزرق فأمّر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميري وأمرت الخوارج عبد الله بن الماحوز التميمي واقتتلوا واستمر القتال أياماً ثم إن ببة كره القتال (على ما ذكر المبرد في الكامل) فكتب أهل

فجمعهم عنده ، ثم أقبل عليهم فقال : يا أهل البصرة ! إنه قد أظلكم عدو غالب ، له نار لاهبة ، وقد أصاب فيكم مصائب عظاماً حتى تحاماه الناس ، ولكن هاتوا رأيكم وسمّوا لي رجلاً يقوم بهذا الأمر فينتدب لحرب هؤلاء الخوارج ! قال : فتكلم بعض القوم وقال : أصلح الله الأمير ! إنه ليس لهذا العدو أحد يقوم بأمره إلا المهلب بن أبي صفرة(١) ، لأنه رجل له حزم وعزم ومعرفة بالحروب . فقال الحارث بن عبد الله(٢) : لعمري ! لقد صدقتم فيما ذكرتم من أمر المهلب ، لكنه غائب بناحية خراسان كما علمتم فكيف الرأي في ذلك ؟ فقالوا : الرأي أن تكتب إليه كتاباً على لسان أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وتبعث إليه رسولاً من قبلك ، فلعله يرجع إلى بصرة(٣) لحرب هؤلاء القوم .

قال : فعندها كتب الحارث بن عبد الله إلى المهلب بن [أبي] صفرة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عند أمير المؤمنين ، أما بعد فإن عاملي بالبصرة كتب إليّ كتاباً يذكر فيه أن قوماً من خوارج الأزارقة المارقة خرجوا من البصرة بعد أن قتلوا سادات

= البصرة إلى ابن الزبير يخبرونه بذلك ويسألونه أن يولي عليهم والياً . فكتب إلى عمر بن عبيد الله بن معمر فولاه البصرة فولى أخاه عثمان حرب الأزارقة فخرج إليهم في اثني عشر ألفاً وقاتلهم بسوق الأهواز ، وانهزم أهل البصرة وخاف الناس خوفاً شديداً وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، المعروف بالقباع ، على البصرة . (انظر الطبري ٨٦/٧ ابن الأثير ٦٤٩/٢ الأخبار الطوال ص ٢٧١ الكامل للمبرد ١٢٣٦/٣) .

(٨) بالأصل عبد الله بن الحرث خطأ . انظر المصادر السابقة .

(١) في الكامل للمبرد ١٣٢٦/٣ أن الحارث بن عبد الله أراد تولية حارثة بن بدر الغداني ، وكان قد سأله الولاية والمدد وكان حارثة ممن خرج لقتال الخوارج مع ابن عبيس ، وبعد هزيمة عثمان بن عبيد الله استمر على حربهم ، ولما عزم الحارث على توليته قام إليه رجل من بكر بن وائل وقال له : إن حارثة ليس بذلك إنما هو رجل شرّاب وفيه يقول رجل من قومه :

ألم تر أن حارثة بن بدر ... يصلي وهو أكفر من حمار
ألم تر أن للفتيان حظاً ... وحظك في البغايا والعقار

فكتب إليه القباع : تكفى حربهم إن شاء الله .

وتوجه الزبير بن علي من أصحاب ابن الماحوز إلى البصرة ، فضج الناس إلى الأحنف ، فأتى القباع فقال له : أصلح الله الأمير إن هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيئنا ولم يبق إلا أن يحصرنا في بلدنا ، قال : فسموا رجلاً ، فقال الأحنف : ما أرى لها إلا المهلب بن أبي صفرة .

(٢) بالأصل : عبد الله بن الحرث .

(٣) بالأصل : مصره .

أهلها ، ثم إنهم نزلوا بلد الأهواز فتغلبوا عليها وأصـابوا جنـداً من المسلمين كبتوا عدوهم ، وقد عزموا على أن يقبلوا إلى أرض البصرة لقتل الـرجال وأخـذ الأموال وهتك الحريم وسبي الذرية ، وقد رأيت أن تكون أنت الـذي تلي قتالهم ، لأنـك ميمون الطلعة مبارك على أهل مصرك ، والأجر في ذلك أعظم من كل أجر ، فسر رحمك الله راشداً ، فإنه لن يفوتك سلطان خراسان[1].

قال : فلما فرغ من الكلام[2] قام المهلب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، ما أنا إلا رجل منكم يعزوني ما يعزوكم من فرح وترح ، وهذا أمر لا بد منه ، غير أني أريد أن أسألكم شرطاً[3] يشرطه لي الأمير وتضمنه لي العامة ، فإن أجبتموني إلى ذلك نهضت إلى حرب عدوكم واستعنت الله على ذلك ـ والسلام ـ . قالوا : فانهض بنا إذاً إلى الأمير حتى يكون ذلك بحضرته.

قال : فنهض المهلب ونهض القوم معه حتى دخلوا على الحارث[4] بن عبد الله المخزومي فسلموا عليه وأخذوا مجالسهم ، وأقبل الأمير على المهلب فقال : أبـا سعيد ! إني أرى أهل مصرك قد أجمعوا عليك ولا أظن أنهم أجمعوا على خطأ ، فاجمع إليك سادات أهل مصرك وادفع عنا ضرر هؤلاء ـ والسلام ـ .

قال : فلما قال ذلك أقبل عليه المهلب فقال : أيها الأمير ! إني دون ما قالوا ، ولعلي كما يظنون ، وأريد منكم أن أختار من الرجال ما أريـد ، وإذا قلتُ أمراً لا تكونوا دونه ! فقالوا : لك ذلك[5] ! وأنشأ رجل منهم في ذلك يقول :

---

(١) نص الكتاب في الطبري ٥/٦١٥ ـ ٦١٦ باختلاف بين النصين.
وفي الأخبار الطوال ص ٢٧١ أن الحارث بن عبد الله كتب إلى ابن الزبير يسأله ذلك ، فكتب ابن الزبير إلى المهلب كتاباً ولاه أمر الخوارج الأزارقة وانظر الفرق للبغدادي ص ٥٧ ، أما في الكامل للمبرد أن الحارث وأشراف أهل البصرة اجتمعوا إلى المهلب وطلبوا منه التوجه لحرب الأزارقة فرضي بعد أن شرط عليهم شروطاً كتبوها له عليهم (انظر الكامل للمبرد ٣/١٢٤٠ ـ ١٢٤١).

(٢) كأن في الكلام سقطاً ، والظاهر أنه لما وصله الكتاب أتى ، وحضر اجتماعاً مع أشراف أهل البصرة وسمع مقالتهم (الكامل للمبرد ٣/١٢٤٠ الطبري ٥/٦١٦) .

(٣) في الكامل للمبرد : شروطاً . وفي الأخبار الطوال : خصالاً .

(٤) بالأصل : الحرث .

(٥) في الطبري ٥/٦١٦ وذكر الشروط التي شرطها المهلب :
أ ــ أن تجعلوا لي ما غلبت عليه .
ب ــ أن تعطوني من بيت المال ما أقوي به من معي .

شمت المهلّبُ[1] والحوادثُ جمّةٌ | والشامتون[2] بنافع بن الأزرقِ
إن مات غير مداهنٍ في دينه | ومتى يمر بذكر نار يصعق
والموت ضيف[3] لا محالة نازل[4] | من لا يُصَبِّحْهُ نهاراً يطرق
فلئن أمير المؤمنين أصابه | ريب المنون فمن يصبه يغلق[5]
ورمى المهلّب جمعنا بجموعه | وبما أُصبنا بالصبور المنتقي
نعم الخليفةُ من حدا بجنوده | لي ابن ماحوز بقية من بقي
ولئن رمينا بالمهلب إنه | شيخ العراق وعزّ أهل المشرق
فلعلنا نسخى به ولعله | يسخى بنا في بعض ما قد نلتقي[6]
بالسُّمرِ نختطف النفوسَ ذوابلا | وبكلِّ أبيض صارمٍ ذي[7] رونق
فنذيقه في حربنا ويذيقنا | كلٌّ مقالته[8] لصاحبه ذُقِ

قال : ثم بايعت[9] الأزارقة لعبيد الله بن ماحوز[10] فجعلوه في موضع نافع بن الأزرق وعقدوا له البيعة ، وسار المهلب حتى وافى الأهواز[11] وسارت إليه الأزارقة نيف عن عشرين ألفاً وفيهم يومئذ نيف عن أربعة آلاف فارس ممن عليه درعان.

= ج ــ أن أنتخب من فرسان الناس ووجوههم وذوي الشرف من أحببت .
وانظر الكامل لابن الأثير ٢/٦٤٩ الأخبار الطوال ص ٢٧٢ والكامل للمبرد ٣/١٢٤٠ ـ ١٢٤١ .

(١) في الكامل للمبرد ٣/١٢٢٩ شمت ابن بدر .

(٢) في الكامل : والجائرون .

(٣) في المبرد : « حتم » وفي الأخبار الطوال ص ٢٧٤ : أمر .

(٤) في المصدرين : واقع .

(٥) عن المبرد ، وبالأصل : ويصبه تتعلق . قال في رغبة الأمل ٧/٢٥٠ ذلك مستجاز من غلق الرهن : إذ بقي في يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه . يريد أنه لا يجد من يخلصه .

(٦) البيت في الأخبار الطوال :

ولعله يشجى بنا ولعلنا | نشجى به في كل ما قد نلتقي

(٧) بالأصل : « ذو » وما أثبت عن الأخبار الطوال .

(٨) عن الأخبار الطوال وبالأصل : مقاتلة .

(٩) بالأصل : بايعوا .

(١٠) بالأصل : عبد الله بن ماحور وما أثبت عن الطبري . وابن الأثير والكامل للمبرد . وفي الأخبار الطوال فكالأصل .

(١١) في عشرين ألفاً كما في الأخبار الطوال ص ٢٧٢ وفي الكامل للمبرد ٣/١٢٤١ في اثني عشر ألفاً .

هذه أول وقعة كانت للأزارقة
مع المهلب بن أبي صفرة

قال : وعبت الأزارقة يومئذ خيولها ، وعبى المهلب أصحابه ، وكان على ميمنته ابناه زيد وحرون ، وعلى ميسرته ابنه المغيرة وقبيصة ، وعلى جناح ميمنته ابنه عبد الملك ، وعلى جناح ميسرته ابنه المفضل ، وفي كمينه ابنه زياد ومروان ، وبين يديه ابناه محمد وحماد . ثم وقف المهلب بين الصفين ورفع صوته فقال : يا بني ! إن أول غزوكم إنصافكم لإخوتكم المسلمين وأن تؤاسوهم بأنفسكم ، وإن أول إنصافي لكم أن لا أظلمكم حقكم في أمر الحسين ، فباشروا الحرب بأنفسكم ، واستقبلوا حر السيوف بوجوهكم وسنان الرماح بصدوركم ونحوركم ، واعلموا أنها منزلتان : إما شهادة وإما ظفر . قال : وجعلت الأزارقة تسمع كلام المهلب ووصيته لأولاده فأيقنوا بالموت .

قال : ثم دعا المهلب بغلام له يقال له ذكران[1] فدفع إليه اللواء ، وقال : تقدم بين يدي ! وإياك أن ترجع ، فإنك إن رجعت ضربت عنقك ، وإن وقفت لي في هذا اليوم فأنت حر وجاريتي ريحانة لك ! قال : فتقدم ذكران بين يدي المهلب ، ودنا القوم بعضهم من بعض ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ؛ وأقبل صاحبهم عبيد الله[2] بن ماحوز وقتل أخوه عثمان ، وقتل منهما نيف على ثلاثمائة رجل من أبطال الأزارقة في معركة واحدة ،ثم وقعت عليه الهزيمة فانهزموا ؛ فأنشأ عوف بن بشر السبتي من أصحاب المهلب في ذلك يقول :

قد نفينا العدو أمس عن الجيـ ... ش وقد زحزحوا عن الأهواز
بـطعـان مهـالـك القتـل فيـه ... موشك الحلف للنفوس العراز

---

(١) في الكامل للمبرد ١٢٥٦/٣ : ذكوان .

(٢) كذا ، ولعله يشير هنا إلى المعركة التي وقعت بسوق الأهواز بين عثمان أخو عبيد الله بن معمر ـ والي البصرة قبل الحارث بن عبد الله ـ وابن الماحوز ، وقد لاحظنا ذلك قريباً . إذ لم تشر المصادر إلى أخٍ لعبيد الله بن ماحوز اسمه عثمان أو إلى مقتله .

وفي الطبري ٦١٦/٥ أن المهلب خرج إليهم في أشراف الناس وفرسانهم ووجوههم فحازهم عن الجسر ودفعهم عنه . . . فارتفعوا إلى الجسر الأكبر ، ثم سار إليهم في الخيل والرجال ، ارتفعوا فوق ذلك مرحلة أخرى فلم يزل يحوزهم ويرفعهم مرحلة بعد مرحلة ومنزلة بعد منزلة حتى انتهوا إلى منزل من منازل الأهواز يقال له سلّى وسلبرى .

وببيض تفرى الرؤوس من القو ... مِ كأن الضباب برق الحجاز
في مقام أحرّ من لهب الجمـ ... ـر كتربة يد الرحاز
إن من رد هؤلاء عن الحَرْ ... رِ لأهل الصلاح والإعزاز
ذلكم شيخنا المهلب حسبي ... من بناتي عليه بالإنجاز
قد دعونا لها الرجال فحاموا ... دونها فعل حائفين عجاز
قد مضى ما مضى وذاك ابن ماحو ... ز صريع لناطقاتِ الحراز

قال : وسار المهلب نحو الأزارقة حتى وافاهم بسلَّى وسِلِّبْرَى[1] .

هذه وقعتهم الثانية

قال : ودنا القوم بعضهم من بعض ، ثم اختلطوا فاقتتلوا قتالاً شديداً أشد ما كان من قتالهم الأول[2] ؛ قال : ودارت الحرب عليهم يوماً وليلة يموج بعضهم في بعض ، فلا تسمع إلا وقع السيوف على المغافر والحجف ، وأنشأ رجل منهم يذكر من قتل في ذلك اليوم ومن اليوم الذي قبله وهو يقول :

لعمري وقد بات الحياة وطيبها[3] ... برضوان ربي بالخليفة عالم
غداة نُكُر الخيل تدمى نحورها ... بدولاب يوم المأزق المتلاحم[4]
بكل فتى رخو النجاد كأنه ... شهاب بدا تحت السيوف الصوارم
سقى الله أرضاً لا تلوح وأعظما ... بدولاب صوب الهاطلات الرهائم[5]
همُ أدركوا فوز الحياة وخلدها ... وما خاف شر البيع يوماً كغانم
فإن تك قتلى يوم سلَّى[6] تتابعت ... فكم تركت أرماحنا[7] من قماقم

---

(١) عن الطبري ، وبالأصل : « بشبلى وشكيرى » .

(٢) انظر تفاصيل أوردها الطبري ٦١٨/٥ والكامل للمبرد ١٢٥٦/٣ .

(٣) صدره في هامش الكامل للمبرد ١٢٥٩/٣ :

لعمري لقد بعنا الحياة وحبها

(٤) البيت في الكامل للمبرد :

غداة نكر المشرفية فيهم ... بسولاف يوم المأزق المتلاحم

ونسب البيتان الثاني والأخير لعبيدة بن هلال انظر شعر الخوارج ص ٩٢ .

(٥) البيت في هامش الكامل للمبرد :

سقى الله أجساداً تلوح عظامها ... من الغيث صوب المدجنات الرمائم ؟

(٦) عن الكامل للمبرد وبالأصل : شبلى .

(٧) في الكامل للمبرد : فكم غادرت أسيافنا .

هنالك صرعى بالفلاة فأصبحت صوائحهم تعلون بين المآتم

قال : وأصبح القوم على حربهم ليس منهم من بلغ عن صاحبه . قال : وتعالى النهار والأمر ملتحم بين الفريقين حتى أن بعضهم كاد أن يأكل بعضاً من شدة الحرب . قال : وضرب المهلب على رأسه ضربة[1] منكرة فسقط عن فرسه إلى الأرض وأحدقت به بنوه ، فجعلوا يحامون عنه أشد المحاماة . قال : وصاح رجل من أهل البصرة : قتل المهلب ورب الكعبة ! فانهزم الناس عن المهلب هزيمة قبيحة يظنون أنه قد قتل ؛ قال : وأفاق المهلب بن أبي صفرة من غشوته فاستوى على فرسه وجعل يقاتل ، وكبر أصحابه ، فانهزمت الأزارقة لذلك انكساراً شديداً ، ثم صاح المهلب ببنيه ، وحمل الناس معه من الأزارقة مائتي رجل ، وانهزموا حتى صاروا إلى بلد يقال لها إيذج[2] فنزلوا هنالك .

قال : وأقبل الفتى من شعراء أهل البصرة يقال له سعد بن سعيد الأزدي حتى دخل على الحارث[3] فقال : لا تطلب[4] المقام عندنا إلا أن تسمع الخبر أن المهلب قد قتل ، فإن كان قد قتل فما بقي في البصرة مقام إن كان قد قتل هو وأولاده وبنو عمه ! قال ثم أنشأ ذلك الفتى في ذلك يقول :

[أيا حار يا بن السادة الصيد هب لنا
رحيلك[5] لا ترحل ولم يأتك الخبرْ
فإن[6] كان أودى بالمهلب يومه[6]
فقد كسفتْ يا حار شمسك والقمر
فما لك من بعد المهلب رجعة[7]
ولا لك بالمصرين سمع ولا بصرْ

(١) في الأخبار الطوال ص ٢٧٣ وأصابته ضربة في وجهه ، أغمي عليه منها .
(٢) بالأصل : « ايدخ » وما أثبت عن معجم البلدان ، وهي بلد بين خوزستان وأصبهان .
(٣) بالأصل : الحرث .
(٤) في الأخبار الطوال ص ٢٧٣ وبلغ أهل البصرة أن المهلب قتل ، فرج المصر بأهله ، وهم أميرهم الحارث بن أبي ربيعة أن يهرب ، فكتب إليه رجل من بني يشكر .
(٥) في الأخبار الطوال : مقامك .
(٦) « فإن . . . يومه » عن الأخبار الطوال وبالأصل : قد . . . نومه .
(٧) في الأخبار الطوال : وما . . . عرجة وما . . .

فـدونـك فـالحق بـالـحجـاز ولا تـقـم
بـبـلدتـنـا إن الـمـقـام عـلى خـطر
وإن كـان حـيـاً لـم يـصـب فـحـيـاتـه
على أيّ حـال كـان في حـربـه ظفـر[1]
وكـن آمـنـاً واعـلـم بـأنـك آخـذ
بـه النصف ممن كـان في جـده الصغـر
ألـم تـر أن الـنـاس أجـمـع رأيـهـم
عـليـه ولـمـا لـم يـجـد مـثله بـشـر
فـقـالـوا جـمـيعـاً فـيـه قـولـة واحـدٍ
ولـم يـنـهـهـم عـنـه الـتـفـكـر والـنـظر

قال : واجتمع الناس في مسجد البصرة ، فجعلوا يبكون وينوحون ، وجعل الأحنف بن قيس يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون على هلك المهلّب وأصحابه وجماعة المسلمين . قال : فوثب غلام من بني تميم من بني سعد فقال : والله ! ما قتل المهلب ولا قتل أحد من بني عمه في هذه الوقعة ، غير أن الذين صاروا إليهم منهزمين إنما هم أعداء المهلب ، وإنما حسده على ما كان منه في الإسلام والرفع عن بيضة هذا البلد ، ووالله الخبر الصحيح أنا لقينا الأزارقة بموضع يقال له سلّى وسلبرى[2] ، فأطبقنا الحرب عليهم يوماً وليلة يموج بعضنا في بعض ، ثم أصبحنا على ذلك من شأننا ، وضرب المهلب على رأسه ضربة سقط إلى الأرض ، فخبأه بنوه وحموا عنه ، فقاتلناهم فرزقنا عليهم الظفر وقتلنا منهم مقتلة عظيمة ، وقتل صاحبهم عبيد الله بن ماحوز[3] وأخوه عثمان في معركة واحدة ، وبايع القوم من بعدهم ابن أخيه قطري بن الفجاءة المازني[4] ، وقد والله هزمناهم بحمد الله وعونه حتى بلغناهم إلى حدود أصبهان من بلاد إيذج[5] ، فعلى هذا تركت الناس في آخر أمورهم ، فكلّ

---

(١) البيت في الأخبار الطوال :
وإن كـان حـيـاً كـنـت بـالمصر آمـنـا وكـان بـقـاء المـرء فـيـنـا هـو الـظفـر
(٢) الأصل : شبلى وشكيرى .
(٣) الأصل : ماخور .
(٤) في الكامل للمبرد ١٢٦١/٣ الزبير بن علي .
(٥) بالأصل : « ايدخ » وفي الكامل للمبرد : « أرّجان » وفي الطبري ٦١٩/٥ فخرجوا نحو كرمان وأصبهان .

من كذبني بعد هذا الأمر فهو الكذّاب ، ثم إنه أنشأ يقول :

أبا بحر إني والبنيّة صادق خبير وما مثلي بمثلك يلعبُ
ولا تكذب الرفاد ما يعبأوا به إذا لم يكن في الأرض مرعى ومشربُ
وقد كان حقاً جار حكمي عليكمُ وإن كان زوراً فاشتموني واضرب
بسلى وسلبرى[1] جماجم أصبحت رفاتاً ونهياً قد حواه المهلّب
وذاك ابن ماحوز هناك مجندل قتيل وعثمان هناك محلّب[2]
وأطبقت الهيجاء يوماً وليلة علينا وإياهم ليوث وتَلْهَبُ
فلا صدّ منا لا ولا من عدوّنا غداة الوغى حدّ ولا أرو مسلب[3]
وأقشعت الغماء عنا وشيخنا جزى الله خيراً بالدماء مخضّب
فلما رأينا وجهه لم يكن لنا سوى الجهر بالتكبير حين يقرب
قصدنا إليه إذ رأينا جبينه وقلنا فدتك النفس والأم والأب
على ذا تركت القوم آخر أمرهم فمن قال كذب فالمكذب أكذب

قال : فأخذ الأحنف بيد الفتى وجاء به حتى أدخله إلى الأمير فحدثه بالحديث على جهته ، فأدركه الأمير وأمر له بخلعة وجائزة.

ذكر كتاب المهلب بن أبي صفرة إلى أهل البصرة بالسلامة والبشرى وما قتل فيها من الأزارقة

[4]بسم الله الرحمن الرحيم ، للأمير الحارث[5] بن عبد الله وجماعة المسلمين من أهل البصرة ، من المهلّب بن أبي صفرة ، سلام عليكم ، أما بعد ! فإنه لا يوهن الإسلام خروج من خرج منه ، ولا يعيبه إلحاد من ألحد فيه ، وقد كانت الحرب استوقدت بنا وبعدونا وحمي الوطيس بيننا ، فجاء القضاء بأمر جاوز فيه الأمل ، ومن يكيده للإسلام كثير وناصروه قليل ، وليس كل من يقاتل عن الإسلام من أهله ، ولكن من يقاتل عن دين الإسلام فهو من أهله ؛ وقد كان العدوّ أصاب في إخواننا مصائب

(١) بالأصل : بشبكى وشكيرى .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) كذا بالأصل .
(٤) انظر نسخة الكتاب في الطبري ٥/٦١٩ والكامل للمبرد ٣/١٢٦٠ باختلاف بين النصوص .
(٥) بالأصل : الحرث .

عظاماً فيما مضى ، فأصبح اليوم العدو دريئة[1] رماحنا وضرائب سيوفنا ، فالحمد لله الذي سقى الحي وثأر القتيل ، فإن الحمد به تتم النعمة وتزيد في السلامة ، وأشكره فإن الشكر يهيء المزيد ـ والسلام ـ قال : فلما قرأ الأمير الكتاب فرح بذلك واستبشر ، ثم أمر به فقرىء على المنبر[2] : فأنشأ رجل من بني ضبة في ذلك يقول :

إنَّ ربّاً رمى الخوارج بالـذ ... لّ لأهلٌ أن تحمدوه كثيرا[3]
إذ رموا بالمهلّب بن أبي صُفـ ... رة شيخ ترى الصغير كبيرا
لا يزال[4] المهلّب بن أبي صفـ ... رة ما عاش بالعراق أميرا
فإذا مات فالرجالُ نساء ... لا يساوون بعده قطميرا
فجزاك الإله يا بن أبي صفـ ... رة عنا جزاءه الموفورا
قد أمِنّا بك العدوَّ على المصـ ... ر ووقّرْتَ منبراً وسريرا

قال : ثم رجع المهلب بوجوه الأزارقة ، فبعث بها إلى البصرة مع قوم من أصحابه لينظروا إليها .

قال : وبلغ ذلك الأزارقة ، فخرج نفر منهم حتى عارضوا أصحاب المهلب بموضع يقال له الزائدان[5] فقاتلوهم حتى أخذوا منهم تلك الرؤوس ثم أخذوها وصلوا عليها ودفنوها . قال : ورجع أصحاب المهلب إلى المهلب من شدة أنفس الأزارقة وحفظهم له منهم ، فأنشأ كعب بن معدان الأشقري في ذلك يقول :

---

(١) الدريئة : الحلقة التي يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها ، والبعير أو غيره الذي يستتر به الصائد من الوحش يختل حتى إذا أمكن رميه رمى .

(٢) زيد في الطبري ٥/٦٢٠ فلما أتى هذا الكتاب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بعث به إلى ابن الزبير فقرىء على الناس بمكة .

وكتب الحارث إلى المهلب :

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه نصر الله إياك ، وظفر المسلمين فهنيئاً لك يا أخا الأزد بشرف الدنيا وعزها ، وثواب الآخرة وفضلها ، والسلام عليك ورحمة الله .

وانظر الكامل للمبرد ١٢٦١/٣ وزيد فيه أيضاً أن أهل البصرة كتبوا إليه يهنئونه .

(٣) البيت في الأخبار الطوال ص ٢٧٤ .

إن ربّاً أنجى المهلب ذا الطو ... ل لأهل أن تحمدوه كثيرا

(٤) بالأصل : لا زال ، وما أثبت عن الأخبار الطوال .

(٥) كذا بالأصل ، ولم نجده .

قل للأزارقة الذين تمرَّقوا بسلى وسلّبرى[1] لقيت نحوسا
قتـل المهلب جمعكم وأخـذتم من رسله بـالـزائـدان رؤوسـا
قـد تكتموهـا فاسترهـا وأقبلوا جهداً على تلك النفوس نفـوسا
وبكـوا عليهـا كـلّ ذرّ شـارق واسـوا وظلوا عـاكفين عبـوسـا
كم مثلهـا منكم لـه كمْ مثلهـا بؤسـاً لمن عـاد المهلب بؤسـا

قال : ثم أرسل عبد الله بن الزبير إلى الحارث بن عبد الله[2] المخزومي فعزله عن البصرة[3] وولى بعده ابن معمر القرشي من بني تيم[4] بن مرة[5] . قال : وسارت الأزارقة مـن الموضـع الذي كانوا فيه حتى صاروا إلى موضع يقال له الرجان[6] من أرض فارس ، واجتمع إليهم خلق كثير ممن كان على رأيهم حتى صاروا في اثنين وثلاثين ألفاً .

ذكر خطبة قطري بن الفجاءة

قال : فعندها قام فيهم أميرهم قطري بن الفجاءة المازني خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا معشر المهاجرين! فإن يكن أمس عليكم فاذكروا ما كان عليه ، إنكم قتلتم[7] مسلم بن عبيس[8] القرشي ، وهزمتم عثمان بن عبيـد الله بن معمر القرشي وهو سيد من سادات أهل الحجاز ، وفضحتم حارثة بن بدر الغداني[9] وعميم[10] المهلب وهو سيد الأزد وعميد أهل البصرة، وهكذا المسلمون مع عدوهم،

(١) بالأصل : بشبكى وشكيرى .
(٢) بالأصل : عبد الله بن الحرث .
(٣) في الأخبار الطوال ص ٢٧٤ أن سبب عزل ابن الزبير عامله على البصرة هو ما بلغه عنه من عزمه على الهرب بعد أن وصلته أخبار عن مقتل المهلب بن أبي صفرة .
(٤) بالأصل : تميم خطأ .
(٥) في الأخبار الطوال ص ٢٧٤ ولى البصرة ، بعد عزله ، أخاه مصعب بن الزبير . وفيها ذكره الطبري ٦٢٢/٥ أن ابن الزبير ولى سنة ٦٥ أخاه مصعباً المدينة بعد عزل عبيدة بن الزبير .
(٦) كذا بالأصل ، وفي معجم البلدان والكامل للمبرد : أرّجان . وهي بين الأهواز وفارس .
(٧) بالأصل : أيكم قبلهم .
(٨) بالأصل : عيسى ،وقد مرّ .
(٩) بالأصل : العرابي وما أثبت عن الأغاني ، انظر سياق نسبه فيها .
(١٠)بالأصل : تميم .

لهم ، مرة وعليهم أخرى ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ﴾[1] ، واعلموا أنه لم يؤت قوم في ديارهم إلا ذلوا ، فسيروا بنا إلى المهلّب وثقوا من ربكم بالنصر ـ والسلام ـ[2] .

قال : وسار[3] الأزارقة حتى صاروا إلى قنطرة أَرْبُك[4] من بلد الأهواز ، فإذا هم بالمغيرة بن المهلب هنالك في خيل عظيمة ، فلما نظروا إليه كبروا ثم حملوا .

وهذه الوقعة الثالثة

قال : وحمل عليهم المغيرة بن المهلب في أهل البصرة واقتتل القوم على قنطرة أربك[5] ، ونظر قطري بن الفجاءة إلى المغيرة فحمل عليه وهو لا يعرفه ، والتقيا بضربتين فبادره المغيرة بضربة أرداه عن فرسه . قال : فوثب قطري بن الفجاءة من الأرض سريعاً فاستوى على فرسه ، واشتبك الحرب بين الفريقين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً : فقتل جماعة من الأزارقة وولت الأزارقة الأدبار منهزمين ، وأنشأ رجل منهم يقال له عبيدة بن هلال يقول[6] :

لعمري لئن كنا أصبنا بنافع ... وأمسى ابن ماحُوز قتيلاً ملحبا[7]
فقد عظمت تلك الرزية فيهما ... وأعظم من هاتين خوفي المهلبا
رمينا بشيخ يفلق الهام[8] رأيه ... يراه رجال حول رايته أبا
بقايا عن الحرّ المهلّب عنوة ... وعن صحصح الأهواز مُعنى مشذبا
وأحنى علينا يوم أربك[9] ثانياً ... وكان من الأيام يوماً عصبصبا
فإن يهزموا بأربك[9] فاصبروا له ... وقولوا لأمر الله أهلاً ومرحبا

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٧ .
(٢) الخطبة باختلاف في الكامل للمبرد ١٢٦١/٣ ونسبت إلى الزبير بن علي ، زعيمهم ، وهو من بني سليط بن يربوع .
(٣) بالأصل : وساروا .
(٤) بالأصل : « أدرك » وما أثبت عن معجم البلدان ، وهي بلد من نواحي الأهواز وعنده قنطرة مشهورة .
(٥) بالأصل : إربل .
(٦) الأبيات في شعر الخوارج ص ١٣٠ ونسبت إلى قطري بن الفجاءة .
(٧) الملحب : المضروب بالسيف ، والمقطع .
(٨) شعر الخوارج : يفلق الصخر .
(٩) بالأصل : إربل .

فما الدين كالدنيا ولا الطعن كالمنى ولا الضر كالسرا ولا الليث ثعلبا

قال : وهمَّ المغيرة بن المهلب أن يتبع الأزارقة ، فأرسل إليه أبوه : أن يا بني لا تعجل وذر القوم فوجّه منهزمين(١) فيها ولا تجرحهم، فإن الكلب إذا جرحته عقر ! قال : فقبل المغيرة ما أمر به المهلب ورجع إلى تستر فنزلها .

قال : وأقبل إليه أخوه يزيد بن المهلب في خيل عظيمة . قال : ومضت الأزارقة حتى ساروا إلى سابور من أرض فارس ، فنزلوها وغلبوا عليها وجبوا أموالها وخففوا عن أهلها المؤنة ، وسار إليهم المهلب في جيشه ، وبلغهم ذلك فمضوا إليه حتى أدركوه بموضع يقال له النُوبَنْدجَان(٢) .

ذكر خطبة المهلب قبل الوقعة

قال : فلما عاين القوم بعضهم بعضاً واصطفت الخيلان ، قام المهلب في أصحابه خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! أكرموا هذه الخيل ، فإنها تنفعكم غداً عند اللقاء ، فأجلوا السلاح لتقاتلوا به الأعداء، وأحسنوا حمله لتنظروا يوم الوغى، وتعلموا القتال لتنصروا به مخارج الحياة ، وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل ، ولا تعالوا في السيوف فإنها مأمورة ، واتخذوها فإنها شفار ، وعيروا الجبان بالجبن حتى يقاتل ، ولا تقولوا: الحين يحثه(٣) ، ولم يفر قوم قط إلا وهنوا وإن كان رأيهم حازماً ، وليس كل عاد يرجع ولا كل سلامة تدوم ، وهؤلاء القوم يقاتلونكم على دينكم ودنياكم ، فإن غلبوكم فلا دين لكم ولا دنيا ، فقاتلوهم على ما يقاتلونكم عليه ـ والسلام ـ . قال : فأجابه الناس على ما يحب واعتذروا إليه مما كره ؛ فأنشأ المغيرة بن حبناء التميمي في ذلك يقول :

يعلّمنا المهلّب كلّ يوم قتال القوم تعليم الكتابِ
ويلبسنا السلاح إذا أمنّا لنحذق لبسه والنَقْعُ كاب
وعاب حياتنا بالجن حتى كأن حياتنا دين المعاب
ويجزي المحسنين بما أتوه ويعفي المذنبين من العتاب

---

(١) بالأصل : منهزمون .

(٢) بالأصل : « التوسدخان » وما أثبت عن معجم البلدان ، ونوبندجان : مدينة من أرض فارس من كورة سابور .

(٣) بالأصل : تحثه .

ويضرب دوننا بـالسيف صلتاً ويضـرب كل مـطرد الكعاب
سخي بـالنهـاب[1] بهـا وفيٌّ إذا ما ساد[2] أصحاب النهاب[3]
وفاصل خطبة عظمت وجلّت عـظيم عنده فصـل الخطاب
فلولا أنّ سيف أبي حـديـد لصاح إليه بـالشكوى غـراب
ولـولا أن رمـح أبي سعيـد طويل طال عن عرسي حجابي
كفى وشفى النفوس أبو سعيد وقـد أعيى[4] علينا كـل باب
فـدال لي[5] ونعمتنـا علينـا وفـاه إلٰهنـا يـوم الحسـاب

وهذه الوقعة الرابعة

قال : واقتتل القوم طول النهار ، وكانت على المهلب وأصحابه ، وفي آخره على الأزارقة فانكشفوا وذلك في وقت المساء ، فلم يتبعهم المهلب ليلة ذلك . فلما أصبح ارتحل في آثارهم وذلك في يوم ماطر كثير الثلج والزلق ، حتى وافاهم بموضع يقال له كركان[6] ، فلما عاين القوم بعضهم بعضاً اصطفوا وجردوا الصفاح وأشرعوا الرماح[7] .

وهذه الوقعة الخامسة

قال : وخرج عبيدة بن هلال اليشكري في كتيبة حسنـاء من فرسـان الأزارقة وعلى رأسه بيضة ، وقد غرز في العمامة ريشة سوداء ، حتى وقف بين الجمعين فنادى بأعلى صوته : أيها الناس ! أنا عبيدة بن هلال اليشكري ! فهل من مبارز ؟ قال : فعرفه أصحاب المهلب فلم يعجلوا في الخروج إليه ، فجعل يجول في ميدان الحرب وهو يرتجز ويقول :

---

(١) بالأصل : بالتهاب .
(٢) بالأصل : سادم .
(٣) بالأصل : التهاب .
(٤) بالأصل : أعى .
(٥) كذا بالأصل .
(٦) كركان : مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان .
(٧) في الأخبار الطوال : ص ٢٧٥ فالتقوا في يوم شديد المطر فقاتلهم فهزمهم فأخذوا نحو كرمان .
فلم يزل المهلب يسير في طلبهم من بلد إلى بلد ويواقعهم وقعة بعد وقعة طول ما ملك عبد الله بن الزبير إلى مقتله ، وخلوص الأمر لعبد الملك بن مروان .

إني لمذك للشراة نارها وغاسل بالطعن عنها عارها
ومانع ممن أتاها دارها حتى أقر بالقنا قرارها
ولا أخاف في الورى شرارها أولا فهبني جاهلاً أوزارها

قال : فخرج إليه فتى من أهل عمان يقال له ميسرة بن عبد الله اليحمدي على فرس له أدهم وهو يقول :

يا لك من يوم عجاج وعلق وعارض أمطرنا فيه رشق
والأرض فيها دافق الدحض زلق وللحرون سورة فيها فلق
ونائل في الله أعمى قد مرق

قال : فحمل عليه عبيدة بن هلال اليشكري فقتله ـ رحمه الله ـ .

ثم جال وطلب البراز ، فخرج إليه حبيب بن المهلب ، وكان يقال له حبيب الحرون لشدة قتاله وثباته في الحرب ، قال : ونظر إليه عبيدة بن الهلال فحمل عليه على غير معرفة ، وحقق عليه حبيب بن المهلب فطعنه طعنة أرداه عن فرسه ، قال : فوثب عبيدة ومر هارباً على وجهه حتى لحق بأصحابه وهو لما فيه من طعنة حبيب . قال : المغيرة بن حبناء في ذلك يقول :

لا تلومي على القتال عريباً إنّ بالكازرون يوماً عجيبا
إذ أتانا عبيدة بن هلال فاغراً فاه بالدماء ُخضيبا
فأراه عن النزال بطيا وبما قد أراه فيها مهيبا
إن تعد للنزال تلقاه حتفا وعسى ذاك أن يكون قريبا

قال : وانهزمت الأزارقة في جوف الليل نحو سابور ، فقال المهلب لأصحابه : ذروا القوم لا تتبعوهم ، فوالله ما انصرفوا حتى انقضت القتال لشدة حرب أعداء الله ، فذروهم حتى نصبح ، فإنا لاحقون بهم إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

قال : وأصبح المهلب فنادى في أصحابه وسار حتى وافى القوم بسابور ، فلما نظروا إلى رايته وقد طلعت بادروا ، وقد خرجوا إليه في تعبية وزينة وسلاح وآلة لم يكونوا أظهروها قبل ذلك .

وهذه الوقعة السادسة

وخرج عمرو القناء العنبري[(١)] وكان من المعدودين في الأزارقة يرتجز ويقول :

اليوم عمرو وغداً عبيدة ... كلاهما شوكته شديدة
كلاهما غايته بعيدة ... كلاهما طعنته عنيدة
كلاهما صعدته جريدة ... كلاهما وقعته مبيدة
كلاهما فراره مكيدة

قال : فما لبث عمرو أن خرج إليه حبيب الحرون وبين يده رجل من أهل البصرة وهو يرتجز ويقول :

هذا حبيب وغداً مغيرة ... كلاهما مدحته قصيرة
كلاهما بغضته كبيرة

قال : ثم التقى القوم فاقتتلوا من وقت الضحى إلى أن اختلط الظلام وصاح الحبيب : يا معشر الأزارقة ! أنا الحبيب بن المهلب ، أنا الحرون ، أنا خِذْن الحرب الزبون ، والله لا رجعت وأنتم وقوف ! وصاح به عمرو القناء[(٢)] : يا حبيب ! أنا عمرو ابن عميرة[(٣)] العنبري[(٤)]، حلقت لحاهم وجُبت خصاهم أن ترجع أو نرجع . قال : وبات الفريقان على ظهور الخيل يجول بعضهم على بعض حتى أصبحوا ، فجعلوا يصلون على ظهور خيلهم بالإيماء والتكبير ، ثم اختلطوا واشتد القتال وتضرج الفريقان بحمرة الدماء . قال : ونظر عمرو إلى حبيب بن المهلب فحمل عليه ، قال : فسبقه حبيب فطعنه طعنة نكسه عن فرسه وحملته الأزارقة ، فالتفت عمرو القناء[(٥)] وهو لما به ، فصاح المهلب ببنيه وبأشد أصحابه ثم حمل وحملوا عليه ، فولت الأزارقة الأدبار ، قال : والسيف في أقفيتهم حتى دخلوا مدينة سابور ، وقد قتل

---

(١) بالأصل : « عمرو القيناء العنيزي » وما أثبت عن معجم الشعراء ، وهو من بني سعد بن زيد مناة من تميم . حارب مع قطري بن الفجاءة وعبيدة بن هلال ثم انحاز إلى عبد ربه الكبير . وانظر الكامل للمبرد ١٢٩٠/٣ .
(٢) بالأصل : القيناء .
(٣) بالأصل : عمير .
(٤) بالأصل : العنيزي .
(٥) بالأصل : القيناء .

منهم جماعة كثيرة فأنشأ مجاهد بن عصم التميمي في ذلك يقول :

إنـمـا تطـمـع الأزارق في الحر ... ب إذا لـم يكـن قتـال حـبيـبُ
فـإذا وُلـيّ الـقـتـال حـبـيـب ... فلهم عـنـد ذاك منـه نـحيـب
سل لعمرو القنا غداة كنان الـ ... مهرة والسنان منه خضيب
لـم يـرده الحـرون حـتـى رآه ... مقـدم الخيـل معلمـاً مـا يجيبُ
فأراه الصدود ثم بني المهـ ... ـر كأن الحرون بازي طلوب
إنـه في احتيـالـه ابن أمية ابـ ... ـنـة الشيـخ والـحـرون أريب
(و) جنـاه نحـلاً لحـاشيـة البـر ... د فمـرعى عمير منهـا جـذيـب

قال: ونزل المهلب على مدينة سابور محاصراً للأزارقة ، وجعل يجبي ما حوله من بلاد فيأهن[١] فيفرق ذلك في أصحابه ، وسائر ذلك له ولأولاده وأهل بيته .

ذكر حمزة بن عبد الله بن الزبير وولايته بالبصرة

قال : وأرسل عبد الله بن الزبير إلى عمر[٢] بن عبد الله فعزله عن البصرة وولى مكانه ابنه حمزة[٣]، قال: فتقدم حمزة بن عبد الله والياً على البصرة[٤]، قال : وكان حمزة جواداً شيخاً سخياً لا يملك نفسه من سخائه غير أن أهل البصرة لم يرتضوا به أميراً عليهم واستضعفوه ولقبوه بقعيقعان[٥] فغضب من ذلك ، ثم كتب إلى أبيه يستعفيه من الولاية ، فعزله وأرسل مكانه مصعب بن الزبير[٦].

قال: فقدم مصعب أميراً على البصرة من قبل أخيه عبد الله بن الزبير فنزل في دار الإمارة؛ فلما كان من الغد خرج وصار إلى المسجد الأعظم، فصعد المنبر

---

(١) بالأصل : فايهن .

(٢) بالأصل : عمرو .

(٣) ثمة اختلاف في اسم الوالي على البصرة ، وما ورد في الطبري هنا أن حمزة بن عبد الله بُعث والياً على البصرة بعدما عزل أبوه المصعب بن الزبير عنها ١١٧/٥ .

(٤) وكان ذلك في سنة ٦٧ هـ .

(٥) وكان قد ذهب يوماً إلى الأهواز فلما رأى جبلها قال : هذا قعيقعان ـ لموضع بمكة ـ فسمي الجبل قعيقعان .

(٦) في الطبري ١١٧/٦ ظهرت منه خفة وضعف . . . ولما خلط وظهر منه ما ظهر . . . كتب الأحنف إلى ابن الزبير بذلك وسأله أن يعيد مصعباً .

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل البصرة! اتقوا الله ربكم ، ولا تظلموا أمراءكم ، فقد بلغني أنكم تلقبونهم[1] بالألقاب القبيحة ، وذاك أنكم لقبتم الحارث بن عبد الله[2] فسميتموه القباع ، ولقبتم ابن أخي حمزة[3] بن عبد الله فسميتموه قعيقعان ، ألا ! وإني قد لقبت نفسي الجزار ـ والسلام[4] ـ .

ثم نزل عن المنبر وصلى بالناس ، وانصرف إلى منزله . قال : واتقاه الناس وخافوا منه خوفاً شديداً .

ذكر كتاب مصعب بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة

بسم الله الرحم الرحيم من مصعب بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة أما بعد ، فإن الناس لو أعطوا كل إنسان على قدره لقدمت في العرب قاطبة غير مدافع ، لما قد بقي الله بك العدو، وغلب بك على البلاد، فإن طاعتك وحسن بلائك قد بلغ بك عندنا كل الذي تحب، وما نرجو لك به من ثواب الله أجزل وأفضل، وأنت عندنا الأمين، ولك بذلك عندنا المزيد والكرامة والفضيلة ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ـ .

قال : فلما وصل كتاب مصعب بن الزبير إلى المهلب وقرأه علم أنه ولي البصرة، فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، للأمير مصعب بن الزبير من المهلب بن أبي صفرة، فسلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد فأمر رسول الأمير أيده الله أتاني كتابه يذكر طاعتي وحسن بلائي والذي بلغ بي عنده من حسن المنزلة، وأنا أسأل الله أن يودع للأمير حق أهل الطاعة ، وأسأله لأهل الطاعة التمام على معرفة حسن الخليقة وطاعة ولاة الأمر ، وأنا أعلم الأمير أيده الله أن لو علمت بقدومه البصرة أميراً عليها لبدأته بالكتاب معرفة إيجاباً لحقه وسروراً بمقدمه ، فأصلح الله الأمير ومد لنا في عمره ـ والسلام ـ .

---

(١) بالأصل : « تلقبوهم » .

(٢) بالأصل : عبد الله بن الحرث .

(٣) بالأصل : عمرو .

(٤) انظر الطبري ٦/٩٣ وفيه أن هذه الخطبة خطبها مصعب بعد قدومه البصرة والياً عليها بعد عزل عبد الله بن الزبير القباع عنها .

ولم يزل المهلب باقياً على حرب الأزارقة في أرض سابور[1] حتى يتبعه عند الأمير من يتبعه من العداوة والحسد ، وقالوا : أيها الأمير ! إن المهلب رجل يحب مطاولة العدو لما يجبي من البلاد ، ولو عزلته ووليت غيره حرب الأزارقة لكان في ذلك هلال العدو وتوفير المال على أمير المؤمنين ـ والسلام[2] ـ .

ذكر عزل المهلب عن حرب الأزارقة وتولية عمر بن عبيد الله[3] بن معمر التميمي حرب الأزارقة

قال : فعزل مصعب بن الزبير المهلب عن حرب الأزارقة ، فرجع المهلب حتى نزل بموضع يقال له الزائدان مع بنيه وعشيرته ، وسار عمر[3] بن عبيد الله يريد حرب الأزارقة حتى إذا صاروا بهرمز كتب إلى الأزارقة بهذه الأبيات :

[و] قل للأزارق[4] الذين تجمعوا ... بسابور إني لست مثل المهلبِ
يقاتلكم حتى إذا ما رآكم ... أقام فلم يبعد ولم يتقربِ
وكان امرؤ يجبي الخراج بكيده ... يخرب[5] أخلاق البلاد لمجلبِ[6]
فأطمعكم[7] فيه تقارب خطوه ... إليكم وهذا منه شبه التلعبِ[8]
على أنه قد نال حظاً برفقه ... وهيبته في كل شرق ومغرب
ورأى ومن ارتبى يبني مكانه ... وحوض ساري في مباح المخضب
تركت شعاباً[9] من لؤي بن غالب ... مشاريع للبيت العتيق المحجب

(١) سابور كورة مشهورة بأرض فارس بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخاً .
(٢) وقيل في عزله أن مصعب بن الزبير أراد أن يوليه بلاد الموصل والجزيرة وأرمينية ليكون بينه وبين عبد الملك بن مروان .
(ابن الأثير ٣/ ٢٠ والكامل للمبرد ٣/ ١٢٦٥) .
(٣) بالأصل : عمرو بن عبد الله ، وما أثبت عن الكامل للمبرد ١٢٦٦/٣ وابن الأثير ٣/ ٢٠ .
(٤) بالأصل : للأزارقة .
(٥) بالأصل : يضرب .
(٦) بالأصل : يجلب .
(٧) بالأصل : فاطعمكم .
(٨) الأصل : الملعب .
(٩) بالأصل : شعاب .

على ضربكم بالبيض حتى أقصكم | بها بعد ظفر بالوشيج المغلب
وأسقيكم ضرباً من الموت مرة | ويكفي لكم يوماً بدهر عصبصب
ولست بوقاف إذ الخيل أحجمت | ولا فاضحاً في الحرب أمي ولا أب
فهذا فعالي في لؤي بن غالب | وديني على ما عبتم دين مصعب

قال: فأجابه عبيدة[١] بن هلال اليشكري وهو يقول[٢] :

تأن ولا تعجل علينا ابن معمر | فلست وإن أكثرت مثل المهلبِ
ولا لك في الحرب المحلب حظة[٣] | ولا لك من يفديك بالأم والأب[٤]
فلو غيرنا تلقاه قلنا ألا اذهبوا | ولو غيرنا يلقاه قلنا له اذهب
ولكن منينا بالحفيظة كلنا | جِلاداً وطعناً بالوشيج المغلب
كذلك كنا كلنا يابن معمر | وأنت كبيت العنكبوت المذبذب
فإن رمتها منا ولست بفاعل | ركبت بها من حربنا شر مركب
ولسنا بأنكاس قصار رماحنا | ولا نحن نخشى وثبة المتوثب
ولسنا نقول الدهر عصمة أمرنا | على كل حال كان طالع مصعب[٥]
ولكن نقول الحكم لله وحده | وبالله نرضى والنبي المقرب

قال : وسار ابن معمر حتى نزل قريباً من سابور ، وعلمت الأزارقة هنالك وأمسكوا عنه ومكنوه، حتى إذا كان الليل إذ الأزارقة قد وافته من أربعة أوجه ، كل وجه منها رئيس من رؤسائهم : عبيدة بن هلال اليشكري من وجه ، وعطية بن الأسود الحنفي من وجه ، وعمرو القنا[٦] العنبري من وجه ، وفي الوجه الرابع صاحبهم قطري بن الفجاءة المازني[٧] ؛ وهذه أول وقعة لعمر بن عبيد الله[٨] مع الأزارقة ،

---

(١) بالأصل : عبيد خطأ .
(٢) الأبيات في شعر الخوارج ص ١٠٧ .
(٣) شعر الخوارج : الملحة خطة .
(٤) بعده في شعر الخوارج :
كما كانت الأحياء طرًّا تقوله | له كل يوم مستحيل عصبصب
(٥) شعر الخوارج : طاعة مصعب .
(٦) بالأصل : « القينا » وقد مرّ .
(٧) في ابن الأثير أن الخوارج استعملوا عليهم بعد قتل عبيد الله بن الماحوز الزبيرَ بن الماحوز (٣/ ٢٠) .
(٨) بالأصل : عمرو بن عبد الله .

قال : وفزع أصحاب عمر[1] إلى أسلحتهم ودوابهم فاستووا عليها ودنوا من الأزارقة ، وإذا قطري بن الفجاءة أمام أصحابه يهدر كالفنيق من الإبل وهو يرتجز ويقول[2] :

الليـل فيـه لـلشـراة نيـل والليـل فيـه للغـواة ويـلْ
وحفـظهم فيها هـوى وسيل ورقـين[3] كـأنـهن الـسيـل
والحـرب فيها بهـج وويل[4] يـوماً بيـوم وكذلـك الليل[5]
رجـل لرجـل خيل لخيـل[6]

قال : فلما سمع ابن معمر كلامه في سواد الليل قصده . قال : فحمل عليه قطري بن الفجاءة بعمود كان في يده ، فضربه ضربة على بيضته فهشمها على رأسه، فولى ابن معمر من بين يديه هارباً [حتى] اختلط بأصحابه وتقدم عبيـدة بن هلال اليشكري في قبيلة من الأزارقة وهو يرتجز ويقول[7] :

كـان المـزوّي[8] إذا بـدا لـه إن يلقـح الحـرب دعـا أشبـالـه
ثم حـداهم في الوغى فعـاله[9] حتى يكـونـوا عنـدنـا أمثـالـه
لـعـل هـذا طـالب فـعـالـه لا تـطمعن فينـا فـلن تنـالـه

قال : ورفعت الأزارقة المشاعل على رؤوس الجبال وأطراف الرماح واشتـد القتال ، فالتفت ابن معمر إلى رجل من عبد القيس يقال له الأعلم فقال له : ويحك يا أخا عبد القيس ! إنك قد كنت مع المهلب في حروبه لهؤلاء القوم فكيف كان يصنع ؟ فقال له الأعلم[10]: أيها الأمير ! إنه قد ذهب الرأي وبقي الصبر . قال : ثم تقدم الأعلم بسيفه نحو عبيدة بن هلال وهو يقول :

---

(١) بالأصل : عمرو .
(٢) الأرجاز في شعر الخوارج ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ونسبت إلى عبيدة بن هلال اليشكري .
(٣) في شعر الخوارج : وفتنٌ .
(٤) الرجز في شعر الخوارج : والحرب فينا دول وغول .
(٥) شعر الخوارج : الكيل .
(٦) شعر الخوارج : ولخيل خيل .
(٧) الأرجاز في شعر الخوارج ص ١٣٢ ونسبت إلى قطري بن الفجاءة .
(٨) شعر الخوارج : « المزوني » ولعله : المازني .
(٩) شعر الخوارج : نعاله .
(١٠) بالأصل : « لا أعلم » .

أنصفتنا في الحرب يا عبيده أثبت فإن غايتي بعيده
وعدّتي إن ترمها شديده
وجمرتي يوم الوغى شديده كم من وعيد لك في قصيده
إنّ الوعيد غاية الوليده

ثم التقيا جميعاً الأعلم العبدي وعبيدة بن هلال فتضاربا بسيفهما ساعة ثم افترقا .

قال : وصاح قطري بن الفجاءة أن يا معشر المهاجرين ! إن الليل أخو الهول ، فاثبتوا لحرب هؤلاء المحلين . قال : فاضطرب القوم اضطراباً شديداً ليلتهم تلك، حتى إذا أصبحوا انهزم أصحاب ابن معمر هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف الأزارقة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ثم زحفوا إلى سواد ابن معمر فاستباحوه وأخذوا جميع ما فيه ، ثم رجعوا إلى سابور بالغنائم .

قال : وأقبل ابن معمر إلى أصحابه فقال : يا أهل البصرة ![1] لو كنتم تقاتلون معي كقتالكم مع المهلب إذاً لبلغت الذي أريد من حرب هذا العدو ، ولكنكم تقولون[2] : هذا رجل حجازي ، خيره لغيرنا وشره علينا ، وأيم الله ! لقد أردت أن أكتب فيكم إلى أمير المؤمنين فأشكوكم إليه ، لكني كرهت أن يتمادى بكم اللجاج ويتمادى بي الغضب .

قال : فقام إليه عمران بن عصام العنبري فقال : أيها الأمير ! إن المهلب كان يقاتل بنا قتال الصعلوك ويسوسنا سياسة الملوك ، حتى سكنا إليه في الليل وآنسنا به في النهار . قال : فغضب ابن معمر من قول العنبري ثم دعا بدفتر الجند فحلق على اسمه ، فتركه العنبري وصار إلى المهلب فحدثه بالقصة على جهتها ، فقربه المهلب وأدناه وزاد في الكرامة .

قال : وبلغ أهل البصرة ما قتل منهم فاغتموا لذلك ، قال : وطمعت الأزارقة بعد هذه الوقعة في أخذ البصرة وغيرها ، وندم مصعب بن الزبير على عزل المهلب وتوليته ابن معمر[3] ، وعلم أن لا يقوم بحرب الأزارقة غير المهلب لأنه قد ذاقهم

---

(١) في الكامل للمبرد ١٢٦٧/٣ لو ناصحتموني مناصحتكم المهلب لرجوت أن أفني هذا العدو .

(٢) في الكامل للمبرد : قرشي حجازي بعيد الدار ، خيره لغيرنا ، فتقاتلون معي تعذيراً .

(٣) ومما قاله مصعب : العجب لعمر ، قطع هذا العدو الذي هو بصدد محاربته أرض فارس فلم يقاتلهم ولو =

ومارسهم واختبرهم وعرف حربهم . قال : وأقبل ابن زياد على مصعب بن الزبير وأقام عنده ، قال : وعلم مصعب بن الزبير أنه لا يقوم بأمر العراق إلا مصعب ولا يقوم بأمر الأزارقة إلا المهلب .

ابتداء أخبار عين الوردة
ثم نرجع بعد ذلك
إلى أخبار الأزارقة

قال : وتحركت الشيعة بالكوفة ولقي بعضهم بعضاً بالتلاوم والندم[١] على ما فرطوا فيه من قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وأنهم دعوا إلى نصرته فلم ينصروه بعد أن كانوا كاتبوه ، وعلموا أنهم لا يغسل[٢] عنهم الإثم والخطأ إلا أن يخرجوا فيقتلوا من قتله ويأخذوا بدمه حيث كان من مشارق الأرض ومغاربها . قال : وكان بعضهم يمشي إلى بعض ويدبرون آراءهم بينهم ولا يطلعون أحداً على ما هم فيه ، وكان أكثر خوفهم من أهل مصرهم لأن أكثرهم قتلة الحسين رضي الله عنه . قال : ثم إنهم تفرقوا إلى هؤلاء خمسة نفر من الشيعة وهم من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه : سليمان[٣] بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة[٤] الفزاري ورفاعة بن شداد البجلي وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي وعبد الله بن [وال ـ][٥] التيمي .

قال : واجتمع هؤلاء القوم في منزل سليمان بن صرد الخزاعي ، وكان أول من تكلم منهم المسيب بن نجبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنا قد ابتلينا بطول العمر في هذه الدنيا والتعرض لأنواع البلاء والفتن ، فنسأل الله أن لا يجعلنا ممن يقال[٦] له غداً : ﴿ **أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا**

= قاتلهم وفرّ كان أعذر له . وكتب إليه : يا بن معمر ما أنصفتني ، تجبي الفيء وتحيد عن العدو ، فاكفني أمرهم .

(١) في الطبري ٥/٥٥٢ والتندم ، وفي ابن الأثير : والمنادمة .

(٢) الطبري : لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله .

(٣) عن الطبري وبالأصل : داود .

(٤) الأصل : نحية وما أثبت عن الطبري .

(٥) زيادة عن الطبري .

(٦) الطبري : يقول له .

فما للظلمين من نصير ﴾(١) وقد علمتم أن الله تبارك وتعالى في موطنين من مواطن ابن بنت نبينا عليه السلام فوجدنا كتابين وذلك أن الحسين بن علي رضي الله عنهما أتتنا كتبه(٢) وقدمت علينا رسله وأعذر إلينا في أمره يسألنا(٣) أن ننصره علانية وسراً، فنحينا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا، فلا نحن نصرناه بأيدينا، ولا دفعنا عنه بألسنتنا. ولا قويناه بأموالنا، ولا طلبنا له نصرة من عشائرنا، فما عذرنا غداً عند الله، وما حجتنا بين يدي نبينا ﷺ وقد قتل ابنه وحبيبه وريحانته بين أظهرنا! لا والله! ما لنا عذر غير أن نخرج فنقتل من قتله أو شارك في دمه وأعان على قتله، فعسى الله تبارك وتعالى [أن] يرضى بذلك عنا(٤).

قال: ثم تكلم رفاعة بن شداد البجلي فقال: أما بعد، فقد هديت إلى أرشد الأمور ونكأت بقولك حزازات(٥) الصدور، وذلك أنك بدأت بحمد الله ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منك مستجاب لك مقبول قولك ـ والسلام(٦)(٧) ـ.

قال: ثم تكلم سليمان وكان شيخ القوم وعميدهم فقال: أما! إنه دهر ملعون قد عظمت فيه الرزية وشمل فيه الخوف والمصيبة، وذلك إنا كنا ندعوهم(٨) إلى بيعتنا ونحثهم على المصير إلينا، فلما قدموا إلينا أبينا(٩) وعجزنا وتربصنا حتى قتل حبيبنا وولد(١٠) نبينا وسبطه وسلالته وهو في ذلك يستصرخ فلا يصرخ، ويدعو فلا

---

(١) سورة فاطر الآية ٣٧.

(٢) انظر العبارة في الطبري ٥/٥٥٢.

(٣) في ابن الأثير: فسألنا.

(٤) في الطبري ٥/٥٥٣ أيها القوم، ولّوا عليكم رجلاً منكم فإنه لا بد لكم من أمير تفزعون إليه، وراية تحفون بها، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

(٥) بالأصل: حرارات.

(٦) انظر بقية كلامه في الطبري ٥/٥٥٣.

(٧) زيد في الطبري ٥/٥٥٣ قال: ثم تكلم عبد الله بن والٍ وعبد الله بن سعد. فحمدا ربهما وأثنيا عليه وتكلما بنحو من كلام رفاعة بن شداد، فذكرا المسيب بن نجبة بفضله، وذكرا سليمان بن صرد بسابقته، ورضاهما بتوليته. فقال المسيب بن نجبة: أصبتم ووفقتم، وأنا أرى مثل الذي رأيتم، فولّوا أمركم سليمان بن صرد.

(٨) في الطبري: إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا ونمنيهم النصر ونحثهم على القدوم.

(٩) الطبري: ونينا.

(١٠) بالأصل: وليد.

يجاب ، ويستغيث فلا يغاث ، وبقي أكلته لرماحهم حتى قتلوه ثم عدوا عليه فسلبوه بعد أن قتلوا شيعته وانتهكوا حرمته ، ألا ! فانهضوا فقد سخط الله عليكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء أبداً ـ رضي الله عنكم ! ولا أظه راضياً دون أن تناجزوا من قتله أو شارك في دمه ، ألا ! فلا تهابوا الموت ، فوالله ما هابه أحد قط إلا ذلّ ! فانهضوا وكونوا كبراءة بني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم موسى عليه السلام : ﴿ **يٰقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوآ إلى بارئكم فـاقتلوآ أنفسكم ذلكم خير لكم عنـد بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم** ﴾[1]، ألا ! فاحدوا الصفاح[2] ، وركبوا أسنة الرماح ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** ﴾[3] ولا تهنوا عن لقاء الفاسقين .

قال : فعندها وثب خالد بن [سعد بن][4] نفيل الأزدي فقال : أما والله ! لو علمت أن قتلي نفسي يخرجني من ذنبي[5] ويرضي عني ربي أذاً لقتلتها ، ولكن هذا الأمر إنما أمر به قوم من بني إسرائيل لما عبدوا العجل من دون الله فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه موسى بن عمران أن يأمرهم بقتل أنفسهم عقوبة لهم ، غير أني أشهدكم أن كل مالٍ أصبحت أملك سوى فرسي وسلاحي فهو صدقة على المسلمين أقويهم على قتال الفاسقين .

ثم وثب [أبو][6] المعتمر بن حنش بن ربيعة الكناني فقال : وأنا أيضاً أشهدكم على ذلك فما أملكه فهو صدقة . قال : ثم وثب [أبو] الجويرية العبدي والأسود بن ربيعة الكندي فقالا مثل ذلك ، وتبايعت الشيعة على مثل ذلك . قال : ثم إنهم قلدوا أمورهم سليمان بن صرد الخزاعي فجعلوه أميرهم وقائدهم ، وعزموا على الخروج على قتلة الحسين رضي الله عنه ، فاتفقت آراؤهم على أن يخرجوا في غـرة ربيع الآخر[7] ، ثم إنهم كتبوا إلى شيعة أهل البصرة وشيعة المدائن فخبروهم بما قد عزموا

---

(١) سورة البقرة الآية ٥٤ .

(٢) الطبري : اشحذوا السيوف .

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٤) زيادة عن الطبري ٥/٥٥٥ .

(٥) عن الطبري وبالأصل : ديني .

(٦) زيادة عن الطبري .

(٧) وذلك سنة ٦٥ هـ .

عليه ، فأجابوهم إلى ذلك . قال : وكتب إليهم سعد بن حذيفة [بن] اليمان من المدائن : أما بعد ، فقد قرأنا كتابكم إلينا[1] وفهمنا الذي دعوتمونا إليه من هذا الأمر ، ونحن مجتهدون معدون مسرجون ملجمون ننتظر الأمر ونلتمس الأجر ونجيب الداعي ونتبع الراعي ، فإذا جاء الصريخ أقبلنا ولم نرجع - والسلام[2] - .

قال: وكتب إليهم المثنى بن مخربة[3] العبدي من البصرة يجيبهم إلى ذلك[4] .

قال : فلما التأم لهؤلاء القوم أمرهم وعزموا على ما قد عزموا عليه ، أقبلوا إلى دار الإمارة وفي أيديهم السيوف حتى هجموا على عمرو بن حريث المخزومي ، وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل عبد الملك بن مروان[5] ، فأخرجوه من القصر مطروداً ، وأقعدوا مكانه عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي - وكان يلقب بدحروجة الجعل - قال : فبايعه أهل الكوفة على أنه من قبل عبد الله بن الزبير . قال : وبلغ ذلك عبد الله بن الزبير فسرّه ذلك .

ذكر مفارقة المختار بن أبي عبيد عبد الله بن الزبير وخروجه عليه

قال : وعزم المختار بن أبي عبيد على مفارقة عبد الله بن الزبير فجعل يقدم في ذلك ويؤخر .

قال : وقدم هانىء بن [أبي -][6] حية الهمداني إلى مكة يريد العمرة ، فأقبل إليه المختار بعد أن فرغ من عمرته فقال له : يا أخا همدان ! ألا تخبرني عن الناس

---

(١) وكان سليمان بن صرد قد كتب كتاباً إلى سعد . انظر نسخته في الطبري ٥/٥٥٥ - ٥٥٦ .

(٢) نسخة الكتاب في الطبري ٥/٥٥٧ باختلاف .

(٣) عن الطبري ٥/٥٥٨ وابن الأثير ، وبالأصل : مخرمة .

(٤) نص كتاب المثنى إلى سليمان بن صرد عن الطبري ٥/٥٥٨ أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وأقرأته إخوانك ، فحمدوا رأيك واستجابوا لك ، فنحن موافوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت وفي الموطن الذي ذكرت والسلام عليك .

(٥) كذا بالأصل ، وفي الطبري ٥/٥٥٨ وأمير العراق عبيد الله بن زياد ، وهو بالبصرة ، وخليفته بالكوفة عمرو بن حريث المخزومي .

(٦) عن الطبري ٥/٥٦٩ ، وفي ابن الأثير : هانىء بن جبة .

كيف تركتهم بالكوفة ؟ فقال : تركتهم والله وقد استوسقوا لصاحبك هذا عبد الله بن الزبير ، ولو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم لأكل بهم الأرض . قال : فقال له المختار : لا عليك يا أخا همدان ، فأنا والله أجمعهم على الحق[1] ، وأنفي بهم الباطل[2] ، وأقتل بهم كل جبار عنيد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . قال : فقال له هانىء بن [أبي ـ] حية : ويحك يا أبا إسحاق[3] ! اتق الله ولا توضع في الضلال والفتنة ، فإن صاحب الفتنة هو أقرب شيء أجلاً وأسوأ الناس عملاً . قال : فقال له المختار : سبحان الله يا أخا همدان ! ما لي وللفتنة ! إنما أدعو إلى الطاعة[4] والجماعة ، ولكن خبرني عن سليمان بن صرد وأصحابه هل شخص إلى قتال المحلين ؟ قال : لا ، ولكنه عازم على ذلك . قال : فسكت المختار ثم انصرف إلى منزله ، فلما كان الليل وثب فاستوى على فرسه وخرج من مكة بغير علم من عبد الله بن الزبير ، فلم يصبح إلا على مرحلتين من مكة ، ثم سار مجداً يريد الكوفة ، حتى إذا صار بالقرعاء[5] وجده رجل من أهل الكوفة يقال له سلمة بن مرثد[6] ، فسلم عليه المختار وقال : من أين أقبلت يا سلمة ؟ قال : أقبلت من الكوفة ، قال : فكيف خلفت بها أهلها ؟ فقال : خلفتهم والله كغنم رعاء تهادوا وتمردوا ، [فقال له المختار بن أبي عبيد : أنا الذي أحسن رعايتها وأبلغ نهايتها ـ][7] ، فقال له سلمة : يابن أبي عبيد ! اتق الله فإنك ميت ومبعوث ومحاسب ومجزي بعملك من خير وشر . قال : ثم افترقا ، وسار المختار حتى انتهى إلى نهر الحيرة[8] وذلك في يوم الجمعة ، فنزل واغتسل فيه ، ثم لبس ثيابه واعتم بعمامته وتقلد بسيفه ، ثم ركب وأقبل حتى دخل الكوفة نهاراً ، فجعل يمرّ على مجالس القوم ويقف عليهم ويسلم ويقول لهم : أبشروا بالفرج ! فقد جئناكم بما تحبون وأنا المسلط على الفاسقين والطالب بدماء أهل بيت نبي رب العالمين . ثم

---

(١) في الطبري ٥/٥٧٨ على مرّ الحق .

(٢) الطبري : وأنفي بهم ركبان الباطل .

(٣) بالأصل : أبا عبد الله : انظر الإصابة ، وفي الطبري : يابن أبي عبيد .

(٤) الطبري : الهدى .

(٥) بالأصل : « بالفرغا » وما أثبت عن الطبري ، والقرعاء : منزل في طريق مكة من الكوفة .

(٦) عن الطبري ، وبالأصل : كريث .

(٧) زيادة عن الطبري ٥/٥٧٨ .

(٨) الحيرة : مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة .

أقبل إلى المسجد الأعظم فنزل ، ثم دخل المسجد فصلى ، واستشرف الناس ينظرون إليه ويقولون : هذا المختار بن أبي عبيد(1) ، وما قدم إلا لأمر ونحن نرجو به الفرج .

قال : ثم قعد المختار في المسجد حتى صلى الظهر والعصر ونهض وعليه ثياب رثة حتى صار إلى باب المسجد فركب وأقبل حتى نزل في دار سلم(2) بن المسيب وهي داره التي لا تعرف إلا به . فلما كان من الغد بعث إلى وجوه الشيعة فدعاهم ثم قال لهم : اعلموا أني قد جئتكم من عند ولي الأمر ، ومعدن الفضل ، ووصي الوصي ، والإمام المهدي ، محمد بن علي ابن الحنيفة ، بعثني إليكم أميناً ووزيراً وعاملاً(3) وأميراً ، وقد أمرني بقتال المحلين ، والطلب بدم ابن بنت نبي رب العالمين ، وهذا أمر لكم فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتمام النعماء . قالت الشيعة : يا أبا إسحاق ! أنت موضع ذلك ، غير أن الناس اجتمعوا إلى سليمان بن صرد الخزاعي وأنت تعلم أنه شيخ الشيعة اليوم فلا تعجل إلى أن تنظر [وينظر] ويؤول الأمر إلى ما تحب إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . قال : فسكت المختار وأقام بالكوفة ينتظر ما يكون من أمر سليمان بن صرد(4) .

قال : وعلم عبد الله بن الزبير أن المختار قد صار إلى الكوفة فاتقى أن يفسد عليه البلد ، فأرسل إلى عامر بن مسعود الجمحي فعزله عن الكوفة وولى عليها [عبد الله بن يزيد الأنصاري ؛ قال : فقدم عبد الله بن يزيد أميراً على الكوفة من قبل] عبد الله بن الزبير وقدم معه إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله على خراج الكوفة(5). قال : وأقبل رؤساء أهل الكوفة على عبد الله بن يزيد(6) فسلموا عليه . وهنؤه بالولاية ، فقال لهم : يا أهل الكوفة ! ما هذا الذي يبلغني عن سليمان بن صرد وأصحابه ؟ فقالوا : أيها الأمير ! يذكر أنه يطلب بدم الحسين بن علي رضي الله

---

(1) بالأصل : عبيد الله .

(2) عن الطبري ٥/٥٧٩ وبالأصل : مسلم .

(3) في الطبري ومنتجباً وأميراً .

(4) في الطبري ٥/٥٦١ انشعبت إليه طائفة تعظمه وتجيبه وتنتظر أمره ، وعُظم الشيعة مع سليمان بن صرد .

(5) وكان قدوم عبد الله بن يزيد يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٦٤ . وكان المختار قد قدمها قبله بثمانية أيام . (الطبري ٥/٥٦٠) .

(6) بالأصل : عبيد الله بن زيد ، وما أثبت عن الطبري .

عنهما . فقال عبد الله بن يزيد[1]: نعم هذا الرأي وأنا معهم ومعينهم أيضاً على ذلك .

قال: وخرجت الشيعة من عند عبد الله بن يزيد[2] وبقي عنده رجل من شيعة بني أمية يقال له يزيد[3] بن الحارث بن رويم ، فقال : أصلح الله الأمير ! إن سليمان بن صرد وأصحابه قد عزموا على أن يخرجوا عليك بالكوفة ، فاجمع إليك أصحابك ثم انهض إليهم فضع فيهم السيف من قبل أن يخرجوا عليك[4] ، فقال عبد الله بن يزيد : يا هذا ! ولِمَ يخرج عليَّ سليمان بن صرد ؟ فقال : لأنهم يزعمون أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما ، قال عبد الله بن يزيد[5] : الله أكبر ! أنا قتلت الحسين ! لعن الله من قتله وشارك في دمه ودماء إخوته وأهل بيته وشيعته رضي الله عنهم ! ومن لم تكن مصيبة الحسين بن علي دخلت عليه ما هو بمؤمن . قال : فقام الرجل من عنده نادماً على ما تكلم .

ذكر خروج سليمان بن صرد وأصحابه إلى قتال أهل الشام

قال : ونادى سليمان بن صرد في أصحابه . فجعلوا يخرجون من منازلهم على الخيل العتاق وقد أظهروا الآلة والسلاح ، فجعلوا يسيرون في أسواق الكوفة ، والناس يدعون لهم بالنصر والظفر[6] ، حتى إذا صاروا إلى النخيلة عسكروا بها . قال : وخرج سليمان بن صرد من الكوفة في نفر من أصحابه ، حتى إذا أشرف على أصحابه وعسكره لم يعجبه ما رأى من قلة الناس ، فدعا برجلين من أصحابه حكيم بن منقذ الكندي والوليد بن غُصين[7] الكناني فقال لهما : اركبا فمرا بالكوفة ، وناديا في الناس : من أراد الجنة ورضاء الله والتوبة فليلحق بسليمان بن صرد إلى النخيلة ! قال : ففعلا ما أمرهما به وناديا في الكوفة . قال : وسمع ذلك رجل من

(١) بالأصل عبيد الله بن زيد .

(٢) بالأصل : زيد .

(٣) بالأصل : « زيد » وما أثبت عن الطبري ٥٦١/٥ .

(٤) انظر مقالة ابن رويم في الطبري ٥٦١/٥ .

(٥) الأصل : زيد .

(٦) وكان ذلك مع هلال شهر ربيع الآخر سنة ٦٥ ، وقد كان واعد أصحابه عامة الخروج في تلك الليلة للمعسكر بالنخيلة ، كما لاحظناه قريباً .

(٧) عن الطبري ، وبالأصل : « عصين » وفي ابن الأثير : عصير .

الأزد يقال له عبد الله بن خازم وله امرأة يقال لها سهلة بنت سبرة ، فلما سمع النداء وثب إلى ثيابه فلبسها، وأفرغ عليه سلاحه وأمر بإسراج فرسه، فقالت له ابنته : ما لي أراك متأهباً ؟ فقال : إن أباك يريد أن يفر من ذنوبه ، فقالت له امرأته : ما شأنك ؟ ويحك ! خبرني قضيتك ، فقال : ويحك أيتها المرأة ! إني سمعت الداعي(٢) فأحببت أن أجيبه ، وأنا أطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما وإخوته وأهل بيته رضوان الله عليهم حتى أموت أو يقضي الله في ذلك من أمره ما يحب ويرضى ؛ قال : فقالت له امرأته : ويحك ! على من تخلف أهلك وولدك ؟ فقال : على الله وحده ؛ قال : ثم رفع عبد الله بن خازم طرفه نحو السماء فقال : اللهم إني أستودعك أهلي وولدي فاحفظني فيهم ، وتب عليّ مما فرطت في نصرة ابن بنت نبيك محمد ﷺ . قال : ثم خرج حتى لحق سليمان بن صرد .

قال : فعرض سليمان أصحابه ، قال : وكانوا في ديوانه قبل أن يقدم المختار إلى الكوفة ستة عشر ألفاً ، فلما كان ذلك اليوم عرضهم إذا هم ألف رجل أو يزيدون قليلاً(٣) . قال : فقال سليمان بن صرد : ما أظن هؤلاء مؤمنين ، أما يخافون الله في الذين أعطونا من صفقة إيمانهم(٤) . قال : فقال له المسيب بن نجبة الفزاري : إنه لا ينفعك الكاره ، ولا يقاتل معك إلا من خرج من نفسه ، فلا تنتظرن أحداً واكمش(٥) أمرك واستعن بالله وتوكل عليه ، وقل : لا حول ولا قوة إلا بالله .

قال : فعندها وثب سليمان قائماً على قدميه متكئاً على فرس له عربية فقال : أيها الناس ! إنه من كان إنما أخرجته معنا إرادة الله وثواب الآخرة فذاك منا ونحن منه ورحمة الله عليه حياً وميتاً، ومن كان يريد متاع الدنيا وحرثها فلا والله ! ما معنا فضة ولا ذهب(٦) ، ولسنا نمضي إلى شيء نحوزه ولا إلى غنيمة نأخذها، وما هي إلا سيوفنا في رقابنا ، ورماحنا في أكفنا ، ومعنا زاد بقدر البلغة إلى لقاء عدونا

---

(١) عن الطبري ٥/٥٨٣ وبالأصل : « برة » .

(٢) الطبري : داعي الله .

(٣) في الطبري ٥/٥٨٤ أربعة الآف ، وفي رواية : ألفي رجل .

(٤) زيد في الطبري : ليجاهدنّ ولينصرنّ ، فأقام بالنخيلة ثلاثاً يبعث ثقاته من أصحابه إلى من تخلف عنه يذكرهم الله وما أعطوه من أنفسهم فخرج إليه نحو من ألف رجل .

(٥) كمش الرجل في أمره : مضى وأسرع .

(٦) زيد في الطبري : ولا خزّ ولا حرير .

عبيد الله بن زياد ـ لعنه الله وأصحابه ! فمن كان ينوي غير هذا فلا يصحبنا. قال : فقال له صخير[1] بن حذيفة بن هلال المزني : صدقت رحمك الله ! والله ما لنا خير في صحبة من الدنيا [همته ونيته ـ][2] ، وما أخرجنا إلا التوبة من ذنوبنا والطلب بدماء أهل بيت نبينا محمد ﷺ ، وقد علمنا أنا إنما نقدم على حد السيوف وأطراف الرماح . قال : فناداه الناس من كل جانب : ألا إنا لا نطلب الدنيا ولا[3] لها خرجنا .

قال : وتهيأ الناس للمسير وعزموا على ذلك ، وجعل عبد الله بن عوف[4] بن الأحمر الأزدي يحرض الناس على ذلك ويذكر ما كان منه ، فبدأ ذلك في أيام صفين وحروبها ، فأنشأ يقول :

صحوت وودعت الصبا والغوانيا ... وقلت لأصحابي : أجيبوا المناديا
وقولوا له إذ قام إلى الهدى ... وقتل العدى[5] : لبيك لبيك داعيا
وشدوا له إذ سعر الحرب أزره ... ليجزي امرؤ يوماً بما كان ساعيا
وقودوا إلى الأعداء كل طِمِّرة ... وقودوا إليكم سانحات المذاكيا
وسيروا إلى القوم المحلين جنة ... وهزوا حراباً نحوهم وعواليا
ألسنا بأصحاب الحريبة والأولى ... قتلنا بها ما كان حيران باغيا
ونحن شمرنا لابن هند بجحفل ... كركن حوى يرجى إليه الدواهيا
فلما التقينا بين الطعن إننا ... بصفين كان الأصرع المتهاديا
دلفنا فأقبلنا صدورهم بها ... غداة رددناها صماء صواديا
فزدناهم من كل وجه وجانب ... وجرناهم جور الدعا للمتاليا
رميناهم حتى أرانا صفوفهم ... فلم تر إلا ملجياً أو ركابيا
وحتى ظللنا ما نرى من معقل ... وألفيت للقتلى جميعاً قداتيا
وحتى استغاثوا بالمصاحف واتقوا ... بها وقعات يختطفن المحافيا
فدع ذا ولا تيأس له من ثوابه ... وتب واغز للرحمن إن كنت غازيا
ألا وانع خير الناس جداً ووالداً ... حسيناً لأهل الدين أن كنت ناعيا

(1) عن الطبري ٥/٥٨٥ وبالأصل : حصين .
(2) زيادة عن الطبري .
(3) في الطبري : وليس .
(4) عن الطبري وبالأصل : « عور » .
(5) في مروج الذهب ١١١/٣ وقبل الدعا .

ليبك حسيناً من رعى الدين والتقى … وكان غياثاً للضعيف وكافيا
ويبك حسيناً كل عار ولابس … وأرملة لا تحمل الدهر حافيا
ويبك حسيناً ذو أمان وحفظة … عديم وأيتام عدمن المواليا(١)
لحا الله قوماً أشخصوه وعودوا … فلم ير يوماً الناس منهم مواسيا
ولا موفياً بالعهد إذ حمي الوغى … ولا زاجراً عند المحلين ناهيا
ولا قائلاً لا تقتلوه فيستحوا … ومن يقتل الزاكين يلقى المخازيا
فلا تلق إلا باكياً ومقاتلاً … وذا فخرة يحمي عليه معاديا
سوى عصبة لم يتق القتل دونه … يشبهها إذ ذاك أسداً ضواريا
وقوه بأيديهم وجرد وجوههم … وباعوا الذي يفنى بما هو باقيا
وأضحى(٢) حسين(٣) للرماح دريئة … وغودر مسلوباً لدى الطف(٤) ثاويا
قتيلاً كأن لم تغن في الناس ليلة … جزى الله قوماً أسلموه المخازيا
فيا ليتني إذ ذاك كنت شهدتهم(٥) … وضاربت(٦) عنه السائبين(٧) الأعاديا
ودافعت عنه ما استطعت مجاهداً … وأعلمت سيفي فيهم وسنانيا
ولكن قعدنا في معاشر ثبطوا … وكان قعودي ظلة من ظلاليا
وأنستني الأيام من نكباتها … فإني لن ألقى لي الدهر ناسيا
فيا ليتني غودرت فيمن أجابه … وكنت له من مقطع القتل واديا
ويا ليتني أخطرت عنه بأسرتي … وأهلي وخلاني جميعاً وماليا
سقى الله قبراً ضمن المجد والتقى … بغربية الطف الغمام الغواديا
فتى خير سيم الخيف لم تقبل التي … تذل عزيزاً أو تجر المساويا
ولكن مضى لا يملأ الروع نحره … فبورك مهدياً شهيداً وهاديا

---

(١) البيت في مروج الذهب ١١٢/٣
لبيك حسيناً مرمل ذو خصاصة … عديم وأيتام تشكى المواليا
المرمل : الذي نفذ زاده ، والخصاصة : الفقر .
(٢) في مروج الذهب : فأضحى .
(٣) عن مروج الذهب ، وبالأصل : حسيناً .
(٤) عن مروج الذهب وبالأصل : « لذي اللطف » .
(٥) في مروج الذهب : شهدته .
(٦) في مروج الذهب : فضاربت .
(٧) في مروج الذهب : الشانئين .

فصلى عليه الله ما هبت الصبا | وما لاح نجم أو تحدر هاويا
فلو أن صدها ريك وفاته | حصون بلاد والجبال الرواسيا
لزال جبال الأرض من عظم فقده | وأضحى له الحصن المشيّد خاويا
وقد كسفت شمس الضحى لمصابه | وأصبحت الآفاق عبراً بواكيا
فيا أمة ضلت وتاهت[1] سفاهة | أنيبوا وأرضوا[2] الواحد المتعاليا
وقوموا بحد الوال من حد سيفنا | بخيلكم واتقوا الله عاليا
وكان شراه بالنفوس وبالقنا | جهاراً وقدماً كان من كل ساريا
وفتيان صدق صرعوا حول بيته | كراماً وهم كانوا الولاة الأكابيا
وإخوتنا كانوا إذا الليل جنّهم | تلوا طول فرقان به والمثانيا
أصابهم أهل الشقاوة والأذى | فحتى متى لا تبعث الخيل شاميا
وحتى متى لا اعتلي بمهنّد | فذاك ابن وقاص وأدرك ثاريا
وإني ابن عوف[3] أنّ راحة منيتي | بيوم لهم منها تشيب النواصيا

قال : وعزم سليمان بن صرد على الرحيل ، فناداه الناس من كل مكان : أي رحمك الله ! إنك قد عزمت على المسير إلى عبيد الله بن زياد وقد علمت أن الذي قتل الحسين وتولى قتله هو عمر[4] بن سعد وأصحابه ، فأين تذهب وههنا تذر الأقتال ، وهم معك في البلد ، ابدأ بعمر[5] بن سعد فاقتله ثم سر بنا إلى غيره . قال : فقال سليمان بن صرد : إن عمر[4] بن سعد ضعيفة قوته ، ذليلة عدته ، والذي قاد الجيوش إلى صاحبنا الحسين وقال له : « ما لك عندي أمان دون أن تستسلم فأنفذ[6] فيك حكمي » هو الفاسق ابن الفاسق عبيد الله بن زياد، فإن أظفرنا الله به رجونا أن من بعده أهون منه شوكة ، وإن تستشهدوا فما عند الله خير وأبقى ، فعليكم بالصلاة في جوف الليل وبذكر الله تعالى كثيراً ، وتقربوا إليه ما استطعتم ، فإنكم لن تنالوا إلى ربكم بشيء هو أكثر ثواباً من الصلاة والجهاد ، لأن الصلاة عماد الدين

---

(١) في مروج الذهب : تاهت وضلت .
(٢) في مروج الذهب : فأرضوا .
(٣) بالأصل : « عمرو » خطأ .
(٤) بالأصل : عمرو خطأ .
(٥) الأصل : « بعمرو » خطأ .
(٦) الطبري ٥/٥٨٦ فأمضي .

والجهاد سنام العمل ، وقد علمتم أن للدنيا تجاراً وللآخرة تجاراً[1] ، فأما تاجر الدنيا فإنه مكب عليها راتع فيها ، لا يبتغي بها بدلاً ، وأما تاجر الآخرة فإنه ساع لثوابها لا يشتري بها ثمناً قليلاً ، ويؤمل منها ثواباً جزيلاً ، يظل قائماً وقاعداً ، ويبيت راكعاً وساجداً ، لا يطلب فضة ولا ذهباً ، ولا وفراً ولا نسباً ، ثم قال : أيها الناس ! إنا مدلجون الليل من منزلنا إن شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله .

قال : ثم أدلج سليمان بالناس ليلة الجمعة من شهر ربيع الآخر لخمس مضين منه[2] حتى نزل على شاطىء الفرات بموضع يقال له أقساس[3] من بني مالك ، ثم إنه عرض الناس هنالك فإذا به قد نقص منهم ألف ومائة رجل ـ زيادة أو نقصاناً ، فقال سليمان بن صرد : والله ما أحب من تخلف عنكم أن يكون معكم ، لأنهم لو كانوا معكم ما زادوكم إلا خبالاً ، فاحمدوا الله على رجعتهم عنكم .

قال : وسار القوم من ليلتهم تلك إلى أن أصبحوا [و] أشرفوا على قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فلما عاينوه رفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب ، ثم إنهم رموا أنفسهم عن دوابهم وجعلوا يقولون : اللهم ! إنا خذلنا ابن بنت نبينا وقد أسأنا وأخطأنا ، فاغفر لنا ما قد مضى من ذنوبنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، اللهم ارحم الحسين الشهيد ابن الشهيد ! وارحم إخواننا الذين حصنوا أنفسهم بالشهادة ، اللهم ! إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

قال : ثم تقدم رجل من خيار أهل الكوفة يقال له وهب بن زمعة الجعفي حتى وقف على القبر باكياً ، ثم قال : والله لقد جعله[4] الأعداء للسيل عرضاً وللسباع مطعماً ! فللّه حسين ولله يوم حسين ! لقد غادروا منه يوم وافوه ذا وفاء وصبر وعفاف وبأس وشدة وأمانة ونجدة ابن أول المؤمنين وابن بنت نبي رب العالمين ، قلت حماته وكثرت عداته ، فويل للقاتل ، وملامة للخاذل ! إن الله تبارك وتعالى لم يجعل للقاتل حجة ولا للخاذل معذرة ، إلا أن يناصح الله في التوبة فيجاهد الفاسقين ، فعسى الله عند ذلك يقبل التوبة ويقيل العثرة ؛ قال : ثم أنشأ يقول :

---

(١) عن الطبري : وبالأصل : أن الدنيا تجارا والآخرة تجازى .

(٢) سنة خمس وستين للهجرة (الطبري ٥/٥٨٨) .

(٣) عن الطبري ، وبالأصل : « أفسى » .

(٤) بالأصل : جعلوه .

تبيت نساءٌ من أمية نُوَّما وبالطفّ قتلى ما ينام حميمُها
وما ضيّع الإسلام إلا قبيلة بأمرٍ فزكّاها ودام نعيمها
وعادت قناةَ الدين في كف ظالمٍ إذا مال منها جانب لا يقيمها
فأقسم لا تنفك نفسي حزينةً وعيني سفوحاً لا يجفّ سجومها
حياتيَ أو تلقى أمية وقعةً ينال بها حتى الممات قُرومها
لقد كان في أم الكتاب وفي الهدى وفي الوحي لم ينسخ لقوم علومها
فرائض في الميراث قد تعلمونها يلوح لذي اللب البصير أرومها
بها دَان مَنْ قَبل المسيح ابن مريم ومَن بعدَه لمّا أمرٌ بريمها
فأما لكل غير آل محمد فيقضي بها حكّامها وزعيمها
وأما لميراث الرسول وأهله فكل براهم رمّها وجَسِيمها
فكيف وضلّوا بعد خمسين حجةً يسلام على هلك الشُراة أديمها

قال : فضج الناس بالبكاء والنحيب ، فأقاموا عند القبر يومهم ذلك وليلتهم يصلون ويبكون ويتضرعون ، فنادى فيهم سليمان بن صرد بالرحيل ، فجعل الرجل بعد الرجل يأتي القبر فيودعه ويترحم على الحسين ويستغفر[1] الله له ، ثم إنهم ازدحموا على القبر كازدحامهم على الحجر الأسود وهم يقولون[2] : اللهم ! إنا قد خرجنا من الديار والأموال ، وفارقنا الأهلين والأولاد ، نريد جهاد الفاسقين المحلين ، الذين قتلوا ابن بنت نبيك ، فتب علينا وارزقنا الشهادة يا أرحم الراحمين ! اللهم ! إنا نعلم أنه لو كان الجهاد فيهم بمطلع الشمس أو بمغرب القمر أو بمنقطع التراب لكان حقيقاً علينا أن نطلبه حتى نناله ، فإن ذلك هو الفوز العظيم والشهادة التي ثوابها الجنة .

قال : وسار القوم من منزل قبر الحسين رضي الله عنه ولزموا الطريق الأعظم ، فجعل رجل منهم يقول[3] :

خرجن يُلْمِعْن بنا أرسالا عوابساً قد تحمل الأبطالا[4]

---

(١) بالأصل : ويستغفرون .
(٢) في الطبري ٥/٥٩٠ نسب القول إلى المثنى بن مخربة باختلاف .
(٣) الأرجاز في الطبري ٥/٥٩١ ومروج الذهب ١١٢/٣ ونسبت إلى عبد الله بن الأحمر .
(٤) في المصدرين : عوابساً يحملننا الأبطالا .

نـريـد أن نلقى بهـا الأقيـالا[١] الفـاسقين[٢] الغـدر الضـلالا
وقـد رفضنـا الأهـل والأمـوالا والخفـرات البيض والـحجـالا
زجـوا بـه التحفـة والجمـالا لنـرضي المهيمـن الجـلالا[٣]

قال : وسار القوم حتى بلغوا إلى موضع يقال له القيارة[٤] وإذا كتاب أمير الكوفة عبد الله بن يزيد[٥] الأنصاري قد ورد على سليمان بن صرد وأصحابه .

ذكر كتاب أمير الكوفة
إلى سليمان بن صرد وأصحابه[٦]

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن يزيد إلى سليمان بن صرد وأصحابه المؤمنين ، أما بعد فإن كتابي إليكم كتاب ناصح لكم مشفق عليكم ، إنكم تريدون المسير ، بالعدد اليسير ، إلى الجمع الكثير ، والجيش الكبير ، وقد علمتم أن من أراد أن[٧] يقلع الجبال من أماكنها تكل معاوله ولا يظفر بحاجته ، فيا قومنا ! لا تطمعوا عدوكم في أهل بلدكم ، فإنكم خيار قومكم ، ومتى ظفر بكم عدوكم طمع في غيركم من أهل مصركم وهلاككم ومن خلفكم ، يا قومنا ! ﴿ **إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً** ﴾[٨] فارجعوا واجعلوا أيدينا وأيديكم اليوم واحدة على عدونا وعدوكم ، فإنه متى اجتمعت كلمتنا ثقلنا[٩] على عدونا ، فلا تستعيبوا[١٠] نصحي ولا تخالفوا أمري ، وأقبلوا حين تقرأون كتابي هذا أقبل [الله] بكم إلى طاعته وأدبر بكم عن معصية ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ .

---

(١) الطبري : « الأقتالا » ، والأقتال جمع قِتل وهو العدو .
(٢) في المصدرين : القاسطين .
(٣) الرجز في المصدرين :

نرضي به ذا النعم المفضالا

(٤) عن الطبري ٥/٥٩١ وبالأصل : العيادة .
(٥) بالأصل : زيد .
(٦) نسخة الكتاب في الطبري ٥/٥٩١ .
(٧) الطبري : أن ينقل الجبال عن مراتبها .
(٨) سورة الكهف الآية ٢٠ .
(٩) الطبري : نظهر .
(١٠) الطبري : لا تستغشوا .

قال : فلما قرأ سليمان بن صرد الكتاب أقبل على أصحابه وقال : والله لا أرى لكم الرجوع عما عزمتم عليه إما الشهادة أو الفتح ! ونحن نريد الآخرة قال : ثم جعل سليمان بن صرد يتمثل بهذا البيت وهو لبعض العرب[١] :

أرى لـكِ شكلاً غيـر شكلي فأقصـري عن اللوم إذ بُـدّلتِ واختلف الشكـل

ذكر كتاب سليمان بن صرد
جواب كتاب عبد الله بن يزيد

للأمير عبد الله بن يزيد من سليمان بن صرد وأصحابه[٢] أما بعـد فقد قـرأنا كتابك أيها الأمير وعلمنا ما نويت ، فنعم أخو العشيرة أنت ما علمناك في المشهد بالمغيب ! غير أنا سمعنا الله تعالى يقول في كتابه وقوله الحق : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقاً في التـوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العـظيم** ﴾[٣] ؛ وأعلمك أيهـا الأمير أن القـوم قد استبشـروا ببيعتهم الذي بـايعوه وقـد تابـوا إليه[٤] وتـوكلوا عليه من عـظيم ذنوبهم ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ـ .

قال : فلما ورد الكتاب على عبد الله[٥] بن يزيد وقرأه أقبل على جلسائه فقال : استمات القوم ورب الكعبة ! وأول خبر يأتيكم عنهم أنهم قُتلوا بأجمعهم ، والله لا قتلوا حتى يكثر القتل بينهم وبين عدوهم .

ذكر حبس المختار بالكوفة

قال : وعلم المختار أن سليمان بن صرد قد مضى في أصحابه وحدثته نفسه أنه ليس يرجع منهم أحد ، فجعل يبعث إلى الشيعة ويشاورهم في الخروج ، قال : وبلغ

---

(١) البيت في الطبري ٥٩٢/٥ لرجل من بني كنانة .
(٢) نسخة الكتاب في الطبري ٥٩٢/٥ .
(٣) سورة التوبة الآية ١١١ .
(٤) الطبري : إنهم قد تابوا من عظيم جرمهم ، وقد توجهوا إلى الله .
(٥) الأصل : عبيد الله خطأ .

ذلك عمر[1] بن سعد بن أبي وقاص ، فأقبل ومعه نفر من أصحابه[2] حتى دخل على عبد الله[3] بن يزيد فقال : أيها الأمير ! إن المختار بن أبي عبيد صاحب فتنة ، وقد بلغني أن قوماً من هؤلاء الترابية يختلفون إليه ولست آمنه ، فابعث إليه الساعة فخذه وخلده السجن ، فإنك لا تقوى به . فأرسل عبد الله[3] بن يزيد إلى إبراهيم بن محمد بن طلحة فخبره بذلك ، فركب من ساعته في جماعة من خاصته وأعوانه حتى صار إلى دار المختار ثم قال : اهجموا عليه فأخرجوه ، فقال له إبراهيم بن محمد : يابن أبي عبيد : ما هذا الذي يبلغنا عنك ؟ فقال المختار : كل ما[4] بلغكم عني فإنه باطل وزور . قال : وأقبل عمر[5] بن سعد على فرس له حتى وقف على المختار وقد أخرج من منزله ، فقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة : أيها الرجل ! هذا رجل يريد أن يخرج عليكم في مصركم هذه فيفسد عليكم البلد ، فأوثقوه بالحديد وخلدوه السجن إلى أن يستقيم للناس الأمر[6] . قال : وإذا رسول الأمير عبد الله بن يزيد قد أقبل إلى إبراهيم فقال : يقول لك الأمير : شد المختار كتافاً وامض به إلى السجن حافياً ! قال : فقال إبراهيم بن طلحة للرسول : يا هذا! ولم هذا؟ والله ما هذا جزاؤه من أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وقد أبلى بين يديه البلاء الحسن وقاتل القتال الشديد ! فلما ذا يشده كتافاً ويسوقه إلى السجن حافياً ولم ير منه بعد إلا حسناً ، وإنما أخذناه على التهمة والظن[7] . قال : ثم أمر به إبراهيم بن محمد السجن فحبس[8] .

ومشى قوم من وجوه أهل الكوفة إلى عبد الله بن يزيد فقالوا : أيها الأمير ! إن المختار بن أبي عبيد رجل من شيعة آل محمد عليه السلام وأنت عارف به قديماً وحديثاً ، وإنما قدم علينا لأنه رأى أمن أمير المؤمنين حفوة فأحب أن يكون في ناحيتنا ، ولم[9] يظهر لنا ولا لك عداوة منه ولا حرباً ، فإن رأى الأمير أن يشفعنا فيه !

---

(١) بالأصل : عمرو .
(٢) في الطبري ٥/ ٥٨٠ قال عمر بن سعد وشبث بن ربعي ويزيد بن الحارث بن رويم .
(٣) بالأصل : عبيد الله .
(٤) بالأصل : كلما .
(٥) الأصل : عمرو .
(٦) الطبري ٥/٥٨١ وخلدوه في السجن حتى يستقيم أمر الناس .
(٧) في الطبري جعل قول إبراهيم بن محمد لعبد الله بن يزيد وقول عبد الله لإبراهيم ، انظر ٥/٥٨١ .
(٨) في الطبري قال إبراهيم لعبد الله : ألا تشد عليه القيود ؟ فقال : كفى له بالسجن قيداً .
(٩) بالأصل : أو لم .

قال : فأبى عبد الله بن يزيد ذلك . قال : فانصرف القوم مغضبين .

قال : وبلغ المختار ذلك فجعل يقول وهو في السجن : أما ! ورب البحار ، والنخل والأشجار ، والهامة والعقار[1] ، والملائكة الأبرار ، والمصطفين الأخيار ! لأقتلن كل جبار بكل[2] مهنّد خطّار ، حتى إذا أقمت عمود الدين ، ورأيت[3] شيعة المسلمين ، وشفيت غليل الصادين[4] ، من أولاد القاسطين وبقية المارقين ، وأدركت بثأر أولاد النبيين ، لم يكثر[5] عليَّ زوال الدنيا ولم أحتفل[6] بالموت إذا أتى ، إذ كان المصير إلى دار الجزاء .

قال : ثم كتب المختار إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما : أما بعد ، فإني حبست بالكوفة مظلوماً وظن بي [الولاة] ظنوناً كاذبة ، فاكتب إلى هذين[7] الواليين الصالحين كتاباً لطيفاً ، عسى الله أن يفرج عني[8] من أيديهما ببركتك ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . قال : فكتب عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة : أما بعد ، فقد علمتما[9] الذي بيني وبين المختار من الصهر والقرابة والذي بيني وبينكما من المودة[10]ـ والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته ـ .

قال : فلما ورد كتاب عبد الله بن عمر على عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فأرسلا إلى المختار فأخرجاه من السجن ثم قالا له : أعطنا كفيلاً أن لا تحدث أمراً والزم منزلك ! قال : فتقدم عشرة من وجوه الشيعة فضمنوه . قال : ثم سكت المختار ولزم منزله .

---

(١) في الطبري ٥/٥٨١ والمهامه والقفار .
(٢) عبارة الطبري : بكل لدن خطار ، ومهند بتار في جموع من الأنصار، ليسوا بميل أغمار، ولا بعزل أشرار .
(٣) الطبري : ورأيت شعب صدع المسلمين .
(٤) الطبري : وشفيت غليل صدور المؤمنين .
(٥) الطبري : لم يكبر .
(٦) الطبري : ولم أحفل .
(٧) في الطبري ٦/٨ إلى هذين الظالمين .
(٨) الطبري : أن يخلصني .
(٩) عن الطبري ، وبالأصل : « علمتم » .
(١٠) زيد في الطبري : فأقسمت عليكما بحق ما بيني وبينكما لما خليتما سبيله حين تنظران في كتابي هذا .

ثم رجعنا إلى أخبار سليمان ابن صرد وأصحابه

قال : وسار سليمان بن صرد وأصحابه من القيارة[1] حتى صاروا إلى هيت[2] ، ثم رحل من هيت إلى عانات[3] وما يليها ، حتى صار إلى مدينة قرقيسيا[4] وبها يومئذ رجل من العرب يقال له زفر بن الحارث الكلابي من بني كلاب ، فلما نظر إلى خيل المسلمين قد أقبلن من ناحية الكوفة كأنه اتقى من ناحيتهم فأمر بأبواب مدينتهم فغلقت .

قال : ونزل المسلمون حذاء مدينته على شاطىء الفرات ، ودعا سلمان بن صرد بالمسيب بن نجبة الفزاري فقال له : صر إلى ابن عمك هذا فخبره إنا لسنا إياه أردنا ، وإنما نريد عبيد الله بن زياد وأصحابه ـ لعنهم الله ـ الذين قتلوا الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وقل له يخرج إلينا سوقاً حتى نتسوق وننظر ما يكون من خبر هؤلاء ، ثم نرحل إليهم ولا قوة إلا بالله إن شاء الله .

قال : فأقبل المسيب بن نجبة حتى نزل في زورق ، وعبر وصار إلى باب قرقيسيا وكلم الناس فقالوا له : من أنت ؟ فقال : أنا رجل من أهل هذا العسكر وأنا ابن عم صاحب مدينتكم هذه ، قال : فانطلق القوم إلى الملك فخبروه بذلك ، فأذن له في الدخول ، فدخل المسيب وصار إلى زفر فدخل وسلم عليه فرد عليه السلام وأدناه وأجلسه إلى جانبه ، ثم سأله عن حاله وأمره ؛ فقال له المسيب : إنا لسنا إياك أردنا ولا لك قصدنا ، إنما نريد هذا الفاسق عبيد الله بن زياد وأصحابه الذين قتلوا ابن بنت نبي رب العالمين ، فإن رأيت أن تخرج لنا سوقاً فإنا لا نقيم ههنا إلا يومين أو ثلاثة[5] ثم نرحل عنك إن شاء الله . قال فقال له زفر بن الحارث : إنا لم نغلق باب مدينتنا هذه لأجل العسكر ، ولكن السمع والطاعة . ثم دعا زفر بولد له يقال له هذيل وأمره أن يخرج لهم سوقاً وزاد في إكرامهم . ثم أخرج إليهم الدقيق الكثير والشعير

---

(١) بالأصل : القتادة .

(٢) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار .

(٣) عانات بلد بين الرقة وهيت ، وبالأصل : غانات .

(٤) قرقيسيا : بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق .

(٥) في الطبري ٥/٥٩٣إلا يوماً أو بعض يوم .

وجميع ما يحتاجون إليه ، فظل القوم يومهم ذلك والثاني مخصبين لا يحتاجون إلى شيء من ذلك السوق الذي خرج إليهم .

فلما كان اليوم الثالث نادى فيهم سليمان بن صرد بالرحيل ، فرحل الناس وخرجَ إليهم صاحب قرقيسيا زفر بن الحارث ، فجعل يسايرهم ساعة ثم أقبل على سليمان بن صرد ومن معه من الرؤساء فقال : إني لأرى لكم خيلاً عتاقاً ورجالاً هينة حسنة قل ما رأيت مثلها غير[1] أني أخبركم أن هذا اللعين عبيد الله بن زياد قد ترك الرقة لما بلغه من مسيركم إلى ما قبله ، وقد وجه نحوكم بخمسة من قوّاده ، منهم : الحصين بن نمير السكوني وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري وأدهم بن محرز الباهلي وربيعة بن المخارق الغنوي[2] وحملة[3] بن عبد الله الخثعمي ؛ وقد أتوكم بالشوك والشجر وفي عدة لا طاقة لكم بها . قال فقال سليمان : على الله توكلنا وعلى الله فليتوكل المتوكلون . فقال زفر بن الحارث : نعم ما قلتَ ! ولكن هل أدلكم على أمر أعرضه عليكم لعل الله تبارك وتعالى يجعل لنا ولكم فيه فرجاً ؟ فقال سليمان : وما ذلك ؟ فقال : إن شئتم فتحنا لكم باب مدينتنا فتدخلونها فيكون أمرنا وأمركم واحداً[4] وأيدينا وأيديكم على القوم واحدة، وإن شئتم نزلتم على باب مدينتنا ونعسكر نحن إلى جانبكم ، فإذا جاء هذا العدو قاتلناه جميعاً، فعسى الله تبارك وتعالى أن يظفركم . قال فقال سليمان : إنه قد عرض علينا هذا أهل مصرنا بالكوفة فلم نفعل وكتب بذلك إلينا فأبينا ، فقال زفر : أما إذا أبيتم ذلك فافهموا عني ما أقول لكم فإني عدو للقوم لخصال شتى ، وأنا أحب أن يجعل الله الدائرة عليهم وأنا لكم محب ، وأحب أن يحفظكم الله بالعافية ، فاسمعوا مشورتي عليكم واقبلوها مني فإنها مشورة ناصح ودود ، واعلموا[5] أن القوم قد فصلوا من الرقة إلى ما قبلكم أربعمائة فارس من أشد فرسان عسكره ، وقال له : سر حتى تلقى أول عسكره ، فإذا عاينتهم فاحمل عليهم بمن معك من أصحاب هؤلاء حملة ترعب بها قلوبهم .

قال : فسار المسيب في أصحابه الذين معه حتى إذا أصبح الصباح وأشرف

---

(١) بالأصل : غيري .
(٢) عن الطبري ٥/٥٩٤ وبالأصل : العدوي .
(٣) في الطبري ومروج الذهب ٣/١١٣ جبلة .
(٤) الأصل : واحد .
(٥) انظر مشورة زفر في الطبري ٥/٥٩٥ باختلاف .

على عسكر شرحبيل بن ذي الكلاع ونظر إليه صاح بأصحابه أن كبروا عليهم : يا سباع العراق ! قال : فحمل أهل العراق على أهل الشام فانهزموا وقد ألقى الله الرعب في قلوبهم . قال : وسارت أهل الشام حتى وافوا أهل العراق بعين الوردة يزيدون على عشرين ألفاً ، وأهل العراق يومئذ في ثلاثة آلاف وثلاثمائة رجل . قال : ثم تعبى أهل الشام وكان على ميمنتهم جبلة بن عبد الله[1]، وعلى ميسرتهم ربيعة بن المخارق[2] الغنوي ، وعلى جناحهم شرحبيل [بن] ذي الكلاع الحميري ، وفي القلب الحصين . قال : وزحف القوم بعضهم على بعض . قال : وصاح أهل الشام : يا أهل العراق ! هلموا إلى طاعة أمير المؤمنين عبد الملك بن مراون ، فناداهم أهل العراق : يا أهل الشام ! هلموا إلى طاعة أهل بيت النبوة ، فإنهم أحق بهذا الأمر من بني مروان ، أو ادفعوا إلينا ابن مرجانة عبيد الله بن زياد ، قال : وجعل سليمان بن صرد ينادي بأعلى صوته : يا شيعة آل محمد ! يا من يطلب بدم الشهيد ابن فاطمة ! أبشروا بكرامة الله عَزَّ وجَلَّ ، فوالله ما بينكم وبين الشهادة ودخول الجنة والراحة من هذه الدنيا إلا فراق الأنفس والتوبة والوفاء بالعهد ! ثم كسر سليمان بن صرد جفن سيفه وتقدم نحو أهل الشام وهو يرتجز ويقول:

إليك ربي تبت من ذنوبي ... وقد علاني في الورى مشيبي
فارحم عبيداً غير ما تكذيبي ... واغفر ذنوبي سيدي وحوبي

ثم حمل ولم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة وقتل - رحمه الله[3] - .

قال : وتقدم المسيب بن نجبة الفزاري فجعل يطعن في أهل الشام وهو يقول :

لقد منيتم يا أخي جلادي ... بيت المقام مقفص الأعادي
ليس بفرّار ولا حياد ... أشجع من ليث عرين عادي[4]

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمه الله - . قال: وتقدم عبد الله بن

---

(١) في الأصل : عبد الله بن الضحاك بن قيس الفهري ، وما أثبت عن الطبري ٥٩٨/٥
(٢) عن الطبري ، وبالأصل : مخارف بن ربيعة .
(٣) رماه يزيد بن الحصين بسهم كما في الطبري ٥٩٩/٥ .
(٤) ذكر الطبري ٦٠٠/٥ ومروج الذهب ١١٣/٣ أرجازاً أخرى ارتجزها وهو يقاتلهم منها :

قد علمت ميالة الذوائب ... واضحة اللبات والترائب
إني غداة الروع والمقانب ... أشجع من ذي لبدة مواثب

سعد بن نفيل الأزدي فأخذ الراية فرفعها لأهل الكوفة وجعل يقول : رحمكم الله ! إخوتي ! ﴿ **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾[1] قال : وتقدم بالراية فجعل يطعن بهـا في أعراض أهل الشام وهو يقول :

ارحـم الٰهـي عبـدك التـوابـا ... ولا تـؤاخـذه فـقـد أنـابـا
لا كـوفـة يبقـى ولا عـراقـا ... لا بـل يـريـد المـوت والعتـاقـا

قال : ثم حمل ولم [يزل] يقاتل حتى قتل ـ رحمه الله[2] ـ .

قال : وتقدم رفـاعة بن شـداد البجلي نحو صفـوف أهل الشـام وهو يـرتجز ويقول :

يـا رب إنـي تـائـب إلـيـكـا ... قـد اتـكلت شـدتـي عليـكـا
قـدمـا ازجى الخيـر من يـديكـا ... فـاجعـل ثـوابي عُليَّ لـديكـا

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى جرح ، فرجع إلى أصحابه مجروحاً ، ثم التفت رجل من أهل المدائن[3] فقال : ويحكم يا أهل العراق ! ما لكم بهؤلاء طاقة ، وذلك أنا إذا قتلناهم لم يتبين ذلك عليهم لكثرتهم ، وإذا قتلوا منا بان لهم ذلك لقلتنا ، فـارجعوا بنـا رحمكم الله إلى بلدنا لعـل الله أن يكفينا أمـرهم . قـال : فقـال لـه عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي : يا هذا الرجل ! بئس والله ما قلت ! لقد أشرت علينا بمشورة ما أردت بها إلا هلاكنا ، والله لئن وليناهم الأدبار ليركبن أكتافنا فلا نبلغ إلا فرسخاً واحداً حتى نقتل عن آخرنا . قـال : وتقدم صخـر[4] بن حذيفـة وكان مزنياً[5] من خيار أهل الكوفة وزهادهم حتى وقف بين الجمعين ومعه يومئذ نيف عن ثلاثين رجلاً من بني عمـه ، فأقبـل عليهم فقال : يـا بني عمي ! إن هؤلاء الذين تقاتلونهم هم الذين قتلوا ابن بنت رسول الله الحسين بن علي رضي الله عنهما وساروا برأسه إلى يزيد بن معاوية منكوب الدماغ ، يريدون بذلك الزلفى والمرتبة والجائزة ، فانظروا ولا تهابوا الموت فإنه لاقيكم ولا ترجعوا إلى الدنيا التي[6] خرجتم منها فإنها

---

(١) سـورة الأحزاب الآية ٢٣ .
(٢) طعنه ابن أخي ربيعة بن المخارق في ثغرة نحره فقتله . (عن الطبري) .
(٣) في الطبري رجل من بني كنانة يقال له الوليد بن غضين .
(٤) في الطبري : صحير .
(٥) بالأصل : مزني .
(٦) بالأصل : الذي .

لن تبقى لكم داراً . قال : ثم تقدم صخر[1] بن حذيفة هذا وهو يرتجز ويقول :

بؤساً لقوم قتلوا حسينا   بؤساً وتعساً لهمُ وحينا
أرضوا يزيد ثم لاقوا شينا   ولم يخافوا بغيهم علينا

ثم حمل وحمل معه قومه وعشيرته ؛ فجعل يقاتلهم وحده حتى قتل منهم جماعة . قال : فناداه قوم من أهل الشام : من أنت ويلك خبرنا باسمك ونسبك ؟ فقال : يا بقية القاسطين ! أنا من بني آدم ، فقالوا : كلنا من بني آدم ، فمن أنت منهم ؟ فقال : لا أحب أن أعرفكم نفسي يا محرقي البيت الحرام ! قال : ثم جعل يرتجز ويقول :

إني إلى الله من الذنب أفر   أنوي ثواب الله فيمن قد أسر
وأضرب القرن بمصقول[2] بتر   ولا أبالي كلما كان قدر

قال : ثم حمل عليهم ، فأحدقوا به فقتلوه ، ثم عرف بعد ذلك فقال رجل من أهل الشام : هذا عبيد الله بن عبيد الرافعي[3] ، هذا فارس مزينة قاطبة .

قال : فعندها عزم أهل العراق على التنحي من أيدي أهل الشام ، ثم إنهم دفنوا قتلاهم في جوف الليل وسوّوا عليهم الأرض لكي لا يعرفوا ، وخرج القوم ليلاً يريدون العراق ، فكانوا لا يمرون بجسر إلا جازوا عليه وقطعوه، ولا يجوزون على قنطرة إلا كسروها وغوّروها[4] .

قال : فأصبح أهل الشام فلم يروا منهم أحداً فخبروا بذلك أميرهم الحصين بن نمير السكوني فلم يبعث في طلبهم حتى وصلوا إلى قرقيسيا ، فأقاموا بها أياماً واستراحوا ، ثم ساروا منها إلى هيت ، وقد مات منهم في الطريق جماعة . قال : فخرج إليهم عبد الله بن يزيد الأنصاري أمير الكوفة فاستقبلهم وعزاهم .

---

(١) في الطبري : صحير .

(٢) الأصل : بمسقول . خطأ .

(٣) كذا .

(٤) في الطبري ٥/٦٠٤ نظر رفاعة بن شداد إلى كل رجل قد عقر به وإلى كل جريح لا يعين على نفسه فدفعه إلى قومه ثم سار بالناس ليلته كلها حتى أصبح بالتنينير فعبر الخابور وقطع المعابر ثم مضى لا يمر بمعبر إلاّ قطعه .

قال : وخرج إليهم أيضاً المختار بن أبي عبيد فعزاهم[1] وقال : أبشروا فقد قضيتم ما عليكم وبقي ما علينا ، ولن يفوتنا منهم من بقي إن شاء الله تعالى .

انقضاء حديث عين الوردة وما كان [بها ـ] من الحروب .

ابتداء خروج المختار بن أبي عبيد وما كان منه

قال : وأرسل عبد الله بن الزبير إلى عبد الله بن يزيد الأنصاري فعزله عن الكوفة وولى مكانه عبد الله بن مطيع العدوي . قال : فقدم عبد الله بن مطيع أميراً على الكوفة وذلك في رمضان من سنة خمس وستين ليلة الخميس لثلاث[2] بقين من الشهر ، فدخل إلى قصر الإمارة ؛ فلما كان من الغد نادى في الناس أن يحضروا المسجد الأعظم ، فحضروا وفيهم يومئذ المختار بن أبي عبيد وجماعة من أصحابه الذي كانوا بايعوه ، وجاء عبد الله بن مطيع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال[3] : أما بعد يا أهل الكوفة ! فإن أمير المؤمنين بعثني أميراً عليكم وأمرني بحياطة مصركم ، فاتقوا الله عباد الله ولا تختلفوا ، وإن لم تفعلوا فلا تلوموني ولوموا أنفسكم والسلام ، فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي ، ولأقيمن أود[4] المرتاب .

قال : فالتفت المختار إلى من كان حوله من الشيعة فقال : إنه قد تكلم بما قد سمعتم ، فقوموا فردوا عليه ولا تمهلوه ! قال : فوثب إليه السائب بن مالك الأشعري فقال : أيها الأمير ! إنا قد سمعنا كلامك ، إن أمير المؤمنين أمرك أن لا تحمل عنا ونحن نشهدك أن لا نرضى أن تحمل علينا فيئنا ولكن يكون ذلك في فقرائنا ، وأما ما

---

(١) كذا ، وفي الطبري ٦٠٥/٥ وأقبل أهل الكوفة إلى الكوفة ، فإذا المختار محبوس . وفي موضع آخر ص ٦٠٦ أن المختار كتب إلى رفاعة بن شداد حين قدم من عين الوردة :

أما بعد ، فمرحباً بالعصب الذين أعظم الله لهم الأجر حين انصرفوا ، ورضي انصرافهم حين قفلوا .

أما ورب البنية التي بنى ما خطا خاطٍ منكم خطوة ولا رتا رتوة إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا .

إن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون ، إني أنا الأمير المأمور والأمين المأمون وأمير الجيش وقاتل الجبارين والمنتقم من أعداء الدين والمقيد من الأوتار ، فأعدوا واستعدوا وأبشروا واستبشروا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص) وإلى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام .

(٢) الطبري ١٠/٦ لخمس بقين .

(٣) انظر خطبته في الطبري ١٠/٦ ـ ١١ .

(٤) في الطبري : ولأقيمن درء الأصعر المرتاب .

ذكرت من سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسيرة عثمان بن عفان فلسنا نقول في القوم إلا خيراً[1] غير أنا نحب أن تسير فينا سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فليس عليٌ عندنا بدون عمر ولا عثمان ، وإن فعلت ذلك وإلا فلست لنا بأمير ولا نحن لك برعية ـ والسلام ـ .

قال : وتكلم عامة الناس بما تكلم به السائب بن مالك الأشعري وقالوا : أحسنت يا سائب ! فلا يعدمك المسلمون ! قال : فقال عبد الله بن مطيع : يا هؤلاء ! اسكتوا ، فوالله ما نسير فيكم إلا بما تحبون .

قال : ثم نزل عن المنبر ودخل إلى منزله وأقبل إليه إياس بن[2] مضارب العجلي وهو صاحب شرطته ، فقال : أصلح الله الأمير ! إن الذي اعترض عليك في المسجد وقال ما قال هو رجل من الأشعريين من رؤساء أصحاب المختار ، ولست آمن المختار أن يخرج عليك في عملك هذا ، ولكن ابعث إليه الساعة فادعه إليك ، فإذا جاءك فاحبسه إلى أن يستقيم أمر الناس ، ومعه قوم من أهل مصرك هذا قد بايعوه سراً ، وكأنك به وقد خرج عليك ليلاً ونهاراً . قال : فدعا عبد الله بن مطيع برجلين من أصحابه : أحدهما زائدة بن قدامة ، و[الآخر] الحسين بن عبد الله الهمداني ، وقال لهما : انطلقا إلى المختار فادعواه[3] إليّ ! قال : فأقبلا حتى دخلا على المختار ، فسلما عليه ثم قالا : يا أبا إسحاق ! أجب الأمير ، فإنه يدعوك لأمر أحب فيه مشورتك . قال : فغمزه زائدة بن قدامة[4] وفهمها المختار فقال[5] : يا غلام ! الق علي ثقيلاً ، فإني أجد في نفسي . قال : ثم رمى نفسه وتمثل بهذا البيت :

إذا ما معشر كرهوا أموراً[6] ولم يأتوا الكريهة لم يهابوا

ثم قال : ارجعا إلى الأمير فأعلماه حالي وما أجد في بدني . فقال له زائدة بن

---

(١) لم يرد في خطبته بالأصل ذكر عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان ، وقد ورد ذكرهما في نص الخطبة التي أوردها الطبري ٦/١٠

(٢) عن الطبري ٦/١١ وبالأصل : الناس من .

(٣) الأصل : فادعوه .

(٤) في الطبري قرأ قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك . . . ﴾ .

(٥) في الطبري : القوا عليّ القطيفة ، ما أراني إلا وقد وعكت إني لأجد قفقفة شديدة .

(٦) في الطبري ٦/١٢ تركوا نداهم .

قدامة : إني فاعل ذلك يا أبا إسحاق ! قال المختار : وأنت يا أخا همدان فأعذرني عنده ، فإنه خير لك عندي ! فقال الهمداني : أفعل ذلك ولا أخبر الأمير عنك إلا ماتحب . ثم أقبلا حتى دخلا على عبد الله بن مطيع فخبراه بعلة المختار ، فصدقهما ولها عن ذكر المختار .

قال: وجعل المختار يجمع اصحابه ويقول: تهيأوا وكونوا على أهبة الخروج والطلب بدماء أهل بيت نبيكم محمد ﷺ .

ذكر خروج الشيعة إلى محمد ابن الحنيفة يسألونه(١) عن المختار

قال : فخرج جماعة منهم(٢) حتى قدموا إلى مكة على محمد بن علي ، فلما دخلوا عليه وسلموا رد عليهم السلام وقربهم وأدناهم وقال : ما الذي أقدمكم إلى مكة وما هذا وقت الحج ؟ فقالوا : حاجة مهمة ، فقال محمد بن علي : أفعلانية أم سراً ؟ فقالوا : بل سراً ؛ فتنحى معهم ناحية من مجلسه ، ثم قالوا له : أنتكلم؟ فقال : تكلموا ، فقالوا له(٣) : فداك يـابن أميـر المؤمنين ! إنكم أهل بيت قد خصكم الله بالفضل، وأماط عنكم الجهل ، وقد أصبتم بأبي عبد الله الحسين بن علي رضي الله عنهما مصيبة قد [عظمت] بالمؤمنين ، وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد يذكر أنه قد جاءنا من قبلك ، وأنك الذي أرسلته إلينا لتطلب بدم الحسين ، وهو مقيم بين أظهرنا من قبل أن يقتل سليمان بن صرد وأصحابه ، وقد بايعناه وعزمنا على الخروج معه لنأخذ بدمائكم أهل البيت ، غير أنا أحببنا أن نستطلع رأيك في ذلك ، فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه .

فقال محمد : أما ما ذكرتم من الفضل الذي خصصنا به فذاك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بالحسين بن علي رضي الله عنه فذلك

---

(١) الأصل : يسألوه .

(٢) ومنهم : عبد الرحمن بن شريح وسعيد بن منقذ الثوري وسعر بن أبي سعر الحنفي والأسود بن جراد الكندي وقدامة بن مالك الجشمي .
وحسب رواية الطبري ٦/١٢ - ١٣ أنهم ذهبوا إلى محمد ابن الحنفية يسألونه هل يرخص لهم باتباع المختار فيما يدعوهم إليه .

(٣) كان الذي تقدمهم بالكلام عبد الرحمن بن شريح . وانظر مقالته في الطبري ٦/١٣ .

في الكتاب مسطور ، وأما ما ذكرتم من أمر المختار بن أبي عبيد فوالله لقد وددت أن الله تعالى قد انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ـ والسلام ـ . قال : فودعه القوم وخرجوا من عنده وهم يقولون : قد رضي بذلك ولولا أنه رضي بالمختار لكان نهانا عن ذلك .

قال : والمختار قد علم بخروجهم إلى محمد بن علي ، فعظم[1] ذلك عليه وخشي أن يأتيه من محمد ابن الحنفية ما يحرك الناس[2] عنه . فلما قدموا أرسل إليهم فدعاهم ، ثم قال : هاتوا ما عندكم ! فقالوا: عندنا أنا أمرنا باتباعك والخروج معك . قال المختار : الله أكبر ! أنا أبو إسحاق أنا جرار القاسطين .

ثم أرسل المختار إلى وجوه الشيعة فجمعهم في داره ، فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، يا شيعة آل محمد المصطفى ! إن نفراً منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به إليكم ، فرحلوا[3] إلى أبي القاسم الإمام المهدي ، فاستخبروه عما جئت به إليكم ، فخبرهم أني وزيره وظهيره ، وقد أمركم باتباعي وطاعتي فيما[4] أدعوكم إليه والطلب بدماء أهل بيت نبيكم ـ والسلام ـ

قال : فتكلم عبد الرحمن بن شريح الهمداني فقال : أيها الناس ! إنا أحببنا أن نستخبر لأنفسنا خاصة ولكم عامة ، فقدمنا مكة إلى أبي القاسم محمد بن علي ، فخبرناه بخبر المختار بن أبي عبيد ، فأمر بمظاهرته وموازرته وبإجابته إلى ما دعانا إليه[5] .

قال : فبايعه الناس . فقال المختار لأصحابه : ما تقولون في ابن الأشتر ؟ فقالوا : نقول إنه سيد قومه بهذا المصر ، فإن هو ساعدنا على أمرنا نرجو بعون الله النصرة على عدونا ، فإنه رجل شريف وابن شريف ، وبعد فإنه بعيد الصوت[6] في قومه وذو عز وعشيرة وعدد . قال المختار : فصيروا إليه ، كلموه وادعوه إلى ما نحن

---

(١) الطبري ٦/١٤ فشقّ .

(٢) الطبري : يخذل الشيعة عنه .

(٣) عن الطبري ٦/١٤ وبالأصل : فدخلوا .

(٤) الطبري : فيما دعوتكم إليه من قتال المحلّين .

(٥) عن الطبري وبالأصل : دعى عليه .

(٦) في الطبري ٦/١٥ الصيت .

عليه ، وأعلموه أن الذي أمرنا به من الطلب بدماء أهل البيت ورغبوه في ذلك ؛ فإن فعل وإلاّ صرت إليه أنا بنفسي .

ذكر بيعة إبراهيم بن الأشتر للمختار ابن أبي عبيد

قال : فخرج جماعة من أهل الكوفة من أوجههم [1] ، وفيهم يومئذ أبو عثمان النهدي وعامر الشعبي ومن أشبههما ، حتى صاروا إلى ابن الأشتر فدخلوا إليه وسلموا عليه ، فرد عليهم السلام ورفعهم وقرب مجلسهم ، ثم قال : تكلموا بحاجتكم ! فقالوا [2] : يا أبا النعمان ! إنا أتيناك في أمر نعرضه عليك وندعوك إليه ، فإن قبلته كان [3] الحظ فيه لك ، وإن تركته فقد أدينا إليك النصيحة ، ونحن نحب أن [4] نكون عند مشورتك . فتبسم إبراهيم بن الأشتر وقال : إن مثلي لا يخاف غائلته [5] ، وإنما يفعل ذلك الصغار الأخطار الدقاق همماً ، فقولوا ما أحببتم . قال : فقالوا له : إن الأمر على ما ذكرت وأحببت . ثم تكلم أحمر [6] بن شميط البجلي وقال : يا أبا النعمان ! إني لك ناصح وعليك مشفق ، وإن أباك رحمة الله عليه هلك يوم هلك وهو سيد الناس في محبة أهل البيت ، وقد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت إليك منزلة أبيك في الناس ، ويكون في ذلك قد أحييت أمراً كان ميتاً ، وأنت أولى بذلك فخراً وسؤدداً . فقال لهم : قد أجبتكم إلى ما دعوتم إليه من الطلب بدماء أهل البيت صلوات [الله] عليهم على أنكم تولّوني هذا الأمر . قال : فقال له يزيد [7] بن أنس : والله إنك لأهل ذلك ومحله ولكنا بايعنا هذا الرجل المختار بن أبي عبيد ، لأنه قد جاءنا من عند أبي القاسم محمد بن علي ، وهو الأمير والمأمور بالقتال ، وقد أمرنا بطاعته ، وليس إلى خلافه من سبيل . قال : فسكت عنهم إبراهيم بن الأشتر ولم يجبهم إلى شيء .

---

(١) منهم : أحمر بن شميط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شد الله . كما في الطبري ٦/١٥ .
(٢) كان الذي تكلم منهم يزيد بن أنس كما في الطبري .
(٣) الطبري : كان خيراً لك .
(٤) الطبري : أن يكون عندك مستوراً .
(٥) زيد في الطبري : ولا سعايته .
(٦) عن الطبري ، وبالأصل : أحمد .
(٧) عن الطبري ، وبالأصل : زيد .

فلما رأوه لم يرد عليهم جواباً وثبوا وانصرفوا إلى المختار فخبروه بذلك . قال : فسكت عنه المختار ثلاثة أيام ، ثم دعا بجماعة من أصحابه الذين وثق بهم ، وخرج بهم ليلاً حتى أتى منزل إبراهيم بن الأشتر ، ثم استأذن عليه فأذن له ، فدخل المختار ومن معه ، فأجلسهم على الوسائد ، وجلس المختار مع ابن الأشتر على فراشه ، ثم تكلم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال :

أما بعد يا أبا النعمان ! فإني ما قصدتك في وقتي هذا إلا لأن هذا كتاب المهدي إليك يدعوك إلى الطاعة ، فإن أبيت فهذا الكتاب حجة عليك وسيغني الله المهدي وشيعته عنك ، وإن فعلت ذلك فقد أصبت حظك ورشدك ، وهذا الكتاب إليك ! فقام الشعبي إلى إبراهيم بن الأشتر وناوله الكتاب وفيه[1] : أما بعد فقد وجهت إليك بوزيري وأميني الذي ارتضيته لنفسي المختار بن أبي عبيد وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدم أخي ، فإن ساعدته كان لك عندي يد عظيمة ولك بذلك أعنة الخيل من كل جيش غازٍ[2] وكل[3] مصر ومنبر من الكوفة إلى أقاصي أرض الشام ومصر ، ولك بذلك الوفاء بعهد الله وميثاقه ، وإن أبيت ذلك هلكت هلاكاً لا تستقيله أبداً ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ـ .

قال : فلما بلغ إبراهيم بن الأشتر آخر الكتاب أقبل على المختار بن أبي عبيد فقال : يا أبا إسحاق ! إني كتبت إلى محمد بن علي قبل ذلك اليوم وكتب إليّ فما كان يكاتبني إلا باسمه واسم أبيه ، وقد أنكرت ههنا قوله المهدي . قال فقال له المختار : صدقت أبا النعمان ! ذلك زمان وهذا زمان[4]. قال : فبسط المختار يده فبايعه ابن الأشتر . ثم دعا بأطباق فيها فاكهة كثيرة فأكلوا ، ثم أمر بشراب من عسل غير سكر فشربوا ، ثم قال : يا غلام ! عليّ بدواة وبياض ! فقال : يا شعبي ! اكتب إليّ أسماء هؤلاء الشهود بأجمعهم ، فقال الشعبي : وما تصنع بهذا رحمك الله ؟ فقال : على حال أحب أن تكون أسماؤهم عندي . فقال : وكتب الشعبي أسماءهم ودفعهم إليه . ثم قال المختار فخرج وخرج معه أصحابه ومعهم إبراهيم بن الأشتر إلى

---

(١) نسخة الكتاب في الطبري ١٦/٦ .

(٢) بالأصل : غازي .

(٣) عن الطبري ، وبالأصل : وكل منبر ومصير .

(٤) زيد في الطبري ١٧/٦ قال إبراهيم : فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إليّ . فقال له يزيد بن أنس وأحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم فقالوا : نشهد أن هذا كتاب محمد بن علي إليك .

باب الدار ، ومضى المختار إلى منزله .

فلما أصبح أرسل إلى الشعبي فدعاه وقال : إني أعلم أنك لم تشاهد البارحة بما شهد أصحابي لا أنت ولا أبوك ، فما منعكما عن ذلك ؟ قال : فسكت الشعبي ولم يقل شيئاً ، فقال له المختار : تكلم بما عندك ، أترى هؤلاء الذين شهدوا البارحة عليَّ على حق شهدوا أم على باطل ؟ فقال الشعبي : لا والله يا أبا إسحاق ! ما أدري غير أنهم سادة أهل العراق وفرسان الناس ولا أظنهم شهدوا إلا على حق . وكان قد علم وتيقن أن المختار كتب ذلك من نفسه .

قال : وجعل إبراهيم بن الأشتر يختلف إلى المختار في كل ليلة فيجلس عنده ثم ينصرف إلى منزله ، فلم يزالوا كذلك أياماً يدبرون أمرهم بينهم حتى اجتمعت لهم آراؤهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الآخر(١) سنة ست وستين .

قال : فوطنوا أنفسهم على ذلك هم وشيعتهم ، فأقبل إياس بن مضارب(٢) العجلي وهو صاحب شرطة عبد الله بن مطيع فدخل عليه وقال : أصلح الله الأمير ! إن المختار بن أبي عبيد خارج عليك لا محالة ، وذلك أنه قد بايعه إبراهيم بن الأشتر ، وفي ديوانه بضعة عشر(٣) ألف رجل ما بين فارس وراجل ، فخذ حذرك . قال : فأرسل عبد الله بن مطيع إلى قوّاده فجمعهم ثم أخبرهم بالذي اتصل به من أمر المختار وما يريد من الخروج عليه ، ثم قال : أريد منكم أن يكفيني كل رجل منكم ناحيته التي هو فيها ، فإن سمعتم الأصوات قد علت في جوف الليل فتوجهوا إليهم بالخيل واكفوني أمرهم ، فقالوا : نفعل ذلك أيها الأمير ! فلا يهولنك أمر المختار ولا من بايعه ، فإنما بايعه شرذمة من هؤلاء الترابية . ثم خرج القوم من عنده فصار عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني إلى جبانة(٤) السبيع من همدان ، فصار كعب بن أبي كعب إلى جبانة بشر ، وصار زحر بن قيس إلى جبانة كندة(٥) والشمر بن ذي

---

(١) في الطبري ٦/١٨ ربيع الأول .
(٢) في الأخبار الطوال ص ٢٩٠ : نضار .
(٣) بالأصل : عشرة .
(٤) عن الطبري ، وبالأصل : حسابه .
(٥) بالأصل : كند وما أثبت عن الطبري .

الجوشن عليه لعنة الله إلى جبانة سالم ، وعبد الرحمن بن مخنف بن سليم إلى جبانة الصائدين[١] ، ويزيد[٢] بن الحارث بن رؤيم إلى جبانة مراد ، وشبث[٣] بن ربعي إلى جبانة السبخة . قال : فنزل هؤلاء القواد في هذه المواضع من الكوفة في يوم الاثنين في الآلة والسلاح.

ذكر وقعة خروج المختار

قال : وخرج إبراهيم بن الأشتر تلك الليلة وهي ليلة الثلاثاء من منزله بعد عشاء الآخرة يريد دار المختار ، وقد بلغه أن الجبانات[٤] شحنت بالخيل والرجال ، والشرط قد أحاطوا بالأسواق ، قال : فجعل إبراهيم بن الأشتر يسير[٥] في نحو مائة رجل من بني عمه عليهم الدروع وقد ظاهروها[٦] بالأقبية حتى صاروا إلى دار عمرو بن حريث المخزومي وجازوها إلى دار سعيد بن قيس الهمداني رضي الله عنه ثم إلى درب أسامة إذ هم بإياس بن مضارب[٧] العجلي صاحب الشرطة ، وقد أقبل فاستقبلهم في نفر من أصحابه في أيديهم السلاح وقال : من هؤلاء ؟ فقال إبراهيم بن الأشتر: نحن هؤلاء فامض[٨] لشأنك! قال: وما هذا الجمع الذي مضى معك يا بن الأشتر ، فوالله إن أمرك لمريب ، وقد بلغني أنك تمر ههنا في كل ليلة في جمعك هذا ، ولا والله لا تزايلني أو آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه؛ فقال ابن الأشتر : خلّ ويلك سبيلنا وامض لشأنك! أنت تأتي بي الأمير؟ فقال: نعم والله ولا صرت إلا معي إلى الأمير ! فقال له إبراهيم: يا عدو الله ألست من قتلة الحسين بن علي . قال : فالتفت إبراهيم إلى رجل من أصحاب إياس بن مضارب يكنى أبا قطن الهمداني[٩] فتناول رمحه من يده ثم حمل على إياس بن مضارب فطعنه طعنة في صدره نكسه عن

---

(١) عن الطبري وبالأصل : الصامد .
(٢) عن الطبري وبالأصل : زيد .
(٣) عن الطبري ، وبالأصل : شبيب .
(٤) الأصل : الحبايات .
(٥) بالأصل : نسير .
(٦) أي ستروها وأخفوها .
(٧) في ابن الأثير : ابن أبي مضارب . وفي الأخبار الطوال : نضار .
(٨) الأصل : فامضي .
(٩) وكان صديقاً لإبراهيم بن الأشتر . كما في الطبري .

برسه ، ثم قال لأصحابه : انزلوا فحزوا رأسه ! قال : فنزل[1] أصحاب إبراهيم بن الأشتر إلى إياس بن مضارب فحزوا رأسه ومضى[2] أصحابه هاربين على وجوههم[3] .

وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار فدخل عليه ، فقال قوم : أيها الأمير ! إنا كنا قد عزمنا على أن نخرج ليلة الخميس وقد حدث أمر لا بد من الخروج له ، فقال المختار : وما القصة ؟ قال : استقبلني إياس بن مضارب في جماعة من أعوانه فكلمني بكذا وكذا فقتلته وهذا رأسه مع أصحابي على الباب ، فقال له المختار : بشرك الله بالخير فهذا أول الظفر إن شاء الله تعالى . قال : ثم صاح المختار برجل من أصحابه فقال : يا سعيد بن منقذ ! قم فاشعل النيران في هوادي[4] القصب ! وقم يا عبد الله[5] ! فناد[6] : يا منصور أمت يا منصور أمت ! وقم أنت يا سفيان بن ليل[7] وأنت يا قدامة بن مالك ! فناديا[8] في الناس : يا لثارات الحسين بن علي ! ثم قال : يا غلام عليَّ بدرعي وسلاحي ، فجعل المختار يصب الدرع على بدنه وهو يقول:

قد علمت بيضاء [حسناء ـ][9] الطلل　　واضحة الخدين عجزاء الكفل
أني غداة الروع مقدام بطل　　لا عاجز فيها ولا وغد فشل

قال : ثم خرج المختار من منزله على فرس له أدهم أغر محجل ومعه إبراهيم ابن الأشتر على كميت له أرثم وقد رفعت النار بين أيديهم في هوادي القصب والناس

---

(١) بالأصل : فنزلوا .
(٢) بالأصل : ومضوا .
(٣) في الأخبار الطوال ص ٢٩٠ أن إياس بن نضار (مضارب) وقد رأى كثرة تردد ابن الأشتر على المختار هدده : إن أمرك يريبني ، فلا أرينك راكباً ولا تبرحن منزلك فأضرب عنقك . وأخبر ابن الأشتر بذلك المختار واستأذنه في قتله فأذن له .
(٤) في الطبري الهرادي بالراء . والهرادي جمع هردية هي قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم تحمل عليها قضبانه . وفي ابن الأثير : في الهوادي والقصب .
(٥) في الطبري : عبد الله بن شداد .
(٦) الأصل : فنادي .
(٧) عن الطبري ٦/ ٢٠ وبالأصل : السبيل ، وفي ابن الأثير ٢/ ٦٦ ليلى .
(٨) عن ابن الأثير ، وبالأصل : فنادوا ، وفي الطبري : فناد .
(٩) زيادة عن الطبري .

ينادون من كل موضع : يا لثارات الحسين بن علي ! قال : فالتأم[1] الناس إلى المختار في جوف الليل من كل ناحية ، وجاءه عبيد الله بن الحر في قومه وعشيرته .

قال : فجعل إبراهيم بن الأشتر ينتخب السكك التي فيها الأمراء والجند الكثير فيهجم عليهم هو والمختار وعبيد الله بن الحر ومن معهم من أجنادهم فيكشفونهم كشفة بعد كشفة والمختار يقول في خلال ذلك : اللهم إنك تعلم أننا إنما غضبنا لأهل بيت محمد ﷺ ، اللهم فانصرنا على من قتلهم وتمم لنا دعوتنا إنك على كل شيء قدير . قال : وإذا برجل من أصحاب عبد الله بن مطيع يقال له سويد بن عبد الرحمن أقبل في خيل عظيمة ، فنظر إليه إبراهيم بن الأشتر فقال : مكانك أيها الأمير في موضعك هذا[2] ودعني وهؤلاء القوم ، فقال : ثم نادى ابن الأشتر في أصحابه وقال : يا شرطة الله إليَّ إليَّ . قال : فأحاطت به بنو عمه من قبائل مذحج والنخع ، فقال لهم : انزلوا عن دوابكم فإنكم أولى بالنصر والظفر من هؤلاء الفساق الذين خاضوا في دماء أهل بيت رسول الله ﷺ . قال : فنزل[3] الناس عن دوابهم ونزل معهم ابن الأشتر بنفسه ، ثم دنوا من أصحاب عبد الله[4] بن مطيع وطاعنوهم طعاناً عنيداً ، وضاربوهم ضراباً شديداً ، وهزموهم حتى بلغوا بهم إلى الكناس[5] . ثم استوى ابن الأشتر وأصحابه على دوابهم وأقبلوا نحو المختار فأخذوا على مسجد الأشعث بن قيس ثم على مسجد جهينة ثم في السكة التي ينتهي منها إلى دار أبي عبيد الله الجدلي حتى خرجوا إلى الموضع الذي فيه المختار وأصحابه ، فاشتد القتال هنالك وعلت الأصوات وإذا بشبث[6] بن ربعي الرياحي وحجار بن أبجر[7] العجلي قد أقبلوا في قبيلة عظيمة من أصحاب عبد الله[8] بن مطيع ، قال : وكبر إبراهيم بن الأشتر تكبيرة وحمل وحمل[9] معه أصحابه وكشفوهم حتى تفرقوا في الأزقة . قال :

---

(١) الأصل : فالتأموا .

(٢) وكانوا جميعاً في جبانة أثير (عن الطبري) .

(٣) الأصل : فنزلوا .

(٤) الأصل : عبيد الله .

(٥) الطبري : الكناسة .

(٦) الأصل : شبيب .

(٧) عن الطبري وبالأصل : الحر .

(٨) الأصل : عبيد الله .

(٩) الأصل : وحملوا .

وأقبل [أبو][1] عثمان النهدي في قومه من بني نهد وفي يده راية صفراء وهو ينادي : يا لثارات الحسين بن علي ! إلي إليَّ أيها الحي المهتدون ! فأتت إليه الناس من كل ناحية فحملوا وحمل على أصحاب عبد الله بن مطيع . قال : فلم تنزل الناس في تلك الليلة في قتال تذكروا فيها ليلة الهرير بصفين إلى أن أصبحوا . قال : ونظر المختار إلى الفجر وقد طلع فنادى في أصحابه ، وخرج من الكوفة حتى نزل ظهر دير هند مما يلي بستان زائدة في السبخة[2] ، قال : وجعل[3] الناس يخرجون إليه من كل ناحية على كل صعب وذلول، حتى التأم[4] إليه الناس .

قال: وجعل عبد الله[5] بن مطيع يوجه إليه بالكراديس كردوساً بعد كردوس، فأول كردوس زحف إلى المختار شبث[6] بن ربعي الرياحي في أربعة آلاف، وراشد بن إياس بن مضارب العجلي في ثلاثة آلاف ، وحجار بن أبجر[7] العجلي في ثلاثة آلاف ، والغضبان بن القبثري في ثلاثة آلاف ، والشمر بن ذي الجوشن في ثلاثة آلاف ، وعكرمة بن ربعي في ألف ، وشداد بن المنذر في ألف ، وسويد بن عبد الرحمن[8] في ألف ؛ قال : فزحفت الخيل نحو المختار في عشرين ألف فارس أو يزيدون .

قال : وأشرف رجل[9] من أصحاب المختار على حائط من حيطان الكوفة فجعل ينظر إلى هذه العساكر وقد وافت ، فقوم قد صلوا وقوم لم يصلوا بعد وإذا بإمام بين أيدي القوم وهو يقرأ بهم ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾[10] فقال هذا الرجل الذي هو من أصحاب المختار : أرجو أن يزلزل الله بكم سريعاً إن شاء الله تعالى ! قال : ثم قرأ في الركعة الثانية بأم الكتاب [و] ﴿ **والعٰديٰت ضبحاً** ﴾[11] فقال هذا الرجل

---

(١) زيادة عن الطبري ٢٢/٦ .

(٢) بالأصل : الشجة .

(٣) الأصل : وجعلوا .

(٤) الأصل : التأموا .

(٥) الأصل : عبيد الله .

(٦) الأصل : شبيب .

(٧) الأصل : الحر .

(٨) عن الطبري ، وبالأصل : عبد الرحمن بن سعيد .

(٩) هو أبو سعيد الصيقل . الطبري ٢٣/٦ .

(١٠) سورة الزلزلة الآية الأولى .

(١١) سورة العاديات الآية الأولى .

الذي هو من أصحاب المختار : الغارة عليكم سريعاً إن شاء الله . قال : فلما سلم الإمام قال له رجل من أصحابه : يا هذا ! لو كنت قرأت بنا سورتين أطول من هاتين قليلاً ؟ قال : فسمعه شبث[1] بن ربعي الرياحي فقال : يا سبحان الله العظيم ! أترون الترك والديلم قد نزلوا بساحتكم ! وتقول : لو قرأت بنا سورتين أطول من هاتين ! نعم ، قد كان يجب عليه أن يقرأ بكم البقرة وآل عمران .

قال : وأقبل سعر بن أبي سعر الحنفي إلى المختار فقال : أيها الأمير ! إنه قد وافتك عساكر عبد الله[2] بن مطيع يتلو بعضها بعضاً مستعدين للحرب عازمين على الموت ، فاصنع ما أنت صانع ! فقال له المختار : يا أخا بني حنيفة ! فإن الله تبارك وتعالى يكسر شوكتهم ويهزمهم الساعة إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

قال : وأصحرت العساكر من الكوفة ، وكان كلما ينظر إلى قائد من أصحابه أخرج إليه المختار بقائد من قواده في مثل قوته وعدته[3] . قال : واختلط القوم فجعل إبراهيم بن الأشتر يحمل من ناحية وعبيد الله بن الحر يحمل من ناحية أخرى ، والمختار مرة يحرض الناس على القتال ومرة يحمل ويقاتل[4] ، حتى إذا كان وقت الضحى انهزم أصحاب عبد الله[5] بن مطيع هزيمة قبيحة وقتل منهم جماعة ، فصاح بهم شبث[6] بن ربعي الرياحي فقال : شوه لكم يا حماة السوء ! ويلكم تنهزمون من عبيدكم وأراذلكم ! قال ! فتراجع[7] إليه الناس فاقتتلوا ساعة ، وأخذ رجل من أصحاب المختار أسيراً ، فأتي به إلى شبث بن ربعي الرياحي حتى أوقف بين يديه ، فقال له شبث : من أنت ؟ قال : أنا خليد مولى حسان بن محدوج الذهلي[8] فقال له

---

(١) الأصل : شبيب .

(٢) الأصل : عبيد الله .

(٣) بعث إبراهيم بن الأشتر قِبَلَ راشد بن إياس ، ونعيم بن هبيرة قِبَلَ شبث بن ربعي وولى يزيد بن أنس خيله وخرج هو (أي المختار) في الرجالة .

(٤) انظر تفاصيل حول القتال وردت في الطبري ٦/٢٤ ـ ٢٥ وابن الأثير ٢/٦٦٨ والأخبار الطوال ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ .

(٥) بالأصل : عبيد الله .

(٦) الأصل : شبيب ، وقد صححت أينما وردت في الخبر .

(٧) الأصل : فتراجعوا .

(٨) عن الطبري ، وبالأصل : الهذلي .

شبث : يابن كذا وكذا ! أتركت بيع الصحناة[1] بالكناس ثم بايعت المختار الكذاب على قتال من أعتق رقبتك من الرق ! قال : ثم قدمه شبث بن ربعي فضرب عنقه صبراً .

قال : ووقعت الهزيمة ثانية على أصحاب عبد الله بن مطيع حتى دخلوا أزقة الكوفة . فأقبل المختار في عساكره حتى وقف على أفواه السكك وأمر أصحابه بالقتال ، فاقتتلوا قتالاً لم يسمع به ولا بمثله . قال : وجعل السائب بن مالك الأشعري ينادي[2] : ويحكم يا شيعة آل رسول الله ﷺ ! إنكم قد كنتم تقتلون قبل اليوم ، وتقطع أيديكم وأرجلكم من خلاف ، وتسمل أعينكم ، وتصلبون أحياء على جذوع النخل ، وأنتم إذ ذاك في منازلكم لا تقاتلون أحداً ، فما ظنكم اليوم بهؤلاء القوم إن هم ظهروا عليكم ! فالله الله في أنفسكم وأهاليكم وأموالكم وأولادكم ! قاتلوا أعداء الله المحلين ، فإنه لا ينجيكم اليوم إلا الصدق واليقين ، والطعن الشزر ، والضرب الهَبْر[3] ، ولا يهولنكم ما ترون من عساكر هؤلاء القوم فإن النصر مع الصبر . قال : فعندها رمت الناس بأنفسهم عن دوابهم ، قال : ثم جثوا على الركب وشرعوا الرماح وجردوا الصفاح وفوقوا السهام وثار القتام ،واصطفقوا بالصفوف اصطفاقاً ، وتشابك[4] القوم اعتناقاً ، فصبر القوم بعضهم لبعض ساعة ، وقتل من الفريقين جماعة ، وانهزم أصحاب عبد الله[5] بن مطيع ، واقتحم المختار وأصحابه الكوفة ، وعلت الأصوات وتصايح المشايخ والنساء من فوق البيوت ونادوا : يا أبا إسحاق ! الله الله في الحرم ! قال : فصاح عليهن : لا بأس عليكن ، الزموا منازلكن ، فأنا السليط على المحلين الفاسقين أولاد الفاسقين .

قال : وجعل عبد الله بن مطيع ينادي بأعلى صوته : أيها الناس ! إن من أعجب العجائب عندي عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها ، خبيث دينها ، ضالة مضلة ، يقاتلونكم على غير حق شجاعة منهم وجرأة على هذا الخلق ، كرّوا[6]

---

(١) الصحناء : بالكسر ، إدام يتخذ من السمك يمد ويقصر ، والصحناة أخص منه (اللسان) .

(٢) نسب هذا القول في الطبري ٢٦/٦ إلى يزيد بن أنس .

(٣) في الطبري : والضرب الدراك على هامهم .

(٤) الأصل : وتشابكوا .

(٥) الأصل : عبيد الله ، وقد صححت أينما وردت في الخبر .

(٦) الطبري ٢٨/٦ أخرجوا إليهم .

عليهم وامنعوا حريمكم ومصركم ودينكم . قال : فبينا عبد الله بن مطيع كذلك يشجع أصحابه ويحرّضهم على القتال إذا بإبراهيم بن الأشتر وعبيد الله بن الحر قد أقبلا في قريب من أربعة آلاف فارس ما يرى منهم إلا الحدق . فلما نظر إبراهيم بن الأشتر إلى عبد الله بن مطيع نادى بأعلى صوته : أنا إبراهيم بن الأشتر ! أنا ابن الأفعى الذكر ! ثم التفت إلى أصحابه فقال : شدوا عليهم فداكم عمي وخالي ! ولا يهولنكم أسماء قوادهم : شبث بن ربعي وحجار بن أبجر(1) والغضبان بن القبثري وسويد بن عبد الرحمن وفلان وفلان ، فوالله لئن أذقتموهم حر الصفاح وشباة الرماح لا وقفوا لكم أبداً ، إيه فداكم أبي وأمي .

قال : ثم حمل ابن الأشتر وعبيد الله بن الحر وحمل الناس معهم ، وحمل المختار من ناحية أخرى ، وانهزم الناس حتى صاروا إلى باب المسجد الجامع ، ودخل عبد الله بن مطيع إلى قصر الإمارة في حشمه وغلمانه ونفر من خاصة أصحابه ، وأمر بباب القصر فغلق ، وتفرق الناس وصاروا إلى منازلهم هاربين ، وأقبلت الخيل حتى أحدقت بالقصر(2) فقال عبد الله بن مطيع : أيها الناس ! إنه ربما غلب أهل الباطل على أهل الحق ، وقد ترون غلبة المختار ، فهاتوا الآن أشيروا عليَّ برأيكم ! قال : فقال شبث بن ربعي : أصلح الله الأمير ! الرأي عندي أن تأخذ لنفسك من هذا الرجل أماناً ثم تخرج إليه ونخرج معك ، وإلا دام الحصار علينا في هذا القصر . فقال عبد الله بن مطيع : والله إني لأكره لنفسي أن آخذ منه أماناً والأمور لأمير المؤمنين مستقيمة بأرض الحجاز وأرض البصرة وبلاد المشرق عن آخره . قال فقال له شبث بن ربعي : أيها الأمير ! فتخرج إذاً من القصر ولا يشعر بك أحد فتصير إلى من تثق به من أهل هذا القصر فتنزل عنده أياماً حتى يستقر المختار ويسكن شرة أصحابه فتخرج وتلحق بأصحابك . وأشار عامة من معه في القصر بمثل هذا .

فلما كان الليل جمع إليه أصحابه ، ثم حمد الله وأثنى عليه وقال(3) : أما أنتم فجزاكم الله عني خيراً وعن أمير المؤمنين ! وبعد فإني ما علمتكم إلا سامعين مطيعين وناصحين ، وإنما خرج عليَّ سفهاؤكم وعبيدكم ، وأنا مبلغ ذلك صاحبي عنكم

---

(1) الأصل : الحر .

(2) في الطبري ٦/٣٠ فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلمه الأشراف ، فقام إليه شبث فقال : أصلح الله الأمير ! انظر لنفسك ولمن معك ، فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم .

(3) انظر مقالته في الطبري ٦/٣١ وابن الأثير ٢/٦٧١ .

ومعلمه طاعتكم وما أشرتم به عليّ من صلاح أمري . قال فقال له شبث بن ربعي : وأنت أيها الأمير فجزاك الله عنا خير الجزاء ! فوالله لقد عففت عن أموالنا، وأكرمت أشرافنا ، ونصحت لصاحبك وقضيت الذي وجب عليك ، ولا والله أصلح الله الأمير ما كنا بالذين نفارقك أبداً إلا ونحن منك[1] في إذن . قال فقال عبد الله بن مطيع : أنتم في أوسع الإذن ، والله إني لأرجو أن يقتل الله هذا الكذاب قريباً ، ثم ترجعون إلى مراتبكم التي كنتم عليها ومنازلكم إن شاء الله سريعاً ، غير أني قد رأيت الساعة أن أخرج من هذا القصر ولا يتبعني منكم أحد . قال : ثم وثب عبد الله بن مطيع في جوف الليل متنكراً ، فخرج من قصر الإمارة في زي امرأة فأخذ على درب الروميين حتى صار إلى دار أبي موسى الأشعري وعلم به آل أبي موسى فآووه وكتموا عليه أمره .

قال : وأصبح من في القصر من أصحاب عبد الله بن مطيع فصاحوا وطلبوا الأمان ، وبلغ ذلك إبراهيم بن الأشتر فأعطاهم الأمان ، فخرجوا من القصر وأقبلوا إلى المختار فبايعوه وأخبروه بخروج عبد الله بن مطيع من القصر ، فقال المختار : وما علينا من عبد الله بن مطيع ، ذلك رجل كان بالكوفة أميراً فلم يجد بداً من القتال . قال : ثم نادى المختار في الناس فأعطاهم الأمان ، واتصل بهم أن عبد الله بن مطيع قد هرب ، فجعل الناس يخرجون إلى المختار فيبايعونه حتى بايعه الناس بأجمعهم[2] .

ذكر غلبة المختار على الكوفة وبيعة الناس له بها

قال : فعندها فتح المختار بيت المال الذي لعبد الله بن الزبير ، فأصاب فيه تسعة آلاف ألف درهم ، ثم نادى في الناس : الصلاة جامعة ! فاجتمعت الناس إلى

---

(١) عن الطبري وبالأصل : لك .

(٢) وفي الأخبار الطوال ص ٢٩٢ فلما رأى ابن مطيع ضعفه عن القوم سأل الأمان على نفسه ومن معه من أصحابه فأجابه المختار إلى ذلك ، فأمّنه .

فخرج ابن مطيع وأظهر المختار إكرامه وأمر له من بيت المال بمائة ألف ألف درهم وحفظ فيه قرابته من عمر بن الخطاب وقال له : ارحل إذا شئت .

المسجد الأعظم وخرج المختار من[1] قصر الإمارة حتى دخل المسجد فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه .

ذكر كلام المختار على المنبر

ثم قال : الحمد لله الذي وعد وليَّه النصر ، ووعد عدوّه الخسر والخذل والختر ، وجعله فيه إلى آخر الدهر قضاء مقضياً ، [و] وعداً مأتياً ، وقولاً مقبولاً ، وأمراً مفعولاً ، وقد خاب من افترى ؛ أيها الناس ! قد مدت لنا غاية ، ورفعت لنا راية ، فقيل لنا في الراية أن ارفعوها ولا تضعوها ، وفي الغاية أن[2] خذوها ولا تدعوها ، فسمعنا دعوة الداعي وقبلنا قول الراعي[3] ، فكم من ناع وناعية لقتلى في الواعية ! ألا ! فبعداً لمن طغى وبغى ، وجحد ولغى ، وكذب وعصى ، وأدبر وتولى ؛ ألا ! فهلموا عباد الله إلى بيعة الهدى ، ومجاهدة الأعداء والذب عن الضعفاء من آل محمد المصطفى ، على قتال المحلين ، وأنا الطالب بدم ابن بنت نبي رب العالمين ؛ أما ! ومنشىء السحاب ، الشديد العقاب ، السريع الحساب ، منزل الكتاب ، العزيز الوهاب ، القدير الغلاب ، لأنبشن قبر ابن شهاب ، المفتري الكذاب ، المجرم المرتاب ! ولأنفين الأحزاب ، إلى دار بلاد الأعراب ! ثم ورب العالمين ، ورب البلد الأمين ، وحرمة طور سينين ، لأقتلن الشاعر الهجين ، أعسى الباغضين ، وشويعر الحنظلين ، وزاجر البارقين ، وابن همام اللعين ، وأولياء الكافرين ، وأعوان الظالمين ، وبقايا القاسطين ، وإخوان الشياطين ، الذين اجتمعوا على الأباطيل ، وتقولوا عليَّ الأقاويل ، وتمثلوا بالأماثيل ، وجاؤوا بالأماحيل ، وتسكعوا في الأضاليل ، بأقوال المجاهيل ، الكذبة الأراذيل ! ألا ! فطوبى لعبد الله ، وعبيد وأخي ليلة الطريدة ، ولذي الأخلاق الحميدة ، والعزائم الشديدة ، والمقالات الرشيدة ، والأفاعيل السديدة ، والآراء العتيدة ، والنفوس السعيدة .

قال : ثم قعد على المنبر ووثب قائماً وقال : أما ! والذي جعلني بصيراً ، ونوّر قلبي تنويراً ، لأحرقن بالمصر دوراً ! ولأنبشن بها قبوراً ! ولأشفين بها صدوراً ! ولأقتلن جباراً كفوراً ، ملعوناً وغدوراً ! وكفى بالله هادياً ونصيراً ؛ وعن قليل ورب

---

(١) في الأصل : في .

(٢) الطبري ٦/٣٢ أن أجروا إليها ولا تعدوها .

(٣) الطبري : الواعي .

الحرم ، والبيت المحرم ، والركن المكرم ، والمسجد المعظم ، وحق النون والقلم ، ليرفعن لي العلم ، من الكوفة إلى إضم ، إلى أكناف ذي سلم ، من العرب والعجم ! ثم لأتخذن من بني تميم أكثر الخدم .

قال : ثم نزل عن المنبر فصلى ركعتين بالناس ودخل إلى قصر الإمارة واحتفل عليه الناس بالبيعة ، فلم يزل باسطاً يده والناس يبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ والطلب بدماء أهل البيت، والمختار يقول: تقاتلون من قاتلنا، وتسالمون من سالمنا ، والوفاء عليكم ببيعتنا . لا نقيلكم ولا نستقيلكم ؛ حتى بايع الناس من العرب والموالي وغير ذلك من سائر الناس .

قال : وإذا الخبر قد اتصل به أن عبد الله بن مطيع مختف في دار أبي موسى ، قال : فسكت المختار ولم يقل شيئاً ، حتى إذا كان الليل دعا بعبد الله بن كامل الهمداني ودفع إليه عشرة آلاف درهم[1] وقال له : صر إلى دار أبي موسى الأشعري وادخل على عبد الله بن مطيع وأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك الأمير : إني قد علمت بمكانك وليس مثلي من أساء إلى مثلك وقد وجهت إليك بما تستعين به على سفرك ، فخذه والحق بأهلك وصاحبك . قال : فخرج عبد الله بن مطيع من الكوفة في جوف الليل هارباً واستحيى أن يصير إلى مكة فيعيره عبد الله بن الزبير بفراره من المختار ، فصار إلى البصرة وبها يومئذ مصعب بن الزبير نائباً عليها من قبل أخيه عبد الله بن الزبير .

قال : واحتوى المختار على الكوفة فعقد لأصحابه وولّاهم البلاد من أرمينية وآذربيجان وأرّان وحوران والماهين إلى الري وأصفهان ، فجعل يجبي خراج البلاد[2] .

قال : وكان محمد بن الأشعث بن قيس الكندي عاملاً على الموصل من قبل عبد الله بن الزبير ، فلما قدم عامل المختار على الموصل لم يكن لمحمد بن الأشعث به طاقة فخرج عن الموصل هارباً ، وأقبل إلى قرية يقال لها تكريت فنزلها ، ثم كتب

---

(١) الطبري ٣٣/٦ مائة ألف درهم . وفي الأخبار الطوال ص ٢٩٢ مائة ألف ألف ، وقد أشرنا قريباً إلى ما ورد فيه حول ابن مطيع .

(٢) انظر الألوية والتعيينات التي عقدها المختار لأصحابه في الطبري ٣٢/٦ ـ ٣٤ ابن الأثير ٦٧٢/٢ والأخبار الطوال ص ٢٩٢ باختلاف في الأسماء والمناطق التي ولّوا عليها .

إلى عبد الله بن الزبير : أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أيده الله أن عامل المختار قدم الموصل وهو عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، وقد كنت عزمت على محاربته ومنعه من الدخول إلى البلد ، غير أن عامة أصحابي خذلوا واستأمنوا إليه فلم يكن لي بالرجل طاقة ، فتنحيت من بين يديه إلى قرية يقال لها تكريت ، فنزلتها أنتظر بذلك أمر أمير المؤمنين ورأيه ـ والسلام ـ . قال : فكتب إليه عبد الله بن الزبير : أما بعد فقد وصل إليّ كتابك وفهمت الذي ذكرتَ فيه من تنحيك عن البلد ، ولا عذر لك عندي في ذلك أن تخلي أرض الموصل وخراجها وحصونها ومزارعها ، وتخرج عنها بلا قتال وقد أمرتك عليها ، فأنت تأكل منها الكثير وتبعث إليّ منها اليسير ! فوالله لو لم تقاتلهم[1] مناصحة لأميرك وطلباً للثواب من الله تبارك وتعالى لقد كان يجب عليك أن تقاتل عن بلد أنت أميره ! فلم تقاتل غضباً لربك ولا نصرة لإمامك ولا مخافة على سلطانك ! فسوءة لما أتيت به ولما جاء منك ! فلقد عجزت عن عدوك وضيعت ما وليتك ـ والسلام ـ .

ذكر محمد بن الأشعث وقدومه على المختار

قال : وبلغ المختار أن محمد بن الأشعث مقيم بتكريت ، فدعا بابنه عبد الرحمن فقال له : أنت في طاعتي وأبوك في طاعة عبد الله بن الزبير ، ما الذي يمنعه من المسير إليّ والدخول في طاعتي ؟ أما والله لقد هممت أن أوجه إليه من يأتيني به يتلّ تلّاً فأفعل ما أضمر له في قلبي ! أو ليس من قتلة الحسين بن علي ! أوَ ليس هو الذي قال للحسين يوم كربلا : وأي قرابة بينك وبين محمد ﷺ؟ قال فقال له عبد الرحمن : أعز الله الأمير ! فأنا أخرج إليه بإذنك فآتيك به شاء أو أبىٰ إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال : فأذن له المختار في ذلك .

فخرج عبد الرحمن من الكوفة حتى قدم على أبيه محمد بن الأشعث وهو نازل بتكريت ، فدخل وسلم عليه ثم جلس ، فقال له : ما وراءك يا بني ؟ قال له : ورائي أن هذا الرجل قد ظهر على الكوفة وسائر البلاد ، وقد استوسق له الأمر وأطاعه الناس ، وقد سأل عنك وذكرك ، أخاف أن يبطش بمن قتل الحسين بن عليّ فلم يترك منهم أحداً ، وأنت ممن سار إلى الحسين ، وليس جلوسك هٰهنا بشيء لأنه ليس معك جيش تمتنع به ، وأنت بالكوفة أعز منك هٰهنا ، وبعد فلا والله ما رأيت شيخاً

---

(١) الأصل : لم نقاتلهم .

يرضى لنفسه بما ترضاه لنفسك ! إنك قد أقمت في مثل هذه القرية في غير كثرة من عـدد ولا كثيف من جمع ولا إمـارة ولا منعة وأنت أنت . قـال : فتبسم محمد بن الأشعث ثم قال : يا بني ! إني قد علمت أنك لم تأتني ولم تعرض عليَّ هذا الرأي إلا خوفاً من المختار .

قال : ثم أقبل محمد بن الأشعث على من عنده من أصحابه وقال : إن ابني هذا له نخل بالكوفة على شاطىء الفرات ، وإنما يريد أن أكون أنا مقيماً بالكوفة حتى يأمن هو في نخله وماله وأنا فلست أبالي بذلك النخل كان أم لم يكن ، قال : فلم يزل عبد الرحمن يلين لأبيه في الكلام ويخوفه مرة ويرغبه أخرى حتى أجابه إلى ما أراد . قال : ثم خرج محمد بن الأشعث من تكريت في جماعة من أصحابه وبني عمه حتى قدم الكوفة ، ثم دخل على المختار فسلم عليه بالإمارة وقال : أيها الأمير ! الحمد لله الذي نصرك ، وأعزك وأظهـرك ، وبعدوك أظفـرك ، إذ أنجز دعـوتك ، وأعلى رتبتـك ، ورفع منـزلتك ، فـإنك دعـوت دعوة هـدى وأنجيتنا من الضـلالة والعمى ، قـال : فقال لـه المختار : أبـا عبـد الـرحمن ! إن الـذي غضبنـا لـه هـو نصـرنـا ، وبعدوّه أظفرنا ، وإن لربنا تعالى جنداً لا يغلب ، وملكاً لا يسلب ، وليس من يوم يأتي بعد يوم إلا والله تعالى معز فيه للمؤمنين مذل فيه للكافرين ، حتى يعود الدين كما بدأ . ثم أدناه المختار وأجلسه معه على سريره ، ووعده ومناه وأمر له بجائزة سنية ، وصرفه إلى منزله .

قـال : وجعـل المختـار يجلس للنـاس في كـل غـدوة وعشيـة فيقضي بين الخصمين ، فإذا عاقه عائق أمر شريحاً القاضي أن يجلس فيقضي بين الناس(١) . قال : وأحبه الناس حباً شديداً ، ودر له جلب البلاد ، وحمل إليه الخراج من جميع عماله . قال : ثم أرسل إلى وجوه أصحابه وثقاته ، فجمعهم عنده ثم قال : اعلموا أنه ليس يسوغ لي الطعام ولا أحب أن أروى من الماء وقتلة الحسين بن علي أحياء يمشون في هذه الدنيا ! وقد استوسق لي الأمر وأطاعني الناس ، ولست بالناصر لآل محمد ﷺ إن لم أطلب بدمائهم ، وأقتل من قتلهم ، وأذل من جهل حقهم ! ولكن سموهم لي فعليَّ أن أطهر الأرض منهم .

---

(١) ثم إن الناس تناولوا شريحاً وأنه ممن شهد على حجر بن عدي ، وأنه خان هانىء بن عروة فيما لم يبلغ عما أرسله به ، وأن علياً بن أبي طالب (رضي) قد عزله عن القضاء فتمارض شريح ، فعزله المختار وجعل مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم عبد الله بن مالك الطائي .

ذكر من قتله المختار بالكوفة من قتلة الحسين بن علي رضي الله عنهما وممن شارك في دمه

قال : فجعل أصحابه يسمون رجلاً بعد رجل فجعل يؤتى بهم إليه فمنهم من يقطع يديه ، ومنهم [من] يقطع رجليه ، ومنهم من يقطع يديه ورجليه ، ومنهم من يبقر بطنه ، ومنهم من يقلع عينيه ، ومنهم من يجدع أنفه وأذنيه ، ومنهم من يقطع لسانه وشفتيه ، ومنهم من يضربه بالسياط حتى يموت ، ومنهم من يقطع بالسيوف إرباً إرباً ، ومنهم من يضرب عنقه صبراً ، ومنهم من يحرق بالنار حرقاً . قال : فلم يزل كذلك حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ، ومثل بهم كل مثلة(١) .

قال : وأقبل قوم من أعوان المختار حتى اقتحموا دار خولي بن يزيد الأصبحي وهو الذي احتز رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وكانت له امرأة يقال لها العيوف(٢) بنت مالك بن غفير الحضرمي ، فلما نظرت إلى أصحاب المختار وقد دخلوا دارها فقالت : يا هؤلاء ! ما شأنكم وما تريدون ؟ فقال لها أبو عمرة(٣) صاحب شرطة المختار : لا بأس عليك ، أين زوجك ؟ فقالت : لا أدري ـ وأشارت بيدها إلى المخرج(٤) ـ ؛ قال : فدخلوا عليه وإذا هو جالس وعلى رأسه قوصرة، فأخذوه وأتوا به إلى المختار ، فقالوا : أيها الأمير ! هذا خولي بن يزيد وهو الذي احتز رأس الحسين ؛ قال : فأمر به المختار فذبح بين يديه ذبحاً ، ثم أمر بجسده فأحرق بالنار .

ثم أتي برجل يقال له بحر بن سليم الكلبي حتى أدخل على المختار فقالوا : أيها الأمير ! هذا الذي أخذ خاتم الحسين ! فقطع إصبعه مع الخاتم ! فقال : اقطعوا يديه ورجليه ودعوه يشحط في دمه . قال : فلم يزل المختار كذلك حتى فعل بهم الأفاعيل .

---

(١) قتل منهم ٢٤٨ قتيلاً كما في الطبري ٥١/٦ .
(٢) عن ابن الأثير ٦٨٢/٢ وبالأصل : العبوق .
(٣) عن الأخبار الطوال ص ٢٩٢ وبالأصل : أبو عمر .
(٤) في ابن الأثير : وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين .

ذكر مقتل عمر بن سعد وابنه حفص

قال : ثم دعا المختار بأبي عمرة صاحب شرطته فقال له : اذهب الساعة في جماعة من أعوانك حتى تهجم على عمر بن سعد فتأتيني به ، فإذا دخلت عليه وسمعته يقول : يا غلام ! عليَّ بطيلساني ، فاعلم أنه إنما يدعو بالسيف ، فبادر إليه بسيفك فاقتله وأتني برأسه ! قال : فلم يشعر عمر بن سعد إلا وأبو عمرة قد وافاه في أعوانه ، فلما نظر إليه بقي متحيراً ثم قال : ما شأنكم ؟ فقال : أجب أمير المؤمنين ! فقال : إن الأمير قد علم بمكاني وقد أعطاني الأمان ، فهذا أمانه عندي ، قد أخذه لي [عبد الله بن][1] جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي ؛ ثم قال : يا غلام عليَّ بالأمان ! وإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا أمان المختار بن أبي عبيد الثقفي لعمر[2] بن سعد بن أبي وقاص ، إنك آمن بأمان الله على نفسك[3] وأهلك وولدك وأهل بيتك ، ولا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً ما سمعت وأطعت ولزمت منزلك إلا أن تحدث حدثاً ، فمن لقي عمر[4] بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد لا يتعرض له إلا بسبيل خير ، شهد على ذلك السائب بن مالك الأشعري وأحمر بن شميط[5] البجلي وعبد الله بن كامل الهمداني وعبد الله بن شداد الجهني ويزيد بن أنس الأسدي وفلان ابن فلان، شهدوا على المختار بن أبي عبيد بالعهد والميثاق والأمان لعمر بن سعد وولده إلا أن يحدث حدثاً وكفى بالله شهيداً ـ والسلام ـ » .

فقال له أبو عمرة صاحب شرطة المختار : صدقت أبا حفص ! قد كنا حضوراً عند الأمير أيده الله حين كتب لك هذا الأمان ، غير أنه يقول إلا أن يحدث حدثاً ، ولعمري لقد دخلت المخرج مراراً فأحدثت إحداثاً ، وليس مثل المختار من يغلط ، وإنما عنى هذا الإحداث ، وليس يجب أن يغنى عن مثلك وقد قتلت ابن بنت رسول الله ﷺ الحسين بن علي وابن فاطمة ، ولكن أجب الأمير فلعله إنما يدعوك لأمر من الأمور ، قال : فإني أفعل ، يا غلام عليَّ بطيلساني ! فقال أبو عمرة : يا عدو الله ! لمثلي يقال هذا ، وسل سيفه ثم ضرب ضربة على رأسه ، سقط منها على

---

(١) عن الطبري ٦/٦٠ .

(٢) الأصل لعمرو .

(٣) الطبري ٦/٦٠ نفسك ومالك .

(٤) الأصل : لعمرو .

(٥) الأخبار الطوال : سميط .

قفاه . ثم [قال] لأعوانه : خذوا رأسه ! قال : فأخذوا رأس عمر[1] بن سعد وأتي به حتى وضع بين يدي المختار وابنه حفص بن عمر بن سعد واقف بين يديه ، وهو ابن أخت المختار ، فقال له المختار : أتعرف هذا الرأس يا حفص ؟ قال : نعم هذا رأس أبي ولا خير في العيش من بعده ؛ ثم قال : فقدم حفصاً بعمر ، قال : فتقدم حفص فضربت عنقه صبراً ، ثم وضع رأسه إلى جنب رأس أبيه ، فقال المختار : هذا بالحسين وهذا بعلي بن الحسين ولا سواء ، فوالله لو قتلت ثلاثة أرباع قريش لما وفوا بأنملة واحدة من أنامل الحسين رضي الله عنه[2].

قال : ثم وجه المختار بالرأسين إلى مكة إلى محمد ابن الحنفية ووجه أيضاً مع الرأسين ثلاثين[3] ألف دينار وكتب إليه[4] : بسم الله الرحمن الرحيم ، للمهدي محمد بن علي ، من المختار بن أبي عبيد ، سلام عليك ، أما بعد فإن الله تبارك وتعالى بعثني نعمة لأوليائكم ونقمة على قاتليكم وأعدائكم ، فهم من بين قتيل وأسير طريد ، فأحمد الله على ذلك أيها المهدي حمداً تستوجب منه المزيد في العاجلة ، والمغفرة في الآجلة ، وقد وجهت إليك برأس عمر بن سعد ورأس ابنه حفص بن عمر ، وقد قتلت من شارك في دم الحسين بن عليّ وأهل بيته ممن قدرت عليه بالكوفة ، ولن يعجز الله من بقي منهم ، ولست أنام ولا يسوغ لي الطعام حتى لا يبقى أحد ممن شارك في دماء أهل بيتك ، وأنا أرجو أن يقتل الله عَزَّ وجَلَّ عبيد الله بن زياد وأصحابه المحلين ، فأطهر منه ومن شيعته البلاد ، وقد وجهت إليك أيها المهدي ثلاثين[5] ألف دينار لتفرقها على من أحببت من أهل بيتك ومن التجأ إليك من شيعتك ، فاكتب إلي في ذلك برأيك اتبعه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قال : ثم دفع الكتاب والمال والرأسين إلى مسافر بن سعيد الهمداني[6] وظبيان بن عمارة التميمي ، وضم إليهما عشرين رجلاً ، ووجه بهم إلى محمد ابن

---

(١) الأصل : عمرو .

(٢) وكان السبب في تهييج المختار على قتله أن يزيد بن شراحيل الأنصاري أتى محمد ابن الحنفية وجرى الحديث إلى أن تذاكرا المختار، فقال ابن الحنفية : إنه يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسي يحدثونه . فلما عاد يزيد أخبر المختار بذلك . فعمد إلى قتله (ابن الأثير ٢ / ٦٨٢ - ٦٨٣) .

(٣) الأصل : ثلاثون .

(٤) نسخة الكتاب في الطبري ٦ / ٦٢ .

(٥) الأصل : ثلاثون .

(٦) في الطبري ٦ / ٦٢ مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي .

الحنفية وهو يومئذ بمكة ، وهو جالس في نفر من شيعته يحدثهم ويقول لهم : ألا ترون إلى المختار بن [أبي] عبيد يزعم أنه محب لنا ، وأنه من شيعتنا ، وأنه يطلب بدماء أهل البيت ، وقتلة الحسين بن علي جلوس على الكراسي يحدثهم ويحدثونه ، حتى لقد بلغني عن عمر بن سعد وابنه حفص أنهما يغدوان إليه ويروحان ـ والله المستعان ـ . قال : فما خرجت الكلمة من فيه حيناً إلا وكتاب المختار قد وافاه مع الرأسين والمال ، فلما وضعت الرأسان بين يديه وقرأ الكتاب حول وجهه إلى القبلة وخرّ ساجداً ، ثم رفع رأسه وبسط كفيه وقال : اللهم لا تنس هذا اليوم للمختار ! اللهم واجز به عن أهل بيت نبيك محمد ﷺ خير الجزاء! فوالله ما على المختار بعد هذا من عتب ! قال : ثم أخذ ذلك المال ففرق منه بمكة ما فرق ، ووجه بالباقي إلى المدينة ففرق في أهل بيت رسول الله ﷺ وغيرهم من أولاد المهاجرين والأنصار ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

ذكر ما جرى بين محمد ابن الحنفية وعبد الله بن الزبير وما كان في أمر البيعة وما كان بينهم من العداوة والبغضاء

قال : ونظر عبد الله بن الزبير إلى المختار وغلبته على البلاد فعلم أنه إنما يفعل ذلك بظهر محمد ابن الحنفية ، فأرسل إليه أن هلم فبايع فإن الناس قد بايعوا ، فأرسل إليه ابن الحنفية : إذا لم يبق أحد من الناس غيري أبايعك ، قال : فأبى ابن الزبير أن يتركه وأبىٰ ابن الحنفية أن يبايع ، وجرى بينهم كلام كثير ، فأرسل ابن الزبير إلى نفر من أصحاب ابن الحنفية فدعاهم ثم قال لهم : إني أراكم لا تفارقون هذا الرجل ، فمن أنتم فإني لا أعرفكم ؟ فقالوا : نحن قوم من أهل الكوفة(1) ، قال : فما يمنعكم من بيعتي وقد بايعني أهل بلدكم ؟ لعله قد غرّكم هذا المختار الكذاب ! فقالوا : يا هذا ! ما لنا وللمختار ، إننا لو أردنا أن نكون مع المختار لما قدمنا هذه البلدة ، نحن قوم قد اعتزلنا أمور الناس وأتينا هذا الحرم ، فنزلناه لكيلا نَقتل ولا نُقتل ولا نؤذِي ولا نؤذَى ، فنحن هٰهنا مقيمون عند هذا الرجل محمد بن علي ، فإذا اجتمعت الأمة على رجل واحد دخلنا فيما دخل فيه الناس . قال : فقال عبد الله بن

(1) كانوا سبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة . منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة . (ابن الأثير) .

الزبير : فأنا لا أفارقكم أو تبايعوا طائعين أو مكرهين ، قالوا : فإننا لا نبايع أبداً أو نرى صاحبنا هذا قد بايع . قال : فغضب ابن الزبير ثم قال : ومن صاحبكم ؟ فوالله! ما صاحبكم هذا برضيّ في الدين ، ولا محمود الرأي ، ولا راجح العقل ، ولا لهذا الأمر بأهل . قال : فقال له رجل من القوم يقال له معاذ بن هانىء : أيها الرجل ! إننا لا ندري ما يقول ، ولكنا رأيناه على مثل هدانا وأمرنا وطريقتنا ، وقد اعتزل الناس وما هم فيه ، ونحن قعود بهذا الحرم لكيلا نقتل ولا نؤذى إلى أن يجمع الله أمر الأمة على ما شاء من خلقه ، فندخل فيما دخل فيه الأسود والأبيض ، فأجبناه على ذلك ولزمنا هديه وطريقته ومذهبه ، ومع ذلك فإنه لا يعيش والسلامَ ، ولا يكافىء بالسوء ، ولا يغتاب الغائب ولا يمكر به ، ثم إنه قد أمرنا أن نكف أيدينا ولا نسفك دماءنا ، ففعلنا ما أمرنا به ، ولعمري يـابن الزبيـر ! لئن لم يخالفك أحد من الناس إلا كخلافنا إياك فإنه لم يدخل عليك في ذلك شيء من الضرر .

قال : ثم تقدم عبد الله بن هانىء وهو أخو هذا المتكلم فقال : يـابن الزبيـر ! إننا قد سمعنا كلامك وما ذكرت به ابن عمك من السوء ، ونحن أعلم به منك وأطول له معاشرة ، وهو والله الرجل البر ، الطيب الطعمة ، الكريم الطبيعة ، الطاهر الأخلاق ، الصادق النية ، وهو مع ذلك أنصح لهذه الأمة منك ، لأنـك أنت رجل تدعو الناس إلى بيعتك ، فمن لا يبايعك استحللت ماله ودمه ، وهو رجل لا يرى ذلك ، وبعد يـابن الزبيـر فإننا ما خليناك وتركنا هذا الأمر أن تكونوا ولاة علينا إلا لمكان الرسول محمد ﷺ، لأنكم أولى الناس بمنزلته وميراثه وقيامه في أمته، إذ كنتم من قريش، فإننا سلمنا إليكم هذا الأمر من هذا الطريق؛ فإن أنتم عدلتم بينكم كما عدلنا عليكم علمت أنت خاصة أن صاحبنا هذا محمد بن علي هو أهل لهذا الأمر وأولى الناس به ، لمكان أبيه علي بن أبي طالب ، فإن أبيت أن تقر بهذا الأمر أنه مكذب فإننا وجدناه رجلاً من صالحي العرب ، معروف الحسب ، ثابت النسب ، ابن أمير المؤمنين ، وابن أول ذكر صلى مع النبي ﷺ. قال : فغضب ابن الزبير وقال : من هٰهنا أهزؤه وأوجؤه في قفاه ! قال ابن هانىء : يـابن الزبيـر إن حرم الرحمن وجوار البيت الحرام الذي من دخله كان آمناً .

قال : ثم تقدم أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني فقال : يـابن الزبيـر ! ﴿ إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾[1] فقال ابن

---

(١) سورة القصص الآية ١٩ .

الزبير : وأنت ههنا يابن واثلة ؟ فقال : نعم أنا هُهنا يابن الزبير ! فاتق[1] الله ولا تكن ممن ﴿ إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ﴾[2]. قال: أفلا تسمع إلى كلام هذا الرجل الذي يضرب لي الأمثال ويأتيني بالمقاييس ؟ فقال عبد الله بن هانىء : ﴿ إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴾[3]. قال: فازداد غضب ابن الزبير ثم [قال] لأصحابه : ادفعوهم عني ، فإنهم بئس العصابة .

قال : فأخرجوا من بين يديه وأقبلوا إلى محمد ابن الحنفية فأخبروه بما كان بينهم وبين ابن الزبير ، فقال لهم : جزاكم الله عني من قوم خير الجزاء ! أما ! إني أتقي عليكم من هذا المسرف على نفسه ، وأرى لكم من الرأي أن تعتزلوني وتكونوا قريباً مني إلى أن تنظروا ما يكون من عاقبة أمري وأمره ، فإني أكره أن تكونوا معي ولعله ينالكم منه أمر أغتم لكم منه . قال : فقال أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني . جعلت فداك يابن أمير المؤمنين ! والله ما أنطق إلا بما في قلبي ، ولا أخبر إلا عن نفسي ، وأنا أشهد الله في وقتي هذا أني قد رضيت أن أقتل إن قتلت ، وأن أؤسر إن أسرت ، وأن أحبس إن حبست ، وأن أشبع إن شبعت ، وأن أجوع إن جعت ، وأن أظمأ إن ظمئت ، ولا والله لا أفارقك في عسر ولا يسر ولا ضيق ولا جهد ما أردتني وقبلتني ! أرى لك ذلك عليَّ فرضاً واجباً وحقاً لازماً ، وما لا أبغي به منك جزاء وإكراماً ، ولا أريد بذلك إلا ثواب الله والدار الآخرة ودفع الظلم عن أهل بيت محمد ﷺ .

قال : ثم وثب معاذ بن هانىء الكندي فقال : جعلت فداك ! نحن شيعتك وشيعة أبيك من قبلك ، نؤاسيك بأنفسنا ، ونقيك بأيدينا ، ونحن معك على الخوف والأمن والخصب والجدب ، إلى أن يأتيك الله تبارك وتعالى بالفرج من عنده ، غضب ابن الزبير بذلك أم رضي .

قال : فقال محمد ابن الحنفية : إن قدرتم على ذلك فأنا أستأنس بكم ، وإن عرضت لكم مآرب وأشغال[4] فأنتم في أوسع العذر .

---

(١) الأصل : فاتقي .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٦ .
(٣) سورة غافر الآية ٢٧ .
(٤) الأصل : اشتغال .

قال : فبينا القوم كذلك إذا بعمر[1] بن عروة بن الزبير قد أقبل حتى دخل على محمد ابن الحنفية فسلم ثم قال : إن أمير المؤمنين يقول لك : هلم فبايع أنت وأصحابك هؤلاء الذين معك ، فإنكم [إن] لم تفعلوا حبستكم وأطلت حبسكم . قال : فسكت[2] القوم وأقبل عليه ابن الحنفية فقال له : ارجع إلى عمك فقل له : يقول لك محمد بن علي : يابن الزبير ! أصبحت منتهكاً للحرمة ، متلبثاً في الفتنة ، جرياً على نفسك الدم الحرام ، فعش رويداً ، فإن أمامك عقبة كؤوداً ، وحساباً طويلاً ، وسؤلا حفياً ، وكتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وبعد فوالله لا بايعتك أبداً أو لا يبقى أحد إلا بايعك ، فاقض ما أنت قاض ! قال : فرجع عمر بن عروة بن الزبير إلى عمه عبد الله بن الزبير فأخبره بذلك . قال : وهمّ[3] أصحاب محمد ابن الحنفية بالوثوب على عبد الله بن الزبير ، فقال لهم محمد : مهلاً يا قوم ! لا تفعلوا فوالله ما أحب أني أمرتكم بقتل حبشي أجدع وإنه أجمع لي بعد ذلك سلطان العرب قاطبة من المشرق إلى المغرب .

قال : وخشي عبد الله بن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرضا محمد ابن الحنفية إذا كان له مثل المختار بالكوفة فكأنه همّ بالإساءة وبأصحابه ، قال : وعلم ابن الحنفية بذلك فكتب إلى المختار .

ذكر كتاب محمد ابن الحنفية رحمه الله إلى المختار يستغيث به مما قد نزل به من ابن الزبير

من محمد بن علي إلى المختار بن [أبي] عبيد ومن بحضرته من شيعة أهل البيت ، سلام عليكم ، أما بعد فإني أسأل الله أن يرزقنا وإياكم الجنة ، وأن يصرف عنا وعنكم عوارض الفتنة ، وإني كتبت إليكم كتابي هذا وأنا وأهل بيتي وجماعة من أصحابي محصرون لدى البيت الذي من دخله كان آمناً ، وقد منعنا عذب الماء ، وطيب الطعام ، وكلام الناس ، يتهدد في كل صباح ومساء بأمر عظيم ، وأنا أنشدكم الله الذي يجزي بالإحسان ويتولى الصالحين أن لا تخذلوا أهل بيت نبيكم ! فتندموا

(١) الأصل : بعمرو .
(٢) الأصل : فسكتوا .
(٣) الأصل : وهموا .

كما ندمتم قبل اليوم عن قعودكم عن الحسين بن علي ، إذ قتل بساحة أرضكم ثم لم تمنعوهم ولم تدفعوا عنهم ، فأصبحتم على ما فعلتم نادمين ؛ هذا كتابي إليكم وهو حجة عليكم - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته - .

قال : ثم وجه ابن الحنفية بهذا الكتاب إلى المختار ، فلما قرأ المختار كتاب ابن الحنفية خنقته العبرة واستعبر باكياً ثم قال : يا غلام ! ناد[1] في الناس : الصلاة جامعة ! قال : فنادى المنادي واجتمع الناس إلى المسجد الأعظم ، وخرج المختار حتى دخل المسجد وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! هذا كتاب مهديكم وصريح آل نبيكم ، يستغيث بكم مما نزل به من ابن الزبير ، فأغيثوه وأعينوه ، فلست بأبي إسحاق إن لم أنصره نصر مؤازر ، وإن لم أحزب[2] الخيل في آثار الخيل كالسيل يتلوه السيل ، حتى يحل[3] من عاداه الويل . ثم قال : يا أبا المعتمر ! أخرج فعسكر بدم هند ، بجَدّ وجِدّ ، على خيل طائر وسعد . وأخرج أنت يا هانىء بن قيس ! فعسكر بدار السري بن وقاص العاصي ، المداهن الحياص ، الذي زعم أنه لنا سلم ، وأنه من أهل العلم ، قد علمت أنه من أهل الخيانة والظلم .

قال : فخرج الناس فعسكروا كما أمرهم به المختار ، فدعا المختار بأبي عبد الله الجدلي وكان من خيار أهل الكوفة وأكابرهم ، فدفع إليه أربعمائة ألف درهم[4] وأمره بالمسير إلى محمد ابن الحنفية ثم كتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، للمهدي محمد بن علي ، من المختار بن أبي عبيد ، أما بعد فقد قرأت كتابك وأقرأته شيعتك وإخوانك من أهل الكوفة ، وقد سيرت إليك الشيعة إرسالاً يتبع أولاهم أخراهم[5] ، وبالله أقسم قسماً صادقاً لئن لم يكف عنك من تخاف غائلته على نفسك وأهل بيتك لأبعثن إليك الخيل والرجال ما يضيق به مكة على ما عاداك وناواك ، حتى يعلم ابن الزبير أنك أعز منه نفراً ودعوة وأكثر نفيراً ، فأبشر فقد أتاك الغوث وجاءك الغيث ، وقد وجهت إليك بأربعمائة ألف درهم لتجعلها فيمن أحببت

---

(١) الأصل : نادي .

(٢) في الطبري ٦/٧٦ وابن الأثير ٢/٦٨٨ أُسرب .

(٣) الطبري وابن الأثير : يحل بابن الكاهلية الويل .

(٤) في ابن الأثير أنه بعث بالأموال مع ظبيان بن عمارة ، ومعه أربعمئة .

(٥) وأرسل أيضاً : يونس بن عمران في أربعين ، وعمير بن طارق في أربعين . ومع أبي عبد الله الجدلي سبعين راكباً من أهل القوة (انظر الطبري ٦/٧٦ وابن الأثير ٢/٦٨٩) .

من أهل بيتك وشيعتك ، وقد سرحت إليك رجالاً ينصرونك ويحفظون المال حتى يؤدوه إليك ، ثم يقومون بين يديك فيقاتلون عدوك ويدفعون الظلم عنك وعن أهل بيتك فأبشر بالجيش الكبير والجند الكثير ، والله الذي أنا له لو لم أعلم أني أعزّ لك ولأهل بيتك بهٰذا المكان إذاً لسرت إليك بنفسي وأذب عنك وعن أهل بيتك وعن وليك وشيعتك ، دفع الله عنك وعنهم السوء أجمعين ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ـ .

قال : فخرج الناس من الكوفة يريدون مكة إلى محمد ابن الحنفية وسبق إليه الكتاب ، فلما قرأه حمد الله على ذلك ، وأقبلت الخيل نحو مكة أرسالاً يتلو بعضها بعضاً ، فلما دخلوا أقبلوا إلى محمد ابن الحنفية فجعلوا يفدونه بآبائهم وأمهاتهم وهم يقولون : جعلنا فداك يابن أمير المؤمنين ! فخل بيننا وبين ابن الزبير حتى يرى أننا أعز نفراً . فقال لهم ابن الحنفية[1] : مهلاً فإني لا أستحلّ القتال في حرم الله وحرم رسوله محمد ﷺ .

قال : وبلغ ابن الزبير ذلك ، فقام في أصحابه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فالعجب كل العجب من هذه العصبة الرديئة السيئة الترابية الذين يناووني في سلطاني ثم إنهم ينعون حسيناً ويسمعوني ذلك[2] حتى كأني أنا الذي قتلت الحسين بن علي ، والله لو قدرت على قتلة الحسين لقتلتهم ، وهؤلاء الذين كاتبوا الحسين بن علي فأطمعوه في النصر ! فلما صار إليهم خذلوه وأسلموه لعدو .

قال : ثم أرسل ابن الزبير إلى أبي عبد الله[3] الجدلي وأصحابه القادمين من الكوفة فدعاهم ثم قال : أخبروني عنكم يا أهل الكوفة أما كفاكم خروجكم مع المختار وإفسادكم على العراق حتى قدمتم هذا البلد تناووني في سلطاني ! أتظنون أني أخلي صاحبكم هذا دون أن يبايع وتبايعوا أنتم أيضاً معه صاغرين ! قال فقال له أبو عبد الله[4] الجدلي : إي والركن والمقام ، والحل والحرام ، وهذا البلد الحرام ،

---

(١) وكان ابن الزبير قد حصر محمد ابن الحنفية وأهل بيته وشيعته وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة وحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والإحراق إن لم يبايعوا . وكان وصول أهل الكوفة وقد بقي من الأجل الذي ضربه لهم ابن الزبير يومان . (الطبري ٦/٧٦ وابن الأثير ٢/٦٨٩) .

(٢) وكان قد دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون يالثارات الحسين . . . .

(٣) بالأصل : عبيد الله . خطأ .

(٤) الأصل : أبو عبيد .

وحرمة الشهر الحرام ! لتخلين سبيل صاحبنا ابن علي ولينزلن من مكة حيث يشاء ومن الأرض حيث يحب أو لنجاهدنك بأسيافنا جهاداً وجلاداً يرتاب منه المبطلون . قال : وإذا محمد ابن الحنفية قد أقبل في جماعة من أصحابه حتى دخل المسجد الحرام ، قال : ونظر ابن الزبير فإذا أصحابه كثير وأصحاب ابن الحنفية قليل ، غير أنهم مغضبون مجمعون على الحرب محبون لذلك ، فعلم أن جانبهم خشن ، وأن وراءهم شوكة شديدة من قبل المختار فجعل يتشجع ويقول لإخوته وأصحابه : ومن ابن الحنفية وأصحابه هؤلاء ! والله ما هم عندي شيء ! ولو أني هممت بهم لما مضى ساعة من النهار حتى تقطف رؤوسهم كما يقطف الحنظل . قال له رجل من أصحاب ابن الحنفية(1) : والله يابن الزبير ! لئن رمت ذلك منا فإني أرجو أن يوصل إليك من قبل أن ترى فينا ما تحب . قال : ثم ضرب الطفيل(2) بيده إلى سيفه فاستله فهمّ أن يفعل شيئاً ، فقال ابن الحنفية لأبيه : يا أبا الطفيل ! قل لابنك فليكف عما يريد أن يصنع . ثم أقبل على أصحابه فقال : يا هؤلاء ! مهلاً فإني أذكركم الله إلا كففتم عنا أيديكم وألسنتكم ، فإني ما أحب أن أقاتل أحداً من الناس ، ولا أقول للناس إلا حسناً ، ولا أريد أيضاً أن أنازع ابن الزبير في سلطانه ولا بني أمية في سلطانهم ، ولا أدعوكم إلى أن يضرب بعضكم بعضاً بالسيف ، وإنما آمركم أن تتقوا الله ربكم ، وأن تحقنوا دماءكم ، فإني قد اعتزلت هذه الفتنة التي فيها ابن الزبير وعبد الملك بن مروان إلى أن تجتمع الأمة على رجل واحد ، فأكون كواحد من المسلمين . قال : فقال رجل من أصحاب عبد الله بن الزبير: صدق والله الرجل ـ يعني ابن الحنفية ! والله ما هذه إلا فتنة كما قال ! والسعيد عندي من اعتزلها . قال : فصاح به ابن الزبير وقال : اسكت أيها الرجل ! فإنك لا تعقل ما يأتي وما تدري من هذا حتى يسمع قوله ويؤخذ برأيه ، إنما كان هذا مع أخويه الحسن والحسين كالعسيف الذي لا يؤامر ولا يشاور . قال فقال له محمد ابن الحنفية : كذبت والله لو مت ! ما كان إخواني بهذه المنزلة ، ولكنهم كانوا أخويّ وشقيقي ، وكنت أعرف لهم فضلهم ونسبهم وقرابتهم من الرسول محمد ﷺ ، وقد كانوا يعرفون لي من الحق مثل ذلك ، وما قطعوا أمراً دوني مذ عقلت ، وأما قولك : إنه لا ينبغي أن يسمع قولي ولا يؤخذ برأيي ، فأنا

---

(1) هو قيس بن مالك (الطبري ٦/٧٧) .

(2) بالأصل : واثلة بن الطفيل خطأ . وكان أبو الطفيل عامر بن واثلة من وجوه أهل الكوفة المحبوسين مع ابن الحنفية في زمزم . والطفيل ابنه بقي إلى أيام ابن الأشعث وقتل معه بدير الجماجم .

والله أوجب حقاً على الأمة منك وأحق بالمودة والنصر لحق علي بن أبي طالب وقرابته من الرسول محمد ﷺ ! ولو أني أعتمد على الناس بحق النبوة أنها في بني هاشم دون غيرهم لكان ينبغي لذوي الرأي والعلم أن يأخذوا برأيي ويستمعوا لقولي ، ويكونوا لي أود ومني أسمع ولي أنصح منهم لك يابن الزبير .

قال : فلم يزل هذا الكلام بين محمد ابن الحنفية وبين عبد الله بن الزبير وقد ضاق الناس بعضهم بعضاً في المسجد الحرام عليهم السلاح، والمعتمرون يمشون بينهم بالصلح حتى سكت ابن الزبير ولم يقل شيئاً ، وخرج ابن الحنفية ومن معه من أصحابه حتى نزل في شعب أبي طالب ، ثم جمع أصحابه فقسم عليهم من المال الذي وجه به المختار ما قسم ، وقسم باقي ذلك في أهل بيته وقرابته ، وأقام في ذلك الشعب ممنوعاً ، فهذا أول خبر ابن الحنفية مع ابن الزبير ، وسنرجع إلى أخبارهم بعد هذا إن شاء الله ولا قوة إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ثم رجعنا إلى حديث المختار

قال : ثم عزم المختار على هدم دار أسماء بن خارجة الفزاري وإحراقها لأنه كان ممن عمل في قتل مسلم بن عقيل رضي الله عنهم . قال فجعل يقول : أما ورب السماء والماء ورب الضياء والظلماء ! لتنزلن نار من السماء ، حمراء دهماء سحماء ، فلتحرقن في دار أسماء . قال : وبلغ ذلك أسماء بن خارجة فقال : إنه قد سجع وليس ههنا مقام بعد هذا قال : ثم خرج أسماء من داره هارباً حتى صار إلى البادية ، وأرسل المختار إلى داره ودور بني عمه فهدمها عن آخرها .

ثم دعا برجل من أصحابه يقال له حوشب بن يعلى الهمداني فقال : ويحك يا حوشب ! أنت تعلم أن محمد بن الأشعث من قتلة الحسين بن علي ، وهو الذي قال له بكربلاء ما قال ، والله ما يهنئني النوم ولا القرار ورجل من قتلة الحسين بن علي يمشي علي وجه الأرض ! وقد بلغني أنه في قرية إلى جنب القادسية فسر إليه في مائة رجل من أصحابك فإنك تجده لاهياً متصيداً ، أو قائماً متلبداً ، أو خائفاً متلدداً ، أو كامناً متردداً(٢)، فاقتله وجئني برأسه . قال : فخرج حوشب بن يعلى الهمداني في مائة رجل من أصحابه حتى صار إلى قرية محمد بن الأشعث ، وعلم ابن الأشعث

---

(١) في الطبري ٦/٦٦ كامناً متغمداً .

بذلك فخرج من باب له آخر في جوف الليل هارباً ومضى نحو البصرة إلى مصعب بن الزبير . قال : وأصبح حوشب بن يعلى هذا وقد علم أن محمد بن الأشعث قد هرب ، فكتب إلى المختار بذلك ، فكتب إليه المختار أنك قد ضيعت الحزم ولم تأخذ بالوثيقة ، فإذا قد فاتك الرجل فاهدم قصره، واخرب قريته ، وأتني بأمواله ! قال : فهدمت دار محمد بن الأشعث ، وأمر المختار بنقضها فبنوا به دار حجر بن عدي الكندي رحمه الله(١) .

قال : وصار محمد بن الأشعث إلى مصعب بن الزبير فالتجأ إليه ، فقال له مصعب: ما وراءك ؟ فقال: ورائي والله أيها الأمير الترك والديلم ! هذا المختار بن أبي عبيد قد غلب على الأرض ، فهو يقتل الناس كيف شاء ، وقد قتل إلى الساعة هذه ممن يتهم بقتال الحسين بن علي أكثر من ثلاثة آلاف ، وقد كان أعطاني الأمان ثم إنه بعث إليّ ببعض أصحابه فأراد قتلي فهربت إليك ، فهذه قصتي وهذه حالي ، ثم وثب رجل من كندة ممن قدم مع محمد بن الأشعث حتى وقف بين يدي مصعب بن الزبير فأنشأ يقول أبياتاً مطلعها :

إن قوماً من كندة الأخيار بين قيس وبين آل المذار(٢)

إلى آخرها . قال : فقال له مصعب بن الزبير : يا أخا كندة ! إني قد فهمت كلامك ، وإني أعمل برأي أمير المؤمنين ، وهو الذي ولاني البصرة وأمرني بحرب الأزارقة ، وهذا المهلب بن أبي صفرة في وجوههم يحاربهم ، فلا تعجلوا فإن المختار له مدة هو بالغها . قال : فأقام محمد بن الأشعث عند مصعب بن الزبير بالبصرة ، وبلغ عبد الملك بن مروان ما فيه المختار من غلبته على البلاد وقتله للناس ، فأحب أن يبدو به قبل غيره ، ثم يتفرغ لعبد الله بن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير ـ والله أعلم ـ .

ابتداء مسير عبيد الله بن زياد إلى العراق ومقتله

قال : فدعا عبد الملك بن مروان بعبيد الله بن زياد ، فضم إليه ثمانين(٣) ألفاً

(١) وكان زياد بن أبيه قد هدمها . (الطبري) .
(٢) عن معجم البلدان ، وبالأصل : المزار .
(٣) الأصل : ثمانون .

من أجناده وأهل الشام ، ثم وضع لهم الأرزاق وأعطاهم وأمرهم بالسمع والطاعة لعبيد الله بن زياد ، ثم أقبل عليه فقال له : يـابن زياد ! أنتِ تعلم أن أبي مروان كان قد أمرك بالمسير إلى العراق على أنك تأتي الكوفة فتقتل أهلها وتنهبها ثلاثاً ، ثم إن الموت عاجله فمضى لسبيله ، والآن فإني وليتك على هذا الجيش فسر نحو الجزيرة والعراق ، فإذا فرغت من المختار فسر إلى مصعب بن الزبير فاكفني أمره ، ثم سر إلى عبد الله بن الزبير بالحجاز فألحقه بأخيه مصعب ، فإذا فرغت من ذلك فلك جميع ما غلبت عليه بسيفك من أرض الشام إلى مطلع الشمس . قال : فسار عبيد الله بن زياد من الشام ومعه ثمانون ألفاً من الخيل والجنود حتى صار إلى بلاد الجزيرة ونزل أرض نصيبين .

قال : وبلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وهو يومئذ عامل المختار على الموصل وما والاها ، فكتب إلى المختار يخبره بذلك . قال : وخرجت مقدمة عبيد الله بن زياد في عشرين ألفاً نحو الموصل ، وخرج عامل المختـار عن الموصل هارباً حتى صار إلى تكريت فنزلها ، وأقبل عبيد الله بن زياد في جيشه ذلك حتى نزل الموصل ، وبلغ ذلك المختار فكتب إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس :

أما بعد فقد بلغني أيضاً كتابك وفهمت ما ذكرت من أمر عبيد الله بن زياد ، وقد بلغني أيضاً نزوله أرض الموصل ونزولك بتكريت ، وقد لعمري أصبت الرأي في تنحيك من بين يديه إذ كنت لا تقوم لجيشه ، فانظر لا تبرحن في موضعك ذلك حتى يأتيك أمري ـ والسلام ـ .

قال : ثم دعا المختار برجل من سادات الكوفة وشجعانهم يقال لهم يزيد بن أنس الأسدي ، فقال له : يا يزيد ! إنك قد علمت أن العاقل[1] ليس كالجاهل ، وأن الحق ليس كالباطل ، وإني أخبرك خبـر من [لم ـ][2] يكذب ، ولم يخـالف ولم يرتب ، إننا نحن المؤمنون ، الميامين المساليم العالمون[3] ، وإنك صاحب الخيل العتاق ، وفارس أرض العراق ، وسنورد خيلك حياض المنون ، ومنابت الزيتون ، غائرة عيونها ، لاحقة بطونها ، وهذا ابن زياد قد أقبل في المحلين وأبناء القاسطين ،

---

(١) في الطبري ٦/٣٩ العالم .

(٢) عن الطبري .

(٣) الطبري : الغالبون .

فسر إليه في المؤمنين ، واطلب بدم ابن بنت نبي رب العالمين . قال : فقال له يزيد بن أنس : أيها الأمير ! اضمم إليَّ ثلاثة آلاف فارس ممن أنتخبهم أنا ، وخلني والوجه[1] الذي توجهني ، فإن احتجت إلى مدد فإني سأكتب إليك بذلك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال : فقال له المختار : اخرج فانتخب من أحببت من الناس على بركة الله وعونه .

قال : فخرج يزيد بن أنس فجعل ينتخب القائد بعد القائد ، والرجل بعد الرجل ، حتى انتخب ثلاثة آلاف من سادات فرسان العرب ، ثم إنه فصل من الكوفة فخرج معه المختار والناس يشيعونه ، حتى إذا صار إلى دير أبي موسى أقبل عليه المختار يوصيه فقال له : يا يزيد ! انظر إذا لقيت العدو نهاراً فلا تنظرهم[2] إلى الليل ، وإن أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها ، وليكن عندي خبرك في كل يوم ، وإن احتجت إلى مدد فاكتب إليّ في ذلك مع أني أمدك بالخيل والرجال حتى يكتفي إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال : فقال يزيد بن أنس : أيها الأمير ! ما أريد منك أن تمدني إلا بالدعاء وكفى لي به مدداً ـ والسلام ـ . قال: ثم ودعه وسار.

وكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني : أما بعد فقد توجه إلى ما قبلك يزيد بن أنس ، وهو من قد علمت في البأس والشدة ، فإذا قدم عليك فخل[3] بينه وبين البلاد ، وكن تحت رايته سامعاً مطيعاً له ـ والسلام ـ .

ذكر مسير يزيد بن أنس إلى محاربة عبيد الله ابن زياد وهي الوقعة الأولى

قال : وسار يزيد بن أنس حتى صار إلى تكريت وصار إليه عبد الرحمن بن سعيد في ألف رجل ، فصار يزيد في أربعة آلاف فارس ، وأقبل حتى نزل على خمسة فراسخ من أرض الموصل[4] ؛ وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فوجه إليه بقائد من قواد أهل الشام يقال له ربيعة بن مخارق الغنوي في ثلاثة آلاف فارس ، وأتبعه بقائد

---

(١) الطبري : والفرج .

(٢) الطبري ٦/ ٤٠ فلا تناظرهم .

(٣) الأصل : فخلي ، وما أثبت عن الطبري .

(٤) بمكان يقال له بنات تلى (الطبري ٦/ ٤٠ وابن الأثير ٢/ ٦٧٢) .

آخر يقال له عبد الله بن حملة الخثعمي [1] في ثلاثة آلاف ؛ قال : وأقبل القوم حتى نزلوا حذاء يزيد بن أنس .

قال : واعتل يزيد بن أنس في ليلته تلك علة شديدة وأصبح موعوكاً لما به ، فدعا بحمار له مصري فاستوى عليه وجعل يجول في عسكره وغلمانه يمسكونه من ضعفه أن لا يسقط من الحمار ، فجعل يوصي أصحابه ويقول : يا شرطة الله ! اصبروا تؤجروا ، وصابروا عدوّكم تظفروا ، وقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ، فقد ترون ما بي من العلة فإن هلكت فأميركم من بعدي ابن عمي ورقاء[2] بن عازب الأسدي ، فإن أصيب فعبد الله بن ضمرة العذري [3] ، فإن أصيب فسعر بن أبي سعر الحنفي . قال : ثم نزل عن الحمار ووضع له كرسي ، فجلس عليه وجعل يقول : إن شئتم فقاتلوا عن أميركم وإن شئتم فعن أنفسكم ودينكم ، وخذوا بدم ابن بنت نبيكم محمد ﷺ .

ثم دنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ساعة ، وحمل ورقاء بن عازب الأسدي على رجل من أهل الشام فضربه ضربة نكسه عن فرسه قتيلاً . ثم صاح بأهل العراق فحملوا وحمل معهم ، وانهزم أهل الشام هزيمة قبيحة ، ووضع أهل العراق فيهم السيف ، فجعلوا يقتلونهم خمسة فراسخ حتى ألحقوهم بصاحبهم عبيد الله بن زياد[4] ، وقد قتل منهم من قتل ، وأسر منهم ثلاثمائة رجل أو يزيدون ، فأتي بهم إلى يزيد بن أنس وهو لما به حتى أوقفهم بين يديه فجعل يؤمي بيده أن اضربوا أعناقهم ! قال : فضربت أعناقهم عن آخرهم .

فلما كان الليل اشتدت العلة بيزيد بن أنس فتوفي في بعض الليل[5] رحمه الله ! فغسل وكفن وحفر له ناحية من العسكر ، وتقدم ورقاء بن عازب الأسدي فصلى عليه ، ودفن في جوف الليل وسوي قبره بالأرض لكيلا يعلم أحد بموضع قبره .

---

(١) في الأصل : عبد الله بن جملة الخثعمي ، وما أثبت عن الطبري وابن الأثير .
(٢) عن الطبري ، وبالأصل : ورقة بن نوفل .
(٣) عن الطبري ، وبالأصل : الغنوي .
(٤) انظر تفاصيل أوردها الطبري ٦/٤١ ـ ٤٢ . وابن الأثير ٢/٦٧٤ .
(٥) في ابن الأثير : مات آخر النهار .

قال : وأصبح أهل العراق مغمومين بموت صاحبهم يزيد بن أنس ، فقال لهم ورقاء بن عازب : أيها الناس ! دعوا عنكم هذا الجزع الذي قد تداخلكم ، فكل حي ميت ، فلا تشربوا قلوبكم الهم والغم ، فهذا عبيد الله بن زياد بإزائكم في[1] خلق عظيم ، وقد علمتم من قد التأم إليه من أهل الجزيرة ، ولا أظن أن لكم به طاقة ، فإني أعلم أننا إن قاتلناهم كنا مخاطرين ، وإن هزمناهم لن ينفعنا هزيمتهم شيئاً لكثرة جمعهم وعددهم . قال : فقالوا : أيها الأمير ! الرأي عندنا أن تنصرف حتى ننصرف معك . قال : فرحل القوم في جوف الليل نحو العراق .

وبلغ ذلك المختار وأهل الكوفة فأرجف منهم من أرجف وتكلم أعداء المختار ما تكلموا ولم يعلموا ما الخبر ، وظنوا أنه قد قتل يزيد بن أنس وأن أصحابه قد أبيدوا . قال : واغتم المختار أيضاً لذلك ولم يدر ما قصة يزيد بن أنس وأصحابه ، ثم أتاه الخبر بعد ذلك بأن يزيد بن أنس إنما مات من علة نزلت به ، وأن أصحابه انصرفوا من غير هزيمة . قال : فطابت نفس المختار بذلك ، وقدم أصحاب يزيد بن أنس الكوفة يخبرون بما كان من أمرهم . قال : فعندها دعا المختار بإبراهيم بن الأشتر ، فعقد له عقداً وضم إليه أصحاب يزيد بن أنس وغيرهم من فرسان أهل الكوفة ورجالتهم[2] وقال له : سر إلى عدوك فناجزهم وطالعني بأخبارك في ليلك ونهارك ، وإن رأيت أمراً لا طاقة لك به فلا تلق بيدك إلى التهلكة ، واكتب إليّ حتى أمدك بخيل ورجال ما تكتفي بهم إن شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال : فخرج إبراهيم بن الأشتر حتى ضرب عسكره بموضع يقال له حمام أعين[3] ؛ وعزم[4] أهل الكوفة على أن يغدروا بالمختار .

ذكر خروج أهل الكوفة على المختار وغدرهم به ومحاربتهم إياه

قال : وعزم أهل الكوفة على أن يغدروا بالمختار وأن ينقضوا عهده وبيعته ،

---

(١) الطبري : في ثمانين ألفاً من أهل الشام .

(٢) في الطبري أن المختار علم خبر جيش يزيد بن أنس من عين له من أنباط السواد قبل وصولهم الكوفة وأنه عقد لابن الأشتر على سبعة الآف رجل وسار بهم قبل دخول جيش ابن أنس الكوفة وأمره أن يرد معه جيش ابن أنس إن التقى بهم . ٤٣/٦ . وانظر الأخبار الطوال ٢٩٣ .

(٣) حمام أعين موضع بالكوفة منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص .

(٤) الأصل : عزموا .

فجعل بعضهم يقول لبعض : والله لقد تأمر علينا هذا الكذاب بغير رضا منا ، ولقد عمد إلى عبيدنا وموالينا ، فقربهم وأدناهم وحملهم على الخيل ، وأعطاهم الأموال ، وأطعمهم الفيء ، وقد علمتم ما كان لنا فيهم من المنافع لأيتامنا وأراملنا .

قال : ثم اجتمعوا في منزل شبث بن[1] ربعي فذكروا له ذلك ، وكان شبث من أشراف بني تميم ، وكان جاهلياً إسلامياً فارساً ، لا يدفع عن حسب ولا شرف ، بطلاً شجاعاً ، فلما ذكروا له ذلك قال لهم : لا تعجلوا حتى ألقاه فأكلمه في ذلك ، قال : ثم أقبل شبث حتى دخل على المختار فسلم وجلس ، ثم تكلم فلم يترك شيئاً مما أنكره عليه أهل الكوفة إلا ذكره له ، حتى ذكر أمر العبيد والموالي ، فقال : أيها الأمير ! وأعظم الأشياء عليك أنك عمدت إلى عبيدنا وهم فيئنا الذين أفاء الله بهم فأخذتهم إليك ، ثم لم ترض بأخذهم حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا ، ولا يحل لك أيها الأمير هذا في دينك ولا يجمل بك في شرفك ! قال : فقال له المختار : فإني أرضيكم بكل ما تحبون وأغنيكم من كل ما تكرهون على أنكم تقاتلون معي بني أمية وعبد الله بن الزبير ، وآخذ عليكم بذلك عهوداً ومواثيق وأيماناً مغلظة أنكم لا تغدرون ولا تنكثون . قال : فقام شبث بن ربعي من عند المختار وصار إلى قومه وذكر لهم ذلك ، فغضبوا غضباً شديداً وضجوا وقالوا : لا والله ما نقاتل معهم أحداً ولكنا نقاتله وننقض عليه بيعته .

ثم عزم[2] القوم على محاربة المختار ، وأقبل إليهم رجل من أشرافهم يقال له عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فقال : يا هؤلاء ! اتقوا الله ولا تخرجوا على هذا الرجل فقد بايعتموه أنكم لا تغدرون به ، وأنا أخاف عليكم أنكم إن قاتلتموه أن تختلفوا وتتخاذلوا فيظفر بكم ، لأن الرجل اليوم محتوٍ على بلدكم ، ومعه أشرافكم وشجعانكم وفرسانكم ، ومعه أيضاً عبيدكم وأولادكم[3] ، فكفوا عن الرجل ولا تقاتلوه ، فهذا مصعب بن الزبير بالبصرة ولو قد فرغ من حرب الأزارقة لسار إليه وكفاكم أمره ، وهذا عبيد الله بن زياد بالموصل في ثمانين ألفاً ويزيدون ، فعسى الله

---

(١) الأصل : شبيب . وصححت أينما وقعت في الخبر .

(٢) الأصل : عزموا .

(٣) في الطبري ٦/٤٥ عبيدكم ومواليكم ، وكلمة هؤلاء واحدة وعبيدكم ومواليكم أشد حنقاً عليكم من عدوكم .

تبارك وتعالى أن يكفيكم أمره بأحدهم . قال فقال له الأشراف من أهل الكوفة : يـابن مخنف ! ننشدك بالله أن لا تفسد علينا ما اجتمعنا عليه من أمرنا . قال : فأمسك عنهم عبد الرحمن بن مخنف ثم قال : يا هؤلاء ! فإني ممسك عنكم فافعلوا ما بدا لكم ، ولكن إن كنتم قد عزمتم على الخروج عليه فلا تعجلوا وتلبثوا حتى يمضي إبراهيم بن الأشتر إلى عبيد الله بن زياد ، ويبقى المختار ههنا في نفر يسير ، فعند ذلك فافعلوا ما بدا لكم إن لم يكن لكم ناصر ينصره ويذب عنه .

قال : فسكت أهل الكوفة عن المختار ، حتى إذا علموا أن ابن الأشتر قد بلغ ساباط المدائن نادوا وخرجوا وارتفعت الضجة ، ولم يبق أحد بـالكوفـة ممن كان مختفياً وشارك في قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما إلا ظهر . قال : ونقض القوم بيعة المختار وخرجوا عليه ، فخرج الشمر بن ذي الجوشن في جبانة السكون(١) ، وخرج كعب بن أبي كعب في جبانة بشر ، وخـرج إسحاق [بن محمـد ـ](٢) بن الأشعث في جبانة كندة ، وخرجت(٣) قبائل همدان في جبانة السبيع .

قال : فصارت الكوفة كلها على المختار سيفاً واحداً ، فلمـا رأى ذلك دعـا برجل من خاصته يقال له عمرو بن توبة فأمره بالركض إلى إبراهيم بن الأشتر يخبره بقصته ، وكتب : انظر ، لا تضع كتابي من يدك أو تقبل إليَّ راجعاً بجميع من معك ، فإن أهل الكوفة قد نقضوا بيعتي وخرجوا علي ـ والسلام ، فالعجل العجل .

قال : فمضى الرسول إلى إبراهيم بن الأشتر ، وبعث المختار برسله إلى هؤلاء الذين خرجوا عليه فقال : يا هؤلاء ! أخبروني ما الـذي حملكم على نقض بيعتي والخروج عليّ ! وأخبروني ما الذي تريدون ! فإني نازل بحيث تحبون . فقالـوا : نريد أن تعتزل عنا فإنك زعمت أن محمـد ابن الحنفية أرسلك إلينا وقد كذبت على ابن الحنفية . قال : فرجعت الرسل إلى المختار فـأخبروه بـذلك ، فـأرسل إليهم المختار أن يا هؤلاء فلا عليكم ، ها أنا هٰهنا بين أظهركم مقيم ، فابعثوا برسلكم إلى ابن الحنفية واسألوه عن ذلك ولا تعجلوا .

قال : وجعل المختار يرسل إليهم رسولاً بعد رسول كـل ذلك ليشغلهم عن

(١) في الطبري ٦/٤٥ بني سلول في قيس .
(٢) زيادة عن الطبري .
(٣) في الطبري : خرج عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني .

حربه إلى أن يقدم ابن الأشتر ، والقوم يأبون ذلك ، ثم إنهم ساروا إليه يريدون قتاله وقتله ، والمختار يومئذ في قريب من أربعة آلاف ، فلما رأى أنهم قد بغوا عليه أمر أصحابه بالحرب فاقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل ، وباتوا على حرب وأصبحوا على حرب ، والمختار يعلم أن لا طاقة له بهم .

قال : وإذا إبراهيم بن الأشتر وافى في اليوم الثاني فصلى الفجر على باب الجسر ، ثم أقبل بخيله ورجله حتى دخل الكوفة . قال : وعلم[1] أولئك الخارجون أن ابن الأشتر قد وافى ، فافترقوا فرقتين ، فصارت ربيعة ومضر على حدة ، واليمن على حدة . فقال ابن الأشتر للمختار : أيها الأمير ! أي الفريقين تحب أن أكفيك اليمن أو ربيعة ومضر ؟ فقال المختار : إذاً أخبرك أبا النعمان ! أن اليمن هم قومك وعشريتك ولعلك إن حاربتهم أبقيت عليهم ، فدعني واليمن وعليك بربيعة ومضر ! قال : فسار إبراهيم بن الأشتر في جيشه ذلك حتى صار إلى الكناسة[2] وقد اجتمع بالكناسة يومئذ خلق كثير من ربيعة ومضر . قال : فسار إبراهيم بن الأشتر في جيشه ذلك حتى صار إلى الكناسة وقد اجتمع ، فلما نظروا إلى ابن الأشتر حملوا وحمل عليهم ، واقتتل القوم وصبر بعضهم لبعض .

ذكر وقعة جبانة السبيع

قال : وسار المختار إلى جبانة السبيع وبها يومئذ قبائل اليمن ، وقد اجتمعوا على عبد الرحمن [بن سعيد ـ][3] بن قيس الهمداني ، قال : فالتقى القوم هنالك فقاتل بعضهم بعضاً ، وعلت الأصوات من كل ناحية .

وجعل ابن الأشتر يقول : ويحكم يا معشر ربيعة ومضر ! انصرفوا عني ، فحسبكم مني ، أنا ابن الأشتر ، أنا ابن الضل الذكر ، والله ما أحب أن يصاب أحد منكم على يدي ! قال : فأبوا عليه ، واشتد القتال حتى انتصف بعضهم من بعض ، ثم وقعت الهزيمة بعد ذلك فانهزموا هزيمة قبيحة من بين يديه ، فأبقى عليهم ابن الأشتر فلم يتبعهم[4] .

---

(١) الأصل : وعلموا .

(٢) عن الطبري ٦/٤٧ وبالأصل : الكناس .

(٣) زيادة عن الطبري ٦/٤٨ .

(٤) انظر تفاصيل أوردها الطبري عن قتال المختار لقبائل اليمن ، وقتال ابن الأشتر مضر ٦/٤٩ ـ ٥٠ .

قال : وجاء البشير إلى المختار أن القوم قد انهزموا من بين يدي ابن الأشتر ، فكبر المختار وكبر أصحابه ، وسمع هؤلاء الذين يقاتلونه التكبير ففزعوا لذلك وعلموا أن أصحابهم قد انهزموا ، فانكسروا انكساراً شديداً ، ثم ولوا مدبرين ، فمنهم من اختفى في منزله ، ومنهم من خرج هارباً في البرية على وجهه ، ومنهم من لحق بمصعب بن الزبير بالبصرة فكان معه ، ووضعت الحرب أوزارها . فقال المختار لأصحابه : انظروا كم قتل من الناس ! وفتشوا البيوت فأتوني بهؤلاء الذين خرجوا عليَّ ونقضوا بيعتي ! قال : فحُصر من كان قتل من أصحاب المختار فكانوا مائة وخمسة وثلاثين[1] رجلاً ، وأحصي من قتل من الخارجيين عليه فكانوا ستمائة وأربعين[2] رجلاً ، فذلك سبعمائة وخمسة وسبعون رجلاً .

ذكر القوم الذين عرضوا على المختار فقتلهم صبراً

قال : ثم جعل أصحاب المختار يفتشون الدور ويخرجون القوم إلى المختار مكتفين ، فكان المختار كلما قدم إليه رجل يسأل عنه ، فإن كان ممن قاتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وشهد عليه بذلك أمر به فضربت عنقه صبراً ، وإن كان من قتلة الحسين أمر به فقطعت يده ، ومنهم من يقطع يده ورجله ، ومنهم من يأمر به فيكبل بالحديد ويلقى في السجن .

قال : وإذا برجل أسود قد أُتي به حتى وقف بين يديه ، قال : فجعل الأسود يرتعد ويقول[3] :

أمنن عليَّ اليوم يا خير معد ... وخير من صلى وخير من سجد
وخير من حلّ بقوم ووفد ... وخير من لبى لجبار صمد

قال : فقال له المختار : إني قد سمعت كلامك بالأمس وتحريضك ، وأنت

---

(١) الأصل : ثلاثون .

(٢) الأصل : أربعون .

(٣) الأرجاز لسراقة بن مرداس ، وهي في ديوانه ص ٧٤ . والطبري ٦/٥٤ باختلاف بعض الألفاظ .
وقد ورد في الطبري أنه : لما خرج المختار من جبانة السبيع ، وأقبل إلى القصر ، أخذ سراقة بن مرداس يناديه بأعلى صوته (وذكر الأرجاز) فبعث به المختار إلى السجن فحبسه ليلة ثم أرسل إليه من الغد فأخرجه .

تنادي وتقول : أيها الناس قاتلوا الكذاب ! أخبرني ما علمك بأني كذاب ؟ نعم أنا الكذاب ، نعم أنا الكذاب كما زعمت إن لم أذيقك حر الحديد . قال : فأمر به ، فضربت عنقه صبراً .

خبر سراقة بن مرداس[1] البارقي

قال : وكان آخر من قدم عليه رجل من القوم بهيّ جميل ، فقال له المختار : من أنت ؟ فقال : أيها الأمير ! أنا سراقة بن مرداس البارقي ، ولست ممن قاتل الحسين ين علي ولا مشارك في دمه ، فاسمع كلامي ولا تعجل ! فقال له المختار : فقل ما تشاء فإني سامع منك ، فأنشأ يقول :

ألا أبلغ أبا أسحاق أنا — نزونا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الأبطال[2] شيئاً — وكان خروجنا بطراً وحينا
نراهم في صفوفهم قليلاً — وهم مثل الدبى لما التقينا
برزنا إذ رأيناهم إليهم[3] — وأما القوم قد برزوا إلينا
لقينا منهمُ ضرباً عنيداً[4] — وطعناً مسحجاً حتى انثنينا
زففت الخيل يا مختار زفّاً — بكل كتيبة قتلت حسينا
نصرت على عدّوك كل يوم — بكل حضارم لم يلق شينا[5]
كنصرة أحمد في يوم بدر — ويوم الشعب إذ لاقى حنينا
فصفحاً إذ قدرت فلو قدرنا[6] — لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فإني — سأشكر إن جعلت النقد دينا

قال : فقال له المختار : إني قد سمعت شعرك وأنت ممن قاتلني ولا بد من

---

(١) الأصل : مرادس خطأ .
(٢) الطبري ٦/٥٤ وابن الأثير ٢/٦٨٠ الضعفاء ، وفي الأخبار الطوال ص ٣٠٣ الإشراك دِيناً .
(٣) الطبري : فلما رأينا القوم .
(٤) الطبري : طلحفاً وطعناً صائباً .
(٥) البيت في الطبري :
نصرت على عدوك كل يوم — بكل كتيبة تنعى حسينا
(٦) صدره في الطبري :
فاسجح إذ ملكت فلو ملكنا

قتلك أو تخليدك السجن ؛ قال فقال سراقة : ولم ذلك فوالله وإلا فعليه كذا وكذا إن لم أر الملائكة بالأمس تقاتل معك ، فلما وضعت الحرب أوزارها رأيت الملائكة تطير بين السماء والأرض ؛ فقال له المختار : وأنا أحلف أنك ما رأيت شيئاً مما رأيت من أمر الملائكة ، وقد حلفت بالله كاذباً ، وقد حقنت لك دمك فاخرج عن الكوفة والحق بأي بلد شئت(١) ! قال فقال سراقة : صدقت والله أصلح الله الأمير ما رأيت شيئاً وما كنت في يمين حلفت بها ساعة قط أشد اجتهاداً ولا مبالغة في الكذب من تلك اليمين ، ولكني خفت سيفك . قال : ثم خرج سراقة بن مرداس من الكوفة هارباً حتى صار إلى مصعب بن الزبير فحدثه بقصته ، ثم أنشأ يقول :

ألا أبلغ أبا أسحاق أني ... رأيت البلق دهماً مصمتاتِ
كفرت بوحيكم وجعلت نذراً ... عليَّ قتالكم حتى الممات(٢)
أرى عينيَّ ما لم تبصراه(٣) ... كلانا عالم بالترهات
إذا قالوا أقول لكم(٤) كذبتم ... وإن خرجوا لبست لهم أداتي

قال : فبلغ المختار ما قاله سراقة(٥) بن مرداس فقال : أما أنا فلو علمت ذلك منه لما أفلت من مخالبي .

ذكر مقتل الشمر بن ذي الجوشن

ثم دعا المختار بغلام له أسود يقال له رزين(٦) ، وكان فارساً بطلاً ، فقال : ويلك يا رزين ! قد بلغني عن الشمر بن ذي الجوشن أنه قد خرج عن الكوفة هارباً في نفر من غلمانه ومن اتبعه(٧) ، فاخرج في طلبه فلعلك تأتيني به أو برأسه ، فإني ما أعرف

---

(١) جاء قول المختار هذا لسراقة سراً وكان قد خلا به ، وكان قبل قد أمره أن يصعد المنبر ويعلم الناس بما رأى من أن الملائكة كانت تقاتل مع جيش المختار . (انظر الطبري ٦/٥٥ ابن الأثير ٢/٦٨٠ الأخبار الطوال ص ٣٠٣) .

(٢) انبيت في الأخبار الطوال ص.٣٠٣ :

كفرت بدينكم وبرئت منكم ... ومن قتلاكم حتى الممات

(٣) الطبري والأخبار الطوال : ترأياه .

(٤) الطبري : لهم .

(٥) الأصل : سرادقة .

(٦) في الطبري ٦/٥٢ وابن الأثير ٢/٦٧٨ والأخبار الطوال ص ٣٠١ زربي .

(٧) كان مقيماً بدستميسان كما في الأخبار الطوال ص ٣٠١ .

من قاتل الحسين بن علي أعتى منه ولا أشد بغضاً لأهل بيت رسول الله ﷺ .

قال : فاستوى رزين على فرسه وخرج في طلب الشمر بن ذي الجوشن فجعل يسير مسيراً عنيفاً ، وهو في ذلك يسأل عنه فيقال له : نعم إنه قد مر بنا آنفاً ؛ فلم يزل كذلك حتى نظر إليه من بعيد ، قال : وحانت من الشمر التفاته فنظر إلى رزين غلام المختار فقال لغلمانه : سيروا أنتم فإن الكذاب قد بعث بهذا الفارس في طلبي ! قال : ثم عطف الشمر على غلام المختار وتطاعنوا برمحيهم ، طعنه الشمر طعنة قتله ثم مضى .

قال : وبلغ ذلك المختار فاغتم لذلك غماً شديداً ، ثم دعا برجل يقال له عبد الرحمن بن عبيد الهمداني ، فضم إليه عشرة من أبطال أصحابه ثم قال : يا عبد الرحمن ! إن الشمر قد قتل غلامي رزيناً ومر على وجهه ، ولست أدري أي طريق سلك ، ولكني أنشدك بالله يا أخا همدان ألاّ قررت عيني أنت ومن معك بقتله إن قدرتم على ذلك .

قال : فخرج عبد الرحمن بن عبيد في عشرة من أصحاب المختار في طلب الشمر بن ذي الجوشن ، فجعلوا يسيرون وهم يسألون عنه ويمضون على الصفة ، قال : والشمر قد نزل إلى جانب قرية على شاطىء الفرات يقال لها الكلتانية(١) وهو جالس في غلمانه ، ومعه قوم قد صحبوه من أهل الكوفة من قتلة الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهم آمنون مطمئنون ، والشمر قد نزع درعه ورمى به ورمى ثيابه واتزر بمئزر وجلس ، ودوابه بين يديه ترعى ؛ فقال له بعض أصحابه ممن كان معه : إنك لو رحلت بنا عن هذا المكان لكان الصواب فإنك قد قتلت غلام المختار ، ولا نأمن أن يكون قد وجه في طلبنا ! قال : فغضب الشمر من ذلك وقال : ويلكم أكل هذا خوفاً وجزعاً من الكذاب ، والله لا برحت من مكاني هذا إلى ثلاثة أيام ولو جاءني الكذاب في جميع أصحابه ! قال : فوالله ما فرغ من كلامه حيناً حتى أشرفت عليه خيل المختار ، فلما نظر إليهم وثب قائماً فتأملهم ، قال : ونظروا إليه وكان أبرص ، والبرص على بطنه وسائر بدنه كأنه ثوب ملمع . قال : ثم ضرب بيده إلى رمحه ثم دنا من أصحاب المختار وهو يومئذ متزر بمنديل وهو يرتجز ويقول :

---

(١) عن الطبري ٥٢/٦ وابن الأثير ٦٧٩/٢ .

تيمموا ليثاً هزبراً باسلاً[1] جهماً محيّاه يدق الكاهلا
لم يك[2] يوماً من عدوٍ ناكلاً إلا كذا مقاتلاً أو قاتلا
يمنحكم طعناً وموتاً عاجلا[3]

قال : فقصده عبد الرحمن بن عبيد وهو يرتجز ويقول :

يا أيها الكلب العوي العامري أبشر بخزي ويموت حاضرِ
من عصبة لدى الوغى مساعر شم الأنوف سادة مغاور
يا قاتل الشيخ الكريم الطاهر أعني حسين الخير ذي المفاخر
وابن النبي الصادق المهاجر وابن الذي كان لدى التشاجر
أشجع من ليث عرين خادر ذاك على ذو النوال الغامر

قال : ثم حنق عليه الهمداني فطعنه في نحره طعنة فسقط عدو الله قتيلاً ، ونزل إليه الهمداني فاحتز رأسه ، وقتل أصحابه عن آخرهم ، وأخذت أموالهم وأسلحتهم ودوابهم ، وأقبل الهمذاني برأسه ورؤوس أصحابه إلى المختار حتى وضعها بين يديه ، فلما نظر المختار إلى ذلك خر ساجداً لله ، ثم أمر برأس الشمر وأصحابه فنصبت بالكوفة في وجه الحدادين حذاء المسجد الجامع ، ثم أمر لهذا الهمداني بعشرة آلاف درهم وولاه أرض حلوان .

ثم رجعنا إلى الحديث الأول
وخبر عبيد الله بن زياد

قال : ثم دعا المختار بإبراهيم بن الأشتر فقال له : أبا النعمان ! إننا قد عرفنا ممن كان بغى علينا ، فاجمع الآن إليك أصحابك وسر إلى عدوك عبيد الله بن زياد وأصحابه المحلين ، فإن احتجت إلى مدد فاكتب إليَّ حتى أمدك بالخيل والرجال ،

---

(١) الرجز في الطبري ٦/٥٤ وابن الأثير ٢/٦٧٩ .
نبهتم ليث عرين باسلا
(٢) في الطبري وابن الأثير : لم يُرَ .
(٣) الرجز في الطبري :
يبرحهم ضرباً ويروي العاملا
وفي ابن الأثير : ينزحهم .

حتى تكتفي إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال فقال له ابن الأشتر : أيها الأمير ! إني خارج كما ذكرت وأمرت ، لكني لا أحب أن يخرج معي عبيد الله بن الحر في هذا الجيش ، فإنه رجل معجب بنفسه ، وأخاف أن يغدر بي في وقت حاجتي إليه ! فقال المختار : صدقت أبا النعمان هو كذلك ولكن داره وأحسن إليه واملأ عينه من المال ، فإنه ابن عمك ؛ ولعلي إن أمرته بالتخلف عنك أن يجد في نفسه من ذلك عليك ، ولكن عليك بمداراته مهما استطعت ، واعلم أني منتظر لأمرك وما يكون منك في قتال الفاسقين ، وأنا أرجو أن تلحق الآخرين بالأولين .

قال : فخرج إبراهيم بن الأشتر من الكوفة يوم السبت لثمان خلون[1] من ذي الحجة سنة ست وستين ، ومعه يومئذ عشرة آلاف فارس وسبعة آلاف راجل ، وقد رفع رأسه إلى السماء وهو يقول : اللهم عمرنا في طاعتك ، ولا تجعلنا من أهل معصيتك ، اللهم اذكرنا ولا تنسانا ، وانصرنا ولا تخذلنا ، وارفعنا ولا تضعنا ، وأعزنا ولا تذلنا ، إنك واسع الرحمة قريب من المحسنين . قال : وخرج المختار في نفر من أصحابه لتشييعه فجعل يقول : اللهم انصر من صبر ، واخذل من كفر ، ومن عصا ومن فجر ، وبايع وغدر ، وعلا وتجبر ، فصار إلى سقر ، لا تبقي ولا تذر ، ليذوق العذاب الأكبر . قال : ثم أقبل على ابن االأشتر فقال : أبا النعمان ! احفظ عني ثلاث خصال أوصيك بها : خف[2] الله في السر والعلانية ، وعجل المسير إلى عدوك ، فإذا[3] عاينتهم فناجزهم وحاكمهم إلى الله فإنه أحكم الحاكمين ! أفهمت ما أوصيتك ؟ فقال : نعم أيها الأمير قد فهمت . قال : فسر الآن راشداً ، صحبك الله وسلمك ، وردك سالماً .

قال : ثم رجع المختار إلى الكوفة ، ومضى ابن الأشتر في جيشه وهو يقول[4] :

أما وحق المرسلات عرفا ... وعصفه للعاصفات عصفا
لنعسفن من بغانا عسفا ... حتى نسوم القوم منا خسفا

---

(١) في الطبري ٦/٨١ وابن الأثير ٢/٦٩٣ بقين .

(٢) عن الطبري ٦/٨٢ وابن الأثير ٢/٦٩٤ وبالأصل : حفظ .

(٣) في الطبري ٦/٨٢ وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ، وإن لقيتهم ليلاً فاستطعت الا تصبح حتى تناجزهم وإن لقيتهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم إلى الله .

(٤) بعض الأرجاز في الطبري ٦/٨١ إلى المختار .

زحفاً إليهم لا نمل زحفا حتى نلاقي[1] بعد صف صفا
وبعد ألف قاسطين ألفا نكشفهم لدى الهياج كشفا

ثم سار ابن الأشتر في جيشه ذلك حتى صار إلى المدائن ، فنزلها أياماً ثلاثة ، ثم رحل عنها وجد السير حتى صار بتكريت ، فلما نزلها أمر بجباية خراجها ، فجبي له الخراج في أيام قلائل ، فأخذه وفرقه على من كان معه من أصحابه ، وبعث إلى عبيد الله بن الحر بخمسة آلاف درهم . قال : فغضب ابن الحر لذلك ، ثم بعث إلى ابن الأشتر فقال : أيها الأمير ! أتبعث إليّ بخمسة آلاف درهم وتقبض لنفسك على ما بلغني عشرة آلاف درهم ! والله ما أنا بدونك في هذا العسكر ، ولا كان الحر بن عمرو بدون أبيك مالك بن الحارث ، فلم تأخذ أنت من المال ما آخذه أنا . قال : فبعث إليه ابن الأشتر : والله يابن عم ! ما أخذتُ إلا كما أخذتَ وقد وجهت إليك بالخمسة آلاف درهم التي صارت إليَّ . قال : فأبى ابن الحر أن يقبل من ذلك شيئاً ، وعزم على مخالفة القوم والخروج عليهم .

ابتداء خبر عبيد الله بن الحر الجعفي

قال أهل العلم كما حدثني به غير واحد من جمع[2] هذه العلوم أن عبيد الله بن الحر كان رجلاً من سادات أهل الكوفة ، وبها ولد وبها نشأ ، وهو عبيد الله بن الحر بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك بن كعب بن[3] عوف بن حريم بن[3] جعفي ، وكان مقيماً بالكوفة في خلافة عثمان بن عفان ؛ قال : فلما قتل عثمان وكان من أمر الجمل ما كان ، خرج عبيد الله بن الحر إلى معاوية بالشام فالتجأ إليه ، ولم يشاهد حرب الجمل ، حتى إذا قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من البصرة إلى الكوفة وخرج إلى الشام فحاربه معاوية فدعاه ثم قال : يابن الحر ! إننا احتجنا إلى معاونتك ولك عندنا بالرضا ! فقال له ابن الحر : إني لا يتهيأ لي ذلك لأنني رجل من الكوفة وهؤلاء الذين مع علي بن أبي طالب أكثرهم قومي وعشائري ، ولم أخرج من عندهم مكرهاً ، ولم يقتل علي عثمان بن عفان فأقاتله ! فإن رأيت أن تعفيني من قتال عليّ فافعل أنت ، فإذا انصرف عنك علي فأقاتل من شئت من بعده . قال : فغضب

---

(١) في الطبري وابن الأثير : لنقتلن بعد .

(٢) الأصل : جميع .

(٣) عن جمهرة ابن حزم ص ٣٨٥ وبالأصل : سعد بن عوف بن .

عليه معاوية وجفاه ، فلزم ابن الحر منزله فلم يشهد مشهداً من حروب صفين[1] ، ولم يزل كذلك إلى أن كان من أمر الحكمين ما كان ، ورجع علي رضي الله عنه إلى الكوفة فنزلها ، وأرسل معاوية إلى عبيد الله بن الحر فدعاه ثم قال : يـابن الحـر ! دعوناك بالأمس إلى قتال رجل قد سار إلينا يريد بوارنا واستئصالنا فلم تجبنا ولم تقاتل معنا ، والآن فقد كفانا الله تبارك وتعالى أمر عليّ وصار إلى الكوفة ، غير أنه بلغني أن جماعة من العرب يصيرون إليك في جوف الليل فيكونون عندك ، فإذا أصبحوا تفرقوا ، فمن هؤلاء يـابن الحـر ؟ فقال : هؤلاء أصحابي الذين قدموا معي من بلدي فيشاورونني في أمورهم وأشاورهم في أمري ومقامي بأرض الشام ! فقال له معاوية : أتظن نفسك قد تطلعت إلى الكوفة والكينونة مع علي بن أبي طالب ؟ فقال ابن الحر : إنه والله لعلى ما ظننت ، وأن بلدي أحبّ إليّ من غيره ، وإنه لقبيح بي أن أترك قومي وعشيرتي وأقيم بالشام غريباً في غير داري ووطني ؛ وأما ما ذكرت من علي فوالله ما أشك أنه على الحق وأنه إمام هدى . فقال رجل من جلساء معاوية : كذبت يـابن الحـر ! بل نحن على الحق ومن أومأت إليه على الباطل ، وما قاتلناه إلا ديانة . فقال ابن الحر : أنت والله أكذب وألأم ولقد قاتلت أخا رسول الله ﷺ وابن عمه ظلماً وعدواناً . قال : ثم وثب ابن الحر فخرج من عند معاوية مغضباً حتى صار إلى منزله ، والتفت معاوية إلى ذلك الرجل فقال : بئس ما صنعت ، نحن أحوج إلى أن ترضي رجلاً مثل هذا من أن تسخطه .

قال : وأرسل ابن الحر في جوف الليل إلى أصحابه وبني عمه فأمرهم بالخروج معه في وقتهم ذلك ، فخرج نحو الكوفة في أصحابه هؤلاء وبني عمه وهم خمسة وثلاثون نفراً ، فجعل يسير حتى إذا أصبح مر ببعض مشايخ معاوية فقاموا إليه وقالوا : من أنت أيها الرجل ؟ فقال أنا عبيد الله بن الحر ، قالوا : فأين تريد ؟ قال : في حاجة ، قالوا : فإننا نخاف أن تكون مخالفاً لأمير المؤمنين وتريد الخروج عليه ، ولسنا بتاركيك أو يأتينا فيك الخبر [من] عند أمير المؤمنين ، فالتفت ابن الحر إلى أصحابه فقال : دونكم القوم ! فهذه أول الغنيمة ! قال : فشد أصحاب عبيد الله بن الحر على هؤلاء القوم ، فقتلوا منهم من قتلوا ، وهربوا الباقين على وجوههم ، وأخذت دوابهم وأسلحتهم .

---

(١) كذا ، وفي الطبري ١٢٨/٦ وابن الأثير ٢٥/٣ شهد مع معاوية صفين (وكان معه لمحبته عثمان : عبارة ابن الأثير) ولم يزل معه حتى قتل علي .

وسار ابن الحر فجعل لا يمر بقرية من قرى الشام إلا أغار عليها هو وأصحابه ، فلم يزل كذلك حتى قدم الكوفة ، وبها يومئذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فصار ابن الحر إلى منزله فإذا قد زوجت امرأته برجل من العرب(١) ، قال : فهم ابن الحر أن يخاصم أولياء المرأة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له بعض بني عمه : أتخاصم إلى رجل كنت بالأمس عليه مع معاوية ؟ فقال ابن الحر : والله ما كنت عليه ساعة قط ، ولو كنت عليه ما خفت أن يجور عليٌّ في الحكم . قال : ثم اختصم ابن الحر مع أولياء المرأة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقضى علي رضي الله عنه بالمرأة لابن الحر ! فانتزعت المرأة من ذلك الرجل وردت إلى ابن الحر . وأقام ابن الحر بالكوفة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يغدو إليه ويروح(٢) . فلم يزل كذلك إلى أن قتل علي رضي الله عنه ، ومات الحسن بن علي ، ومات زياد بن أبيه ، وولي عبيد الله بن زياد البصرة والكوفة من قبل يزيد بن معاوية ، فأنف عبيد الله بن الحر أن يناله القوم بسوء ، فخرج عن الكوفة فنزل بقصر بني مقاتل بن سليمان الحميري ، فلم يزل هنالك مقيماً إلى أن قتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وإلى أن وافى الحسين بن علي فنزل بقصر بني مقاتل ثم بعث إلى ابن الحر يسأله النصرة فأبى عليه ، فتركه الحسين رضي الله عنه ومضى إلى كربلاء فقتل هنالك ـ رضي الله عنه ـ ، وبلغ ذلك ابن الحر فندم على تركه الحسين ندامة شديدة ، وقال في ذلك أبياتاً قد أخلفناها في مقتل الحسين رضي الله عنه .

قال : ثم أقبل ابن الحر حتى دخل الكوفة بعد مقتل الحسين بثلاثة أيام ، وبها يومئذ عبيد الله بن زياد فهو يفتقد أشراف الناس إذا دخلوا عليه فلا يرى فيهم عبيد الله بن الحر ، فلما دخل ونظر إليه ابن زياد وقال : أين كنت يابن الحر ؟ قال : كنت مريضاً أصلح الله الأمير ، فقال : مريض القلب أم مريض الجسد ؟ فقال ابن الحر : أما قلبي فإنه لم يمرض قط والحمد لله ، وأما جسدي فقد كان مريضاً وقد من الله عليّ بالعافية فقال : أبطلت يابن الحر ! ما كنت مع عدونا الحسين بن علي ؟ فقال : إني لو كنت مع الحسين لم يخف عليك مكاني أيها الأمير ! فقال ابن زياد :

---

(١) يقال له عكرمة بن الخبيص (ابن الأثير ٣/٢٥) .

(٢) في ابن الأثير عاد إلى الشام فأقام به حتى قتل عليّ ، فلما قتل أقبل إلى الكوفة . ويفهم من رواية الطبري أنه بقي في الشام أيام معاوية ـ ولم يغادر إلى الكوفة ـ ولم يزل معه حتى قتل عليّ .

أما معنا فلم تكن ، فقال : صدقت أيها الأمير لا أكن معك ولا عليك . قال ابن زياد : وما منعك من نصرة أمير المؤمنين يزيد ؟ فقال منعني من ذلك قول الله تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾[1] . قال : فغضب ابن زياد وهمّ بقتل عبيد الله بن الحر في ذلك الوقت ، ثم إنه خاف أن يشوش عليه أهل الكوفة فسكت ، وخرج عبيد الله بن الحر فصار إلى منزله ثم جمع أصحابه وخرج من الكوفة ليلاً ومعه أصحابه وبنو عمه ، وطلبه عبيد الله بن زياد لكي يرضيه ويعتذر إليه فلم يظفر به[2] .

قال : ومضى عبيد الله بن الحر نحو السواد وأنشأ ، وجعل يقول أبياتاً مطلعها[3] :

يقول أمير[4] غادر وابن غادر ألا كنتَ قاتلت الشهيد[5] ابن فاطمه

إلى آخرها . قال : ثم جعل عبيد الله بن الحر يغير على أطراف السواد وأصحابه ، ويفعل ما يفعل ، وليس أحد يطلبه إلى أن مات معاوية ، وإلى أن مات مروان بن الحكم ، وإلى أن مات عبد الملك بن مروان ، وإلى أن قتل سليمان بن الصرد وأصحابه ـ رحمة الله عليهم ـ بعين الوردة ، وإلى أن صار المختار بن أبي عبيد[6] إلى الكوفة وبايعه من أهلها من بايع ، وبلغ ذلك ابن الحر فأقبل حتى دخل الكوفة ، ثم صار إلى المختار فبايعه ونصره في حروبه الأول ، وفي جبانة السبيع ، ثم خرج مع إبراهيم بن الأشتر ، فلما صار معه إلى تكريت وكان منه إليه ما كان عزم على مخالفته ومخالفة المختار ، فهذا أول خبره[7] .

---

(١) سورة هود الآية ١١٣ .

(٢) في ابن الأثير ٣/٢٥ أن الشرط الذين طلبوه لقوه وقالوا له أجب الأمير ؛ فقال : ابلغوه عني أني لا آتيه طائعاً أبداً ثم أجرى فرسه وأتى منزل أحمد بن زياد الطائي ، فاجتمع إليه أصحابه ثم خرج حتى أتى كربلاء . . . ثم مضى إلى المدائن .

(٣) في ابن الأثير ٣/٢٥ .

(٤) عن ابن الأثير ؛ وفي الأصل : أميري .

(٥) في ابن الأثير : الحسين .

(٦) الأصل : أبي عبيد الله .

(٧) لم يشر الطبري إلى مبايعته للمختار وفيه أنه كان على علاقة صدامية مع المختار ولم يزل كذلك حتى قتل المختار انظر تفاصيل أوردها الطبري ٦/١٢٩ ـ ١٣٠ .

ثم أرسل إلى وجوه أهل العسكر فاختدعهم ثم مناهم وأوعدهم الغنائم ، ثم قال : ما تصنعون بمحاربة عبيد الله بن زياد وأنتم لا تدرون ما يكون الأمر غداً ، اتبعوني فإني أغنيكم وأغني عاقبتكم من بعدكم . قال : فأجابوه إلى ذلك . قال : فخرج بهم من العسكر في جوف الليل ، الواحد بعد الواحد ، والاثنين بعد الاثنين ، والثلاثة بعد الثلاثة ، حتى اجتمع[1] ثلاثمائة رجل ، فسار بهم عبيد الله بن الحر ، فما أصبح إلا على عشرين فرسخاً من تكريت ، ثم أنشأ يقول أبياتاً مطلعها :

عجبت سليمى أن رأتني ساحباً خلق القميص بساعديّ خدوشُ

إلى آخرها . قال : وأصبح ابن الأشتر وقد فقد عبيد الله بن الحر ، فاغتنم لذلك ولم يدر أي طريق سلك وظن أنه قد مضى مستأمناً إلى عبيد الله بن زياد .

قال : وجعل ابن الحر لا يمر ببلد إلا أغار على أهله حتى جمع مالاً عظيماً ، قال لأصحابه : اقسموا هذا المال بينكم ، فلا حاجة لي إلى شيء منه . قال : فاقتسموا ذلك المال بقلنسوة رجل منهم ؛ فأنشأ ابن الحر يقول أبياتاً مطلعها .

أنا الحر وابن الحر يحمل منكبي طوال الهوادي مشرفات الحواركِ

إلى آخرها . قال : وجعل كل من كان مبغضاً للمختار يصير إلى عبيد الله بن الحر ، حتى صار ابن الحر في خمسمائة فارس ، وبلغ ذلك إبراهيم بن الأشتر فكتب إلى المختار يعلمه بذلك ، فقال : قد كان ابن الأشتر أعرف به مني ، ولكني لم أقبل منه .

قال : وأقبل ابن الحر حتى صار إلى هيت وبها يومئذ نائب المختار ، فكبسها ابن الحر وقتل نائبها وأخذ أموالها . ثم سار إلى الأنبار وبها يومئذ نائب للمختار ، فكبسها وقتل نائبها ، واحتوى على بيت المال فأصاب فيه مالاً جزيلاً . فقال لأصحابه : اقتسموا هذا المال بينكم ! قال : فاقتسموه بقلنسوة رجل يقال له دلهم بن زياد المرادي وكانت على مثال المكوك ، ثم أنشأ ابن الحر يقول أبياتاً مطلعها :

أنا الحر وابن الحر يحمل منكبي شديد القصيرى في العباد رحيل

إلى آخرها . قال : وبلغ ذلك المختار فضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ولم يدر

---

(١) الأصل : اجتمعوا .

ما يصنع ، والمختار يومئذ بين جمرتين : جمرة عن يمنه مصعب بن الزبير يومئذ بالبصرة ، والجمرة العظمى عبيد الله بن زياد بالموصل في ثلاث وثمانين[1] ألفاً . قال : فدعا المختار برجل من ثقاته يقال له عبيد الله[2] بن كامل الهمداني ، فقال له : اركب الساعة في مائة رجل من أصحابك ، وصر إلى دار عبيد الله بن الحر فاهدمها، وخذ امرأته فضعها في السجن. قال: فسار عبيد الله بن كامل إلى دار ابن الحر فهدمها ، ولم يمنعه مانع خوفاً من المختار ، وأخذ امرأته ـ ويقال لها أم توبة[3] ، واسمها سلمى بنت خالد الجعفية ـ فحبسها . وبلغ ذلك عبيد الله بن الحر ، فقال لأصحابه : أبلغكم ما صنع المختار ، أنه هدم داري وحبس أهلي في السجن فقالوا : قد بلغنا فأمرنا بأمرك ! فقال : لا تعجلوا ! وأنشأ وجعل يقول :

ألم تعلمي يا أم توبة أنني ... على حدثان[4] الدهر غير بليدِ
أشد حيازيمي لكل كريهة ... وإني على ما نالني لجليد[5]
هم هدموا داري وساقوا حليلتي ... إلى سجنهم والمسلمون شهودي
وهم أعجلوها أن تشد خمارها ... فلله هذا الدهر كيف يعود[6]
فلست بابن الحر إن لم أرعهم ... بخيل عليها الدارعون قعود[7]
وإن لم أصبح شاكراً بكتيبة ... فعالجت بالكفين غل حديدي

قال : ثم جمع عبيد الله بن الحر أصحابه وسار بهم نحو الكوفة حتى كبسها غلساً والناس في الصلاة ، فلم يكذب أن أقبل إلى باب السجن فكسره وأخرج امرأته عنوة وكل من كان في السجن من النساء . قال : ووقعت الضجة في الكوفة بأن عبيد الله بن الحر قد كبس السجن وأخرج امرأته ، ففزع الناس وبلغ ذلك المختار فوجه إليه بعبد الله بن كامل الهمداني وأحمر[8] بن شميط البجلي . قال : ونظر إليهم

---

(١) الأصل : ثمانون .
(٢) في الطبري : عبد الله .
(٣) في الطبري ٦/١٢٩ أم سلمة الجعفية .
(٤) عن الطبري ٦/١٣٠ وبالأصل : حدثات .
(٥) عجزه في الطبري : وإني على ما ناب جدّ جليد .
(٦) عجزه في الطبري : فيا عجباً هل الزمان مقيدي .
(٧) العجز في الطبري : بخيل تعادى بالكماة أسود .
(٨) الأصل : أحمد خطأ ، وقد مرّ مراراً .

عبيد الله بن الحر فحمل عليهم بأصحابه ، فجعل يقاتلهم ويسوق امرأته بين يديه ولم يتبعه أحد من أصحاب المختار ، فأنشأ يقول أبياتاً مطلعها[1] :

ألم تعلمي يا أم توبة أنني أنا الفارس الحامي حقيقة[2] مذحجِ

إلى آخرها.

قال : ثم نزل عبيد الله بن الحر على ميلين من الكوفة ، والمختار يظن أنه قد رحل ومضى ، حتى إذا كان الليل عبى أصحابه وأقبل رويداً حتى كبس الكوفة من ناحية قبائل همدان ، فوقع بحي منهم يقال لهم بنو شبام[3] فقاتلهم وقاتلوه ساعة ، ثم قصده مولى لهم يقال له الأحمق ، والتقيا بضربتين بادره عبيد الله بن الحر بضربة أبدى عن دماغه فسقط قتيلاً ، ثم حمل عليهم ففرقهم يمنة ويسرة ، ثم قال لأصحابه : انصرفوا عنهم الآن فقد أدركت من حي شبام ما أردت ليلتي هذه ، ثم أنشأ عبيد الله[4] بن الحر يقول أبياتاً مطلعها :

صبحت شباماً غارة مشعلة وأخرى نشاهدها صباحاً لشاكرِ

إلى آخرها . قال : وأرسل المختار إلى قبائل همدان من أرحب وشبام وشاكر والسبيع ويام ، فقال : شوه لكم يا معشر همدان ! أن يكون رجل منكم يأتي في نفر من هؤلاء المتلصصة فيكبس دياركم ، ثم يقتل ويفعل ويخرج عنكم سالماً ، أما لكم أنفة ؟ أما فيكم من يخاف أن يعير بهذا آخر الدهر ؟ قال فقال[5] القوم : كفيت أيها الأمير ! وأي ذلك لعار علينا كما ذكرت ، غير أننا عزمنا على المسير إليه حيث كان ، وليس نرجع إليك إلا برأسه ، فابشر لذلك وقر عيناً .

قال : ثم اجتمعت قبائل همدان في ثلاثمائة فارس ، حتى وافوا الكوفة في

---

(١) الأبيات في الطبري ٦/١٢٩ وابن الأثير ٣/٢٦ .

(٢) في الطبري وابن الأثير : حقائق .

(٣) وكان عبيد الله بن الحر قد أبلغ أن عمرو بن سعيد بن قيس الهمداني هو الذي هدم منزله واقتاد امرأته (الأخبار الطوال ص ٢٩٧ الطبري ٦/١٣٠) وقد أشار عبيد الله إلى ذلك بقوله :

وما ترك الكذاب من جل مالنا ولا الرزق من همدان غير شريد

أفي الحق أن ينهب ضياعي شاكر وتأمن عندي ضيعة ابن سعيد

(٤) الأصل : عبد الله .

(٥) الأصل : فقالوا .

رونق الضحى ، وهمدان يومئذ في ثلاثمائة من قبائلهم وثلاثمائة من أصحاب المختار ، فلم يشعروا إلا وعبيد الله بن الحر قد وافاهم حاسر الرأس وهو يرتجز ويقول:

إني أنا الحر وابن الحر ذو حسب مذحج وفخر
وقادح لكم غداة الذعر بالضرب أحياناً وطعن شزر

قال: وتنادت همدان من كل ناحية ، وحملوا عليه وحمل عليه السبيع ، ويقول له عمرو بن نفيل : إليّ يابن الحر ! ودع الناس جانباً ! قال : فحمل عليه [ابن] الحر ، والتقيا بضربتين ضربة ألزمه الحضيض ، ثم ولى وولى القوم الأدبار ، فكف عنهم ابن الحر وقال لأصحابه : لا تتبعوهم ! فحسبهم ما نالهم عاراً ، وكفاهم ما نالهم به ذلاً وشناراً ، إنهم أصبحوا في ديارهم فما حموا كريماً ، ولا منعوا حريماً .

قال : ثم خشي عبيد الله بن الحر أن تدهمه خيل المختار بأجمعها أو تجتمع عليه أهل الكوفة فلا يكون له بهم طاقة ، فصاح بأصحابه ومضى حتى خرج من الكوفة ، فأنشأ يقول أبياتاً مطلعها :

لقيت شباماً عند مسجد مخنف وقبل شبام شاكراً وسبيعا

إلى آخرها .

قال : ثم جعل عبيد الله بن الحر يغير على سواد الكوفة ، ويقتل نواب المختار ، ويمثل بهم ، ويكبس المدن والقرى ، ويأخذ الأموال حتى إذا علم أنه قد استقل بالأموال واكتفى من الرجال والآلة والسلاح سار إلى البصرة . وبها يومئذ مصعب بن الزبير في وجوه الأزارقة ، فاستأمن إليه عبيد الله بن الحر . قال : فقربه مصعب وأدناه وأجلسه معه على سريره وأكرمه كرامة لم يكن مثلها أحداً قبله ممن قصده ، وجعل ابن الحر يحدث مصعباً بما كان من أمره وأمر المختار وإبراهيم بن الأشتر قال : وبلغ ذلك المختار ، فكأنه سر بمسير عبيد الله بن الحر إلى مصعب بن الزبير ، فهذا أول خبر عبيد الله بن الحر وخروجه على المختار ، وسنرجع إلى خبره بعد قتل المختار وخروجه على مصعب بن الزبير ـ إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ .

ثم رجعنا إلى خبر إبراهيم بن الأشتر وعبيد الله بن زياد

قال: ثم كتب المختار إلى إبراهيم بن الأشتر أن صر إلى أرض الموصل فناجز عدوك، فقد كفانا الله أمر ابن الحر، فإن أظفرنا الله بابن زياد وأصحابه المحلين لن نرهب بعده أحداً من الظالمين ـ والسلام ـ. قال: فلما ورد كتاب المختار على إبراهيم بن الأشتر نادى في أصحابه، ثم سار بهم فجعل يطوي البلاد طياً حتى نزل على خمسة فراسخ من الموصل[1]، وعبيد الله بن زياد يومئذ بالموصل قد أخذ خراجها وفرقه في أصحابه، فلما بلغه مسير ابن الأشتر إلى ما قبله رحل من الموصل في ثلاثة وثمانين ألفاً، حتى نزل قريباً من عسكر إبراهيم، وإبراهيم يومئذ في أقل من عشرين ألفاً.

خبر عمير بن الحباب السلمي

قال: وفي عسكر عبيد الله بن زياد يومئذ من الأشراف رجل يقال له عمير بن الحباب، فأرسل إليه إبراهيم بن الأشتر أن قد أعطيتك الأمان، ولك عندي الحبا والكرامة إن رزقني الله من هذا الجيش السلامة، فهلم إلينا رحمك الله آمناً مطمئناً قال: فخرج إليه عمير في جوف الليل في ألف فارس من بني عمه ومواليهم، حتى وافا إلى ابن الأشتر، فأكرمه ابن الأشتر وأوعده ومناه وبر أصحابه بمال فرقه عليهم. قال: وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فأقلقه ذلك[2] وقال: يخرج رجل من عسكري في ألف فارس ولا يعلم به، أن هذا الأمر لا يراد.

قال: وأقبل ابن الأشتر على عمير بن الحباب هذا فقال: إني رأيت أن أخندق على عسكري خندقاً، فما الذي تراه؟ فقال له عمير بن الحباب مهلاً أيها الأمير! فإن القوم يحبون أن يطاولوك، فإن طاولتهم فهو خير لهم، ولكن ناجزهم فإنهم قد ملئوا خوفاً ورعباً، ولا تدعهم أن يشاموا أصحابك فيذوقهم يوماً بعد يوم فيجترئوا عليهم،

---

(١) في خازر إلى جنب قرية يقال لها باربيثا (الطبري). وفي ابن الأثير: بارشيا.

(٢) في الطبري ٦/٨٦ وابن الأثير ٣/٥ أن عمير بن الحباب السلمي التقى بإبراهيم بن الأشتر ليلاً وبايعه واتفق معه إن بدأ القتال ينهزم بمن معه من الناس ثم انصرف إلى معسكره مع عبيد الله بن زياد. وانظر الأخبار الطوال ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

ولكن صادمهم بخيلك ورجلك ، فإنك بحمد الله على الحق وإنهم على الباطل ، والله مظفرك بهم وناصرك عليهم بحوله وقوته . قال فقال ابن الأشتر : الآن قد علمت أنك ناصح لي ، ولقد أصبت الرأي فيما أشرت به عليَّ ، وبهذا أوصاني صاحبي المختار ، وأنا عازم على ما أشرت ، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

قال : وجعل عبيد الله بن زياد يقول لأصحابه : إني لأعجب من هذا الغلام إبراهيم بن الأشتر ومسيره إليَّ بهذا الجيش وعهدي به بالأمس بالكوفة ، وقد كان يلعب بالحمام ، ولعل أجله قد اقترب . قال : وبات(١) الفريقان ليلتهم تلك وابن الأشتر لا يغمض لا هو ولا أحد من أصحابه لما يريدون أن يقدموا عليه من محاربة ذلك الخلق العظيم ، حتى إذا كان قريباً من وقت السحر وثب القوم وصلوا بغلس ، وعبى ابن الأشتر أصحابه ، فجعل على ميمنته سفيان بن يزيد بن المغفل(٢) الأزدي ، وعلى ميسرته علي بن مالك الجشمي(٣) ، وعلى أعنة الخيل الطفيل بن لقيط الحنفي ، وعلى الرجالة مزاحم بن مالك السكوني(٤) .

ابتداء الوقعة ومن قتل فيها

قال : وزحف القوم بعضهم إلى بعض ، وتقدمت الرجالة بين أيديهم ، وابن الأشتر ينهاهم عن الجزع والفشل ، ثم زحف بأصحابه رويداً حتى إذا أشرف على تل عظيم فنظر إلى عسكر القوم وتأملهم ، وأهل الشام بعد لم يتحركوا ولا ظنوا أن أهل العراق يقدمون عليهم ؛ فلما نظروا إلى الخيل وقد وافتهم بادروا إلى خيولهم ، وقدموا الرجالة بين أيديهم ، فخيلهم ستون ألفاً ورجالتهم اثنان وعشرون ألفاً . قال : فعباهم عبيد الله بن زياد . فجعل على ميمنته شرحبيل بن ذي الكلاع ، وعلى ميسرته ربيعة بن مخارق الغنوي ، وعلى جناح ميسرته عبد الله بن حملة الخثعمي ، وفي القلب يومئذ الحصين بن نمير السكوني(٥) . قال : وأنفض عليهم أهل العراق مستعدين للموت وهم يقولون : اللهم إننا ما خرجنا إلى حرب هؤلاء القوم إلا شارين

(١) الأصل : وباتوا الفريقين

(٢) عن الطبري ٦/٨٧ وبالأصل : معقل .

(٣) من الطبري وبالأصل : الحثمي .

(٤) في الطبري وبعث عبد الرحمن بن عبد الله على الخيل ، وجعل على رجالته الطفيل بن لقيط وكانت رايته مع مزاحم بن مالك .

(١) انظر في تعبئة ابن زياد جيشه الطبري ٦/٨٨ ـ ٨٩ وابن الأثير ٦/٣ باختلاف بين النصوص .

بدمائنا وأموالنا الجنة ، طالبين بدماء أهل بيت نبيك محمدﷺ ، فانصرنا عليهم كيف شئت وأنى شئت ، إنك على كل شيء قدير . قال : فوقف الفريقان بعضهم ينظر إلى بعض ، وتقدم رجل من عتاة أهل الشام ومردتهم يقال له عوف بن ضبعان الكلبي حتى وقف بين يدي الجمعين على فرس أدهم ثم نادى: ألا يا شيعة أبي تراب ! ألا يا شيعة المختار الكذاب ! ألا يا شيعة ابن الأشتر المرتاب ! من كان منكم يدل بشجاعته وشدته فليبرز إليّ إن كان صادقاً ، وللقرآن معانقاً ! ثم جعل يجول في ميدان الحرب وهو يترجز ويقول :

أنا ابن ضعبان الكريم المفضل ... إني أنا الليث الكمي الهذلي
من عصبة يبرون من دين علي ... كذاك كانوا في الزمان الأول

يا رجال ! فما لبث أن خرج إليه الأحوص بن شداد الهمداني وهو يرتجز ويقول : [1]

أنا ابن شداد على دين علي ... لست لمروان ابن ليلى بولي[2]
لأصطلين الحرب فيمن يصطلي ... أحوص نار الحرب حتى تنجلي[3]

قال: فجعل الشامي يشتم الأحوص بن شداد، فقال له الأحوص[4]: يا هذا لا تشتم إن كنت غريباً ، فإن الذي بيننا وبينكم أجل من الشتيمة ، أنتم تقاتلون عن بني مروان ، ونحن نطالبكم بدم ابن بنت نبي الرحمن ، فادفعوا إلينا هذا الفاسق اللعين عبيد الله بن زياد ، الذي قتل ابن بنت نبي رب العالمين محمد ﷺ ، حتى نقتله ببعض موالينا الذين قتلوا مع الحسين بن علي ، فإننا لا نراه للحسين كفؤاً فنقتله به ، فإذا دفعتموه إلينا فقتلناه جعلنا بيننا وبينكم حكماً من المسلمين ؛ فقال له الشامي : إننا قد جربناكم[5] في يوم صفين عندما حكمنا وحكمتم ، فغدرتم ولم ترضوا بما حكم عليكم . قال : فقال له الأحوص بن شداد : يا هذا إن الحكمين لم يحكما

---

(١) الأرجاز في الطبري ٦/ ٥٠ ونسبت إلى عبد الله بن شداد .
(٢) في الطبري : لست لعثمان بن أروى بولي .
(٣) في الطبري :
لأصلين اليوم فيمن يصطلي ... بحر نار الحرب غير مؤتلِ
(٤) نسب هذا القول في الطبري ٦/ ٨٧ إلى عبد الله بن زهير السلولي .
(٥) عن الطبري ، وبالأصل : حاربناكم .

برضا الجميع ، وأحدهما خدع صاحبه الآخر ، والخلافة لا تعقد في الخديعة ، ولا يجوز في الدين إلا النصيحة ، ولكن ما اسمك أيها الرجل ؟ فقال الشامي : اسمي منازل الأقران حلال ! فقال له الأحوص بن شداد : ما أقرب الاسمين بعضهم من بعض ، أنت منازل الأبطال ، وأنا مقرب الآجال ! ثم حمل عليه الأحوص والتقيا بضربتين ضربه الأحوص ضربة سقط الشامي قتيلاً ؛ فجال الأحوص في ميدان الحرب ونادى : يا قتلة الحسين : هل من مبارز ! فخرج إليه داود بن عروة الدمشقي مقنعاً في الحديد على كميت له وهو يقول :

أنا ابن من قاتل في صفينا قتال قرم لم يكن غبينا
بل كان فيها بطلاً حرونا مجرباً لدى الوغا كمينا

قال : فضمه إليه الأحوص بن شداد الهمداني وجعل يقول:

يا بن الذي قاتل في صفينا ولم يكن في دينه غبينا
كذبت قد كان بها مغبونا مذبذباً في أمره مفتونا
لا يعرف الحق ولا اليقينا بؤساً له لقد مضى ملعونا

قال : ثم التقيا فضربه الأحوص ضربة ألحقه بصاحبه ، ثم رجع إلى صفه

وخرج الحصين بن نمير السكوني وهو يقول شعراً ، قال : فما لبث أن خرج إليه فتى من أهل الكوفة يقال له شريك بن جدير التغلبي[1] مجيباً له وهو يقول شعراً . قال : فحاوله الحصين بن نمير السكوني فالتقيا بضربتين ، ضربه الثعلبي ضربة جدله قتيلاً ؛ فدخل على قتلة الحسين رضي الله عنه من أهل العراق مدخل عظيم .

وتقدم إبراهيم بن الأشتر يومئذ على فرس له أغر محجل حتى وقف بين الجمعين ، ثم نادى بصوت جهوري[2] : ألا يا شرطة الله ! يا شيعة الحق ! ألا يا أنصار الدين ! قاتلوا المحلين وأولاد القاسطين ، وأعوان الظالمين ، وجنود ابن مرجانة اللعين ؛ أيها الناس ! لا تطلبوا أثراً بعد عين ، هذا عبيد الله بن زياد ، قاتل الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، هذا الذي حال بين الحسين وبين ماء الفرات أن يشربوه وهم ينظرون إليه ، هذا الذي بعث إلى الحسين بن علي أن لا أمان لك عندي أو تنزل على حكمي ، ثم عدا عليه فقتله وقتل أهل بيته ، وساق حرم

---

(١) عن الطبري ٦/٩٠ وابن الأثير ٣/٧ وبالأصل : حريم الثعلبي .
(٢) انظر الطبري ٦/٨٨ .

رسول الله ﷺ كسبايا الروم والترك والديلم من بلد إلى بلد ، حتى أدخلوا على يزيد ، إنه ما فعل فرعون ببني إسرائيل ما فعل هذا الملعون بأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وها هو قد جاءه الله بكم وجاءكم به ، ولا أنتم في بلدكم ولا هو في بلده ، والله إني لأرجو أن يكون الله تعالى لم يجمع بينكم وبينه في هذا الموضع إلا لهلاكه وهلاك من معه من هؤلاء المحلين .

قال : ثم تقدم إبراهيم بن الأشتر قدام أصحابه فجعل يضرب بسيفه قدماً قدماً وهو يقول شعراً . قال : ثم حمل وحمل(١) معه أهل العراق بأجمعهم ، ثم اختلط(٢) القوم فاصطفقوا بالسيوف ، وتطاعنوا بالرماح ، وتراموا بالسهام ؛ وجعل إبراهيم بن الأشتر يقول لصاحب رايته : تقدم بين يديك ، فداك أبي وأمي ولا تجزع ! فوالله ما أشبه هذا اليوم إلا بيوم الخميس وليلة الهرير بصفين . قال : فجعل صاحب راية ابن الأشتر يتقدم وأهل العراق يقاتلون ويتبعون الراية . قال : ونظر رجل من أهل الشام إلى صاحب راية ابن الأشتر فحمل عليه ، والتقوا واعتنقوا وسقطوا جميعاً عن فرسهم إلى الأرض ، فجعل يقول هذا : اقتلوني وأين كذا وكذا ! وهذا يقول : اقتلوني وأين كذا وكذا ! فقتل الشامي وانفلت صاحب راية ابن الأشتر.

قال : وحان وقت الصلاتين جميعاً الظهر والعصر ، فما صلى القوم إلا بالإيماء والتكبير ، حتى إذا كان في وقت اصفرار الشمس انهزم(٣) أهل الشام نحو مدينة الموصل ، وأخذهم السيف ، والقوم ينهزمون والسيف في أقفيتهم ، واختلط الظلام . ونظر إبراهيم بن الأشتر إلى رجل من القوم وعليه بزة حسنة ، ودرع سابغ ، وعمامة خز دكناء ، وديباجة خضراء من فوق الدرع ، وقد أخرج يده من الديباجة وفيها صفيحة له مذهبة . قال : فقصده ابن الأشتر لا لشيء إلا لتلك الصفيحة التي في يده والفرس التي تحته ، حتى إذا لحقه لم يكذب أن ضربه ضربة فشرقت يداه وغربت رجلاه ، واتكأ ابن الأشتر في ركابه فتناول الصفيحة ، وغار الفرس فلم يقدر عليه ! ولم يبصر الناس بعضهم بعضاً من شدة الظلمة ، فتراجع أهل العراق إلى عسكرهم والخيل لا تطأ إلا على القتلى .

---

(١) الأصل : وحملوا .
(٢) الأصل : اختلطوا .
(٣) الأصل : انهزموا .

قال : وأصبح(١) الناس وقد فقد من أهل العراق ثلاثمائة وسبعون رجلاً ، وأهل الشام قد كانوا في اثنين وثمانين ألفاً فانفلت عشرة آلاف وثمانية رجال عامتهم جرحى ، وقد ذكر ذلك بعض الشعراء في شعر له ، قال : ثم اقبل ابن الأشتر على أصحابه فقال : ويحكم إني أتبعت البارحة رجلاً وقد اختلط الظلام ، فشممت منه رائحة المسك ، ورأيت في يده هذه الصفيحة ، ورأيت تحته فرساً جواداً فلم أزل حتى ضربته ضربة شرقت يداه وغربت رجلاه ، فمددت يدي فأخذت هذه الصفيحة وفاتني الفرس ! فقال له بعض أصحابه : أصلح الله الأمير ! الفرس عندي وأنا آتيك به ، وقد جعله الله لك . قال ابن الأشتر : فصيروا إذاً إلى شاطىء الفرات موضع كذا وكذا فإنكم ترون الرجل قتيلاً ، فانظروا من هو ؟ فإن نفسي تحدثني أنه عبيد الله بن زياد ! فمضوا فوجدوه ، فأتوا برأسه حتى وضعوه بين يديه ، فلما رآه كبر وخر ساجداً ، ثم رفع رأسه وقال : الحمد لله الذي أجرى قتله على يدي . فأنشأ بعض أصحابه في ذلك يقول أبياتاً مطلعه(٢) :

أتاكم غلام من عرانيين مذحج　　جريٌ على الأعداء غير نكول

إلى آخرها . قال : ثم أمر إبراهيم بن الأشتر برأس عبيد الله بن زياد ، ورأس الحصين بن نمير السكوني ، وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري ، وربيعة بن مخارق الغنوي ومن أشبههم من رؤساء أهل الشام ، فجمعت ثم قورت ونفضت ، وكتبت الرقاع وعلقت في آذانهم بأسمائهم ؛ ثم جمعت أيضاً رؤوس القوم عن آخرها وبعث بها إلى المختار ، وكتب إليه ابن الأشتر يعلمه بالوقعة ، وكيف أهلك الله القوم ، وأباد خضراءهم ، وبدد شملهم .

قال : فوردت الرؤوس يومئذ على أهل الكوفة زيادة على سبعين ألف رأس ، وفي أوائلها رأس عبيد الله بن زياد . قال : فقوم من شيعة بني أمية اشتد عليهم ذلك ، وأما شيعة آل محمد ﷺ فجعلوا يكبرون ويقولون : الحمد لله الذي قتل المحلين ، وشفا غليل المؤمنين .

قال : وبعث المختار برأس عبيد الله بن زياد والحصين وشرحبيل ومن أشبههم

---

(١) الأصل : أصبحوا .
(٢) هو سراقة بن مرداس البارقي قالها يمدح إبراهيم بن الأشتر . الطبري ٩٢/٦ ابن الأثير ٩/٣ البداية والنهاية . وديوانه ص ٨١ .

إلى محمد ابن الحنفية ، وأما باقي هذه الرؤوس فصلبت حول الكوفة . وكتب المختار إلى محمد ابن الحنفية رضي الله عنه كتاباً و[وجّه] معه ثلاثون ألف دينار .

ذكر الكتاب إلى محمد ابن الحنفية رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم ، للمهدي محمد بن علي ، من المختار بن أبي عبيد ، سلام عليك ! أما بعد ، فالحمد لله الذي طلب لك بالأوتار ، وأخذ لك بالثأر من الأشرار وأبناء الفجار ، فقتلهم في كل فج بقهر ، وغرقهم في كل بحر ونهر ، فشفى بذلك قلوب المؤمنين ، وأقر به عيون المسلمين ، وأهلك المحلين الفاسقين ، وأولاد القاسطين ، فأبادهم رب العباد أجمعين ، فنزل بهم ما نزل بثمود وعاد ، وغرقهم تغريق فرعون ذي الأوتاد ، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، قد قتلوا أشر قتلة ، ومثل بأشرافهم أقبح مثلة ؛ فاحمد الله أيها المهدي على ما أتاك ، واشكره على ما أعطاك ، وأنعم عليك وأولاك ؛ وقد وجهت إليك بثلاثين ألف دينار لتصرفها في أهل بيتك وقرابتك ومن لجأ إليك من شيعتك ـ والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته ـ .

قال : فلما ورد كتابه على محمد ابن الحنفية وقرأه على أهل بيته وشيعته خر القوم سجداً . ثم قام محمد ابن الحنفية وصلى ركعتين شكراً لله تعالى إذ قتل عبيد الله بن زياد وأصحابه ، ثم أمر بالرؤوس أن تنصب خارج الجسر ، فمنعه ابن الزبير من ذلك وأمر بالرؤوس فدفنت ؛ ثم قسم محمد ابن الحنفية ذلك المال في أهل بيته وشيعته وقرابته .

قال : ونظر عبد الله بن الزبير إلى غلبة المختار على البلاد ، فاشتد ذلك عليه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ولم يدر ما يصنع ؛ قال : وسار ابن الأشتر حتى نزل الموصل ، واحتوى على أرض الجزيرة كلها ، فأخذها وجبى خراجها ، ووجه ببعض ذلك إلى المختار ، وفرق باقي ذلك على أصحابه . قال : فصارت الكوفة وسوادها إلى حلوان إلى الماهين إلى الري وما والاها في يدي المختار ، والجزيرة بأجمعها من ديار ربيعة ومضر في يد إبراهيم بن الأشتر ونوابه بها[1] ، والشام

---

(١) أنفذ إبراهيم عماله إلى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله (أخوه لأمه) إلى نصيبين ، وولى السفاح بن كردوس على سنجار ، وزفر بن الحارث على قرقيسيا وحاتم بن النعمان الباهلي حران والرها =

كلها وأرض مصر إلى الواحات[1] في يدي عبد الملك بن مروان ، والحجاز كلها وأرض اليمن في يد عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير بالبصرة ، والمهلب بن أبي صفرة من قبل مصعب في وجوه الأزارقة يحاربهم .

ابتداء مسير مصعب من البصرة إلى الكوفة ومقتل المختار رحمه الله

قال : ونظر مصعب بن الزبير إلى إبراهيم بن الأشتر وقد احتوى على البلاد من الجزيرة وقد بقي المختار بالكوفة ، فعزم على المسير إليه وكتب إلى المهلب بن أبي صفرة : أما بعد ، فإننا قد عزمنا على المسير إلى الكوفة إلى محاربة المختار الكذاب ، غير أني قد أحببت أن تشهد أمرنا ، فإذا ورد كتابي هذا عليك فولّ[2] بعض أولادك حرب الأزارقة وأقبل إلينا راشداً إن شاء الله ـ والسلام ـ. قال: ثم دفع الكتاب إلى محمد بن الأشعث بن قيس الكندي[3] فقال له : سر إلى المهلب فليس له أحد سواك ، فإنه إذا نظر إليك رسولاً علم أن الأمر جد فلا يتخلف ، وانظر لا تفارقه وأشخصه معك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

قال : فأخذ محمد بن الأشعث الكتاب وسار إلى المهلب والمهلب يومئذ بسابور من أرض فارس يحارب الأزارقة ، فلما قرأ الكتاب قال : يا سبحان الله ! أما وجد الأمير بريداً سواك ؟ فقال محمد بن الأشعث : أبا سعيد ! والله ما أنا ببريد لأحد ، غير أن نساءنا وأبناءنا وأموالنا وعقارنا ومنازلنا في يد المختار ، وقد غلبنا على ذلك وأجلانا عن بلدنا ، وهذا إبراهيم بن الأشتر قد غلب على بلاد الجزيرة وخالف على المختار ، والمختار اليوم فليس معه جيش ، وإنما هو شرذمة قليلة ، وإني لأرجو أن يظفرنا الله به فنرجع إلى نعمتنا التي لم تزل لنا ولآبائنا من قبلنا .

= وسميساط وناحيتها وعمير بن الحباب كفرتوثا وطور عبدين ومسلم بن ربيعة العقيلي على آمد (ابن الأثير ٨/٣ الأخبار الطوال ص ٢٩٧) .

(١) الواحات : . . . ثلاث كور في غربي مصر ثم في غربي الصعيد (معجم البلدان) .

(٢) الأصل : فولى .

(٣) في الطبري ٩٤/٦ وابن الأثير ١٠/٣ أن مصعب بن الزبير أرسل كتاباً إلى المهلب يدعوه فيه للمجيء إليه لمحاربة المختار فأبطأ عليه كراهية الخروج معه وقد اعتل عليه بشيء من الخراج . فأرسل عندئذ إليه محمد بن الأشعث .

قال : فدعا المهلب برؤساء أصحابه فأحضرهم بين يديه ، ثم حمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ! إن الأزارقة ليس يريدون إلا ما في أيديهم ، والمختار يريد ما يكون في أيديكم ، وهذا كتاب مصعب بن الزبير يأمرني فيه بالقدوم عليه ، فاستمعوا له وأطيعوا أمره ! فوالله ما رأيت صواباً قط إلا سبقني إليه ، وقد تعلمون أنه ليث عبوس ، للأقران فروس ، وهو خليفتي عليكم[1] إلى حين رجوعي إليكم - إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - .

قال : ثم ودع المهلب أولاده وأهل عسكره ، وسار في ألف رجل من فرسان عسكره حتى قدم البصرة ، ودخل على مصعب بن الزبير ، فقربه وأدناه وأجلسه معه على سريره ، وأمر له بخلعة وجائزة ثم أمره بالتأهب إلى محاربة المختار . فقال له المهلب : أيها الأمير ! أنا متأهب لك فاعزم إذا شئت ! قال : فعندها أمر مصعب عسكره وأصحابه أن يعسكروا عند الجسر الأعظم . ثم خرج وخرج[2] الناس معه من البصرة ، وجعل على كل قبيلة من قبائل العرب رئيساً يقتدون به وبرأيه وينتهون إلى أمره ، فعلى قريش وأحلافها عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، وعلى بني تميم كلها الأحنف بن قيس التيمي ، وعلى قيس عيلان قيس بن الهيثم[3] السلمي ، وعلى بني بكر بن وائل مالك بن مسمع الجحدري ، وعلى قبائل عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود العبدي ، وعلى قبائل كندة محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، وعلى قبائل مذحج عبيد الله بن الحر الجعفي ، وعلى قبائل الأزد يومئذ المهلب بن أبي صفرة .

قال : وبلغ ذلك المختار فعلم أنه قد أوتي من قبل إبراهيم بن الأشتر ، لأنه قد

---

(١) ، كذا بالأصل ويبدو أن هناك نقصاً في الكلام . والعبارة في الكامل للمبرد ١٢٦٥/٣ أن مصعب كتب إلى المهلب : أن أقدم عليّ واستخلف ابنك المغيرة ففعل فجمع الناس فقال لهم : إني قد استخلفت عليكم المغيرة وهو أبو صغيركم رقة ورحمة وابن كبيركم طاعة وبراً وتبجيلاً وأخو مثله مواساة ومناصحة فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم فوالله ما أردت صواباً قط إلا سبقني إليه . ثم مضى إلى مصعب .

وكتب مصعب إلى المغيرة بولايته وكتب إليه : إنك لم تكن كأبيك ، فإنك كاف لما وليتك ، فشمر واتزر وجد واجتهد .

وفي الأخبار الطوال ص ٣٠٥ لم يستخلف أحداً بل سأل قطري بن الفجاءة الموادعة إلى أجل . فأجابه إلى ذلك .

(٢) الأصل : خرجوا .

(٣) عن الطبري ٩٥/٦ وابن الأثير ١٠/٣ وبالأصل : الهضيم .

خذله وقعد عنه ، فقام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[1] : أما بعد يا أهل الكوفة ! فإن أهل مصركم الذين بغوا عليكم ، وقتلوا ابن بنت نبيكم الحسين بن علي ، قد كانوا لجأوا إلى أمثالهم من الفاسقين ، فاستعانوا بهم عليكم ، لما علموا أن ابن الأشتر خذلني وقعد عن نصرتي ؛ وقد بلغني أنهم خرجوا من البصرة في جيش لجب إلى قبلكم ، وإنما يريدون قتلي ليضمحل الحق ، وينتعش الباطل ، ويقتل أولياء الله ، ألا فانتدبوا رحمكم الله مع الأحمر بن شميط[2] البجلي ، فإني أرجو أن يهلكهم الله على أيديكم هلاك عاد وثمود وما ذلك على الله بعزيز . قال : فأجابه[3] الناس إلى ذلك من كل جانب وقالوا : سمعنا وأطعنا.

ثم خرج وخرج بهم الأحمر بن شميط حتى عسكر بهم على موضع يقال له حمام أعين ، وخرج إليه أمراء الأجناد فعسكروا معه في قريب من ثلاثة آلاف فارس وراجل ، ثم سار الأحمر بأهل الكوفة حتى نزل المذار[4] وأقبل إليه مصعب بن الزبير حتى نزل قريباً منه في سبعة آلاف ما بين فارس وراجل ودنا القوم بعضهم من بعض ، وتقدم عباد بن الحصين الحبطي[5] حتى وقف بين الجمعين ثم نادى بأعلى صوته : ألا يا شيعة المختار ! إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير . قال : فقال عبد الله بن كامل الهمداني : ونحن أيضاً ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، وإلى بيعة المختار بن [أبي] عبيد ، وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول ﷺ ، فمن زعم أنه أحق بهذا الأمر منهم برئنا منه في الدنيا والآخرة وجاهدناه حق الجهاد .

قال : فلما سمع مصعب بن الزبير ذلك غضب فقال : احملوا عليهم ! فحمل عباد بن الحصين في قبيلة عظيمة على أصحاب المختار ، فلم يزل منهم واحد عن موقفه قال : فعندها صاح محمد بن الأشعث وقال : يا أهل العراق ! إلى متى

---

(١) الطبري ٦/٩٥ .

(٢) في الأخبار الطوال ص ٣٠٥ سليط . وفي معجم البلدان : سميط .

(٣) الأصل : أجابوه .

(٤) عن الطبري ٦/٩٦ ابن الأثير ٣/١٠ والأخبار الطوال ص ٣٠٥ والكامل للمبرد ٣/١٢٦٥ وبالأصل : المدائن .

والمذار : بين واسط والبصرة .

(٥) عن الطبري ٦/٩٩ وبالأصل : الحنطي .

وحتى متى نكون أذلاء مشردين مطرودين عن أهلنا وأولادنا ، كروا عليه كرة صادقة فإنهم مغلوبون إن شاء الله . قال : فاضطرب القوم وتصادموا ، وحنق بعضهم على بعض ، ووقعت الهزيمة على أصحاب المختار(١) ، وقتل صاحبهم الأحمر بن شميط وانكشفوا فولوا الأدبار ، وأخذهم السيف ، فأما الرجالة فما التفت منهم أحد ، وأما الخيل فما انفلت منهم إلا الجواد ، فدخل أقلهم إلى الكوفة بأشر حالة تكون حتى صاروا إلى المختار ، فأخبروه بذلك ، فأنشأ الأعشى يقول شعراً(٢) .

قال : ونزل بالمختار أمر عظيم من قتل أصحابه ، وأيقن بالهلكة ، ولم يجد بداً من التشجع ، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر كتابًا بعد كتاب يسأله المسير إليه فلم يفعل ، وأقبل مصعب بن الزبير حتى نزل في موضع واسط ؛ ثم أمر أصحابه الرجالة فقعدوا في السفن وساروا إلى نهر يخرجهم إلى الفرات . قال : وبلغ ذلك المختار فأمر كل نهر علم أنه يحمل من الفرات فسكر(٣) بعضها بعضاً ، فبقيت سفن أصحاب مصعب في الطين ، فلما نظروا إلى ذلك خرجوا من السفن وأقبلوا يسيرون نحو الكوفة ومصعب قد سار في خيله على الظهر حتى وافى أصحابه .

قال : ودعى المختار برجل من أصحابه فاستخلفه على الكوفة ؛ وقد أعد في القصر جميع ما احتاج إليه من آلة الحصار ، ثم أقبل حتى نزل بحروراء(٤) ودنا القوم بعضهم من بعض . فقال المختار : يا له من يوم لو حضرني فيه ابن الأشتر ! ولكنه قعد عني وخذلني ، ووالله ما من الموت بد ! قال : واختلط الفريقان(٥) ، فأرسل مصعب بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة يقول: أبا سعيد ! رحمك الله ما تنتظر أن تحمل على من بازائك ؟ أما ترى إلى تعبية جيش هذا الكذاب ! فالتفت المهلب إلى بعض أصحابه فقال : إن الأمير(٦) أعزه الله يظن أننا نلعب ، ولا يعلم أني قاتلت

---

(١) انظر تفاصيل حول المعركة وردت في الطبري ٩٧/٦ وابن الأثير ١٠/٣ والأخبار الطوال ص ٣٠٥ .

(٢) ذكرت الأبيات في الطبري ٩٧/٦ والأخبار الطوال ص ٣٠٦ ومطلعها :

ألا هل أتاك والأنباء تنمي ... بما لاقت بجيلة بالمذار

في أبيات .

(٣) عن الطبري ، وبالأصل : فكسر . وسكر النهر أي سدّ فاه .

(٤) عن الطبري ٩٩/٦ وبالأصل : حزوى ، وحروراء : قرية بظاهر الكوفة .

(٥) الأصل : واختلط الفريقين .

(٦) الأصل : الأشتر خطأ .

قتالاً هو أشد من هذا ، ولكن احملوا واستعينوا بالله واصبروا .

قال : ثم حمل المهلب وحمل الناس معه حملة صادقة ، فحطموا أصحاب المختار وكشفوا ؛ فصاح المختار بأصحابه : لا بأس عليكم أنا أبو إسحاق أنا جزار القاسطين ، أين أصحاب الصبر واليقين ، إليّ إليّ رحمكم الله ! قال : فثاب إليه زهاء عن خمسمائة رجل ، ليس فيهم رجل إلا وهو يعد برجال ، فجعلوا يقاتلون قتالاً لم يسمع الناس بمثله . والتفت رجل من أصحاب المختار يقال له عبد الله بن عمرو النهدي فقال : ويحكم أروني الموضع الذي فيه محمد بن الأشعث ، فإنه ممن قاتل الحسين بن علي وشارك في دمه ! فقالوا : ألا ترى هو في الكتيبة الحمراء على الفرس الأدهم ؟ فقال : بلى قد رأيته ، فدعوني وإياه . ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إننا على ما كنت عليه بصفين ، اللهم وإني أبرأ إليك ممن قتل أهل البيت بيت نبيك محمد ﷺ أو شارك في دمائهم . قال : ثم حمل حتى خالط أصحاب مصعب بن الزبير ، فجعل يضرب فيهم ضرباً منكراً وهو في ذلك يلاحظ محمد بن الأشعث ، حتى إذا أمكنته الفرصة وحمل عليه ، ضربه ضربة على رأسه جدله صريعاً[١] . قال : واختلط الناس من أصحاب ابن الزبير بعبد الله بن عمرو هذا فقتلوه .

قال : وجعل المختار يقول : بأبي وأمي أنتم كروا على الحرب ، كروا كروا على الثعالب الرواغة ! قال : فجعل أصحاب المختار يقاتلون بين يديه أشد قتال يكون ، وصاح مصعب بن الزبير بأصحابه وقال : سوءة لكم يا معشر العرب ! أما ترون ما نحن فيه من أصحاب هذا الكذاب ، أما فيكم من يحامي على دين أو حسب ! قال : فعندها اجتمع[٢] أصحاب أبطال العرب الذين كان المختار أخرجهم من الكوفة ، مثل عبيد الله[٣] بن الحر وشبث[٤] بن ربعي وغيرهم من سادات أهل الكوفة ، ثم حملوا على أصحاب المختار فهزمهم ولحق رجل منهم من أهل الكوفة عبيد الله[٥] بن علي بن أبي طالب وهو لم يعرفه ، فضربه من ورائه ضربة على حبل

(١) اختلفوا فيمن قتله قيل قتله مالك بن عمرو أبو نمران النهدي ، وكندة تزعم أن عبد الملك بن أشاءة الكندي هو الذي قتله (الطبري ١٠١/٦ ابن الأثير ١١/٣) .

(٢) الأصل : اجتمعوا .

(٣) الأصل : عبد الله .

(٤) الأصل : شبيب .

(٥) الأصل : وابن الأثير ١٣/٣ وفي البداية والنهاية ٢٨٨/٨ عمير بن علي بن أبي طالب ، وفي الأخبار الطوال =

عاتقه ، جدله قتيلاً .

قال ، وصار أصحاب مصعب بن الزبير إلى حيطان الكوفة ، ونزل المختار عن فرسه ونزل معه أشداء أصحابه ، وركبوا على أفوه السكك ، فلم يزالوا يقاتلون من وقت المغرب إلى الصباح ، وانهزم المختار حتى دخل إلى قصر الإمارة ، فقال له بعض أصحابه : أيها الأمير ! أما خبرتنا أن نقتل مصعب بن الزبير في وقعتنا هذه ؟ فقال : بلى ! ولكن أما تسمع قول الله تعالى : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾[1] .

قال : وأصبح مصعب فعبى أصحابه تعبية الحرب ، وأقبل نحو الكوفة حتى دخلها في جيشه ذلك ، والمهلب بن أبي صفرة على يساره فقال له : أبا سعيد ! يا له من فتح ما أهنأه لولا قتل محمد بن الأشعث ، فقال المهلب : صدقت أيها الأمير ، قد قتل عبيد الله[2] بن أبي طالب أيضاً ، قال مصعب : فإننا ما قتلناه وإنما قتله من كان من شيعته وشيعة أبيه . قال : ودخل أصحاب المختار إلى منازلهم ، ودخل قوم منهم إلى قصر الإمارة ، فصاروا مع المختار عازمين على الموت .

ذكر محاصرة المختار في القصر إلى وقت مقتله رحمه الله

قال : وجاءت الخيل حتى أحدقت بالقصر ، فحاصروا المختار ومن فيه حصاراً شديداً ، حتى منّه العطش ، فكانوا ربما بذلوا في الراوية من الماء الدينار والدينارين والثلاثة . قال : وكانت[3] النساء في أول الأمر يأتين فيدخلن في القصر إلى أقاربهن بالطعام والماء ؛ فبلغ ذلك مصعب بن الزبير فمنع النساء من ذلك. ثم قطع عنهم الماء ، فكانوا يمزجون ماء البئر بالعسل والدوشاب[4] والتمر ويشربونه لما ينالهم من العطش .

= ص ٣٠٦ وتاريخ خليفة ص ٢٦٤ عمر بن علي .

قال الدينوري أنه قدم على المختار من الحجاز فقال له المختار : هل معك كتاب من محمد ابن الحنفية ، فقال عمر : لا ، فقال المختار انطلق حيث شئت فلا خير لك عندي ، فسار إلى مصعب ، فاستقبله في بعض الطريق وأقبل معه حتى حضر الوقعة ، فقتل فيمن قتل من الناس .

(١) سورة الرعد الآية ٣٩ .

(٢) انظر ما لاحظناه قريباً بشأنه .

(٣) الأصل : وكانوا .

(٤) الأصل : الدوشار .

قال : وجعل أصحاب مصعب ينادون المختار من خارج القصر ويقولون : يا ابن دومة ! كيف ترى ما أنت فيه من الحصار ، هذا جزاء من خالف على أمير المؤمنين عبد الله[1] بن الزبير وطلب الأمر لغيره ! قال : فأشرف عليهم المختار من أعالي القصر ثم قال ؛ يا جند المرأة ! يا أعوان البهيمة ! يا بقايا السيف ! أتعيرونني بأمي دومة ، حسناء الحومة ، التي لا تسمع فيها اللائم لومة ؛ أما والله لو كان من يعيرني بدومة من الفريقين عظيماً لما عيرني بها ، ولكن إن كنتم رجالاً فاثبتوا لي قليلاً ، فوالله لأقاتلنكم قتال مستقتل قد أئس من الحياة .

قال : ثم نزل المختار عن حائط القصر ، فصب عليه سلاحه واستوى على فرسه ، وجعل يتمثل بقول قيس غيلان بن سلمة بن معتب[2] الثقفي وهو يقول:

ولو يراني[3] أبو غيلان إذ حسرت ... عني الهموم بأمر ما له طبقُ
لقال[4] رعباً ورهباً يجمعان معاً ... غنم الحياة وهول النفس والشفقُ
والموت أحمد شيء بالكريم إذا ... ما قاله الدهر والآجال تخترق[5]

قال : ثم أمر بباب القصر ففتح ، وخرج في نحو من مائتي رجل ممن يثق بهم ، فكر على أصحاب مصعب فهزمهم حتى ركب بعضهم بعضاً . قال : ونظر إليه رجل من أصحاب البصرة يقال له يحيى بن ضمضم[6] الضبي ، وكان إذا ركب خطت رجلاه في الأرض لطوله ، ولم يكن في أصحاب مصعب بن الزبير أفرس منه ، فحمل على المختار ليضربه وضربه ، فاستقبله المختار بضربة على جبينه أطار قحف رأسه فخر صريعاً ، وحملت الكتائب على المختار من كل جانب ، فجعل يحاربهم ويرجع إلى ورائه حتى دخل القصر ، واشتد الحصار على القوم ، فجعل السائب بن مالك الأشعري يتمثل بقول عبيد الله بن حذاق حيث يقول أبياتاً مطلعها :

---

(١) الأصل : عبيد الله .
(٢) عن الطبري ٦/١٠٧ وبالأصل : مغيث .
(٣) عن الطبري ، وبالأصل : تراني .
(٤) عن الطبري ، وبالأصل : فقلت .
(٥) البيت في الطبري :
إما تسف على مجد ومكرمة ... أو إسوة لك فيمن تهلك الورقُ
(٦) عن الطبري ٦/١٠٦ وبالأصل : ظمظم .

هـل للفتى من نياب الـدهـر من واقي أم هــل لحتـم إذا مــا حم مـن راقي

إلى آخرها . قال : فسمع المختار هذه الأبيات من السائب بن مالك الأشعري فقال : لله در عبد الله بن حداق[١] ما أجود معناه في هذا القول ، أما والله لولا ما نحن فيه لأحببت أن أحفظ هذه الأبيات ، ووالله يا سائب ! إن لو كان معي عشرة لعلمت أننا نقهر مصعباً[٢] وأصحابه .

قال : ثم أقبل المختار على أصحابه فقال : ويحكم اخرجوا بنا حتى نقاتل هؤلاء القوم فنقتل كراماً ، فوالله ما أنا بآئس إن أنتم صدقتموهم القتال أن تنصروا عليهم . قال : فأجابه أصحابه إلى ذلك ، وقالوا : ما الـرأي إلّا ما رأيت ! وليس يجب أن نعطي بأيدينا ولا نحكم هؤلاء على دمائنا ، فاعزم على ما أنت عازم عليه من أمرك فها نحن بين يديك . قال : فعندها بعث المختار إلى امرأته أم ثابت الفزارية بنت سمرة بن جندب ، فأرسلت إليه بطيب كثير وحنوط ، فقام واغتسل وأفرغ عليه ثيـابه وتحنط ووضـع ذلك الـطيب في[٣] رأسه ولحيتـه ، ووثب أصحابـه يفعلون كذلك ؛ فقال له رجل منهم[٤] : أبا أسحاق ! أما بد من الموت ؟ قال : قد رأيت والله عبد الله بن الزبير على الحجاز ، وبني أمية على الشام ، ومصعباً على العراق ، ولم أكن بدون واحد منهم . وإنما خرجت أطلب بدماء أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وقد والله أشفيت نفسي من أعدائهم وممن شارك في دمائهم ، ولست أبالي بعد هذا كيف أتاني الموت قال : ثم استوى على فرسه وجعل يرتجز ويقول شعراً[٥] . ثم أمر بباب القصر ففتح ، وخرج معه نفر[٦] من أصحابه فلم يزل يقاتل ويقاتلون معه حتى قتلوا بأجمعهم وبقي المختار وحده ، فجعـل يقاتـل والسهام تأخذه ، فصاح مصعب بن الزبير بأصحابه أن احدقوا به فقد قتلت أنصاره . قال : فأحاطت به الخيل من كل جانب ، فجعل يكر عليهم ويكرون عليه حتى بلغوا به إلى الموضع الذي فيه حوانيت الزياتين اليوم ، فأحاطوا به هنالك وألجأوه إلى

(١) كذا ، وقد مرّ قريباً عبيد الله بن حذاق ! ؟ ولم نجده .
(٢) الأصل : مصعب .
(٣) الطبري ١٠٧/٦ على .
(٤) هو السائب بن مالك الأشعري .
(٥) في الطبري ١٠٧/٦ أورد هنا الأبيات التي تمثل بها المختار لغيلان بن سلمة بن معتب ، التي مرّت قريباً .
(٦) خرج في تسعة عشر رجلاً (الطبري ١٠٧/٦) .

جدار هناك وقصده رجلان[1] من بني حنيفة أخوان[2] يقال لأحدهما طرفة[3] والآخر طراف[4] ابنا عبد الله بن دجاجة الحنفي وضرباه جميعاً بأسيافهما . فسقط المختار إلى الأرض ، فنزلا إليه فذبحاه واحتزا رأسه وأقبلا به إلى مصعب بن الزبير ، قال : فأمر مصعب بقطع يده اليمنى ، فقطعت وسمرت على باب القصر ، ثم أمر برأسه فنصب في رحبة الحدادين.

ثم أقبل مصعب وأصحابه حتى أحدقوا بالقصر فجعلوا ينادون لمن في القصر ويقولون : اخرجوا ولكم الأمان ! فقد قتل الله صاحبكم . قال : ففتح القوم باب القصر وخرجوا ، فأخذوا بأجمعهم حتى أتي بهم مصعب بن الزبير ، فقدموا حتى وقفوا بين يديه ، وجعل رجل منهم[5] يقول:

ما كنت أخشى أن أرى أسيرا ولا أرى مدمراً تدميرا
إن الذين خالفوا الأميرا قد رغموا[6] وتبروا تتبيرا

قال : فرفع مصعب رأسه إليهم فقال : الحمد لله الذي أمكن منكم يا شيعة الدجال ! قال : فتكلم رجل منهم يقال له بحير بن عبد الله السلمي[7] ، فقال : لا والله ما نحن بشيعة الدجال ، ولكنا شيعة آل محمد ﷺ ، وما خرجنا بأسيافنا إلا طلباً بدمائهم ، وقد ابتلانا الله بالأسر وابتلاك بالعفو أيها الأمير ، والصفح والعفاف وهما منزلتان : منزلة رضا ومنزلة سخط ، فمن عفا عفي عنه ، ومن عاقب لم يأمن من القصاص ! وبعد فإننا إخوانكم في دينكم وشركاؤكم في حظكم ، ونحن أهل قبلتكم ، لسنا بالترك ولا بالديلم ، وقد كان منا ما كان من أهل العراق وأهل الشام ، فاصفح إن قدرت .

قال : فكان مصعب بن الزبير قد رق لهذا المتكلم وأصحابه وهمّ بإطلاقهم

---

(١) بالأصل : قصدوه رجلين .
(٢) عن الطبري ١٠٨/٦ وبالأصل : أخوين .
(٣) عن الطبري ١٠٨/٦ وابن الأثير ١٤/٣ وبالأصل : طارف .
(٤) عن الطبري وابن الأثير ، وبالأصل : طريفه .
(٥) اسمه عبد الرحمن . (الطبري ١٠٨/٦) .
(٦) عن الطبري وبالأصل : زعموا .
(٧) في ابن الأثير ١٤/٣ المسكي ، وفي الطبري ١٠٩/٦ المسلي .

فوثب أشراف العرب[1] فقالوا : أيها الأمير ! إن هؤلاء هم الذين قتلوا أبناءنا وإخواننا وبني أعمامنا ، وفي إطلاقهم فساد عليك في سلطانك وعلينا في أحسابنا . قال مصعب : فشأنكم إذاً بهم ! قال : فاتكوا عليهم بالسيوف فقتلوهم صبراً ـ رحمة الله عليهم ـ .

قال : وأقبل مصعب حتى دخل قصر الإمارة ، فجلس على سرير المختار ، ثم أرسل إلى امرأتي المختار أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزارية وعمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية ، فلما أُتي بهما قال لهما مصعب : ما تقولان[2] في المختار ؟ فقالت الفزارية : نقول فيه كما تقولون فيه ، فقال مصعب : أحسنت اذهبي فلا سبيل عليك . فقالت الأنصارية : ولكني أقول كان عبداً مؤمناً ، محباً لله ورسوله وأهل بيت رسوله محمد ﷺ، فإنكم إن قتلتموه لم تبقوا بعده إلا قليلاً فغضب مصعب بن الزبير ثم أمر بها فقتلت[3] . فقال بعضهم[4] في ذلك :

إن من أعجب العجائب عندي ... قتل بيضاء حرة عطبولِ[5]
قتلت هكذا على غير جرم[6] ... إن لله درّها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا ... وعلى المحصنات[7] جر الذيول

---

(١) في الطبري ١٠٩/٦ فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . . . .
وثب : محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني . . . وانظر مقالتها عنده .

(٢) عن الطبري ١١٢/٦ وبالأصل : تقولون .

(٣) الأصل : والأخبار الطوال وفي الطبري وابن الأثير أن مصعباً كتب بشأنها إلى أخيه فامره بقتلها .

(٤) في الطبري ١١٢/٦ وابن الأثير ١٦/٣ عمر بن أبي ربيعة . ولم تنسب الأبيات في مروج الذهب ١١٩/٣ ولا في الأخبار الطوال ص ٣١٠ والكامل للمبرد ١١٧/٣ .

(٥) في مروج الذهب : الأعاجيب . والمرأة العطبول : الفتيه الجميلة الممتلئة الطول . والبيت في الكامل للمبرد :

إن من أعظم الكبائر عندي ... قتل حسناء غادة عطبول

(٦) صدره في الأخبار الطوال :

فقتلوها بغير ذنب سفاها

وفي مروج الذهب :

قتلوها ظلماً على غير جرم

وفي الكامل للمبرد :

قتلت باطلاً على غير ذنب

(٧) في مروج الذهب والكامل للمبرد : وعلى الغانيات .

قال : ثم بعث مصعب برأس المختار إلى مكة إلى عبد الله بن الزبير ، فأمر عبد الله بن الزبير برأس المختار فنصب بالأبطح ، ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس فقال : يـابن عبـاس إنه قد قتل الله الكذاب ، فقال ابن عباس : رحم الله المختار كان رجلاً محباً لنا عارفاً بحقنا ، وإنما خرج بسيفه طالباً بدمائنا وليس جزاؤه منا أن نسميه كذاباً .

ذكر كتاب مصعب بن الزبير إلى إبراهيم ابن الأشتر رحمه الله

من مصعب بن الزبير ، إلى إبراهيم بن الأشتر ؛ سلام عليك ! أما بعد[1] ، فقد قتل الله المختار وشيعته الذين دانوا بالكفر ، وكادوا بالسحر ، وإننا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبيـر ، فإن أجبت إلى ذلك فأقبل إلينا آمناً مطمئناً ، فإن لك أرض الجزيرة وما غلبت عليه بسيفك من أرض المغرب ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه ، وأشد ما أخذ[2] على أنبيائه من عهد وعقد ـ والسلام ـ .

قال : وعلم عبد الملك بن مروان أن المختار قتـل ، فكتب إلى إبراهيم بن الأشتـر[3] : بسم الله الرحمن الـرحيم ، من عبد الله عبـد الملك بن مـروان أميـر المؤمنين ، إلى إبراهيم بن مالك الأشتر ، سلام عليك ! أما بعد ، فقد علمت ما كان من آل الزبير أنهم تشغبوا على أئمة الهدى ، ونازعوا[4] أهل الحق ، وألحدوا في بيت الله الحرام ، والله ممكن منهم وخاذلهم ، وجاعل دائرة السوء عليهم عن قريب إن شاء الله ، وأنا أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، فإن قبلت وأجبت فلك بذلك سلطان العراق وما غلبتَ عليه من أرض المشرق أبداً ما بقيتَ وبقي سلطان آل مروان ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه ـ والسلام ـ .

قال : فدعا إبراهيم بخاصة أصحابه فاستشارهم في ذلك ، فقال له قوم : أيها الأمير الرأي عندنا أن تدخل في طاعة عبد الملك بن مروان ، فقال لهم ابن الأشتر :

---

(١) نسخته في الطبري ٦/١١٠ .
(٢) عن الطبري وبالأصل : ما أشد .
(٣) نسخة الكتاب في الطبري ٦/١١١ .
(٤) الطبري : ونازعوا الأمر أهله .

ويحكم إنه ليس بالشام قبيلة إلا وقد وترتها[1] وقتلت رجالها في يوم عبيد الله ، وما كنت بالذي اختار على مصري مصراً ولا على عشيرتي عشيرة ، واللحاق بالعراق أحب إليّ وأعود عليّ .

قال : ثم نادى في أصحابه وارتحل نحو الكوفة إلى مصعب بن الزبير ، فلما دخل على مصعب قربه وأدناه ، وأجلسه معه على سريره ، ثم خلع عليه وأمر له بجائزة سنية ، وصرفه إلى منزله ؛ ثم كتب إلى أخيه عبد الله[2] بن الزبير ، فأخبره بأمر ابن الأشتر وأنه قد دخل إلى الكوفة ، فسر عبد الله بن الزبير بذلك سروراً شديداً . ثم ولى مصعب بن الزبير المهلب بن أبي صفرة أرض الموصل وعزله عن حرب الأزارقة ، واستوت العراق والجزيرة والحجاز واليمن وأرمينية وآذربيجان لآل الزبير ، والشام ومصر إلى آخر المغرب في يد عبد الملك بن مروان .

ثم رجعنا إلى أخبار عبيد الله بن الحر وخروجه على مصعب بن الزبير

قال : وكان مصعب بن الزبير قد ولى رجلاً سخياً يقال له زجر بن قيس الجعفي جميع سواد الكوفة ، قال : وكان زجر بن قيس هذا رجلاً سخياً ، لا يبقي على شيء ، فأتلف مال السواد ، حتى كسر على مصعب سبعون ألف درهم ؛ فأخذه مصعب فحبسه ، فلم يكن عنده ما يؤدي .

قال : وجاء عبيد الله بن الحر حتى دخل على مصعب بن الزبير وسأله في زجر بن قيس ، فأبى عليه أن يشفعه فيه ، فقال ابن الحر : أيها الأمير ! المال على من دونه ! فأطلقه . فلما كان بعد ذلك بمدة يسيرة بعث مصعب إلى عبيد الله بن الحر يقتضيه المال ، فقال ابن الحر للرسول : ارجع إلى الأمير فقل له يقول لك عبيد الله بن الحر : أيها الأمير ! أما ما كان لك علينا فإنك تقتضيه منا ، وما كان لنا عليك فلا تؤديه ! أيها الأمير ! إنما سرت إليك إلى البصرة معونة وتقوية لك ! وقدمت معك إلى بلدي فأعنتك بنفسي وعشائري حتى قتلت المختار وظفرت بما تريد ، لنصير منك إلى ما صار غيرنا من الولاية والحبا والكرامة ، وكان ما وعدتنا قديماً

---

(١) عن الطبري ، وبالأصل : ورتها .
(٢) الأصل : عبيد الله .

ورجونا هبأ منثوراً . قال : فسار الرسول إلى مصعب بن الزبير فأخبره بذلك ، فأمسك عنه مصعب وفي قلبه منه ما في قلبه ، فأنشأ عبيد الله بن الحر في ذلك يقول :

متى تسألوني ما علي وتمنعوا الـ ـذي لي لم أستطع على ذلكم صبرا
أهان وأقضى ثم ترجى نصيحتي وإني امرؤ يوفي نصيحته قسرا
رأيت أكف المفضلين لديكم ملأى وكفي من عطائكم صفرا
وقدماً كففت النفس عما يريبكم ولو شئت قد أغليت في حربكم قدرا
ولو شئت قد سارت إليكم كتائب رآها سراعاً نحو عقوتكم غبرا
عليها رجال لا يخافون في الوغا سهام المنايا والردينية السمرا

قال : ثم أرسل عبيد الله بن الحر إلى فتيان صعاليك العرب فدعاهم وأخذ بيعتهم على أن يخرجوا معه على مصعب بن الزبير ، فأجابوه إلى ذلك . ثم خرج معه القوم وهم سبعون رجلاً في جوف الليل ، حتى إذا صار على فرسخين من الكوفة . قال : واتصل هذا الخبر بمصعب بن الزبير ، فكأنه اغتم لذلك وخشي أن يخرج عليه ابن الحر في سواد الكوفة ، فبعث إليه برجل يقال له سيف بن هانىء وكتب إليه : أما بعد ! فقد بلغني ما قد عزمت عليه من أمرك ، وقد وجهت إليك رسولي أدعوك فيه إلى طاعتي على أنك تقاتل معي أهل الشام ، ولك عندي بذلك خراج بادوريا[1] تأخذه لنفسك عفواً صفواً ، فتفرقه فيمن أحببت من أهل بيتك وأصحابك وعشيرتك ، فكف عما تريد أن تصنع ـ والسلام ـ .

قال : فلما قرأ عبيد الله بن الحر ضحك لذلك وقال : أو ليس لي خراج بادوريا[2] وغير بادوريا[2] من السواد ، لا والله لا أجبت مصعباً إلى شيء أبداً . ثم أقبل على الرسول فقال له : إني أراك فتى ظريفاً ، فهل لك أن تصحبني فأغنيك عن مصعب بن الزبير ؟ فقال له الفتى : جعلت فداك وإني أخاف على أهل بيتي وعشيرتي إن أنا فعلت ذلك ، فلا تكلفني من الأمر ما لا أطيق . قال : فانصرف إلى صاحبك راشداً فأخبره بما سمعت . قال : فجاء سيف بن هانىء إلى مصعب فأخبره بذلك ، فأنشأ عبيد الله بن الحر يقول في ذلك أبياتاً مطلعها :

أيرجو ابن الزبير اليوم نصري لعاقبه ولم أنصر حسينا

---

(١) عن الطبري ٦/١٣٢ وبالأصل : بادرونا .

(٢) بالأصل : باذروانا .

إلى آخرها .

قال : فأرسل مصعب بن الزبير إلى وجوه أهل الكوفة فأحضرهم إلى مجلسه وأخبرهم بقصة عبيد الله بن الحر ، فقال له رجل منهم : أصلح الله الأمير ، إني أخبرك عنه بأمر ! فقال مصعب : وما ذلك ؟ فقال : إنه جاء يوماً[1] من الأيام فاستأذن عليكم فلم يأذن له الحاجب ، وجاء مسلم بن عمرو الباهلي فدخل ، وجاء المهلب بن أبي صفرة فدخل ، وجاء إليك الناس واحداً بعد واحد ، ثم دخل بعد ذلك عبيد الله بن الحر ، فلما خرج سمعته يقول أبياتاً حفظتها منه وهي هذه الأبيات[2] :

بأي بلاء أم بأية نعمة ... بمسلم قبلي يبتدي والمهلبُ[3]
ويُدعى ابن منجوف أمامي كأنه ... يطاعن قلبي بالوشيج المغلب[4]
بسوء بلاء أم لقتل عشيرتي ... أذل وأقصى عن حجابات مصعب

قال : فقال له مصعب : دع هذا ! هذا شيء ما لنا به علم ، ولكن هاتوا آراءكم وأشيروا عليّ بمشورة يعم صلاحها ! قال فقال له بعض جلسائه : أصلح الله الأمير ! إن عبيد الله بن الحر رجل صعلوك يأكل خبزة بسيفه ، وهو مع ذلك رجل مطاع في قومه وعشيرته لما يعلمون من بأسه وشدته ، ولقد كان خالف على المختار بن أبي عبيد وقاتله غير مرة ، وقد خالف أيضاً على معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد وعبيد [الله] بن زياد ، وهو رجل لا يرى لأحد عليه طاعة ، ويوشك أن يثور في هذا السواد ، فيقتل ويفسد ويجلب الأموال كما فعل من قبل ، والرأي في ذلك أن يبعث إليه الأمير ـ أيده الله ـ بالبر والألطاف ويعده ويمنيه حتى يقع في يده ، ثم يخلده السجن ، فقال مصعب : هذا هين يسير إن قبل ذلك منا .

---

(١) الأصل : يوم .

(٢) في الطبري ٦/١٣٦ أن عبيد الله بن الحر قال هذه الأبيات يعاتب مصعباً ، ويذكر له تقريبه سويد بن منجوف ، وكان سويد خفيف اللحية .

(٣) في الطبري وابن الأثير ٣/٢٧ :

تقدم قبلي مسلم والمهلب

يعني مسلم بن عمرو والد قتيبة .

(٤) عجزه في الطبري :

خصي أتى للماء والعير يسرب

قال : ثم جعل مصعب يتلطف له ويعرض عليه الولاية ويهدي إليه الهدايا .

قال : فلم يزل كذلك حتى رجع إلى الكوفة ، فلما دخل وسلم على مصعب لم يرد عليه السلام ثم قال : يـابن الحـر! كيف صنعت ؟ فقال : صنعت ما قد علمت وكذا يصنع الرجال الذين فيهم خير[1] إذا لم يعطوا الرضا . قال مصعب ! فأين أصحابك الذين معك ؟ قال : خلفتهم ورائي وجئتك وحدي ، فإن كان منك ما أريد وما ضمنته لهم فذاك ، وإن أسأت إليّ وخالفت ما قرأت عنك في كتابك كان[2] أصحابي من ورائي يفعلون ما آمر . قال : ثم أمر به مصعب فقيد بقيد ثقيل ، ودعا بسجان يقال له واصل ، فقال له : خذ هذا إليك وضيق عليه في السجن ما استطعت .

قال : فدعا واصل السجان بأعوانه وأمرهم فحملوا عبيد الله بن الحر من بين يـدي مصعب حملاً حتى انـطلقوا بـه إلى السجن ، فلما رآه أهـل السجن كبـروا وشمتوا . قال : وأقبل السجان فأخذ رداء كان على عاتق عبيد الله بن الحر وقال له : يـابن الحـر ! أريد أن تكسوني هذا الرداء فإنه رداء نفيس وقلما رأيت مثله ! قال : فتبسم ابن الحر وقال : والله إن هذا ما أنت له بأهل ، ولكن خذه ولا تلبسه ، وبعه لغيرك وانتفع بثمنه . قال : فأخذ واصل السجان رداء عبيد الله بن الحر فتردى به ، وجعل يخطر فيه ليغيضه ذلك ، فأنشأ عبيد الله بن الحر يقول في ذلك أبياتاً مطلعها :

فلم أر يـومـاً مثـل يـوم شهـدتـه ... أبت شمســه مـع غيمــه أن تغيبـا

إلى آخرها . قال : فأقام ابن الحر في السجن شهراً كاملاً ، ثم كتب بعد ذلك إلى مصعب بكتاب يتهدده فيه بقومه وعشيرته ويخوفـه من نفسه إن هـو انفلت من السجن أن تجتمع إليه الجموع فيناويه في عزه وسلطانه ، ثم [كتب] في كتابه أبياتاً مطلعها :

لنعم ابن أخت المرء يسجن مصعب ... لـطارق ليـل خـائف أو لنـائـلِ

إلى آخرها .

قال : فلما نظر مصعب بن الزبير في كتاب ابن الحر وشعره غضب لذلك وزبد وتمعـر ، ثم أرسل إلى وجـوه أهل الكـوفة فـدعاهم ، ثم قـال : هـذا ابن عمكم

(١) بالأصل : خيراً .

(٢) بالأصل : كانوا .

عبيد الله بن الحر يتوعدني بالقتال إن هو أفلت من يدي ، والله لأطيلن حبسه ولأزيدن في حديده ، ولأذيقنه طعم الذل والهوان . ثم أمر مصعب فزيد في حديده ، وأمر فضيق عليه في السجن أشد الضيق .

فلما بلغ ابن الحر ما هو فيه من ثقل الحديد وضيق الحبس كتب إلى بني عمه يشكو إليهم ويقول أبياتاً مطلعها :

[و] من مبلغ الفتيان أن ابن عمهم أتى دونهم باب منيع وحاجبه[1]

إلى آخرها . قال : فلما وصلت هذه القصيدة إلى بني عمه كأنهم تحركوا لذلك ، وقال بعضهم لبعض : لا والله ما هذا بحسن أن يكون أخونا وابن عمنا محبوساً يقاسي ثقل الحديد وضيق السجن ونحن آمنون . قال : ثم وثب رجل منهم يقال له عطية بن عمر الجعفي[2] فقال : يا هؤلاء ! قوموا بنا إلى هذا الأمير حتى نكلمه في صاحبنا ، فإن هو شفعنا فيه وإلا ثرنا عليه فقاتلناه ، فما هو أعز علينا ولا أعظم في عيوننا من المختار بن [أبي] عبيد الذي قتلناه في ساعة من النهار .

قال : وبلغ ذلك مصعب بن الزبير ، فسكت عن القوم كأنه لم يعلم بشيء من ذلك ، فلما كان الليل بعث إلى عطية بن عمر[3] الجعفي فأتي به في منزله ، ثم أمر به مصعب فبطح بين يديه فضربه ثلاثمائة قضيب ، ثم أمر به فقيد وحمل إلى السجن ، فحبس مع عبيد الله بن الحر . قال : وأصبحت قبائل الأزد ومذحج بالكوفة وقد بلغهم ذلك ، فكأنهم هموا بالمصعب ثم إنهم كفوا يومهم ذلك .

قال : ونظر عبيد الله بن الحر إلى عطية بن عمر وجزعه من ذلك الضرب والحبس ، فقال : لا تجزع يا عطية ! فإن الدهر يومان : يوم نعيم ويوم بؤس ، والله يا عطية لأخرجن أنا وأنت من هذا السجن ، ولأنغصن على مصعب بن الزبير عيشه ، ولأدعون أهل السواد والناحيتين إلى المشمرخ[4] ولأحتوين على الفرات إلى هيت وعانات ، ولآخذن خراج الشوش وما يليها من الرساتيق والقرى ، ولأكرمن من جاءني

---

(1) البيت من عدة أبيات في ابن الأثير ٢٧/٣ والطبري ١٣١/٦ وروايته فيه :

من مبلغ الفتيان أن أخاهم أتى دونه باب شديد وحاجبه

(2) في الطبري ١٣٦/٦ عطية بن عمرو البكري ، وكان قد حبس مع عبيد الله ثم أطلقه مصعب .

(3) في الطبري : عمرو .

(4) كذا ، ولم نجده .

من الفتيان والصعاليك بالأموال والخيل والأثاث الفاخر إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فلا تجزع يابن عمر ، فما أقرب الفرج لأنه لم تكن شدة قط إلا جعل الله من بعدها فرجاً ورخاء ؛ ثم أنشأ في ذلك يقول أبياتاً مطلعها :

أقول له صبراً عطي فإنما ... هو السجن حتى يجعل الله مخرجا

إلى آخرها[١] .

قال : فلما بلغ قومه هذه القصيدة كأنها حركتهم ، وقال بعضهم لبعض : إذ كان غداً فاجتمعوا بنا حتى ندخل على هذا الأمير نكلمه في صاحبنا ، فإن هو شفعنا فيه وأخرجه من سجنه وإلا عاودناه في ذلك . قال : ثم بعثوا إلى عبيد الله بن الحر أننا عزمنا على أننا نسير إليه ونكلمه في أمرك ، وقد أحببنا أن يكون معنا أبو النعمان إبراهيم بن الأشتر ، فلا عليك أن تبعث إليه رسولاً وتسأله أن يركب معنا ، فإنه عظيم القدر عند الأمير ، ولعله أن يستحي منه فيشفعه فيك . قال : فكتب عبيد الله[٢] بن الحر إلى إبراهيم بن الأشتر ، ثم أثبت في رقعته هذه الأبيات :

بان الملامة لا تبقي ولا تدع ... ولا يزيدك إلا أنها جزعُ
لم يبق معذرة سعد فأعذرها ... ولا مزاد وكانوا بئس ما صنعوا
والحارثيون[٣] لم أرض الذي نطقوا ... عند الأمير وشر المنطق الشنع
تبادروا أنهم نأتي أميرهم ... وللمذلة في أعناقهم خضعوا
فقد وردتم فذوقوا غب مصدركم ... لا يهنكم بعده ريّ ولا شبع
ماذا يقولون وابن الحر محتبس ... همت به مذحج والأنف مجتدع
قد جللت مذحج ما ليس يغسله ... ماء الفرات لأن لم يشهد النجع
الضاربون من الأقوام هامهم ... بحيث يقرع عن هاماتها الصلع
والطاعنون ولم ترعش أكفهم ... إذا العوالي بأيدي القوم يخترع
شم العرانين سادات كأنهم ... بيض السيوف التي لم يعلها الطبع

---

(١) بعده في الطبري ١٣٦/٦ :

أرى الدهر لي يومين يوماً مطرداً ... شريداً ويوماً في الملوك متوجا
أتطعن في ديني غداة أتيتكم ... وللدين تدني الباهلي وحشرجا
ألم تر أن الملك قد شين وجهه ... ونبع بلاد الله قد صار عوسجا

(٢) بالأصل : عبد الله .

(٣) بالأصل : والحاريثون .

أرجـو قيـام أبي النعمـان إذ وهبـوا ومـثله بـجسـيـم الأمـر يـضـطـلع
فـإن يفـك عبيـد الله من كـبـل فليس بعـدك في إخـراجـه طمـع
فـاجهـد فـدى لـك والأقـوام كلهم مـا بعدهـا من مساعي الخيـر متبع
فـابسط يـديـك فـإن الخيـر مبتـدر عليـاءه وجـدود القـوم تصـطرع
قـد قـدمت لـك مسعـاة ومـأثـرة من مـالـك وكـذاك الخيـر منتجـع
والأمـن والخـوف أيـام مـداولـة بين الـرجـاء وبين الضيق متسـع

قال : فلما وردت هذه الأبيات على إبراهيم بن الأشتر كأنه تحرك لذلك ، ثم بعث إلى قومه وعشيرته فجمعهم . قال : واجتمعت أيضاً وجوه اليمن ، وأقبل بهم حتى دخل على مصعب بن الزبير ، فلما قضى التسليم قال : أعز الله الأمير ! إنه لو وجد أحد على عبيد الله بن الحر كوجدي عليه لما كلمه أبداً من أجل الفعل الذي فعله بي في أيام المختار ، وأما في وقته هذا فلا أعلم ذنباً يجب عليه الحبس ، ووالله أعز الله الأمير ! لقد وجهت إليه وأنت بالبصرة ، فقدم عليك في أربعمائة فارس لا يرى منهم إلا الحدق في تعبية حسنة من الآلة والسلاح الكامل ، ولقد بلغني أنه تجهز إليك يوم تجهز بنيف على مائتي ألف درهم ، ثم قدم معك هذه البلدة فقاتل المختار قتالاً عجيباً فعجب منه أهل بلده ولن يروك إلى هذه الغاية ، وليس يجب على الأمير أصلحه الله أن يجمع عليه أمرين : ذهاب مال وضيق حبس ـ والسلام ـ .

قال : فلما سمع مصعب بن الزبير كلام إبراهيم بن الأشتر ورأى من معه من بني عمه وعشيرته كأنـه استحيى ولم يحب أن يردهم بغيـر قضاء حـاجة، فقـال. إني قد سمعت كلامك ومقالتك أبا النعمان ، وأنا نازل عنده ما تحب . قـال : فجزاه ابن الأشتر ومن معه خيراً وأثنوا عليـه جميلاً ، وانصـرفوا إلى منـازلهم . ثم بعثوا إلى عبيد الله بن الحر أن قد صرنا إلى الأمير ـ أصلحه الله ـ وكلمناه في أمرك ، فأجابنا إلى كل ما نحب ولكن لا عليك أن تكتب إليه كتاباً لطيفاً تعتذر إليه فيه مما فرقت به عنده والسلام . قال : فعندهـا كتب عبيد الله بن الحـر إلى مصعب بن الزبيـر هذه الأبيات :

تـذكـرت قـبـل الـيـوم آيـة خـلّة أضـرت بحقي عنـدكم وهـو واجبُ
ومـا في قنـاتي من وصـوم تعيبهـا ولا ذم رحـلي فيـكـم مـن أصـاحـب
وتـعلم إن كـاتـمتـه الـنـاس أنـنـي عـلـيـك ولم أظـلم بـذلـك عـاتـب
ومـا أنـا راض بـالـذي غيـره الـرضـا فـلا تكـذبنـك ابن الـزبيـر الكـواذب

رأيتــك تعـصيـنـي وتـشمـت شـانـيـا ... كـأني بمـا لـم اجتـرم لـك رائـب

فـإن كــان من عنــدي فبين فـأنـني ... لصــرمكم يــا بـن الـزبيـر لهـائـبُ
وإن كان من غيري فلا تشمت العدى ... بنـا وتـدارك دفـع مـا أنت قـارب
وإن كـان هـذا الصـرم منـك لعلة ... فصـرّح ولا تخفي الـذي أنت راكب
ففي كـل مصـر قـاسط تعلمـونـه ... حـريص على مـا سـرّني لـك راهب
أرى الحـرب قد درت عليـك وفتنة(١) ... تضـرّم في الحافـات منهـا المحـاطب
فـحسبـك قـد جـربتني وبـلوتني ... وقـد ينفـع المـرء الكـريم التجـارب
ألـم تـعلمـوا أنـي عـدو عـدوكـم ... وتشفى بنـا في حـربكم من تحـارب
أنـاضـل عنكم في المغيب عشيـرتي ... وأمـا بـنـفسـي دونـكـم فـأضـارب
لكم بـارد الـدنيـا ويصلى بحـرّهـا ... إذا اعصى بـالهاب السيـوف القواضب

فلسنا كـرامـاً إن رضـينـا بـذاكـم ... ولم تتـأهب في الحـديـد الكتـائب
ولـولا أمـيـر المـؤمـنـيـن وبـيـعـتـي ... لقـد كثـرت حـولي عليـك الجـلائب

قال : فلما وصلت هذه الأبيات إلى مصعب بن الزبير ونظر فيها ، أرسل إلى عبيد الله بن الحر فأخرجه من محبسه وخلع عليه وحمله على فرس ، وأمر له بمال . قال : وسأله ابن الحر في ابن عمه عطية فأطلقه(٢) . قال : فصار ابن الحر إلى منزله .

فلما كان من الغد بعث إليه مصعب أني قد جعلت لك خراج بادوريا(٣) ونواحيها فهو لك ولمن أحببت من أهل بيتك أبداً ما دام لآل الزبير سلطان بالعراق . قال : ثم أرسل مصعب إلى عماله فصرفهم عن بادوريا(٤) ، فأخذ خراجها وقسمه في أصحابه وبني عمه ، ثم قال : انظروا لا أدعو بأحد منكم في وقت من الأوقات إلا جاءني على فرس فاره وسلاح شاك ، فإني قد عزمت على الخروج على مصعب بن الزبير ، وعلى الغارة على البلاد ، ولا أموت إلا كريماً .

قال : ثم خرج من الكوفة ليلاً فلحق به الناس من كل ناحية حتى صار في

---

(١) الأصل : فتية.
(٢) مرّ أن عطية أطلق من الحبس قبل خروج عبيد الله بن الحر منه (الطبري ٦/١٣٦) .
(٣) عن الطبري ، وقد مرت ، وبالأصل : « بادرونا » .
(٤) الأصل : بادرونا .

خمسمائة رجل ما فيهم أحد إلا وعليه درع سابغ وبيضة محكمة . قال : فعندها عزم عبيد الله بن الحر على الغارة، ثم كتب إلى مصعب بن الزبير بهذه الأبيات :

فلا كوفة أمي ولا بصرة أبي ... ولا أنا يثنيني عن الرحلة الكسلْ[1]
فلا تحسبني ابن الزبير كناعس ... إذا حل أغفى أو يقال له ارتحلْ
فإن لم أزرك الخيل تردي عوابساً ... بفرسانها حولي فما أنا بالبطل[2]
وإن لم تر الغارات من كل جانب ... عليك وتندم عاجلاً أيها الرجل
فلا وضعت عندي حصان قناعها ... فلا تجد عيني[3] بالأماني والعلل
فإنك لو أعطيتني خرج فارس ... وأرض سواد كلها وقرى الجبل
وجدّك لم أقبل ولم آت خطة ... تسرك فآيس من رجوعي لك الهبل
بل الدهر أو تأتيك خيل عوابس ... شوازب قب تحمل البيض والأسل
بفتيان صدق لا ضغاين بينهم ... يواسون من أقوى ويعطون من سأل
ألم يأتكم يوم العذيب تجالدي ... به شيعة المختار بالمفصل الأفل
وبالقصر قد جربتموني فلم أحم ... ولم أك وقافاً ولا طائشاً فشل
ويا رزأ أقوام بقصر مقاتل ... وضاربت فرساناً ونازلت من نزل

قال : ثم سار عبيد الله بن الحر في أصحابه حتى صار إلى موضع يقال له نِفّر[4] ، فأغار على البلاد وأخذ الأموال ففرقها على أصحابه ، ثم سار إلى موضع يقال له كسكر ففعل مثل ذلك . قال : فلم يزل ابن الحر على ذلك من شأنه يغير على البلاد ويقتل الرجال ويحوي الأموال ، وبلغ ذلك مصعب بن الزبير فأرسل إلى إبراهيم بن الأشتر ووجوه أهل الكوفة فدعاهم ، ثم قال : هذا عبيد الله بن الحر الذي كلمتموني فيه حتى أخرجته من السجن وأكرمته بغاية الإكرام ، فخرج من الكوفة سراً واجتمع إليه من اجتمع ، فالآن هو يفعل ما يفعل . قال فقال القوم : أصلح الله الأمير ! نحن إنما كلمناك في أمره لأننا رأينا أهل المصر قد فسدت قلوبهم عليك من

---

(١) يروى هذا البيت لسحيم بن وثيل الرياحي .

(٢) عجزه في الطبري ١٣٢/٦ :

بفرسانها لا أدع بالحازم البطل

(٣) الطبري : ولا عشت إلا بالأماني والعلل .

(٤) نفر : كانت في أعمال كسكر ثم دخلت في أعمال البصرة . والصحيح أنها من أعمال الكوفة (معجم البلدان) .

أجله ، ولم نعلم الذي في قلبه ، والآن فالأمير ـ أصلحه الله ـ أعلى به عيناً .

قال : فعندها دعا مصعب بن الزبير برجل من فرسانه يقال له كريب بن زيد المازني ، فضم إليه ألف رجل من فرسان أهل الكوفة والبصرة ، ووجه بهم نحو عبيد الله بن الحر .

قال : فخرجت الخيل من الكوفة ، وبلغ ذلك ابن الحر ، فسار إليهم في أصحابه ، حتى إذ هو وافى بهم بموضع يقال له الزنين[1] ، فقاتلهم هنالك قتالاً شديداً ، فقتل من أصحابه نفر يسير ، وقتل من أصحاب مصعب بن الزبير جماعة ، وولى الباقون أدبارهم هراباً نحو الكوفة ، فأنشأ ابن الحر يقول أبياتاً مطلعها :

أقول لفتياني الصعاليك أسرجوا عناجيج أذني سيرهن وجيف

إلى آخرها .

قال : ثم أقبل عبيد الله بن الحر على أصحابه فقال : أخبروني عنكم يا معاشر العرب لماذا نعقد لآل الزبير بيعة في أعناقنا ؟ فوالله ما هو بأشجع منا لقاء ، ولا أعظم منا غنى[2] ، ولقد عهد رسول الله ﷺ إلى آبائنا من قبل بأن الأئمة من قريش ، فاستقيموا لهم ما استقاموا لكم ، فإذا نكثوا أو غدروا فضعوا سيوفكم على عواتقكم ثم سيروا إليهم قدماً قدماً حتى تبيدوا خضراءهم ؛ وبعد فإن هذا الأمر لا يصلح إلا لمثل خلفائكم الماضين مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فوالله لا نرى لهؤلاء فينا يداً فنكافيهم عليها ، ولا نبذل لهم نصحاً ، ولا نلقي إليهم أزمتنا ، لأننا ما رأينا بعد الأئمة الماضين إلى وقتنا هذا إماماً صالحاً ، وقد علمتم أن قوي الدنيا ضعيف الآخرة ، [فعلام تستحل حرمتنا][3] ونحن أصحاب القادسية والمدائن وجلولاء وحلوان ونهاوند ، وما كان بعد ذلك نلقى الأسنة بنحورنا ، والسهام بصدورنا ، والسيوف بجباهنا ، وحر وجوهنا ، وإلا فليس يعرف لنا فضل ولا يعطى حقنا ، ولا يلتفت إلينا ، فقاتلوا عن حريمكم وذودوا عن فيئكم ، فإن ظفرنا بما نريد فذاك حتى يرجع الحق إلى أهله ، وإن قتلنا شهداء دون حريمنا وأموالنا وأهالينا ، فأي الأمرين كان لكم فيه الفضل ؟ ألا ! إني قد أظهرت لهؤلاء العداوة والشحناء وقلبت لهم ظهر

---

(١) كذا ، ولم نجده .

(٢) في الطبري ٦/١٣١ غناء .

(٣) زيادة عن الطبري ٦/١٣٢ وابن الأثير ٣/٢٧ .

المجن ، وقد أتيتهم بمكة والبصرة ناصراً ومعيناً ، فما شكروا ولا حفظوا ولا رعوا إليَّ حقاً ، لكنهم سجنوني وقيدوني فضيقوا عليَّ جهدهم وطاقتهم - والسلام - . قال ثم أنشأ يقول :

وقــدمــاً أتينــا أن يقــر ظــلامــه ... وقـدمـاً وثقنــا كـل فتق من الأمــرِ
وكم من أبـي قـد سلبنـاه وقـره ... بـأسيافنـا حتى أقـام على العسـر
بضـرب يزيـل الهـام عن سكنـاتـه ... وطعن بـأطـراف المثقفـة السمـر
ومن شيعـة المختـار قبـل سقيتهـا ... بضرب على هاماتهم مبطل السحـر

قال : ثم سار ابن الحر إلى موضع يقال له عين التمر ، وبعين التمر يومئذ رجل يقال له بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني في خمسمائة فارس(١) ، فلما علم أن ابن الحر قد وافاه خرج إليه في أصحابه ودنا(٢) القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ساعة ، فقتل من أصحاب بسطام ثلاثون رجلاً وانهزم بسطام في بـاقي أصحابـه ، ودخل عبيد الله بن الحر إلى عين التمر فأخـذ أموالهـا وقسمها في أصحـابه . وبلغ ذلـك بسطام بن مصقلة فرجع إلى حرب ابن الحر ثانية ، فلما توافت الجيشان ودنا بعضهم من بعض نادى بسطام بأعلى صوته : يـابن الحـر ! هل لك في مبارزتي ؟ قـال : فتبسم ابن الحر ثم قال : شر دهرك آخره ، والله ما ظننت أن مثلك يسألني المبارزة أيام حياتي . ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فاعتنقا جميعاً وخرا عن فرسيهما إلى الأرض ، فاستوى عبيد الله بن الحر على صدر بسطام فأخذه أسيراً ، وولى(٣) أصحاب بسطام منهـزمين وقد قتـل منهـم جماعـة ، وأسر منهم جمـاعة وهي مـائة وعشرون رجلاً ، فنظر إليهم ابن الحر فإذا عامتهم من بني عمه من الأزد ومذحـج وقبائل اليمن ، فقال : سوءة لكم يا معشر اليمن ! إذ كنتم قومي وعشيرتي وتضربون في وجهي بالسيف مع مصعب بن الزبير ، أما والله لولا أن أخشى العرب أن تحدث عني أني قتلت قومي وعشائري صبراً لما نجا منكم أحد ، ولكن امضوا إلى قومكم فإنني قد مننت عليكم بأرواحكم . قال : فأطلقهم عبيد الله بن الحر عن آخرهم ، ولم يقتل منهم أحد إلا من قتل في المعركة ، ثم أنشأ يقول أبياتاً مطلعها :

---

(١) الطبري ١٣٢/٦ خمسين ومائة فارس .
(٢) الأصل : ودنوا .
(٣) الأصل : ولوا .

ألا هل أتى الفتيان بالمصر إنني أسرت بعين التمر أروع ماجدا

إلى آخرها .

قال : وبلغ مصعب بن الزبير ما فعله عبيد الله بن الحر بعين التمر ، فأرسل إلى وجوه العرب فدعاهم ثم قال : يا أهل الكوفة ! إنكم قد علمتم ما لقيت من هذا الرجل ، وقد عزمت على أن آخذ كل قرابة له بالكوفة من ذكر وأنثى فأضعه في الحبس ، فلعله إذا بلغه ذلك يرجع عما هو عليه من فعاله التي هو يفعلها . قال فقال له بعضهم : أيها الأمير ! إن الله عز وجل يقول : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ فإن كان عبيد الله بن الحر فعل ما فعل ، فما ذنب القرابات وما ذنب النساء أن يحبسن بلا جرم كان منهن ؟ قال : ثم تكلم إبراهيم بن الأشتر فقال : أصلح الله الأمير ! إنه وإن كان عبيد الله بن الحر قد فعل هذا الفعل فقد فعل كذلك بالمختار ، وذلك أن المختار عمد إلى امرأته أم توبة الجعفية فحبسها في السجن ، فلعله قد بلغك ما كان منه أنه كبس الكوفة صباحاً في أصحابه وكسر باب السجن وأخرج امرأته قسراً ، ثم لم يرض بذلك حتى أخرج كل من كان في السجن من النساء وهو في ذلك يقاتل أصحاب المختار ، حتى تخلص سالماً هو وأصحابه . فقال ابن الزبير : قاتله الله من رجل فما أشجع قلبه ، والله ! ما رأيت ولا سمعت برجل في دهرنا هذا اجتمع فيه ما في ابن الحر ، من كرم نفس وشجاعة قلب وصباحة وجه وعفة فرج ، غير أنه لا يحتمل على هذه الأفاعيل التي يفعلها .

قال : وعزم مصعب على أن يوجه إليه بجيش كثير من الكوفة ، وعلمت بذلك بنو عمه فكتبوا إليه ، فلما نظر في كتب بني عمه تبسم لذلك وأنشأ يقول[1] :

يخوفني[2] بالقتل قومي وإنما أموت إذا حان[3] الكتاب المؤجّلُ
لعل القنا تدني بأطرافها الغنى فنحيا[4] كراماً أو نكر فنقتل[5]
ألم تر أن الفقر يزري بأهله وأن الغنى فيه العلى والتجمل

---

(١) الأبيات في الطبري ١٣٣/٦ وابن الأثير ٢٨/٣ .

(٢) عن الطبري وبالأصل : « تخوفني » .

(٣) في الطبري وابن الأثير : جاء .

(٤) عن الطبري ، وبالأصل : «فمحى» .

(٥) عن الطبري ، وبالأصل : نكير فيقتل .

إذا كنت ذا رمح وسيف مصمم على سابح أدناك مما تؤمل
وإنك إن لم تركب الهول لم تنل من المال ما يرضى الصديق ويفضل
إذ المرء لاقاني وملّ حياته فلست أبالي أيّنا كان أول

ثم إن مصعباً كتب إليه كتاباً : أما بعد ، يابن الحر ! فإن حلمي هو الذي يردعني من أن أعجل عليك ، ولو أردت ذلك لما عظم عليّ أمرك ولو كنت في جيش بعدد خوص العراقين ، فالله الله في نفسك انظر لها غيرك ، واقبل إلى العاقبة ، واكفف عما أنت عليه ، وسلني أي عمل شئت وأحببت حتى أوليك إياه ،لا يعترض عليك معترض ، وإن أبيت سرت إليك بنفسي وخيلي ورجلي ، واستعنت الله عليك ـ والسلام ـ .

قال : فكتب إليه ابن الحر : أما بعد ، يابن الزبير ! فإن كتابك ورد عليّ فقرأته ، وفهمت ما فيه وما دعوتني[1] إليه من طاعتك والكف عن محاربتك ، ووالله لقد دعاني إلى نصره من هو خير منك أمّاً وأباً وأصلاً وحسباً[2] وفرعاً وحسباً الحسين بن علي وفاطمة الزهراء فلم أنصره ، وإني على ذلك لمن النادمين ، وأظن أني لمن الخاسرين ، إلا أن يداركني رحمة رب العالمين ، وأما وعيدك إياي المسير إليّ بخيلك ورجلك فأنت وأصحابك أهون عليّ من جرامقة الجزيرة على عرب الحجاز ـ والسلام ـ . ثم أثبت في أسفل كتابه أبياتاً مطلعها :

أتاني وعيد ابن الزبير فلم أرع وما مثل قلبي بالوعيد مروع

إلى آخرها .

قال : ثم مضى عبيد الله بن الحر فجعل يغير على السواد يمنة ويسرة ، فيهزم الرجال ويحوي الأموال فيقسمها في أصحابه ، ثم أمر فجعل يقطع البلاد ، حتى صار إلى مدينة يقال لها تكريت على شاطىء الدجلة ، وبها يومئذ عامل المهلب بن أبي صفرة فأخذه عبيد الله بن الحر فضرب عنقه صبراً[3] ، ثم دخل إلى مدينة تكريت فاحتوى على أموالها . ثم سار منها يريد الموصل ، وبها يومئذ المهلب بن أبي صفرة من قبل مصعب بن الزبير ، فلما بلغه خبر عبيد الله بن الحر سار إليه في أربعة آلاف

---

(١) الأصل : دعتني .
(٢) كذا ، وقد تكررت ، ولعل الصواب : ونسباً .
(٣) في الطبري ١٣٣/٦ هرب عامل المهلب عن تكريت .

فارس . قال : وبلغ ذلك عبيد الله بن الحر ، فرجع إلى تكريت فنزلها ، ثم أرسل إلى من كان مع المهلب من بني عمه أن اكفوني أمركم ودعوني والمهلب ، فإني أقوم به وبحربه إن شاء الله تعالى .

ذكر وقعة عبيد الله بن الحر مع المهلب بن أبي صفرة

قال : وعبيد الله بن الحر يومئذ في قريب من ألف فارس ، على ميمنته عمرو بن جندب الأزدي ، وعلى ميسرته المحسن بن خليد الحرمي ؛ قال : وتصادم[1] القوم واشتبكت الحرب بين الفريقين ، فقتل من أصحاب عبيد الله بن الحر قريباً من ثلاثمائة فارس وقتل من أصحاب المهلب مثل ذلك ، ووقعت الهزيمة على أصحاب ابن الحر ، فانهزموا حتى بقي في مائة رجل أو أقل من ذلك ، فقاتل ساعة بهم وانهزموا عنه المائة فبقي في تسعة ، فقتل من التسعة رجلان[2] فبقي في سبعة ، فقتل من السبعة أربعة فبقي في ثلاثة ، فقتل من الثلاثة عمرو بن جندب الأزدي ، وكان فارساً بطلاً لا يصطلى له بنار ، فبقي عبيد الله بن الحر في رجلين أحدهما المحسن بن خليد الحرمي و[الآخر] عبد الله بن قيس الخثعمي ، فقال لهما[3] ابن الحر : لا تيئسا من الحياة واحملا[4] معي فإني حامل ! ثم حسر عن رأسه وحمل في هذين الراجلين على أصحاب المهلب ؛ فلما خالطهم ضرب رجلاً منهم ضربة فصرعه عن فرسه ، ثم ضرب ثانياً وثالثاً وصاح : أنا ابن الحر ! فولى القوم منهزمين من بين يديه يركب بعضهم بعضاً . قال : وتراجع[5] إليه أصحابه الذين كانوا انهزموا عنه ، فاحتوى عبيد الله على سواد المهلب ، وجعل يذكر هذه الوقعة[6] وما

---

(١) الأصل : وتصادموا .

(٢) الأصل : رجلين .

(٣) الأصل : لهم .

(٤) الأصل : واحملوا .

(٥) الأصل : وتراجعوا .

(٦) لم نجد فيها لدينا من مصادر ذكراً لهذه الوقعة وما في الطبري ٦/١٣٣ أن عبيد الله أقام في تكريت يجبي خراجها : فوجه إليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحي والجون بن كعب الجون في ألف وأمدهما المهلب بيزيد بن المغفل في خمسمئة . . . فقاتلهم يومين وهو في ثلاثمئة فخرج جرير بن كريب وقتل عمرو بن جندب الأزدي وفرسان كثير من فرسانه وتحاجزوا عند المساء وخرج عبيد الله من تكريت .

ناله فيها فأنشأ يقول أبياتاً مطلعها :

فإن تك خيلي يوم تكريت أجمحت وقتـل فرسـاني فمـا كنت دانيـا

إلى آخرها . قال : ثم بعث عبيد الله بن الحر برجال من أصحابه في جوف الليل إلى عمرو بن جندب وأصحابه القتلى ، فدفنوا على شاطىء الفرات حذاء مدينة تكريت ؛ ثم أقبل راجعاً نحو الكوفة وهو يقول :

وأبيض قـد نبهتـه بعـد هجعـة فقـام يشـد السرج والمـرء نـاعس

عليـه دلاص كـالأضـاة وبيضـة تضيء كمـا يذكى من النـار قـابس

ثم أقبـل حتى نزل قـريباً من الكـوفة وبلغ ذلـك مصعب بن الـزبيـر فـدعـا بحجار[1] بن أبجر العجلي فضم إليه خمسة آلاف فارس ووجه بهم نحو عبيد الله بن الحر ، فسارت الخيل من الكوفة حتى وافته بموضع يقال له دير الأعور ، ودنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ، فقتل من أصحاب عبيد الله بن الحر جماعة وفشت فيهم الجراحات ، وذلـك في أول النهار ، ثم وقعت الهـزيمة بعـد ذلك على أصحـاب مصعب بن الزبير ، فانهزموا حتى تقاربوا من الكوفة وقد قتل منهم من قتل ، واحتوى عبيد الله بن الحر على ما قدر[2] عليه من دواب القوم وأسلحتهم وأسلابهم .

ثم أقبل ابن الحر حتى نزل بموضع يقال له صرصر فعسكر هنالك ، وجعل مصعب بن الزبير يجمع له الجموع حتى اجتمع إليه نيف عن سبعة آلاف فارس ، فضمهم مصعب بن الـزبير إلى مسلم بن عمـرو[3] البـاهلي والحجـاج بن حـارثـة الخثعمي . قال : وسارت العساكر من الكوفة نحو عبيد الله بن الحر حتى وافوه على نهر صرصر ، وقد التأم[4] إليه الناس فصار في ألف وثلاثمائة فارس ما منهم إلا فارس مذكور . قال : ودنا[5] القوم بعضهم من بعض ، واستأمن قوم من أصحاب مصعب بن الزبير إلى عبيد الله بن الحر ، فلما رأى أصحاب مصعب ذلـك وقع فيهم الفشـل ، فانهزموا متفرقين في البلاد ، وغنم ابن الحر وأصحـابه مـا كان لهم من مـال ودواب وسلاح ، ثم أنشأ وجعل يقول أبياتاً مطلعها :

---

(١) عن الطبري ٦/١٣٤ وابن الأثير ٣/٢٨ وبالأصل : الحرث .

(٢) الأصل : قدروا .

(٣) عن الطبري ، وقد مرّ ، وبالأصل : عمر .

(٤) الأصل : التأموا .

(٥) الأصل : ودنوا .

نفيت لصوص الأرض ما بين عانة   إلى جازر حتى مدينة دسترا[1]

إلى آخرها .

قال : ثم كتب مصعب بن الزبير إلى يزيد[2] بن رؤيم الشيباني يأمره بالمسير إلى عبيد الله بن الحر ، قال : وكان يزيد بن رؤيم يومئذ بالمدائن من قبل مصعب بن الزبير ، فلما ورد عليه كتاب مصعب سار[3] إلى عبيد الله بن الحر حتى وافاه في موضع يقال له باجسرى[4] والتقى القوم هنالك ، فاقتتلوا ساعة ، فقتل من أصحاب يزيد بن رؤيم جماعة ، وانهزم الباقون[5] ، وأتبعه عبيد الله بن الحر حتى وافاه بالمدائن . قال : وتحصن يزيد بن رؤيم في قصر المدائن ، وأحدق عبيد الله بن الحر وأصحابه بالقصر حتى أصبحوا ، ثم أنهم استمدوا بأهل مدينة الرومية فاجتمع أهل المدينتين جميعاً على عبيد الله بن الحر وأصحابه ، فقاتلهم ساعة فعلم أنه لا طاقة له بهم ، فجعل يقاتلهم هو وأصحابه حتى تخلص من المدائن سالماً .

ثم تقدم إلى سورا[6] وبها يومئذ عبد الرحمن العجلي من قبل مصعب بن الزبير ، فخرج[7] إلى محاربة عبيد الله بن الحر وأصحابه ، فقال ابن الحر لأصحابه : فداكم أبي وأمي ! احملوا عليهم حملة صادقة ، فلعلي أن أغنمكم مال سورا ! قال : فصبر القوم بعضهم لبعض ساعة ، ثم انهزم أهل سورا حتى دخلوا إلى المدينة ، واحتوى ابن الحر وأصحابه على أسلابهم وأموالهم ودوابهم ؛ ثم أنشأ ابن الحر يقول أبياتاً مطلعها[8] :

---

(١) عانة : بلد مشهور بين الرقة وهيت .
وجازر : قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن .
دسترا : كذا ، ولم نعثر عليه .

(٢) في الطبري ١٣٤/٦ يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني .

(٣) في الطبري : قدّم ابنه حوشبا .

(٤) عن الطبري ، وبالأصل : جسرى . وبا جسرا : بليدة في شرقي بغداد .

(٥) الأصل : وانهزموا الباقين .

(٦) سورا : موضع بالعراق من أرض بابل .

(٧) في الطبري ١٣٤/٦ وابن الأثير ٢٩/٣ أن الذي خرج لملاقاة ابن الحر هو بشير بن عبد الرحمن بن بشير العجلي .

(٨) الأبيات في الطبري ١٣٥/٦ .

سل[1] ابن رؤيم عن جلادي وموقفي بـإيـوان كسـرى لا أوليهم ظـهـري

إلى آخرها .

ذكر الأسود الذي كان يقطع الطريق واسمه الغداف(٥) وكيف قتله عبيد الله بن الحر

قال : ثم سار عبيد الله بن الحر حتى نزل مدينة الأنبار ، فلما رآه أهلها كأنهم اتقوه وهموا بالهرب من المدينة ، فنادى فيهم ابن الحر : ليس عليكم من بـأس ! أقيموا بمدينتكم أنتم آمنون ! فتراجع القوم إلى منازلهم وأسواقهم ، ثم أنهم حملوا إليه الميرة والهدايا ، فقبلها منهم وقال : إن كانت لكم حاجة فاسألوني إياها . قال : فتقدم إليه جماعة منهم من أهل الأنبار فقالوا : نعم ، أيها الأمير ! إن حاجتنا إليك حاجة لله فيما يرضي الله ، ولك فيها ثواب عظيم . قال : وما ذاك ؟ قالوا : ههنا حبشي يقال له الغداف[3] يقطع الطريق وحده ما بين مدينتنا هذه إلى مدينة هيت ، ثم إنه يأتي مدينتنا هذه ليلاً ونهاراً ، فلا يقدم عليه أحد لما يعلمون من بأسه وشدته ، فإذا بلغه أن امرأة حسناء في موضع من المواضع هجم على تلك الدار فيأخذ المرأة ويكتف زوجها ثم يفجر بها ، فإن تكلم زوجها قتله ثم يخرج ، فلا يقدر أحد عليه ، فإن رأيت أن تريحنا منه وأهل هذه البلدة يقرون لك بالعبودية إلى آخر الدهر ! قال : فتغير وجه عبيد الله بن الحر وأدركته الغيرة والأنفة ، ثم أقبل على أهل الأنبار فقال : وأين يكون هذا الأسود ؟ فقالوا : في وادي كذا وكذا قريباً من شاطىء الفرات . قال : فدعا عبيد الله بن الحر بفرسه فاستوى عليه وأخذ سيفه وتقلد رمحه ، ثم أقسم على أصحابه أنه لا يتبعه أحد منهم ، ثم خرج من الأنبار في جوف الليل وهو يقول :

وأبيض قـد نبهتـه بعـد هجعـة وقـد لبس الليل القميص الأرنـدجا
وجـدت عليـه مغـرمـاً فقبضتـه وفـرّجت مـا يـرجـا بـه أن يفـرجـا
وكنت إذا قـومي دعـوني لنجـدة شددت نطاقي حين أدعى وأسـرجا
فـأكشف غمـاهـا وأكسب مغنمـاً وأطفي الذي قد كـان فيها مؤجّجـا

---

(١) الطبري : سلوا .

(٢) لم نجد هذه الرواية فيما لدينا .

(٣) الأصل : الغذاف ، وقد صححت أينما وجدت في الخبر .

قال : ثم سار عبيد الله بن الحر حتى صبح الوادي الذي فيه الغداف ، فنزل عن فرسه إلى ماء يجري في أول الوادي ، فتوضأ ثم وثب فصلى الفجر وعنان فرسه في يده . ثم وثب فاستوى على فرسه وجعل يتلفّت يمنة ويسرة فلا يرى أحداً حتى إذا بزغت الشمس وإذا هو بالغداف وقد خرج من شعب من شعاب ذلك الوادي على فرسه له أدهم أغر محجل ، وفي يده رمح له طويل ، وعلى رأسه عمامة له حمراء ، وإذا هو أسود آدم ، مشرف عظيم من الرجال . قال : فوقف له ابن الحر حتى حاذاه وصار قبالته ، فقال له الغداف أيها الرجل ! من أين أقبلت ؟ قال : من الأنبار ، قال : فأين تريد ؟ قال : أريد إلى هيت ، قال الغداف : بلغني أن عبيد الله بن الحر قد نزل بالأنبار ، فأين يريد ؟ قال : لا علم لي بذلك ، فقال الغداف : لقد بلغني عنه شدة وفروسية وإقدام على الرجال ، ولعله ما نازل بطلاً ، ولقد كنت أحب أن أزوره وأراه ، وأنظر إلى جلادته ومنازلته للرجال ! قال : ثم جعل يساير عبيد الله بن الحر ويسأله عن حاله ، حتى إذا أصحر عن الوادي قال له الغداف : انزل عن فرسك وانج ! فقال له ابن الحر : أو تعرفني ؟ قال : لا ، قال : فأنا ابن الحر وإياك أردت يا كلب ! ثم حمل عليه واختلفا بطعنتين ، فطعنه ابن الحر طعنة نكسه عن فرسه ، ثم نزل إليه فذبحه واحتز رأسه [ووضع] في مخلاة ، وأخذ سلاحه وسلبه ، وأقبل يريد الأنبار ، وأنشأ يقول :

إنـي رأيـت بـواد غـابـر رجـلاً مثـل الهـزبـر إذا مـا سـاور البـطلا
ضخم الفـريسـة لـو أبصـرت قـامتـه وسط الـرجـال إذا شـبهتـه جمـلا
سـايـرتـه سـاعـة مـا بي مخـافتـه إلا التلفـت حـولي هـل أرى دغـلا
أنشـأ يسـايلـني عـنـه وأطـعـنـه فخـر يهـوي على الخيشـوم منجـدلا
دهـدهـتـه بـيـن أحـجـار وأوديـة لا يعلم النـاس غيـري علم مـا فعـلا
يـدعى الغـداف وقـد مـالت عـلاوتـه إن الـغـداف وربـي وافـق الأجـلا

قال : ثم وافا عبيد الله بن الحر حتى دخل الأنبار وأمر برأس الغداف فنصب على باب المدينة . قال : وفرح أهل الأنبار بذلك فرحاً شديداً ثم حملوا إليه هدايا كثيرة من الأطعمة والأشربة وغير ذلك ، فقبلها منهم .

قال : وأقبل رجل من الأنبار وقال : أيها الأمير هل تعلم بالعراق من يدانيك أو يقوم مقامك ؟ فقال : نعم ، رجلاً واحداً يقال له جرير بن مشجعة الجعفي ، وهو اليوم مع بني عمه بالكوفة ، ولو أنه معي أو في أصحابه أربعة مثله لكبست الكوفة

فقتلت مصعباً واحتويت على ماله ، وعسى أن يكون ذلك إن شاء الله . ثم جعل يقول :

لـو أن لي مثـل جـريـر أربَعَـهْ صبَّحتُ بيتَ المـال حتى أجمعَـهْ
ولـم يهلني مـصعـب ومـن مـعــه نعم الفتى ذلكُم ابن مَشجعَــه[1]

ذكر مسير عبيد الله بن الحر إلى عبد الملك بن مروان بالشام يسأله المعونة على مصعب بن الزبير

قال : ثم أقبل عبيد الله بن الحر على أصحابه وقال: تهيأوا الآن ! فإني قد عزمت أن أسير بكم إلى الشام إلى عبد الملك بن مروان وأسأله المعونة على مصعب بن الزبير ، فلعلي أشفي بنفسي منه ومن أصحابه قبل الموت . قال : ثم نادى في أصحابه وترحل نحو الشام ، وأنشأ يقول أبياتاً مطلعها :

وبالشام إخـواني وجلّ عشيـرتي وقـد جعلت نفسي إليـك تـطلعُ

إلى آخرها .

قال : ثم سار حتى صار إلى دمشق وبها يومئذ عبد الملك بن مروان ، فوقف ببابه ثم استأذن له ، ودخل فسلم ، فرد عليه عبد الملك السلام ، ثم أدناه وأقعده معه على سريره ، ثم دعا بالخلع فخلع عليه ، وأمر له بمائة ألف درهم ؛ فقال له عبيد الله بن الحر : يا أمير المؤمنين ! لم أزرك للمال ، إنما أريد أن توجه معي رجالاً أقاتل بهم مصعب بن الزبير ، فلست بآيس من أخذ العراق لك يا أمير المؤمنين ! فأجابه عبد الملك بن مروان إلى ذلك ، ثم أمر له بمائة ألف درهم أخرى ، وأمر له ولأصحابه بالمنازل والإنزال ، وأجرى عليهم الأرزاق . ثم أمر له بأربعة آلاف رجل من أهل الشام[2] ، فأعطاهم الأرزاق وضمهم إليه وأمرهم بالمسير معه .

قال : فسار القوم مع عبيد الله بن الحر حتى صاروا إلى الرقة ، ثم انحدروا

---

(١) الأرجاز في الطبري ١٣٣/٦ .
(٢) في الطبري ١٣٥/٦ وجهه في عشرة نفر نحو الكوفة . وفي ابن الأثير ٢٩/٣ : قال له : سر بأصحابك وادعُ من قدرت عليه وأنا ممدك بالرجال .

على الفرات حتى صاروا إلى الأنبار ، قال : فنزل عبيد الله بن الحر ومن معه من الأنبار يوماً ثانياً ، ثم إنهم تذاكروا شيئاً من أمر صفين وما كان من محاربة أهل العراق لهم ، فوثب بعضهم على بعض فاقتتلوا هنالك حتى تفانى الفريقان[1] جميعاً من أهل الشام وأصحاب عبيد الله بن الحر على غير شيء . قال : وانفلت نفر من أهل الشام ، فمروا هاربين على وجوههم ، وبقي عبيد الله بن الحر في نفر يسير من أصحابه .

ذكر مقتل عبيد الله بن الحر

قال : وكان مصعب بن الزبير يومئذ بالبصرة وخليفته الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة[2] بالكوفة . فلما بلغه ما فيه عبيد الله بن الحر من قلة أصحابه اغتنم ذلك ، فدعا برجل من بني سليم يقال له عبيد بن العباس ، فضم إليه خمسمائة فارس وأمره بالمسير إلى عبيد الله بن الحر .

قال : فسارت الخيل نحو عبيد الله بن الحر ، فلما نظر الخيل وقد وافته التفت إلى من بقي من أصحابه فقال : يا بني الأحرار ! اركبوا خيولكم وموتوا كراماً ! وإلاّ أخذتم أسارى فعرضتم على السيف كما عرض أصحاب المختار من قبلكم[3] . قال : فركب أصحابه وهم يومئذ أقل من خمسين رجلاً ، وركب عبيد الله بن الحر وجعل يقول :

يا لك يوماً قل فيه ثقتي   وغاب عني معشري وأسرتي
ومذحج طرّاً وجل إخوتي   وصحبتي الحامون لي في كربتي
يا قيس غيلان أصبتم فرصتي   وما أبالي إن أتت منيتي[4]

قال : ثم حمل عليهم في أصحابه على قلتهم ، فقاتل ساعة فقتل من أصحابه

---

(١) الأصل : تفانوا الفريقين .
(٢) الأصل : وانفلتوا .
(٣) الأصل : عبيد الله بن الحارث بن أبي ربيعة ، وقد مرّ .
(٤) وكان أصحابه قد قالوا له : نحن نفر يسير وهذا الجيش لا طاقة لنا فيه .
(٥) في ابن الأثير ٣/ ٣٠ :
يا لك يوماً فات فيه نهبي   وغاب عني ثقتي وصحبي

نيف على ثلاثين رجلاً وبقي في بضعة عشر رجلاً ، فقاتل حتى بقي خمسة ، فجعل يرتجز ويقول :

لــو أن لي من شيعـتي رجـالا　　مـسـاعـراً أعـرفـهـم أبـطالا
لأحـسنــوا مـن دوني الـقـتـالا　　ولم يهـابوا في الـوغى الآجـالا

قال : وقتل أصحابه الخمسة فبقي عبيد الله بن الحر يقاتل وحده وأحاطت به الخيل من كل جانب ، قال : فطعنه رجل من بني محارب[1] يكنى أبا كديـة[2] ، فصرعه عن فرسه على شاطىء الفرات وغار فرسه ، فوثب قائماً وبقي يقاتلهم راجلاً في جوف الماء ، والقوم يرمونه بالسهام ، ولا يدنو أحد منه غير أنهم يقولون : كيف ترى هذه السهام يـابن الحـر ! فقال لهم : إن كنتم رجالاً كما تزعمون فابرزوا إليّ واحداً بعد واحد حتى تعلموا أينا ابن الحر ! قال : وأثخن بالجراحات فلم يستطع أن يقاتل القوم ، فعمد إلى زورق من تلك الزوارق ، فجلس فيه وقال لصحابه : عبرني إلى ذلك الجانب من الفرات وسلبي لك ! قال : فجعل صاحب زورق يقذف به حتى صار إلى نصف الفرات وأصحـاب مصعب ينادون صـاحب الزورق : ويحـك أيها الملاح ! إن الذي معك هو طلب أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وطلب مصعب بن الزبير ، فاحذر على نفسك ورد الزورق إلينا ولك عشرة آلاف درهم ! قال : فهم الملاح أن يرده إليهم . فلما حول رأس الزورق قام إليه عبيد الله بن الحر ليمنعه من ذلك ، فقبض عليه الملاح وكان قوياً في بدنه فاعتنقا جميعاً واضطربا في الزورق ثم سقطا جميعاً في الفرات فغرقا ؛ وإذا بشيخ على شاطىء الفرات ينتف لحيته ويقول : يا بختيار ! يا بختيار ! فقيل له : ماقصتك يا شيخ ؟ فقال : وما قصتي ، هذا الملاح الذي غرق هو ابني بختيار ، وكان يقتل هو الأسد في هذا البلد وحده إذا قدر عليه لشجاعته وشدته ، وكان يحمل هذا الزورق الذي لا يحمله عشرون رجلاً فيخرجه من الفرات ويقيره ويرده إلى الماء وحده ، حتى بلي بشيطانكم هذا فلم يفارقه حتّى رمى به وغرق . قال : فجعل أصحاب مصعب بن الزبير يضحكون من الشيخ ويقولـون له : لا عليك يا شيخ فإن الذي غرق ابنك وغرق معه عبيد الله بن الحر الجعفي ، ولم يكن بالعراق أشجع منه قلباً ، فتعز عن ابنك واحتسبه . قال : فقال الشيخ : إن

---

(١) في ابن الأثير ٣/٣٠ رجل من باهلة .
(٢) عن ابن الأثير وبالأصل : أبا كربه .

ابني لم يكن يغرقه إلا شيطان من شياطين هذه الدنيا .

قال : ثم دعا أصحاب مصعب بن الزبير بالغواصين ، فغاصوا في الفرات حتى أخرجوا عبيد الله بن الحر من الماء ، فاحتزوا رأسه وصلبوه على شاطىء الفرات ، ثم بعثوا برأسه إلى أمير الكوفة الحارث بن عبد الله[1] بن أبي ربيعة ، فوجه الحارث بالرأس إلى مصعب بن الزبير بالبصرة ، ووجه مصعب بالرأس إلى أخيه عبد الله بن الزبير .

قال : وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فجزع عليه جزعاً شديداً ، ثم قال : لله درك يـابن الحـر! قد كنت فارس حرب ، وكاشف كرب وفارس همة ، وسداد ثغر ، فلأسعدنك الله حياً وميتاً ، فلعمري لقد بلوك فما وجدوك خواراً ولا فراراً ، لكنهم ألفوك كراراً نفاعاً ضراراً ، وبالله يحلف عبد الملك ليأخذن بثارك وثأر غيرك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . قال : فأنشأ أنس بن معاوية البكري يقول أبياتاً مطلعها :

يـا عين ابكي عبيـد الله مـا طلعت ... شمس النهار واذري الدمع تسكابـا

إلى آخرها .

ثم رجعنا إلى أخبار محمد ابن الحنفية رضي الله عنه وعبد الله ابن الزبير وما كان بينهم من خلاف أحدهم على صاحبه

قال : ونظر عبد الله بن الزبير أنه قد صفت له العراقان جميعاً والبصرة والكوفة بقتل المختار بن أبي عبيد وعبيد الله بن الحر ، فأرسل إلى محمد ابن الحنفية بأخيه عروة بن الزبير أن هلم فبايع ، فقد قتل الله الكذاب ، وابن الحر المرتاب ، والأمة قد استوسقت ، والبلاد قد افتتحت ، فادخل فيما دخل فيه الناس من أمر البيعة ، وإلا فإننا منابذوك .

قال : فغضب محمد ابن الحنفية من ذلك ، ثم أقبل على عروة بـن الـزبير فقال : بؤساً لأخيك ما ألجه في إسخاط الله ، وأغفله من طاعة الله ، أنا أبايع أخاك وعبد الملك بن مروان بالشام يرعد ويبرق ؟ قال : ثم وثب رجل من أصحابه فقال :

---

(١) الأصل : عبيد الله .

جعلت فداك يابن أمير المؤمنين علي الرضى وابن عم النبي ، والله ! ما الرأي عندنا إلا أن توثق هذه الساعة في الحديد وتحبسه عندك ، فإن أمسك عنك أخاه وبعث بالرضا وإلا قدمت هذا فضربت عنقه ! فقال محمد ابن الحنفية : سبحان الله ! أو يكون هذا الذي ذكرت من أعمال الجبابرة وأهل الغدر ؟ معاذ الله أن نقتل من لم يقتلنا ، أو نبدأ بقتال من لم يقاتلنا . قال : ثم أقبل ابن الحنفية على عروة بن الزبير فقال له : انطلق إلى أخيك هذا فقل له عني(١) : إنك ذكرت أنه قد استوسق لك الناس وفتحت لك البلاد ، وهذا عبد الملك بن مروان حي قائم يدعى له بالشامات كلها وأرض مصر ، وفي يده مفاتيح الخلافة ، ولست أدري ما يكون من الحدثان ، فإذا علمت أنه ليس أحد يناويك في سلطانك بايعتك ودخلت في طاعتك والسلام . قال : فرجع عروة إلى أخيه عبد الله بن الزبير فأخبره بذلك .

ذكر خطبة محمد ابن الحنفية رضي الله عنه وكلامه لأصحابه

قال : ثم قام محمد ابن الحنفية في أصحابه خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ! إن هذه الأمة قد ضلت عن رسول الله ﷺ في ربها ، وتاهت عن معالم دينها إلا قليلاً منها ، فهم يرقعون في هذه الدنيا حتى كأنهم لها خلقوا ، وقد نسوا الآخرة حتى كأنهم بها لم يؤمروا ، فهم يضلون على الدنيا أنفسهم ، ويقطعون فيها أرحامهم ، ويفرطون لها عن سنة نبيهم ، ولا يبالون ما أتوه فيها من نقص دينهم إذا سلمت لهم دنياهم ، أللهم فلا تنسنا ذكرك ، ولا تؤمنا مكرك ، ولا تجعل الدنيا لنا همّاً ، ولا تحرمنا صحبة الصالحين في دار السلام .

قال : ثم أقبل على أصحابه فقال : إني أرى ما بكم من الجهد ، ولو كان عندي فضل لم أدخره عنكم ، وقد تعلمون ما ألقى من هذا الرجل الذي قرب دماؤه ، وأساء جواره ، وظهرت ، عداوته ، واشتدت ظعينته ، يريد أن يثور بنا(٢) في مكاننا هذا ، وقد أذنت لمن أحب منكم أن ينصرف إلى بلاده ، فإنه(٣) لا لوم عليه مني ، وأنا مقيم في هذا الحرم أبداً حتى يفتح الله لي وهو خير الفاتحين . قال : فقام إليه أبو عبد الله

(١) في ابن الأثير ٢/ ٦٨٩ فقال ابن الحنفية : بؤساً لأخيك ما ألجه فيما أسخط الله وأغفله عن ذات الله .

(٢) عن ابن الأثير ٢/ ٦٨٩ وبالأصل : «سور إلينا» .

(٣) ابن الأثير : فإنه لا ذمام عليه منا ولا لوم .

الجدلي ، وكان من خيار أصحابه فقال : سبحان الله ! يا أبا القاسم نحن نفارقك على هذه الحالة وننصرف عنك ؟ لا والله ما سمعنا إذاً ولا أبصرنا ما نقلنا أقدامنا ، وثبتت قوائم سيوفنا في أكفنا ، وعقلنا عن الله أمرنا ونهينا .

قال : ثم وثب عبد الله بن سلع[1] الهمداني فقال : ثكلتني أمي وعدمتني إن أنا فارقتك وانصرفت عنك إلى أحد من الناس هو خير منك أو شبيه بك ! والله ما نعلم مكان أحد هو أصلح منك في وقتنا هذا ، ولكن نصير معك ، فإن نمت فمجداً وإن نقتل فشهداء ، ولا والله لئن أقتل معك على بصيرة محتسباً لنفسي أحب إليّ من أن أوتى أجر عشرين[2] شهيداً معك .

قال : ثم وثب محمد بن بشر الشاكري فقال: يـابن خير الأخيار وابن أبر الأبرار ما خلا النبيين والمرسلين ! والله لئن آكل الأطعمة المحرقة والحلوى البالية والميتة والدم على حال الضرورة أحب إليّ من البقاء مع القوم الظالمين ، لأنه قد ابتلي الصالحون من قبلنا ، فكانت تقطع أيديهم وأرجلهم ، وتسمل أعينهم ، ويصلبون على جذوع النخل أحياء ، كما فعل ابن سمية زياد بن أبيه وابن مرجانة عبيد الله بن زياد الفاجر الفاسق بشيعتكم ، فكانوا يقتلون صبراً كما قتل حجر بن عدي وأصحابه ، وكل ذلك كانوا يقتلون وعلى ذلك كانوا يصبرون . قال فقال لهم محمد ابن الحنفية : جزاكم الله من صحابة خير ما جزى الصالحين الصابرين .

قال : وجد عبد الله بن الزبير في عداوة محمد ابن الحنفية كل ذلك ليبايع ابن الحنفية ، وهو يأبى ذلك . قال : وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فكتب إلى محمد ابن الحنفية : أما بعد فقد بلغني ما به ابن الزبير مما لست له أهل ، وأنا عن قليل سائر إليه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فانظر إذا قرأت كتابي هذا فسر إلى ما قبلي أنت ومن معك من شيعتك ، وانزل حيث شئت من أرض الشام آمناً مطمئناً إلى أن يستقيم أمر الناس ، فنختار أي الخصال أحببت ـ والسلام ـ .

قال : فعندها عزم محمد ابن الحنفية على المسير إلى الشام ، وكتب عبد الله بن عباس إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد فإنه قد توجه إلى بلادك رجل منا لا يبدأ بالسوء ، ولا يكافىء على الظلم ، لا بعجول ولا بجهول ، سريع إلى

---

(١) كذا . ولم نعثر عليه .

(٢) الأصل : عشرون .

الحق ، أصم عن الباطل ، ينوي العدل ، ويعاف الحيف ، ومعه نفر من أهل بيته وعدة رجال من شيعته ، لا يدخلون داراً إلا بإذن ، ولا يأكلون إلا بثمن ، رهبان بالليل ، لـيوث بالنهار ، فاحفظنا فيهم ـ رحمك الله ! فإن ابن الزبير قد نابذنا ونابذناه بالعداوة ـ والسلام ـ .

ذكر كتاب عبد الملك بن مروان إلى ابن عباس مجيباً له عما كتب به إليه

قال : فكتب إليه عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فقد أتاني كتابك توصيني فيه بمن توجه إلى ما قبلي من أهل بيتك ، فما أسرني بصلة رحمك وحفظ وصيتك ! وكل ما هويت من ذلك فمفعول متبع ، فانزل بي حوائجك رحمك الله إن أحببت فلن أعرج عن حاجة لك قبلي ، فإنك أصبحت عظيم الحق عليّ مكيناً لديّ ، وفقنا الله وإياك لأفضل الأمور ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ـ .

قال : فعندها تجهز محمد ابن الحنفية وخرج من مكة فيمن معه من أهل بيته وأصحابه ، وبين يديه رجل من شيعته يرتجز ويقول أبياتاً مطلعها(1) :

هـديت يـا مهـدي يـابن المهتـدي   أنت الـذي نـرضى بـه ونقتـدي

إلى آخرها.

قال : ثم جعل أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني يرتجز أيضاً بين يدي محمد ابن الحنفية وهو يقول أبياتاً مطلعها :

يـا إخوتي يـا شيعتي لا تبعـدوا   إنـي زعيـم لكـم أن تـرشـدوا

إلى آخرها.

قال : ثم سار محمد ابن الحنفية حتى صار إلى مدينة مدين ، وبها يومئذ عامل

---

(1) في مروج الذهب ٣/٩٤ وخرج إلى أيلة ، فأقام بها سنين ثم قتل ابن الزبير .
وفي ابن الأثير ٢/٦٩٠ فخرج ابن الحنفية وأصحابه إلى الشام وخرج معه كثير عزة وهو يقول :

هـديت يـا مهـدينـا ابن المهـتـدي   أنـت الـذيـن نـرضى بـه ونـرتجـي
أنـت ابـن خـير النـاس بعـد النـبـي   أنـت إمـام الحـق لـسـنـا نمـتري
يا بن علي سر ومن مثل علي

من قبل عبد الملك بن مروان يقال له مطهر بن يحيى العتكي ، فلما نظر إلى هؤلاء القوم أمر بباب المدينة فأغلق ، ولقي من ناحيتهم فناداهم[1] أصحاب محمد : يا أهل مدين ! لا تخافوا فإنكم آمنون ، إنما نريد منكم أن تقيموا لنا السوق حتى نتسوق منه ما نريد ، نحن أصحاب محمد بن علي بن أبي طالب ، لسنا نرزأ أحداً شيئاً ولا نأكل شيئاً إلا بثمن ، قال : ففتح[2] أهل مدين باب مدينتهم وأخرجوا لهم الأنزال . فقال محمد ابن الحنفية لأصحابه : أيها الناس ! إني قد وطئت بكم آثار الأولين ، وأريتكم ما فيه معتبر وتبصرة لكم إن كنتم تعقلون ، ألم تروا ديار عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، كانوا عمار الأرض من قبلكم وسكانها ، أعطوا من الأموال ما لم تعطوا، وأوتوا من الأعمار ما لم تؤتوا ، فأصبحوا في القبور رميماً كأنهم لم يعمروا الأرض طرفة عين ، ولم تكن لهم الدنيا بدار .

قال : ثم سار محمد ابن الحنفية وأصحابه حتى نزلوا مدينة أيلة[3] ، فجعلوا يصومون النهار ويقومون الليل ، وجعل كل من مر بهم وقدم إلى دمشق يحدث عنهم ويقول : ما رأينا قوماً قط خيراً من هؤلاء القوم الذين قد دخلوا أرض الشام ، إنما هم صيام وقيام ، لا يظلمون أحداً ولا يؤذون مسلماً ولا معاهداً ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . قال : وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فندم على كتابه إلى ابن الحنفية وسؤاله إياه أن يقدم إلى بلاد الشام لما شاع في الناس من خبره وحسن الثناء عليه .

ذكر كتاب عبد الملك بن مروان إلى محمد ابن الحنفية من دمشق وجوابه إياه

أما بعد ، فإنك قدمت إلى بلادنا بإذن منا ، وقد رأيت أن لا يكون في سلطاني رجل لم يبايعني ، فإن أنت بايعتني فهذه مراكب قد أقبلت من أرض مصر إلى أيلة ، فيها من الأطعمة والأمتعة والأشياء كذا وكذا ، فخذ ما فيها لك ، ومع ذلك ألف ألف درهم أعجل لك منها مائتي ألف درهم ، وتؤخرني بقيتها إلى أن أفرغ من أمر ابن الزبير ويجتمع الناس إلى إمام واحد ، وإن أنت أبيت أن تبايع فانصرف إلى بلد لا سلطان

---

(١) الأصل : فنادوهم .

(٢) الأصل : ففتحوا .

(٣) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام .

لنا بها ـ والسلام .

قال : فكتب إليه محمد ابن الحنفية : أما بعد ، فإننا قدمنا هذه البلاد بإذنك إذ كان موافقاً لك ، ونحن راحلون عنها بأمرك إذ كنت كارهاً لجوارنا ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ـ .

قال : ثم خرج محمد ابن الحنفية من أيلة راجعاً إلى مكة ومعه أهل بيته وأصحابه وهو يتلو هذه الآية : **﴿ قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يٰشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كٰرهين * قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجّٰنا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفٰتحين ﴾**[1] .

قال : ثم سار ابن الحنفية حتى صار إلى مدين ، أقبل على أصحابه فقال : يا هؤلاء ! أنتم نعم الإخوان والأنصار ما علمتكم ، ولو كان عندي ما يسعكم لأحببت أن لا تفارقوني أبداً حتى تنجلي هذه الغمة ، فإن أحببتم فانصرفوا إلى مصركم محمودين ، فإنكم تقدمون إلى الناس وبهم إليكم حاجة ، وأنا سأقدم إلى مكة إلى معاندة ابن الزبير ، ولا أحب أن تكونوا مجهودين . قال : فعندها ودع أصحابه وانصرفوا إلى الكوفة ، وبها يومئذ مصعب بن الزبير فأرسل إليهم فدعاهم ، وقال : من أنتم ؟ وما أقدمكم إلى مصرنا هذا ذنبكم ؟ فقالوا : نحن أصحاب محمد ابن الحنفية ولم نقدم لسوء ، إنما قدمنا إلى بلدنا فاجعل لنا أرزاقنا واصطنعنا ، وإن دخلت ذلك دخلنا في بيعتك وأقررنا في بلدنا وعشائرنا . قال : فأمرهم مصعب بن الزبير فبايعوه وأقاموا عنده .

ومضى ابن الحنفية بمن معه من أهل بيته ومواليه حتى نزل بشعب أبي طالب بمكة ، وبلغ عبد الله بن الزبير فأرسل إليه أن ارتحل عن هذا الشعب أنت وأصحابك هؤلاء الذين معك ، وإلا هلم فبايع . فقال ابن الحنفية لرسوله : ارجع إليه وقل له إن الله تعالى قد جعل هذا البلد آمناً وأنت تخيفني فيه ، ولست بشاخص عن مكاني هذا أبداً إلى أن يأذن الله لي في ذلك ، فاصنع ما أنت صانع ! وجرى بينهم اختلاف

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ٨٨ و ٨٩.

شديد ، وبلغ ذلك من كان بالكوفة من أصحابه الذين فارقوه ، فرجعوا إليه في جمعهم حتى نزلوا في الشعب وقالوا : والله لا نفارقك أبداً أو لنموتن بين يديك ! قال : وأمسك ابن الزبير عن ابن الحنفية وكف عنه إلى أن حجت الناس .

فلما كان يوم النفر[1] أرسل بأخيه عروة بن الزبير وعبد الله بن مطيع العدوي في رجال من قريش إليه ، فأقبل القوم حتى دخلوا الشعب إلى ابن الحنفية فقالوا : إن أمير المؤمنين يأمرك أن تتنحى عن هذا الشعب الذي أنت نازل فيه ، فإنه قد عزم إن لم تفعل ولم تنتقل إلى موضع غيره أن يسير إليك حتى يناجزك ، فإن أردت الشخوص فهذا يوم الجمعة قم فانفر مع الناس وامض إلى حيث شئت من البلاد ! قال : فسكت ابن الحنفية وقام رجل من أصحابه يقال له معاذ بن هانىء فقال : أيها المهدي ! إن هذا البلد قد جعل الله عَزَّ وجَلَّ ، الناس فيه سواء العاكف فيه والباد ، وليس أحد أحق به من أحد ، وهذا الرجل قد ألحد في الحرم وسفك فيه الدم ، وقد بعث إليك مرة بعد أخرى يأمرك بالتنحي عنه ، فإن هو أبى إلا إشخاصك تركاً لأمر الله وجرأة عليه فقد بدأك بالظلم وبما لم تكن تستحله ، وقد اضطرك وإيانا إلى ما لا صبر لك عليه فخل بيننا وبينه ، فوالله ! إني لأرجو أن آتيك به سلماً أو يُقتل هؤلاء أصحابه الفساق الجبارون وأعداء الصالحين ، فإنما هم أعراب أهل اليمامة وجهال أهل مكة ، ولقد قاتلهم قوم ينوون رضوان الله وثواب الآخرة ، ولما ثبتوا للطعان والضراب ولا تذعروا بدعارة أولاد الحجل . قال : فغضب عبد الله بن مطيع من ذلك ، ثم أقبل على ابن الحنفية فقال : يا أبا القاسم ! لا يغرنك عن نفسك حاثك أهل اليمن هذا وأشباهه ، فإني أعلم أنهم إن أوردوك لم يصدروك ، أفليس هم قتلة أبيك وابن عمك وأخيك ! فقال ابن الحنفية : لا ، بل هم أنصاري وشيعتي الذين عليهم أعتمد بعد الله تعالى . فقال عبد الله بن مطيع : اقبل مني ، إما أن تبايع هذا الرجل وإلا فانج بنفسك من قبل التورط ومن قبل أن تتمنى النجاة ولات حين نجاة . قال : فقال معاذ بن هانىء لعبد الله بن مطيع : يابن نساجة العبا ! نحن نسلم لك ولصاحبك هذا ، ولما نُقتل بين يديه أو نبيدكم عن آخركم ؟ قال : وارتفعت أصوات القوم ، فسكتهم ابن الحنفية عن آخرهم ، ثم أقبل على أصحابه فقال : أخبروني عنكم ماذا عندكم من الرأي ، فإني أكره سفك الدماء في حرم الله وحرم رسوله محمد ﷺ . قال أصحابه : الرأي رأيك ، فانظر ما هو الصواب فألقه إلينا ، فإننا لن نعدوه ، إن أمرتنا بقتال القوم

(١) يوم النفر : اليوم الذي ينفر فيه الناس من منى إلى مكة وهو الثالث من يوم النحر .

قاتلناهم ، وإن أمرتنا بالكف عنهم كففنا وحمدنا الله على ذلك ورجونا الخيرة فيما قضى الله عَزَّ وجَلَّ من ذلك وقدر .

قال : فأطرق ابن الحنفية ساعة وقال : اللهم ! إن هذا الرجل قد ظلمني وتعدى عليّ في إخراجه إياي من حرمك وحرم رسولك محمد ﷺ ، اللهم ! فألبسه لباس الذل والخوف ، وسلط عليه وعلى أشياعه وناصريه من[1] يسومهم سوء العذاب ، اللهم ! عاقبه بخطيئته ، واجعل دائرة السوء عليه بسوء نيته وجريرته ، وخذه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله ، وأنزل به بأسك وغضبك الذي لا ترده عن القوم المجرمين . قال : ثم عزم ابن الحنفية على المسير إلى الطائف هو وأصحابه .

ذكر ما جرى بين عبد الله بن عباس وابن الزبير في أمر محمد ابن الحنفية

قال : وبلغ ذلك عبد الله بن عباس أن ابن الحنفية يريد أن يمضي إلى الطائف ، فأقبل مغضباً حتى دخل على عبد الله بن الزبير فقال : يا هذا ! والله ما ينفعني تعجبي منك ومن ابتزازك وجرأتك على بني عبد المطلب ، تخرجهم من حرم الله وحرم رسوله محمد ﷺ وهم بالحرم وأعظم فيه نصيباً منك ، أما والله إن عواقب الظلم لتردّ إلى مساءة وندامة . فقال له ابن الزبير : يابن عباس ! إنه قد قتل الله المختار الكذاب الذي كنتم تمدون أعينكم إلى نصرته لكم ؛ فقال ابن عباس : يابن الزبير دع عنك المختار ، فإنه قد بقيت لك عقبة تأتيك من أرض الشام ، فإذا قطعتها فأنت أنت . قال : فغضب ابن الزبير ثم قال : والله يابن عباس ما منك أعجب بل أعجب من نفسي ! كيف أدعك تنطق بين يدي بملء فيك . قال : فتبسم ابن عباس ثم قال : والله ما نطقت بين يدي أحد من الولاة كما نطقت بين يديك ! ولقد نطقت وأنا غلام[2] بين يدي رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق فعجبوا لتوفيق الله إياي ، ولقد نطقت وأنا رجل[3] بين يدي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وكانوا يرونني أحق من نطق ، يستمع رأيي ويقبل مشورتي ، وهؤلاء الذين ذكرتهم من

---

(١) في ابن الأثير ٢/ ٦٩٠ : من يسومهم الذي يسوم الناس .
(٢) الأصل : غلاماً .
(٣) الأصل : رجلاً .

بعد الرسول ﷺ خير منك ومن أبيك . قال : فازداد غضب ابن الزبير ثم قال : لقد علمت أنك ما زلت لي ولأهل بيتي مبغضاً منذ كنت ، ولقد كتمتم بغضكم يا بني هاشم أربعين[1] سنة ، فقال ابن عباس : فازدد إذاً بي غضباً ، فوالله لا نبالي أحببتنا أم أبغضتنا ! قال له ابن الزبير : اخرج عني ، لا أراك تقربني ! قال ابن عباس : أنا أزهد فيك من أن تراني عندك. قال ابن الزبير : دع عنك هذا واذهب إلى عمك هذا فقل ليخرج عن جواري ولا يتربص ، فإني ما أظنه سالماً مني أو يصيبه مني ظفر . قال ابن عباس : ما ولوعك بابن عمي وما تريد منه ؟ قال : أريد منه أن يبايع كما بايع غيره ! قال ابن عباس : مهلاً يـابن الزبيـر! احذر ، فإن مع اليوم غداً . قـال ابن الزبير : صدقت مع اليـوم غد ، وليس يجب عليـك أن تكلمني في رجل ضعيف سخيف ، ليس له قدم ولا أثر محمود . قال : فتنمّر ابن عباس غضباً ثم قال له : إنه ليس على هذا صبر يـابن الزبيـر ! والله إن أباه لأفضل من أبيك ، أسرته خير من أسرتك ، وإنه لفي نفسه خير منك ، وبعد فرماه الله بك إن كان شراً منك في الدين والدنيا .

قال ثم خرج ابن عباس من عند ابن الزبير مغضبـاً ، وأقبل حتى جلس في الحجر ، واجتمع إليه قوم من أهل بيته ومواليه ، فقالوا : ما شأنك يـابن عبـاس ؟ فقال : ما شأني ! أيظن ابن الزبير أني مسـاعده على بني عبـد المطلب ؟ والله إن الموت معهم لأحب إليّ من الحياة معه ، أما والله ! إن كان ابن الحنفية سخيفاً ضعيفاً كما يقول لكانت أنملته أحب إليّ من ابن الزبير وآل الزبير ، فإنه والله عندي لأوفر عقلاً من ابن الزبير وأفضل منه ديناً ،وأصدق منه حياء وورعاً ! قال فقال له رجل من جلسائه : يـابن عبـاس ! إنـه قد نـدم على ما كـان من كلامـه ، وهو الـذي بعثنا اعتذاراً . قال ابن عباس : فليكف عن أهل بيته ، فقد قال القائل «غثك خيـر من سمين غيرك» . أما والله ! لو فتح لي من بصري لكان لي ولابن الزبير ولبني أبيه يوم أرونان .

ذكر ما جرى بين ابن عباس وابن الزبير أيضاً من كلام قبيح

قال : وبلغ ابن الزبير أن ابن عباس يقول فيه ما يقول ، فخرج من منزله في عدة من

---

(١) الأصل : أربعون .

أصحابه حتى وقف في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن فيكم رجلاً أعمى الله قلبه كما أعمى الله بصره ، يزري على عائشة أم المؤمنين ، ويعيب طلحة والزبير حواريّ رسول الله ﷺ ، ويحل المتعة ، فاجتنبوه ؛ جنبه الله السداد .

قال : وكان ابن عباس يومئذ حاضراً ، فلما سمع ذلك وثب قائماً على قدميه ، ثم قال[1] : يـابن الزبير ! أما ما ذكرت من أم المؤمنين عائشة ، فإن أول من هتك عنها الحجاب أنت وأبوك وخالك وقد أمرها الله عَزَّ وجَلَّ أن تقر في بيتها ، فلم تفعل فتجاوز الله عنها ورحمها ؛ وأما أبوك وأنت وخالك طلحة وأشياعكم ، فلقد لقيناكم يوم الجمل فقاتلناكم ، فإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم المؤمنين ، وإن كنا كفاراً فقد كفرتم بفراركم من الزحف ؛ وأما ذكرك للمتعة أني أحلها ، فإني إنما كنت أفتيت فيها في خلافة عثمان بن عفان وقلت : إنما هي كالميتة والدم ولحم الخنزير لمن اضطر إليها ، حتى نهاني عنها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقال : إني سمعت رسول الله ﷺ حين رخص فيها على حدّ الضرورة ، وسمعته حين حرمها ونهى عنها بعد ذلك ، وإن الله تبارك وتعالى قد حرمها ونهى أن يرخص فيها ، فما رخصت فيها لأحد بعد ذلك إلى يومي هذا ، فإنه قد كان يجب عليك أن لا تذكر المتعة فإنك إنما ولـدت من متعة ، فـإذا نزلت عن منبـرك هـذا فصر إلى أمـك فسلهـا عن بـردي عوسجة[2] ، قال : فقال له ابن الزبير : اخرج عني ، لا تجاورني ! فقال : نعم والله لأخرجن خروج من يقلوك ويذمك . ثم قـال ابن عباس : اللهم ! إنـك قادر على

---

(١) في مروج الذهب ٩٨/٣ : فقال : يا ابن الزبير :

قـد أنـصـف الـقـارة مـن رامـاهـا   إنـا إذا مـا فئـة نـلقـاهـا
نرد أولاهـا على أخراها

. . . وأما قولك : أم المؤمنين ، فبنا سميت أم المؤمنين ، وبنا ضرب عليها الحجاب .

(٢) في مروج الذهب ٩٨/٣ : أما قولك في المتعة فسل أمك تخبرك ، فإن أول متعة سطع مجمرها لمجمر سطع بين أمك وأبيك (يريد متعة الحج) .

وفي موضع آخر ٩٩/٣ عن أسماء بنت أبي بكر : قالت لما قدمنا مع رسول الله (ص) في حجة الوداع أمر من لم يكن معه هدي أن يحل قالت : فأحللت ، فلبست ثيابي ، وتطيبت وجئت حتى جلست إلى جنب الزبير ، فقال : قومي عني . فقلت : ما تخاف ؟ قال : أخاف أن أثب عليك . فهذا الذي أراد ابن عباس . وفي موضع آخر ٩٨/٣ : فانقطع ابن الزبير ، ودخـل على أمـه أسماء فـأخبرهـا ، فقالت : صدق .

خلقك وقائم على كل نفس بما كسبت ، اللهم ! وإن هذا الرجل فقد أبدى لنا العداوة والبغضاء فارمه منك بحاصب ، وسلط عليه من لا يرحمه .

قال : ثم خرج ابن عباس من مكة إلى الطائف ومحمد ابن الحنفية في أصحابه ، وجعل ابن عباس يقول بمن معه : أيها الناس ! إن الله عَزَّ وجَلَّ قد حرم هذا الحرم منذ خلق السماوات والأرض وهؤلاء القوم قد أحلوه ، ولكن انظروا متى يقصمهم الله ويغير ما بهم . قال فقيل له : يابن عباس ! أتعني ابن الزبير أم الحصين بن نمير السكوني ؟ قال : بل أعني جميعهم وأعني الأمير الشامي يزيد بن معاوية الذي بتر الله عمره وقبضه على أسوء عمله .

قال : وسار[1] القوم حتى نزلوا الطائف وأخلوا مكة لعبد الله بن الزبير . قال : وكان عبد الله بن عباس يقوم في أهل الطائف خطيباً فيذكر ابن الزبير بالقبيح ويذكر فعله بمحمد ابن الحنفية وسائر بني هاشم ، فلم يزل كذلك إلى أن أدركته الوفاة[2] ، وتوفي بالطائف ، وصلى عليه محمد ابن الحنفية ودفن هنالك فقبره بالطائف بواد يقال له وادي وجّ .

قال : وأقام ابن الحنفية بالطائف لا يرى الزبير ولا يذكره إلى أن خرج إلى اليمن ، فيذكر شيعته الذين يقولون بالرجعة أنه دخل شعباً يقال له شعْب رضوى في أربعين رجلاً من أصحابه فلم ير له إلى اليوم أثر[3] .

ذكر ابتداء فتنة البصرة وشغب أهلها
وما كان بينهم من الحرب والعصبية

قال : أبو محمد عبد الله بن محمد البلوي حدثني أبو الحسن[4] علي بن محمد القرشي قال حدثني عثمان بن سليم عن مجالد عن الشعبي قال : ما رأينا

---

(١) الأصل : ساروا .

(٢) مات سنة ٦٨ وقيل في سنة ٦٩ وله إحدى وسبعون سنة ، وقيل إنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وصلى عليه محمد ابن الحنفية ، وكان قد ذهب بصره .

(٣) في مروج الذهب ٣/ ١٣٩ مات في سنة ٨١ ودفن بالبقيع وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان ، وقبض وهو ابن ٦٥ سنة وقيل إنه مات بالطائف، وقيل إنه مات ببلاد أيلة وقد تنوزع في موضع قبره. وانظر ما يقوله الكيسانية في ذلك مروج الذهب ٣/ ٩٤ .

(٤) مرّ في الجزء الثاني من كتابنا : أبو الحسين .

بالعراق أميراً كان أعنى بأمر الرعية من مصعب بن الزبير ، كان يشتد في موضع الشدة ويلين في موضع اللين ، وكان يعطي الجند في السنة عطاءين : عطاء في الشتاء ، وعطاء في الصيف .

قال : وكبر على عبد الملك بن مروان مكان عبد الله بن الزبير بالحجاز ومكان أخيه مصعب بن الزبير بالعراقين ، وكان عبد الملك يخرج في كل سنة من دمشق حتى يأتي موضعاً يقال له وادي بُطنان من وادي قنسرين فيعسكر هنالك ، فإذا جاء الشتاء واشتد البرد انصرفوا جميعاً ، عبد الملك إلى الشام ومصعب إلى العراق[1] .

قال : ثم إن مصعب بن الزبير خرج من البصرة كما كان يخرج وخلف عليها عاملاً يقال له عبد الله بن عبيد المخزومي[2] وأقبل إلى الكوفة فنزلها ، وكتب عبد الملك بن مروان إلى شيعته بالبصرة يأمرهم أن يثوروا بها وأن يأخذوها إن قدروا على ذلك . قال : وكان أهل البصرة يومئذ إنما هم صنفين ، زبيريون ومروانيون ، فتحركت شيعة بني مروان بالبصرة فهاجوا بها يأخذونها . وبلغ ذلك مصعب بن الزبير وهو يومئذ بالكوفة فدعا برجل يقال له زحر بن قيس الجعفي ، وضم إليه ألف فارس وأمره بالمسير إلى البصرة ، وأتبعه برجل يقال له قطن[3] بن عبد الله الحارثي في ألف فارس . قال : وثارت شيعة عبد الملك بن مروان وشيعة آل الزبير ، فاقتتلوا في موضع يقال له المربد[4] ، ووقعت الهزيمة على المروانيين وأخذتهم سيوف آل الزبير حتى بلغوا بهم إلى آخر المربد . قال : وأسر رجل من شيعة آل مروان يقال له مالك بن مسمع الجحدري[5] وكان من سادات البصرة ، وفي ذلك يقول بعض شعراء أهل البصرة حيث يقول شعراً . قال : ثم أتى بمالك بن مسمع هذا حتى وقف بين يدي عامل البصرة عبد الله بن عبيد المخزومي خليفة مصعب بن الزبير ، فلما نظر إليه قال : عدو الله ! وأنت أيضاً من شيعة بني مروان ونحن لا نعلم ، وقد بلغ من قدرك ما تؤلّب على آل الزبير ، يا أعور العين ! يا أعمى القلب ! ألست الذي يقول فيك

---

(١) في الطبري ١٥١/٦ كان عبد الملك يقرب من مصعب حتى يبلغ بطنان حبيب ويخرج مصعب إلى باجميرا ، ثم تهجم الشتاء فيرجع كل واحد منهما إلى موضعه .

(٢) في الطبري ١٥٢/٦ عبيد الله بن عبيدا لله بن معمر .

(٣) عن الطبري ١٥٦/٦ وبالأصل : « قطر » .

(٤) محلة من محال البصرة .

(٥) أصيبت عين مالك بن مسمع وضجر من الحرب . ولم يرد أنه أسر لا في الطبري ولا في ابن الأثير .

شاعر بني تميم حيث يقول :

إذا الجهل أمسى قاعداً لم نقم له ... ونضرب رأس الجهل حين يقومُ
تعلم أبا غسان أنك إن تعد ... تعد لك بالبيض الرقاق تميم
تقاضوك عينا مرة فقضيتها ... وفي عينك الأخرى عليك خصوم

قال : ثم أمر به إلى السجن[1] . قال : وهرب يومئذ كل من كان من شيعة المروانيين[2] فاختفوا في منازلهم وندموا على حربهم وما كان منهم .

قال : وبلغ ذلك مصعب بن الزبير فدعا بإبراهيم بن الأشتر فاستخلفه على الكوفة وأقبل مغضباً حتى دخل إلى البصرة مسرعاً ، ثم دعا بخليفته عبد الله بن عبيد المخزومي فقال له : ما صنعت بالقوم الذين خرجوا عليك ؟ فقال : إني قد حبست بعضهم ـ أصلح الله الأمير ! والباقون فإني لم أقدر عليهم ؛ قال مصعب بن الزبير : اعرض عليّ الذين حبستهم حتى أراهم ! قال : فعرضهم عليه .

قال : وكان أول من قدم عليه أبو حاضر الأسدي وهو الذي كان رأس البلية ، فلما نظر مصعب بن الزبير قال له[3] : يابن كذا وكذا ! ذهب الناس الذين فيهم خير عرفوا أنفسهم فأنت ما بالك لا تعرف نفسك يابن نعجة ! لئن بقيت لك لأردنك إلى أصلك .

قال : ثم أتي برجل يقال له مرة بن محكان التميمي وكان ممن يشتم آل الزبير ويقول فيهم القبيح ، فلما نظر إليه قال : يابن الخنا ! وأنت أيضاً ممن يبتدع إلى الفتنة ويطلب زوال دولة آل الزبير ! ثم قال : من ههنا ؟ اضربوا عنقه ! قال : فأخرج مرة بن محكان[4] ليضرب عنقه وقد رفع صوته وهو يقول[5] :

---

(١) كذا في الطبري ٦/١٥٣ خاف ألا يجيز المصعب أمان عبيد الله فلحق مالك بثأج . فقال الفرزدق يذكر مالكاً :

ونحن نفينا مالكاً عن بلاده ... ونحن فقأنا عينه بالنيازك

(٢) الأصل : المروانيون .
(٣) انظر الطبري ٦/١٥٥ .
(٤) في الطبري ٦/١٥٥ وبعث مصعب خداش بن يزيد الأسدي في طلب من هرب من أصحاب خالد ، فأدرك مرة بن محكان فأخذه فقال مرة :
(٥) الأبيات في الطبري ٦/١٥٥ .

بني أسـد إن تقتلوني تحـاربـوا تميماً إذا الحرب العوان[1] اشمعلتِ
بني أسـد هـل فيكـم من هـوادة فتعفون إن[2] كانت بي النعل زلتِ
أيمشي خـداش بـالبصيرة آمنـاً[3] وقـد نهلت منـا الـرمـاح وعلت
فـلا تحسب الأعداء إن غبت عنهم وأوديت يـومـاً أن حـربي تخلت[4]

قال فقدمه خداج بن يزيد الأسدي فضرب عنقه صبراً .

ثم أتي بعبد العزيز بن بشر التميمي ، فلما وقف بين يدي مصعب بـن الزبير قـال : يـابن الأقطع[5] ! أليس جدك الذي سرق عنز النبي ﷺ فأتي به إليه ، فإن كان خمسة أشبار لم يقطعه ، ثم أتي به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ذلك وقد سرق عنزاً آخر فقطعه ؛ يـابن الأقطـع ! إنما أنت علج ، وأصل أبيك من كـرمان وهجرته إلى البحرين ، أما والله ! لئن بقيت لك لتعلمن غب ما فعلت يـابن الخنا .

ثم أتي بعبيد الله[6] بن أبي بكرة ، فلما نظر إليه مصعب بن الزبير قال له : يا ابن الفاعلة ! أما تعرف نفسك وابن من أنت ؟ إنما[7] كانت أمك أم الأحر بمنزلة كلبة صارف بزت عليها عدة كلاب على عدة ألوان ، فجاءت[8] لكل كلب بما يشبهه ؛ أما والله لئن بقيت لك لأردنك إلى مواليك سريعاً إن شاء الله عَزَّ وجَلَّ .

قال : ثم أتي بعبد الله بن عثمان[9] ، فلما نظر إليه مصعب بن الزبير قال له : يا بقية آل ثمود ! وأنت أيضاً ممن يدّعي الرئاسة والعروبية ! والله لقد اجتمعت فيك خصال ثلاث ما اجتمعت في أحد مثلك : واحدة أنك من ثقيف ، وثقيف إنما كان عبداً فاسقاً مسفقاً يسمى ثقيفاً ؛ وأخرى أن العرب قاطبة لا تعرف لكم نسباً ؛ والثالثة

---

(١) عن الطبري وبالأصل : العواني .
(٢) عن الطبري وبالأصل : إذ .
(٣) في الطبري : تمشي خداش في الأسكة آمناً .
(٤) عجزه في الطبري :
وأوريت معنا أن حربي كلّت
(٥) في الطبري ١٥٤/٦ يا بن المشتور .
(٦) عن الطبري ١٥٤/٦ وابن الأثير ٣٩/٣ وبالأصل : بعبد الله .
(٧) في الطبري ١٥٤/٦ : إنما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب .
(٨) الطبري : فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كل كلب بما يشبهه .
(٩) وهو عبد الله بن عثمان بن أبي وقاص .

أنك من أهل بيت لا يعرف لهم أصل ؛ وأيم الله ! لئن بقيت لك يا مؤنث لألحقنك بأصلك[1]

قال : فلم يزل مصعب بن الزبير كذلك ، كلما قدم إليه رجل ممن خرج عليه ، يكلمه بمثل هذا الكلام وأشباهه . قال : ثم جمعهم بأجمعهم وأمرهم بطلاق نسائهم ، فطلقوا مخافة سيفه ؛ ثم أمر بهدم دورهم ، فهدمت عن آخرها ؛ ثم أخذ أموالهم وتركهم فقراء .

ثم دعا بخليفته عبد الله بن عبيد المخزومي فقال له : إني راحل إلى الكوفة لأمر لا بد منه ، ولكن إن تحرك من هؤلاء القوم أحد فابعث إليّ برأسه ، قال : ثم رحل إلى الكوفة فنزلها .

ذكر مسير عبد الملك بن مروان إلى العراق ومقتل مصعب بن الزبير وابنه عيسى وإبراهيم ابن الأشتر والحرب العظيم الذي كانت بينهم

قال : وبلغ عبد الملك بن مروان ما فعل مصعب بن الزبير بشيعته بالبصرة ، فاغتم لذلك غماً شديداً ، ثم إنه تهيأ للمسير إلى العراق ، فدعا بسلاحه الذي يلبسه فوضعه بين يديه ، ثم دعا بكرسي فجلس عليه ، وأقبلت إليه امرأته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ومعها جوارٍ لها حتى وقفت بين يديه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! أنشدك الله إن غزوت آل الزبير في هذه السنة ، فقد علمت أنهم أشأم أهل بيت في قريش ، فقال عبد الملك بن مروان : يا عاتكة ! إنه قتل شيعتي بالبصرة ، وأذلوا وطلقت نساؤهم وخربت دورهم وأخذت أموالهم ، وقد أزمعت على المسير فلا بد لي من ذلك ، فإما أن يبيدوني أو أبيدهم . قال : فبكت عاتكة وتبسم عبد الملك بن مروان ، وجعل يتمثل بقول كثير حيث يقول :

إذا ما أراد الغزو لم يثن همه ... حصان عليها نظم[2] در يزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه ... بكت فبكى[3] مما عناها قطينها

---

(١) في الطبري ٦/١٥٥ فقال : أعلي تكثر وأنت علج من أهل هجر ، لحق أبوك بالطائف وهم يضمون من تأشب إليهم يتعززون به أما والله لأردنك إلى أصلك .

(٢) في ابن الأثير ٣/٥١ عقد .

(٣) في ابن الأثير : وبكى .

ثم دعا عبد الملك بن مروان بأخيه أبان بن مروان فاستخلفه على الشام ، فخرج يريد العراق ومعه ثلاثة وستون ألفاً من أهل الشام وأهل مصر فسار حتى صار إلى قرقيسياء .

ذكر زفر بن الحارث الطائي وعبد الملك ابن مروان ونزوله عليه ومحاربته له

قال : وكان بقرقيسياء يومئذ رجل يقال له زفر بن الحارث الكلابي ، وكان زفر ممن يتوالى آل الزبير ويقول بفضلهم وقد كان قاتل مروان بن الحكم مع الضحاك بن قيس يوم مرج راهط ، وهو الذي يقول هذه الأبيات(١) :

أريني سلاحي يا أُمام فإنني(٢) أرى الحرب لا تزداد(٣) إلا تماديا
أتاني عن مروان بالغيب أنه يريد دمي أو قاطع من لسانيا
وفي العيش منجاة وفي الأرض مهرب إذا نحن رفعنا لهن المثانيا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا وتترك قتلى راهط هي ما هيا
أيذهب(٤) يوم واحد أسأته بصالح أيامي وحسن بلائيا
فلا نوم(٥) حتى تنحط الخيل بالقنا وللقوم عندي وقعة هي ما هيا(٦)

قال : فلما نزل عبد الملك بن مروان بقرقيسياء أقبل على أصحابه فقال : والله ! إني لأكره أن أخلف هذا الرجل ورائي وأسير إلى غيره وقد علمت أنه ممن يبغضنا ويتوالى آل الزبير . ثم أرسل إليه عبد الملك بن مروان يدعوه إلى طاعته ، فأبى عليه زفر بن الحارث وخاف منه خوفاً شديداً ولم يخرج إليه . قال : فأمر عبد الملك بن مروان بالمجانيق فركبت ثم نصبت على حصن قرقيسياء ، وجعل القوم

---

(١) الأبيات في الطبري ٥٤١/٥ مروج الذهب ١٠٥/٣ ابن الأثير حوادث سنة ٦٤ ، الأغاني ١١٢/١٧ (ساسي) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١٥٣/١ .
(٢) في المصادر : لا أبا لك .
(٣) عن المصادر وبالأصل : يزداد .
(٤) عن المصادر ، وبالأصل : ويذهب .
(٥) في الطبري وابن الأثير : فلا صلح .
(٦) العجز في المصادر :
وتثأر من نسوان كلب نسائيا

يرمون الحصن بالحجارة رمياً متداركاً ، وجعل رجل من أهل الشام يقول في ذلك :

كيف تـرى قيساً يـرى قيسـا   حمقـاً يـرى ذاك بهـا أم كيسا
نـقـذف فـيهـا زفـراً وأوسـا   بـكـل خـطار يميس ميسـا

قال: فكان الذي يرمي بهذه المجانيق رجل يقال له حسان[1] بن بحدل، وقد ذكره زفر بن الحارث في قصيدة له حيث يقول :

لقـد تركتني منجنيق ابن بحـدل   أخاف من[2] العصفور حين يطيرُ
ملحـاً عليّ بـالحجـارة دائبـاً   لأنـي وقـور والكـريـم وقـور

فلما رأى زفر بن الحارث أن عبد الملك بن مروان قد ألح عليه برمي الحجارة كأنه اتقى على نفسه وعلى أهله وماله ، فاستجدى وخضع وذل وطلب الأمان ، فأعطاه عبد الملك بن مروان ذلك[3] ، فخرج إليه زفر بن الحارث فأمنه عبد الملك بن مروان وخلع عليه وسار من قرقيسياء[4] يريد العراق ، فعبر الفرات وشق البلاد حتى خرج إلى أرض الجزيرة ، ثم سار حتى نزل مدينة الموصل وأنشأ شاعر له[5] يقول في ذلك أبياتاً مطلعها :

لعمـري لقد أصحـرت خيلنا   بـأكنـاف دجلة لـلمصـعب

إلى آخرها .

ثم سار عبد الملك بن مروان من الموصل يريد العراق ، وبلغ ذلك مصعب بن الزبير فعزم على محاربته ، فخرج من الكوفة حتى عسكر على عشرة فراسخ منها لكي يتلاحق به الناس ، فإذا قد خذله عامة أصحابه ، فاغتم لذلك غماً شديداً ، ثم دعا بعبد الله بن أبي فروة مولى عثمان فقال له : ويحك ! ما ترى ؟ قال ! أرى الناس قد خذلوك ، فاستخلف على عملك رجلاً من أصحابك وشد رواحلك والحق بأمير المؤمنين بالحجاز فكن معه هنالك ؛ فقال مصعب بن الزبير : إني لأكره أن تتحدث

---

(١) في ابن الأثير ٣/٥٩ : حُريث .
(٢) في ابن الأثير ٣/٦٠ « أحيد عن » .
(٣) استقر الصلح بينهما على أمان الجميع ووضع الدماء والأموال وأن لا يبايع زمرُ عبد الملك حتى يموت عبد الله بن الزبير للبيعة له في عنقه وأن يعطى مالاً يقسمه في أصحابه (ابن الأثير ٣/٦١) .
(٤) قرقيساء مدينة من مدن الجزيرة فوق مصب الخابور الأكبر في الفرات .
(٥) هو عدي بن زيد بن عدي كما في الأخبار الطوال ص ٣١١ والأبيات في الطبري ١٥١/٧ والأغاني ٣٠٥/٩ .

العرب عني بذلك أني ركعت أو رجعت عما أريد أن أصنع ، ولكن هل لك أن تسير معي ؟ فقال : لا والله أصلح الله الأمير ! ما يتهيأ لي ذلك فلا تجشمني من الأمر ما لا أطيقه .

قال : وجعل مصعب بن الزبير ينظر إلى أصحابه ويستقلهم ، ثم دعا بفرسه فركبه وركب الناس معه ، ثم التفت إلى عروة بن المغيرة بن شعبة فقال : ويحك يا عروة ! حدثني عن الحسين بن علي كيف صنع في حرب عبيد الله بن زياد ؟ قال : فجعل عروة بن المغيرة يحدثه عن الحسين بن علي رضي الله عنهم وكيف قتل . قال مصعب بن الزبير : فلنا أسوة بأبي عبد الله الحسين ؛ قال : فضرب مصعب بن الزبير بسوطه على قربوص الفرس متمثلاً بهذا البيت وهو يقول :

إن الألى بالطف[1] من آل هاشم تأسوا فسنوا[2] للكرام التاسيا

قال : وسار مصعب بن الزبير في أصحابه ، وسار إليه عبد الملك بن مروان حتى وافاه بموضع يقال له دير الجاثليق ، فعبى عبد الملك بن مروان أصحابه هنالك .

ذكر الوقعة بدير الجاثليق

قال : فعبى عبد الملك بن مروان أصحابه ، فكان على ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية ، وفي القلب محمد بن مروان أخو عبد الملك . وعبى مصعب بن الزبير أصحابه ، فكان على ميمنته حمزة بن يزيد العتكي ، وعلى ميسرته عبد الله بن أوس الجعفي ، وفي القلب إبراهيم بن الأشتر . ودنا القوم بعضهم من بعض ، فتراموا بالسهام ساعة ثم اختلطوا واشتبك الحرب بينهم ، فجعل إبراهيم بن الأشتر يقاتل بين يدي مصعب بن الزبير قتالاً لم يسمع الناس بمثله ، حتى قتل من أهل الشام جماعة . قال : وأحدق به الخيل من كل جانب فطعنوه حتى صرعوه عن فرسه ، ثم اجتمعت عليه السيوف فوقعت به نيف على ثلاثين ضربة[3]، ثم برد ثم احتز رأسه - رضي الله عنه - فأتي به

(١) عن الطبري ١٥٦/٦ والأخبار الطوال ص ٣١١ وابن الأثير ٥٣/٣ وبالأصل : إن الأولى باللطف .

(٢) عن الطبري وبالأصل : فنسبق .

(٣) قتله عبيدة بن ميسرة مولى بني عذرة (ابن الأثير) وفي مروج الذهب : مولى بني يشكر . قال : وقد تنوزع

إلى عبد الملك بن مروان ، فوضعه بين يديه ؛ فأنشأ بعض أهل الكوفة[1] يقول في ذلك :

سـأبكي ولو لم تبـك فرسـان مـذحـج | على فارس ما زال في الحرب مجلبا[2]
فتى لم يكن في إمرة[3] الحرب جاهلاً | ولا بمـطيـع في الـوغى من تهيبـا
أمـان بـجـوال الـعـنـان لـجـامـه | وقـال لـمن خـفت ركـائبـه اركبـا
أبـان أنـوف الـحي قـحـطان قـبـله | وأنـف نـزار قـد أبـان فـأوعـبـا
فمن كـان[4] أمسى خـائنـاً لأميـره | فمـا خان إبـراهيم في الحرب مصعبـا

قال : فلما قتل إبراهيم بن الأشتـر رضي الله عنه تضعضـع ركن مصعب بن الزبير ، فالتفت إلى قطن[5] بن عبد الله الحارثي فقال له : أبا عثمان ! قدم خيلك يرحمك الله ! فقال : ما أرى ذلك صواباً ، قال مصعب بن الـزبير : ولـم ذلـك ؟ فقال : إني أخاف أن تسفك دماء مذحج في غير شيء ، لأن القوم كثيـر ؛ قال : فالتفت مصعب بن الزبير إلى محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني فقال له : أبا عبد الرحمن ! لو قدمت رايتك قليلاً نحو أهل الشام ! قال : ما رأيت أحداً فعل ذلك فأفعله أنا . قال : فعندها قال مصعب بن الزبير : وإبراهيماه ! ولا إبراهيم لي اليوم ! رضي الله عنك يا إبراهيم يـابن الأشتر .

قال : فصاح به محمد بن مروان : يا مصعب ! يـابن الزبيـر ! لك الأمان على ما حدثت ، وقد آمنك أمير المؤمنين على ما كـان منك ، فـلا تقتل نفسـك . قال مصعب بن الزبير : أمير المؤمنين بالحجاز - يعني أخاه عبد الله بن الزبير - . قال: ورمي مصعب بن الزبير بالسهام حتى أثخن بالجراحات فكاد أن يسقط عن فرسه . قال : وجعل ابنه يقاتل بين يديه قتالاً شديداً ، فصاح به محمد بن مروان : إن كان

= في أخذ رأسه فزعم أن ثابت بن يزيد مولى الحصين بن نمير الكندي هو الذي أخذه ، وقيل : عبيد بن ميسرة .

(١) هو عبيد الله بن الزُّبير ، والأبيات في ابن الأثير ٣/٥٧ .

(٢) البيت في ابن الأثير :

سـأبكي ولـو لم تبـك فـرسـان مـذحـج | عـلى فـارس مـا زال في الحـرب مجـلبـا

(٣) في ابن الأثير : مرة .

(٤) في ابن الأثير : فمن يك .

(٥) بالأصل : قطر ، وقد مرّ .

أبوك قد أبى أن يستأمن فهلم أنت إلينا فأنت آمن ! فقال له أبوه : إن بني عمك قد آمنوك فصر إليهم فإني مقتول ، فقال عيسى : لا والله ! لا تحدث عني نساء قريش بهذا أبداً . قال : ثم جعل عيسى يقاتل بين يديه حتى قتل ، فنزلوا إليه فاحترزوا رأسه وأتوا إلى عبد الملك بن مروان حتى وضعوه بين يديه .

قال : وبقي مصعب بن الزبير لا يقدر أن يحرك يداً ولا رجلاً من كثرة الجراحات ، فحمل عليه عبيد الله بن زياد[1] بن ظبيان التميمي فطعنه طعنة نكسه عن فرسه ، ثم جال في ميدان الحرب وهو يقول :

نحن قتلنا مصعباً وعيسى ... وكم قتلنا قبله رئيسا
قرماً شجاعاً بطلاً نفيسا ... به يؤس مصرنا تأسيسا[2]

قال : ثم نزل رجل من أهل الشام إلى مصعب بن الزبير فاحتز رأسه وجاء به إلى عبد الملك بن مروان فوضعه بين يديه ، وأنشأ بعض أهل الكوفة[3] في ذلك يقول :

لقد أورث[4] المصرين حزناً[5] وذلة ... قتيل بدير الجاثليق مقيمُ
فما جاهدت في الله[6] بكر بن وائل ... ولا صبرت يوم اللقاء تميم
لعمري لقد ضاع الزمان ولم يكن[7] ... بها مضري يوم ذاك كريم
جزى الله كوفاناً هناك ملامة ... وبصريهم إن المليم مليم

---

(١) عن الطبري ٦/١٥٩ وبالأصل : « عبد الله بن يزيد » وفي الأخبار الطوال ص ٣١٣ عبد الله بن ظبيان . وما ورد في الطبري أن زائدة بن قدامة طعنه وأن عبيد الله بن زياد بن ظبيان احتز رأسه . وانظر ابن الأثير ٣/٥٤ وفي الإمامة والسياسة ٢/٣٧ أن غلاماً لعبيد الله بن زياد بن ظبيان ضرب مصعباً بالسيف فقتله وأن عبيد الله جاء برأسه إلى عبد الملك .

(٢) في ابن الأثير ٣/٥٤ مكانها :

نعاطي الملوك الحق ما قسطوا لنا ... وليس علينا قتلهم بمحرم

(٣) هو عبد الله بن قيس الرقيات كما في مروج الذهب ٣/١٣٠ والأخبار الطوال ص ٣١٣ . والطبري ٦/١٦١ .

(٤) في الأخبار الطوال : ورد .

(٥) في مروج الذهب والطبري : خزياً ، وفي الأخبار الطوال : خزي .

(٦) الطبري ومروج الذهب : فما نصحت لله .

(٧) الطبري صدره فيه : ولكنه ضاع الذمام ولم يكن .

قال : ثم أمر عبد الملك بن مروان برأس مصعب بن الزبير ورأس ابنه عيسى ورأس إبراهيم بن الأشتر ، فحملت على رؤوس الرماح فطافوا بها في أجناد أهل الشام ، فأنشأ حماد بن أبي ليلى يقول في ذلك :

إن الــرزيــة يــوم مـســـ ـكن والمصيبــة والفجيعــة
بــابــن الــحــواري الــذي لم يخــطه يــوم الــوقيعــه
غــدرت بــه مـضــر العــرا ق وأمـكنـت مـنـه ربيعــه
فـأصـبـت ثـأرك يـا ربـيـ ـع وكنت سـامعة مـطيعـه
يـا لـهفتي بـالـديـر لـو كـانت لـه بـالـديـر شيعـه
أو لـم يـخـونـوا عـهـده أهـل العراق بني اللكيعه[1]

قال : ثم سار عبد الملك بن مروان حتى قدم الكوفة وقد انهزم[2] الناس بين يديه ، فدخل إلى قصر الإمارة ونادى في الناس فأعطاهم الأمان ، ثم دعاهم إلى بيعته ، فصاروا إليه طائعين غير مكرهين .

ذكر كلام الشعبي[3] بين يدي عبد الملك بن مروان

قال : والشعبي[4] يومئذ جالس في مجلسه بين يديه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما رأيت شيئاً هو أعجب من هذه الأمور ، قال عبد الملك بن مروان : وما ذاك يا شعبي ؟ قال : دخلت هذا القصر فرأيت عبيد الله بن زياد في موضعك هذا قاعداً ورأس الحسين بن علي بين يديه ، ثم دخلت بعد ذلك فرأيت المختار بن أبي عبيد قاعداً في موضعك هذا ورأس عبيد الله بن زياد بين يديه ، ثم دخلت بعد ذلك فرأيت مصعب بن الزبير قاعداً في موضعك هذا ورأس المختار بن أبي عبيد بين يديه ، وقد دخلت الآن فرأيت رأس مصعب بن الزبير بين يديك ! قال[5] : فقال عبد الملك بن مروان : صدقت يا شعبي ! ولله عز وجل في أمره تدبير .

---

(١) عن معجم البلدان ، وبالأصل : الوكيعة .
(٢) الأصل : انهزموا .
(٣) هو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري .
(٤) الخبر في مروج الذهب ١٣١/٣ عن أبي مسلم النخعي .
(٥) في مروج الذهب : قال : فوثب عبد الملك بن مروان ، وأمر بهدم الطاق الذي على المجلس .

قال : ثم وثب عبد الملك بن مروان قائماً ودعا بدابته ، فركب وخرج من القصر حتى صار إلى موضع يقال له النخيلة[1] فنزلها ، وعرضت عليه قبائل العرب هنالك ، ففرض لكل قوم من المال على أقدارهم .

ذكر مسير الحجاج بن يوسف الثقفي عليه ما يستحقه إلى الحجاز ومقتل عبد الله بن الزبير

ثم جمع عبد الملك بن مروان وجوه العرب إليه وقال : أيها الناس ! إني راحل إلى الشام ولا بد لي من ذلك ، ولكن هل من رجل جلد البجرة يكفيني أمر عبد الله بن الزبير ؟ قال : فأقصر الناس عن ذلك ولم يجبه أحد بشيء .

وأقبل الحجاج بن يوسف إلى يزيد بن أبي بشر السكسكي ـ وهو صاحب شرطة عبد الملك بن مروان ـ فقال : أيها الأمير ! إني قد رأيت البارحة في منامي رؤيا عجيبة كأني قد أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته حتى أخرجته من جلده ، فإن رأيت أن تخبر أمير المؤمنين بذلك . قال فقال له يزيد بن أبي بشر : أنت غلام أحمق وتحتاج أن تؤدب ، فقال له الحجاج : إن أنت أعلمت أمير المؤمنين بذلك وإلا أنا احتال في إعلامه وألزمتك الملامة من قبله . قال : فأقبل يزيد بن أبي بشر حتى دخل على عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين ! إن هذا الغلام الثقفي الذي معنا الحجاج بن يوسف بن الحكم يذكر أنه رأى في منامه كذا وكذا ، وقد رأيت له همة فأحببت أن أخبر أمير المؤمنين بذلك ؛ فقال عبد الملك بن مروان : عليَّ به ! فأتي بالحجاج ، فلما أدخل إليه قال : ما الذي رأيت ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! رأيت عبد الله بن الزبير كأني أخذته وسلخته حتى أخرجته من جلده ، قال عبد الملك بن مروان : وهل فيك من خير ؟ قال : نعم حيث أحببت يا أمير المؤمنين ! قال عبد الملك بن مروان : فإني قد دعوت لها غيرك فأبى ، وأرجو أن تكون عند ما تقول .

قال : ثم دعا عبد الملك بن مروان بالخلع فخلعها عليه وحمله[2] ، وضم إليه

---

(١) بالأصل : « النخلة » والنخيلة موضع قرب الكوفة على سمت الشام .

(٢) في تولية الحجاج حرب عبد الله بن الزبير قرار اتخذه عبد الملك لم يكن كما ذكر بسبب منام رآه الحجاج ، ونرى أن الأمر يتجاوز ذلك وأن هناك أسباباً جوهرية حتمت على عبد الملك اتخاذ هذا القرار منها : =

ستة آلاف رجل : ألفين من أهل الشام ، وألفين من أهل مصر ، وألفين من فرض العراق[1] . ثم قال : يا حجاج ! انظر أن لا تطأ الحرم بالخيل والجنود ، ولكن انزل حيث شئت من أرض الحجاز ، وامنع ابن الزبير الميرة ، وخذ عليه الطرق واستعمل فيه الحصار إلى أن يأتيك رأيي ! قال الحجاج : أفعل ذلك يا أمير المؤمنين .

قال : فلما خرج الحجاج من عند عبد الملك بن مروان وثب ابن الأسود النخعي فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك قد أمرت هذا الغلام الثقفي بالمسير إلى مكة فأمره أن لا يهتك أستارها ، ولا ينفر أطيارها ، وليأخذ على ابن الزبير شعابها وجبالها وأنقابها ، حتى يموت فيها جوعاً أو يخرج عنها مخلوعاً . قال عبد الملك بن مروان : إننا قد أوصيناه بذلك ولن يتعد أمرنا إن شاء الله .

قال : ثم رحل عبد الملك بن مروان إلى الشام ورحل الحجاج نحو مكة ، غير أنه أقبل حتى نزل الطائف وبها يومئذ محمد ابن الحنفية ، فأرسل إليه الحجاج يدعوه إلى المشاورة في أمر عبد الله بن الزبير ، فلم يأته ابن الحنفية ولا أشار عليه بشيء ؛ فأمسك عنه الحجاج ولم يؤذه .

ثم كتب إلى عبد الملك بن مروان يعلمه بنزوله الطائف وأن عبد الله بن الزبير قد جمع جموعاً كثيرة ، ثم سأله الحجاج المدد ، فأمده عبد الملك بن مروان بستة آلاف أخر ، منهم أربعة آلاف من أهل الشام وألفا رجل من أهل مصر ، فأما أهل مصر فأقبلوا في البحر ، وأقبل أهل الشام على البر . قال : فقدمت العساكر على الحجاج وهو بموضع يقال له الهدة بين مكة والطائف[2] .

= ـ أن عبد الملك انتدب الناس لقتال ابن الزبير ـ بعد مقتل مصعب ـ فأقصر الناس عن ذلك ولم يجبه أحد .

ولعل فيما أورد الدينوري ما يجيب على ذلك : فإنه انتدب قدامة بن مظعون ثم عزله فوراً . وانتدب الحجاج وهذا يدل على عدم ثقته بالعساكر المنتدبة وبابن مظعون نفسه .

ـ المهارة التي أظهرها الحجاج في قيادة مؤخرة الجيش في معارك العراق .

ـ تلهف الحجاج لقتال ابن الزبير ، ربما للثأر لمقتل والده ، وقد قيل إنه قتل في الربذة في معركة بين جنود ابن الزبير والحملة التي أرسلها عبد الملك سنة ٦٥ . حتى أنه أقسم أنه لا يقرب الطيب ولا النساء إلا إذا قتل ابن الزبير .

(١) في تاريخ اليعقوبي في ٢٠ ألفاً وقيل في ستة الآف . وفي ابن الأثير : ألفين وقيل ثلاثة الآف .

(٢) أقام الحجاج في الطائف شهوراً (مروج الذهب) وفي الأخبار الطوال أنه بعد أن أقام شهراً بالطائف كتب إلى عبد الملك : « إنك يا أمير المؤمنين متى تدع ابن الزبير يعمل فكره ، ويستجيش أنصاره ، وتتوب إليه =

قال : فعندها قام الحجاج فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أعوان الحق ! إن الله تبارك وتعالى قد أعزكم بالطاعة ، وخصكم بها دون غيركم ، وقد علمتم ما عليه عبد الله بن الزبير من شق العصا والخلاف على أمير المؤمنين ، وقد ألحق في الحرم وسفك فيه الدم ، ونحن سائرون إليه غداً إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال : فلما كان الغد نادى الحجاج في الناس بالرحيل نحو مكة وذلك يوم الثلاثاء ، وأقبل حتى نزل بالأبطح[1] . وبلغ ذلك عبد الله بن الزبير ، فخرج إليه في أهل مكة وغيرهم ممن بايعه قبل ذلك ، ودنا القوم بعضهم من بعض ، فاقتتلوا يومهم ؛ فلما أمسوا انصرف الحجاج إلى بئر ميمون بن سعيد الحضرمي فنزل هنالك ، وانصرف عنه عبد الله بن الزبير . فلما كان من الغد زحف[2] القوم بعضهم إلى بعض فاقتتلوا ؛ ودام الحرب بينهم أياماً كثيرة .

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فكتب إلى الحجاج : أما بعد فقد بلغني ما كان من محاربتك لعبد الله بن الزبير ، فإذا ورد عليك كتابي هذا فابعث إليه واسأله الدخول في طاعتي وأعطه الأمان ، فإن هو قبل ذلك فاحمله إليّ مكرماً ، وإن أبى فجد في حربه ، ولا تقصرن فيما كتبت به إليك ـ والسلام ـ .

فلما ورد كتاب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج وقرأه بعث به إلى عبد الله بن الزبير ، قال : فقرأ عبد الله بن الزبير كتاب عبد الملك بن مروان ، فأقبل حتى دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فأخبرها بما كتب به عبد الملك بن مروان إلى الحجاج ، فقالت له أمه : يا بني ! إنك قد ناديت القوم بالمنافرة وأسرعت لهم المدافعة ، وغير هذا كان أخصب جناباً لعيشك ، فأما إذ كنت لا تريد أن تكون ذنباً لبني أمية فاجعل الثقة بالله حشو قلبك ولا تحتجرن على بغي يوبقك مصدره ـ والسلام ـ . قال: فقال عبد الله : أحسنت يا أماه! وفقك الله وسددك، فقد

= فلاله كان في ذلك قوة له ، فائذن في معاجلته » فأذن له .

وكان عبد الملك يرسل إلى الحجاج الجيوش رسلاً حتى توافى الناس عنده قدر ما يظن أنه يقدر على قتال عبد الله بن الزبير (الإمامة والسياسة) .

(١) الأبطح بين مكة ومنى ، المسافة منه إليهما واحدة .

(٢) الأصل : زحفوا .

قدحت عن شعل الحزم لما جعل الله عندك من وفور البصيرة ، أما إنهم لو كانوا يطلبون مني ما يطلبون لإصلاح الأمة وتثبيت الألفة إذاً لأجبتهم إلى ما يريدون ولو كان فيه موتي وفرجي وذهاب نفسي ، ولكني رأيتهم قد شنوا عليّ مغار التعدي وسعوا إليّ في سنن الظلم والعدوان ، وفي موادعتي إياهم ذم العرب وعار الأبد ، ولكني أقاتلهم في الله محتسباً ، فإن أبلغ بقتالي إياهم ظفراً فذاك الذي أريد ، فإنما طلبت العدل للرعية ، وإن تؤخرني الأسباب فلا أكون صريع الارتياب .

قال : وعلم الحجاج أن ابن الزبير ليس يجيبه إلى شيء ، فأمر أصحابه فتفرقوا عليه من كل وجه : من ذي طوى ، ومن أسفل مكة ، ومن قبل الأبطح ؛ فاشتد الحصار على عبد الله بن الزبير وأصحابه ، فنصبوا المجانيق[1] وجعلوا يرمون البيت الحرام بالحجارة ، وهم يرتجزون بالأشعار[2] . قال : وجعلت الحجارة لا تهد لكنها تقع في المسجد الحرام كالمطر ، وكان [3] رماة المنجنيق إذا هم ونوا وسكتوا ساعة فلم يرموا يبعث إليهم الحجاج فيشتمهم ويتهددهم بالقتل ، فأنشأ بعضهم يقول في ذلك أبياتاً مطلعها :

لعمر أبي الحجاج لو خفت ما أرى ... من الأمر ما أمست تعذلني نفسي

إلى آخرها . قال : فلم يزل الحجاج وأصحابه يرمون بيت الله الحرام بالحجارة حتى انصدع الحائط الذي على بئر زمزم عن آخره . قال : وانتقضت الكعبة من جوانبها . قال : ثم أمرهم الحجاج فرموا بكيزان النفط والنار ، حتى احترقت الستارات كلها فصارت رماداً ، والحجاج واقف ينظر في ذلك كيف تحترق الستارات ، وهو يرتجز ويقول :

أما تراها ساطعاً غبارها ... والله فيما يزعمون جارها
فقد وهت وصدعت أحجارها ... ونفرت منها معاً أطيارها
وحان من كعبته دمارها ... وحرقت منها معاً أستارها
لما علاها نفطها ونارها

---

(١) الأصل : المناجنيق .

(٢) وكان الحجاج استعمل على المنجنيق ابن خزيمة الخثعمي فجعل يرمي أهل المسجد ويقول :

خطارة مثل الفنيق الملبد ... نرمي بها عواذ أهل المسجد

(٣) بالأصل : كانوا .

قال : فلما نظر عبد الله بن الزبير إلى ما نزل ببيت الله الحرام خرج إلى القوم في أصحابه ، فجعل يقاتل حتى قتل من القوم جماعة ، ثم حمل عليه أصحاب الحجاج حتى ألجأوه إلى المسجد الحرام ، وأمر الحجاج فأخذت الأبواب على عبد الله بن الزبير .

قال : فعندها التفت عبد الله بن الزبير إلى أصحابه وهم أقل من ثلاثمائة رجل فقال : من منكم يكره الموت فليلحق بالقوم وهو في حل من بيعتي ! فقال له عبد الله بن مطيع العدوي : لا والله ما كنت أفعل ذلك ولم يتحدث العرب عني بهذا أبداً فقال له عبد الله بن الزبير : وصلتك رحم يابن أخ . قال : ثم أقبل عليه عبد الله بن عمير الليثي فقال: يا بن حواري رسول الله ﷺ ! لا والله ! لا كان ذلك أبداً .

قال : فعندها خرج عبد الله بن الزبير إلى القوم فجعل يحمل عليهم ، فقتل الواحد بعد الواحد قتل منهم جماعة ، وقتل من أصحابه أيضاً كذلك . قال : وجعل عبيد الله بن مطيع يكر على أصحاب حجاج وهو يرتجز ويقول :

أنا الذي فررت يوم الحرة ... والألح لا يهرب[1] إلا مرة
ما أحسن الكرة بعد الفرة ... وأقبح الفرة بعد الكرة[2]

قال : فلم يزل القوم على ذلك حتى أمسوا ، وأمر الحجاج أصحابه أن لا يزالوا عن أبواب المسجد وأن يحرسوا عبد الله بن الزبير لكيلا يهرب . قال : وجعل عبد الله بن الزبير يطوف ليلته تلك بالبيت الحرام ، وأخوه عروة يطوف معه وهو يقول : يا أمير المؤمنين ! أنشدك الله في نفسك أن تتلفها ، فقد قضيت ما عليك ، وقد قاتلت حتى أبليت عذراً . قال : وعبد الله بن الزبير ساكت[3] لا يجيبه بشيء ، حتى إذا أسفر الصبح تقدم إلى المقام فأذن وصلى بمن بقي معه من أصحابه فقرأ بهم الركعة الأولى بأم الكتاب وسبح اسم ربك الأعلى ، وفي الثانية بأم الكتاب وسورة الإخلاص[4] .

فلما انفتل من صلاته وثب فخرج من باب المسجد مناوشاً لأصحاب الحجاج

(١) في ابن الأثير ٣/٧٢ : والحر لا يفرّ .
(٢) في ابن الأثير : واليوم أجزي فرة بكره .
(٣) الأصل : ساكتاً .
(٤) في الطبري ٦/١٩١ وأقام المؤذن فصلى بأصحابه ، فقرأ (ن والقلم) حرفاً حرفاً ثم سلم .

حتى دخل على امرأتيه فودعهم ، ثم خرج من عندهم يريد إلى أمه ليودعها ، فإذا بها قد استقبلته ومعها درج فيه حنوط وطيب وكافور ، فلما نظر إليها دنا فقبل بين عينيها ، ثم بكى إليها وعزاها وصبرها ؛ فقالت له : يا بني ! اجمع عليك ثيابك ، واشدد عليك إزارك واعقد تكتك إلى ورائك ، ولا تجمع على نفسك أمرين ، الظفر بدمك والجدل بجزعك ، ولكن عليك بالصبر ، فإنه من شيم آبائك . قال : فتبسم عبد الله بن الزبير ثم قال : الحمد الله الذي وهب لك يا أماه بجميل الصبر ما أرى أنهم يقتلونني فيما قد شحنت صدورهم خنقاً وتركت جموعهم فرقاً[1] .

قال : ثم ودعها وأقبل إلى المسجد الحرام ، فإذا القوم قد استقبلوه بالسيوف والرماح ، فحمل عليهم حملة فكشفهم ، ثم دخل المسجد الحرام واجتمع[2] إليه أصحابه ، ودخل[2] إليه أصحاب الحجاج من جميع أبواب المسجد ، فلم يزل يقاتلهم حتى بقي في سبعين رجلاً ؛ ثم قاتلهم حتى بقي في ثلاثين رجلاً[3] . قال : وتكاثروا عليه من كل جانب ، واعتوره رجلان من أهل الشام ، فضربه أحدهما بسيفه فأوهنه ، وضربه الآخر على رأسه فسقط ، وتكاثرت عليه السيوف حتى قتل[4] . قال : وكبر أصحاب الحجاج بقتله، فسمعت أمه التكبير فقالت: قتل والله ابني عبد الله! فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فقد أحسن ابني حين لم يعط بيده ولم يبع القوم دينه . قال : وحمل أصحاب الحجاج على من بقي من أصحاب عبد الله بن الزبير ، فقتلوا عن آخرهم في المسجد الحرام ، ثم جزوا بأرجلهم حتى أخرجوا عن المسجد سحباً ، وأمر بعبد الله بن الزبير فصلب منكساً وأمر برأسه فحمل إلى عبد الملك بن مروان ، وكتب إليه يخبره بالخبر على جهته .

قال أهل العلم : فكان مقتل عبد الله بن الزبير يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى[5] سنة ثلاث و[سبعين ، وله نيف و-] سبعون سنة[6] -

---

(١) انظر مقابلته لأمه وما جرى بينهما من حديث الطبري ١٨٨/٦ ومروج الذهب ١٣٦/٣ والإمامة والسياسة ٣٩/٢ .

(٢) الأصل : واجتمعوا . . . ودخلوا . . . .

(٣) الأصل : رجل .

(٤) في ابن الأثير ٧٣/٣ قتله رجل من مراد .

(٥) في الطبري يوم الثلاثاء ١٧ جمادى الأولى وفي الأخبار الطوال وتاريخ خليفة وتاريخ الإسلام للذهبي فكالأصل وفي ابن الأثير : يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة . وفي مروج الذهب : يوم الثلاثاء لـ ١٤ ليلة خلت من ربيع الأول .

والله أعلم . وأقبل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم حتى وقف حذاء عبد الله بن الزبير ، فنظره مصلوباً منكساً فتأمله ساعة وبكى واستغفر له وقال : والله يا ابن الزبير لئن علتك رجلاك اليوم فطال ما قمت عليها في ظل الليل بين يدي ربك ، وإني لأسمع قوماً يزعمون أنك شر هذه الأمة ، ولقد أفلحت أمة أنت شرها .

قال : وانصرف عبد الله بن عمر إلى منزله ، وأقبلت إليه أمه في اليوم الثالث حتى وقفت قبالته ثم بكت وقالت : اللهم ! إني راضية عنه فارض عنه ، ثم أقبلت حتى دخلت على الحجاج[1] فوقفت عليه ثم قالت : يا حجاج ! أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فقال الحجاج : أما روحه فإلى مالك ، وأما جثمانه ففي طريق البلاء . فقالت : كذبت يا حجاج ! إن الله تبارك وتعالى في ذلك أعدل من أن يجمع على ابني سيف القاسطين وثأر الظالمين ، وقد قال النبي ﷺ : يكون في أمتي رجلان : أفاك ومبير[2]، فأما الأفاك فصاحبك عبد الملك بن مروان ، وأما المبير فأنت يا حجاج ! فقال : صدقت يا أسماء أنا مبير المنافقين ؛ فقالت : علمك شاهد عليك ! ثم ولت وهي باكية ، فرق لها الحجاج وأمر بابن الزبير فنزل عن خشبته وحمل إليها ، فأمرت به فصب عليه الماء وحنط وكفن وصلي عليه ودفن .

قال : وهرب عروة بن الزبير من الحجاج فصار إلى عبد الملك بن مروان مستأمناً إليه فآمنه وأكرمه ، وبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد يا أمير المؤمنين ! فإن عامة أموال عبد الله بن الزبير عند أخيه عروة وقد التجأ إلى أمير المؤمنين ، ولست أقدر على شيء من أموال عبد الله إلى أن يوجه لي أمير المؤمنين بعروة بن الزبير ـ والسلام ـ . قال : فهم عبد الملك بن مروان أن يسلم عروة بن الزبير إلى الحجاج[3] ، ثم إنه استحيا من ذلك وتذمم أن يكون يسلم رجلاً قد التجأ إليه ،

= (٦) زيادة عن تاريخ الإسلام . وفي مروج الذهب وتاريخ اليعقوبي : وله ٧١ سنة . وفي تاريخ خليفة : ولد عام الهجرة .

(١) انظر مقابلة أسماء ـ أم عبد الله بن الزبير ـ للحجاج في مروج الذهب ١٣٨/٣ وابن الأثير ٧٦/٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤٤ كتاب فضائل الصحابة ٥٨ باب ح ٢٢٩ ص ١٩٧١ ومسند أحمد ٢٦/٢ وانظر مروج الذهب ١٣٨/٣ وفيه : يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فهو المختار ، وأما المبير فما أظنك إلا هو .

(٣) في الأخبار الطوال ص ٣١٦ فقال عروة (لما أمر عبد الملك أحد حراسه : انطلق بعروة إلى الحجاج) : يا بني مروان : ما ذلّ من قتلتموه ، بل ذل من ملكتموه . فندم عبد الملك ، وخلى سبيل عروة .

فكتب إلى الحجاج أن لا سبيل لك على عروة فإني قد أمنته على نفسه وماله وأهله وولده فلا تعاودني في أمره بعدها ـ والسلام ـ . قال: فأمسك عنه الحجاج وجعل يتبع أموال عبد الله بن الزبير حتى احتوى على أمواله بأجمعها .

ثم كتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بأن الكعبة قد انتقض بعضها لما أصابها من حجارة المجانيق ، وقد كنت هممت على بنائها ، فلم أحب أن أقدم على شيء من أمرها دون أن أستطلع رأي أمير المؤمنين . قال : فلما ورد كتاب الحجاج على عبد الملك بن مروان دفع إليه ما أحب من الأموال ، وكتب إلى الحجاج : إني قد بعثت إليك بأخي عبد الله بن مروان ليكون هو الذي يتولى أمر الكعبة ، فإن الكعبة لا يبنيها ولا يتولى أمرها إلا قرشي ، فإذا قدم عليك فقم معه وأعنه ، وإن احتاج إلى شيء من المال فادفع إليه ، واضمم إليه جماعة من مشايخ قريش من أهل مكة ليقوموا معه في بناء الكعبة ـ والسلام ـ . قال : وقدم عبد الله[1] بن مروان مكة ثم إنه أمر بهدم الجانب الذي يلي زمزم وما يليه إلى الركن اليماني ، فهدم ذلك الجانب كله إلى آخره[2] ، وأخذ الناس في البناء فكانت الحجارة كلها لا يحملها إلا مشايخ قريش ، وهم الذين يبنون البيت والحجاج واقف يأمر وينهي ، حتى إذا فرغ من بناء الكعبة وغلق عليها بابها وألبست الكسوة ، انصرف عبد الله بن مروان إلى الشام ، وأقام الحجاج بمكة ينتظر أمر عبد الملك بن مروان .

ذكر محمد ابن الحنفية رضي الله عنه وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف

قال : وإذا كتاب عبد الملك بن مروان قد ورد على محمد ابن الحنفية : أما بعد ! فإذا أتاك كتابي وبلغك رسولي فاخرج إلى عاملي الحجاج بن يوسف فبايعه واستقم ، فإن الناس قد بايعوا واستقاموا ، فإن فعلت ذلك منعت مني مالك وأهلك وولدك ، وإلا فوالذي لا إله إلا هو لئن أنت أبيت وتربصت وارتبت وقدمت رجلاً وأخرت أخرى لأسقيتك بكأس ابن الزبير ولأنزلنك بالمنزلة التي أنزلت بها نفسك ـ والسلام ـ .

---

(١) بالأصل : عبيد الله .

(٢) انظر الطبري ٦/١٩٥ وابن الأثير ٣/٧٨ ـ ٧٩ ومروج الذهب ٣/١٠٠ ـ ١٠١ .

قال : [فكتب ـ][1] إليه ابن الحنفية : أما بعد ! فقد أتاني كتابك ترعد لي وتبرق ، وتذكر أن الناس قد بايعوا واستقاموا ، وإنه لم يكن من شأني أن أبايع أحداً حتى يجتمع الناس على رجل واحد ، كنت أنت أم غيرك ، وأيما واحد من الناس رضوا به بايعته ، وإلا فهذا مكاني حتى يحكم الله بيني وبين من أرادني بسوء وهو أحكم الحاكمين ؛ وأما ما ذكرت أنك تسقيني بكأس ابن الزبير إن أنا لم أستقم ولم أبايع ، فإن ذلك ليس إليك ولا بيدك ، إن الله تعالى في كل يوم ثلاثمائة لمحة يحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويرفع ويضع ، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وقد رجوت أن يلحقك بعض لمحاته فيرد عني كيدك وبغيك وظلمك ـ والسلام[2] ـ .

قال : فلما ورد كتاب محمد ابن الحنفية على عبد الملك بن مروان غضب لذلك ، ثم استشار أهل الشام في قتله ، فكل أشار عليه بذلك . قال : واتقى ابن الحنفية وخشي أن يكتب إلى الحجاج فيأمره فيه بأمر ، ولم يجد من البيعة لعبد الملك بن مروان بدأ ، فعزم على الكتاب إليه في ذلك .

ذكر كتاب محمد ابن الحنفية
إلى عبد الملك بن مروان

قال : فدعا ابن الحنفية برجل من شيعته يكنى أبا عبد الله ويعرف بالجدلي وكان من خيار شيعته ، فكتب معه كتاباً إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ! فإني لما رأيت هذه الأمة قد اختلفت نيتها ، وضيعت دينها ، وسفهت أحلامها ، ونبذت علم كتاب الله ربها ، وسفكت دماءها بغير حق ، اعتزلتهم إلى البيت الحرام الذي من دخله كان آمناً ، لأمنع بذلك دمي من الجهال والضلال والظالمين وكل جبار عنيد لا يؤمن بيوم الحساب ، وتركت الناس أشياعاً وأحزاباً ، كل يعمل على شاكلته ، والله يقضي بالحق ويحكم يوم القيامة بين الخلق ، فيجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، وقد كان من رأيي ورأي من اتبعني واقتدى برأيي أن لا يجتمع بأحد اختلف[3] الناس عليه ، ولا يخالف أحداً اجتمع[4] الناس له ، وقد رأينا

---

(١) زيادة اقتضاها السياق .

(٢) انظر مروج الذهب ٣/١٣٩ وفيه أن كلام ابن الحنفية هذا قاله للحجاج بن يوسف .

(٣) الأصل : اختلفوا .

(٤) الأصل : اجتمعوا .

أن قد اجتمع(1) الناس لك ونحن عصابة قليلون ، وقد بعثنا إليك رسولاً ليأخذ منك أماناً وعلى الوفاء لنا بذلك عهداً وثيقاً فإن أجبت إلى ذلك كنا إليك سراعاً ، وإن أبيت فأرض الله واسعة ، ولمن اتقى تكون العاقبة ، وقد أردت بهذا الكتاب اتخاذ الحجة عليك ، وفقنا الله وإياك لمراشد الأمور ـ والسلام ـ .

قال : فمضى رسول ابن الحنفية إلى عبد الملك بن مروان ، وإذا رسول الحجاج قد أقبل إلى ابن الحنفية أن هلم فبايع ! وإلا ألحقتك بمن قد علمت ـ والسلام ـ قال : فأرسل إليه ابن الحنفية : إني كتبت إلى عبد الملك بن مروان كتاباً وأرسلت إليه رسولاً ليأخذ لي منه أماناً ، وإنما انتظاري لجواب الكتاب ، ثم البيعة إذا أعطاني ما سألت ـ والسلام . قال : فأرسل إليه الحجاج : يابن الحنفية ! وتشترط على أمير المؤمنين الشروط ! والله لتبايعن طائعاً أو كارهاً وإلا ألحقتك بابن الزبير . قال : فكره ابن الحنفية أن يبايع الحجاج من قبل أن يقدم إليه رسول بالأمان من عند عبد الملك بن مروان . قال : ولج الحجاج في أمره حتى اتقاه ابن الحنفية على نفسه(2) ، وأقبل عبد الله بن عمر بن الخطاب حتى دخل على الحجاج فقال : أيها الأمير ! ما تريد من هذا الرجل ؟ فوالله إنه لخير فاضل ، وما أعلم في زمانه رجلاً(3) مثله ولا أزكى على الله أحداً ، فكف عنه أيها الأمير ! فإنه قد كتب إلى ابن عمه كتاباً وإنما ينتظر الجواب ثم يبايع . قال : فكف عنه الحجاج ، وإذا بأبي عبد الله الجدلي قد أقبل بالجواب من عبد الملك بن مروان : أما بعد ! فقد قدم رسولك بكتابك ، فقرأته وفهمت ما ذكرت فيه وما نويت بذلك ، وأنت لعمري عندنا البر المحمود ، فأقبل إلينا آمناً مطمئناً مأمونًا حبيباً قريباً ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله محمد ﷺ وأشد ما أخذ الله على أنبيائه ورسله من العهود والمواثيق المؤكدة الغليظة أنك لا تهاج ولا تؤذى في سلطاننا أبداً ما بقيت أنت ولا أهلك ولا ولدك ولا أحد من

---

(1) الأصل : اجتمعوا .

(2) في مروج الذهب ٣/١٣٩ أن محمد ابن الحنفية كتب إلى عبد الملك :
إن الحجاج قد قدم بلدنا ، وقد خفته ، فأحب ألا تجعل له عليّ سلطاناً بيدٍ ولا لسان .
فكتب عبد الملك إلى الحجاج : إن محمد بن علي كتب إليّ يستعفيني منك ، وقد أخرجت يدك عنه فلم أجعل لك عليه سلطاناً بيد ولا لسان فلا تتعرض له .

(3) الأصل : رجل .

أصحابك شاهداً ولا غائباً ، ولا يبدو لك منا شيء من المكروه ، ولعمري ! لئن نحن ألجأناك إلى الذهاب في الأرض الواسعة فقد ظلمناك وجفوناك وقطعنا رحمك ، وما أنت لذلك بأهل لفضلك وإسلامك وحقك وقرابتك ، فهلم إليّ حين تقرأ كتابي إن شئت ذلك إلى الرحب والسعة والأثرة وحسن المنزلة ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ـ .

قال : وجعل عبد الملك بن مروان يقول لمن عنده : وما سبيلنا على ابن الحنفية ، فقد والله سلم وغنم ، ودارت لنا رحاها واضطرب بنا أمواجها.

قال : فلما ورد كتاب عبد الملك بن مروان على ابن الحنفية وقرأه ، أقبل إلى الحجاج فبايع لعبد الملك بن مروان .

ثم تهيأ الحجاج للرحيل إلى الشام إلى عبد الملك بن مروان ، واستخلف على مكة رجلاً من قبله ثم تجهز ، وخرج معه ابن الحنفية ، فقال الحجاج : يابن الحنفية ! انظر إذا قدمت على أمير المؤمنين أن تثني عليّ بما رأيت مني ! فقال : أفعل ذلك إن شاء الله تعالى .

قال : فلما قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان ومعه ابن الحنفية دخل الحاجب فأعلمه بذلك ، قال : فأذن عبد الملك بن مروان لمحمد ابن الحنفية قبل الحجاج فدخل ، فلما رآه عبد الملك بن مروان قال : مرحباً بك وبقرابتك وبحقك ! إلى ههنا إلى ههنا ! ثم أدناه وأجلسه معه على سريره ، وأقبل عليه يسأله ويحدثه ساعة ؛ ثم أذن للحجاج بعد ذلك فدخل ، فلما نظر ابن الحنفية جالساً مع عبد الملك بن مروان حسده على ذلك وشق عليه ما رأى من إقبال عبد الملك بن مروان عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! والله لقد أردت أن أضرب عنقه لو لا ما كنت قدّمت إليَّ فيه ؛ فقال له ابن الحنفية : أما والله يا حجاج ! فبذراعك وعدتك وباعك وقوتك ورهطك فلا ، وما كان مثلك الذي يقدر على مثلي دون أن تراق الدماء ، ولكن بذراع هذا وقوته وسلطانه نلتَ ما نلت . فقال عبد الملك بن مروان ـ رحمه الله ـ : صدقت! لعمري هو كما تقول يا أبا القاسم ! ثم أقبل عبد الملك بن مروان على الحجاج فقال : مهلاً يا حجاج ! لا تسمعن أبا القاسم بعدها سوءاً فلست له بكفء! فقال ابن الحنفية : أريد منك يا أمير المؤمنين أن ينزع عني سلطانه ، فلا يكون لمثله عليَّ سلطان ! فقال عبد الملك بن مروان : لا سلطان له ولا لأحد من

الناس عليك دوني ، ولك في كل سنة إلى رحلة ، ليس عليك فيها أمير ولا مأمور ، ولا تسألني حاجة إلا قضيتها لك ، ورأيت ذلك لك عليَّ غنماً وحقاً واجباً .

قال : ثم أمر له عبد الملك بن مروان في وقته بثلاثمائة ألف درهم ، فأخذها وفرق على أصحابه منها مائة ألف درهم ، ووجه بمائتي ألف إلى مكة والمدينة ، فقسمت هنالك في أهل بيته وأقربائه وسائر أولاد المهاجرين والأنصار ، ثم إنه استأذن عبد الملك بن مروان بعد ذلك بالإنصراف إلى المدينة ! فأذن له في ذلك وأحسن جائزته ، ووصله أيضاً بمال جزيل يزيد على مائتي ألف درهم . قال : فسار محمد ابن الحنفية في أصحابه حتى قدم المدينة سالماً مغبوطاً فرحاً مسروراً ، فلم يزل مقيماً بها . قال : واستوت البلاد كلها لعبد الملك بن مروان .

ذكر ملك عبد الملك بن مروان وأخباره وما كان منه بعد أن استوسقت له الأمور

قال: فلما استوسق الأمر لعبد الملك بن مروان ودان[1] له الناس بالسمع والطاعة ولم يكن أحد يناويه ، دعا برجل يقال له أمية بن عبد الله بن خالد القرشي فعقد له عقداً وولاه بلاد خراسان[2] ، ودعا بخالد بن عبد الله بن [خالد بن ـ] أسيد القرشي فعقد له عقداً وولاه العراقين : البصرة والكوفة .

قال : فسار أمية بن عبد الله بن خالد حتى دخل بلاد خراسان من قبل عبد الملك بن مروان . قال : وكان أمية بن عبد الله سخياً جواداً ، وهو الذي يقول فيه نهار بن توسعة الشاعر هذه الأبيات :

أمية يعطيك اللُّهَى إن سألته ... وإن أنت لم تسأل أمية أضعفا
ويعطيك ما أعطاك جذلان ضاحكا ... إذا عبس الكز اللئيم وقفقفا
يرى الجود دَوماً سنّه بمدامه ... فلا يتبع المعروف منا ولا خفا
هنيئاً مريئاً جود كف ابن خالد ... إذا الباخل الكفين أعطى تكلفا

---

(١) الأصل : دانوا .

(٢) وكان ذلك سنة ٧٤ وقد عزل عنها بكير بن وشاح .

وكان سبب تولية أمية أن أهل خراسان كتبوا إلى عبد الملك أن خراسان لا تصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه . وكانت تميم اختلفت بطونها فيها .

قال : فدخل أمية بن عبد الله أرض خراسان وبها يومئذ رجل يقال له بكير بن وشاح التميمي متغلباً عليها .

ذكر بكير بن وشاح التميمي وأمية بن عبد الله ابن خالد وبحير[1] بن الورقاء

قال : فلما بلغ بكير بن وشاح قدوم أمية بن عبد الله عاملاً على بلاد خراسان ذلك عليه واتقاه على نفسه . قال : وكان في سجنه ابن عم لعبد الله بن خازم السلمي يقال له بحير بن ورقاء ، فكأنه أحب أن يصالحه ويستظهر به على أمية بن عبد الله ، فأرسل إليه أني إنما كنت حبستك على الظن والتهمة ، والآن فقد أحببت صلحك على أن يكون أمري وأمرك واحداً ، وتكون أيدينا واحدة على كل من ناوانا ووافانا وأراد زوال النعمة عنا ! قال : فأبى بحير بن ورقاء أن يصالحه[2] ؛ فأقبل ضرار بن حصين[3] الطائي حتى دخل على بحير بن ورقاء وهو في السجن فقال له : يا هذا ! والله ما رأيت أحداً يحب أن ينسب إلى الحمق والعجز سواك ، يدعوك بكير بن وشاح إلى الصلح ويتنصّل إليك من ذنبه فتأبى عليه ! والله لو بعث إليك فقتلك لما انتطحت فيك عنزان ، يا هذا ! صالح ابن عمك ، واخرج من سجنك ، وأنت على رأس أمرك ، فوالله لأنت حياً خير من أن تكون ميتاً . قال : فقبل بحير بن ورقاء مشورة الطائي وصالح بكير بن وشاح وخرج من سجنه ، وأعطاه بكير بن وشاح أربعين[4] ألف درهم ، وحلفه أن لا يخونه ولا يغتاله ولا يكون في نفسه من بكير إلا الخير .

قال : وقدم أمية بن خالد بن عبد الله خراسان فنزل مدينة مرو ، ثم إنه جعل بكير بن وشاح خليفته وصاحب أمره[5] ، وجعل بحير بن ورقاء على شرطته . ثم خرج غادياً حتى بلغ تخوم الترك[6] فقاتل وقتل وغنم ، ثم إنه انصرف راجعاً وبكير بن

---

(١) عن الطبري ٦/١٩٩ وابن الأثير ٣/٨٠ وبالأصل : بجير بالجيم ، وقد صححت في كل مواضع الخبر .

(٢) زيد في الطبري ٦/١٩٩ وقال : ظن بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة . فمشت بينهما السفراء ، فأبى بحير .

(٣) عن الطبري ، وبالأصل : حصن .

(٤) الأصل : أربعون .

(٥) ولاه أمية طخارستان بناءً لرغبته ، وبعد أن وشى به بحير أمره بالمقام عنده . . . ثم ولاه غزو ما وراء النهر . ثم أمره بالمقام وقال له : لعلي أغزو فتكون معي .

(٦) استخلف أمية على خراسان ابنه زياداً ، وتجهز للغزو ثم سار وسار معه بكير . . . فقال أمية لبكير : قد =

وشاح على مقدمته . قال : فسبقه بكير بن وشاح فدخل فتحصن بها مخالفاً عليه ، قال : وأقبل أمية بن عبد الله وقد أنكر ذلك من فعل بكير حتى صار إلى مدينة مرو ، فمنعه بكير بن وشاح أن يدخلها . قال : فأقام أمية على باب مرو أربعة أشهر لا يقدر على الدخول إلى مرو لحصانتها . قال : ثم دخلت السفراء بينهم بالصلح ، فصالحه أمية على أن يعطيه مائتي ألف درهم وعلى أن يسوغه ما أخذ من أموال خراسان قبل ذلك . قال : ففتح بكير بن وشاح باب مدينة مرو ، فدخلها أمية بعد أربعة أشهر وفي قلبه من بكير بن وشاح ما في قلبه .

قال : وأقبل إليه صاحب شرطته بحير بن ورقاء فقال : أيها الأمير ! إن بكير بن وشاح فعل ما فعل ، والآن يريد أن يخرج عليك ، فكن منه على حذر ؟ قال : فكأن أمية لم يصدق ذلك ، ثم أرسل إليه الدسس واستبحث واستخبر فإذا الأمر على ما قاله بحير بن ورقاء . قال : فدعا أمية ببكير بن وشاح هذا ، فقال له : يا عدو نفسه ! أكلت أموال خراسان هذه المدة وأمير المؤمنين عنك مشغول بآل الزبير ، ثم إني قدمت هذا البلد وقدمتك ورفعت قدرك ، وجعلتك خليفتي وصاحب أمري ، وجعلت جيشي تحت يديك ، ثم إنك غدرتَ وتحصنت بمدينة مرو وأنا على بابها أربعة أشهر ، ثم إني صفحت عنك وسوغتك ما أكلت وأخذت من أموال خراسان ، ودفعت إليك مائتي ألف درهم ، والآن تريد أن تخرج عليّ ! قال فقال بكير : أصلح الله الأمير ، مكذوب عليّ ، ما أعلم من هذا شيئاً ! قال : فأقام عليه أمية البينة بذلك ، ثم قال : من يقوم إليه فيضرب عنقه ؟ فقام بحير بن ورقاء فقال : أيها الأمير ! أنا أستحل دمه ، فأنه رجل فاسق غدار ، وهو الذي قتل ابن عمي عبد الله بن خازم السلمي ! قال أمية : فدونك إياه إذاً . قال : فضرب بحير بن الورقاء بيده إلى سيفه فاستله ، فقال له بكير بن وشاح : لا تقتلني أنت ودع الأمير ، كيف فإنك مطالب بدمي ! فقال له بحير : أنت إنما تقول هذا من جزع القتل ، فقال له بكير بن وشاح : ستعلم ذلك عن قريب يا بحير ! فقدمه بحير بن الورقاء فضرب عنقه صبراً ، ثم أنشأ يقول :

يظن بكير أن ما في أضالعي   من الحقد يمحوه الكسا والدراهمُ
وإني سأغضي عن أمور كثيرة   وقتل فتى آذاه ذو الفضل خازم

= خفت الا يضبط ابني عمله وهو غلام حدث ، فارجع إلى مرو فاكفنيها ، وليتكها . . . ورجع بكير إلى مرو فأخذ ابن أمية فحبسه ، ودعا الناس إلى خلع أمية فأجابوه (انظر الطبري حوادث سنة ٧٧) .

فلست بخير يا بكيرُ وخيرهِ لئن لم تقم يوماً عليك المآتم
على بطل قد فلق السيف رأسه صريع نجيع تعتريه القشاعم

قال : واحتوى أمية بن عبد الله على أموال بكير بن وشاح وقلّيلاهُ فاختاره لنفسه ، وأقام في بلاد خراسان ليس أحد ينازعه في سلطانه ، وجعل يغزو أطراف خراسان غزواً متداركاً ، فكلما فتح فتحاً أو أصاب نفلاً أخرج منه الخمس فوجه به إلى عبد الملك بن مروان وقسم باقي ذلك في أصحابه ، حتى استقل وكثرت عنده الأموال ، فأحب الراحة والرفاهية وترك الغزو ، ولم يغز[1] أحداً ، وأضر ذلك بأهل خراسان ، فكتب بعض الأجناد إلى عبد الملك بن مروان بكتاب يخبره فيه بقعود أمية بن عبد الله عن الغزو ، وأثبت في آخر كتابه هذه الأبيات :

أضاع أمير المؤمنين ثغورنا وأطمع فينا المشركين ابن خالدِ
وبات على لين الحشايا منعماً يلاعب أمثال الدُّمى في المجاسد
وليس أخو الهيجاء من بات آمناً وأضحى بطيناً همه في الثرائد
ولكن أخوها من يبيت مشمراً يناجي هموماً قائماً غير قاعد

قال : فلما قرأ عبد الملك بن مروان كتاب أهل خراسان همَّ أن يعزل أمية بن عبد الله عن خراسان ، ثم إنه لم ير ذلك رأياً ، فكتب إليه يعذله على قعوده عن الجهاد ويحضّه على قتال العدو ، وأعلمه في كتابه إن هو لم يغز بالمسلمين يعزله ويستبدل به غيره . قال : وكان أمية يغير بالناس أيام الصيف والربيع ، ويريحهم في أيام الشتاء والخريف ؛ فلم يزل على ذلك من شأنه حيناً من دهره متمسكاً بخراسان إلى وقت عزله ، وسنرجع إلى خبره بعد هذا إن شاء الله تعالى .

ذكر الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وما كان بها من الحروب

قال : ثم دعا عبد الملك بن مروان بأخيه محمد بن مروان ، فعقد له عقداً وولاه الجزيرة وبلاد أرمينية وأذربيجان ، وضم إليه جيشاً كثيفاً . قال : فخرج محمد بن مروان من بلاد الشام في جيشه ذلك ومعه مسلمة بن عبد الملك بن مروان حتى نزل أرض الجزيرة ؛ ثم دعا برجل من أصحابه يقال له عبيد الله بن أبي شيخ

(١) الأصل : لم يغزو .

العوي[1] فضم إليه عشرة آلاف رجل من أهل الشام وأمره بالدخول إلى بلاد أرمينية لمحاربة من بها من الخزر وأصناف الكفار .

قال : فسار عبد الله[2] بن أبي شيخ في جيشه ذلك حتى دخل بلاد أرمينية ، وعلم أهل البلد بذلك ، فاجتمعوا على المسلمين في خلق كثير يزيدون على مائة ألف ، فقتلوهم عن آخرهم حتى ما انفلت منهم أحد ، ثم احتووا على أموالهم وأسلحتهم ، وما كان لهم من شيء فأخذوه .

قال : وبلغ ذلك محمد بن مروان ، فاغتم لما قد نزل بالمسلمين وضاق به الأمر ، ثم نادى في الناس وسار بنفسه في أربعين ألفاً ، حتى إذا توسط بلاد أرمينية اجتمعت الروم والأرمن في جمع عظيم ، فقاتلهم محمد بن مروان أشد القتال حتى خشي الفضيحة والغلبة لكثرة ما اجتمع عليه من الكفار ، ثم إن الله تعالى هزم المشركين وأمكن بالمسلمين من أكنافهم ، فقتلوا منهم بشراً كثيراً وسبوهم ، واحتووا على بلادهم وأموالهم . قال : ثم أرسل محمد بن مروان بعد ذلك إلى ساحاتهم وأحرارهم[3] فوعدهم من نفسه الرضا وأنه يعطيهم ما يريدون ويولي عليهم من يحبون ، فلم يزل كذلك حتى اطمأنوا إليه ووثقوا بناحيته ثم اجتمعوا إليه ، فصالحهم على أمر من الأمور أرضاهم به ، ثم قال : إني لست أثق بكم ولكن ادخلوا إلى كنائسكم هذه واحلفوا لي فيها بما أحلفكم أنكم لا تغدرون ! ثم أعطوني بعد ذلك الرهائن وانصرفوا إلى بلادكم ! قال : فأجابوه إلى ذلك ، ثم دخلوا الكنائس ليحلفوا ، فلما علم أنهم صاروا بأجمعهم في الكنائس أمر بأبوابها فأغلقت عليهم ، ثم ضربت الكنائس وما فيها بالنار والنفط ، فسميت تلك الكنائس المحترقة إلى يومنا هذا[4] .

قال : ثم دعا محمد بن مروان بابن أخيه مسلمة بن عبد الملك فضم إليه جيشاً وأمره بالمسير إلى مدينة الباب لمحاربة الخزر الذين بها ، وبها يومئذ نيف على ثمانين ألفاً من الخزر ؛ قال : فسار مسلمة في جيشه ذلك حتى نزل على مدينة الباب ،

---

(١) كذا ، ولم نعثر عليه .

(٢) كذا ، وقد مرّ قريباً : عبيد الله .

(٣) أحرار أرمينيا : هم الذين كانوا نبلاء بأرض أرمينيا قبل أن تملكها الفرس ، ثم إن الفرس اعتقوهم لما ملكوا وأقروهم على ولايتهم .

(٤) انظر فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٠٧ .

فجعل مسلمة يحاربهم أياماً كثيرة وليال ، وهو في ذلك لا يقدر عليها ولا يطمع فيها لحصانتها ووثاقة سورها ، لأن سورها إنما كان من بناء أنو شروان بن قباذ بن فيروز ملك فارس مما يبنى في الدهر الأول .

قال : فبينا مسلمة كذلك وإذا برجل من الخزر قد أقبل إليه خوفاً على نفسه وأهله وولده ، فقال : أيها الأمير ! إني قد أقبلت إليك راغباً في دينك ، أريد الدخول في الإسلام على أن تجعل لي معاشاً أعيش به أنا وعيالي وأدلك على موضع تدخل منه أصحابك إلى هذه المدينة ! قال : فضمن له مسلمة أن يعطيه ما أراد ، فأسلم الخزري ووجه معه مسلمة بألف رجل من أشد أصحابه ، وذلك في أول الليل . قال : وجعل[1] أصحاب مسلمة يسيرون وذلك الخزري بين أيديهم حتى صعد بهم الجبل من ناحية الوادي ، ثم أحدرهم إلى موضع من السور قد كان[2] أهل الباب آمنون من ذلك الموضع ، لا يخافون أن يؤتون منه . قال : فجعل الخزري يداخل الرجل بعد الرجل من المسلمين حتى أدخل بعضهم . قال : وبادرتهم أهل الباب من داخل المدينة ووقعت الصيحة فاجتمعوا على المسلمين ، واقتتل الناس في ليلتهم تلك قتالاً شديداً حتى كاد يسمع وقع السيوف على البيض والدرق كوقع الحديد بعضه على بعض ، حتى إذا كان وقت السحر رفع المسلمون أصواتهم بالتكبير ، وصاح رجل من عسكر مسلمة : ألا إنه الظفر ورب الكعبة ! قال : وركب مسلمة في المسلمين ليعينوا إخوانهم ، وفتحت الخزر باباً من أبواب المدينة وخرجوا هاربين على وجوههم ، وصارت المدينة ونساؤهم في أيديهم وأولادهم .

قال : وعزم مسلمة على هدم سور المدينة ، فقال له بعض أصحابه : لا تهدم هذا السور ، فلعلنا نحتاج إلى هذه المدينة فتريد أن تكلفنا بناء هذا السور بالمؤنة الكثيرة ، ولعلنا لا نبلغ من إحكامه ما نريد ! فقال مسلمة : صدقت ، ولكني حلفت أن أهدمه ولا بد لي من ذلك ! فقال : فاهدم بعضه واترك بعضه ، قال : فأمر مسلمة بهدم بعض السور لمكان يمينه .

---

(١) باب الأبواب على بحر طبرستان ، وهي مدينة تكون أكبر من أردبيل (انظر في بنائها ما ذكره ياقوت في معجم البلدان) .

(٢) الأصل : جعلوا .

(٣) الأصل : كانوا .

ثم رحل بالمسلمين حتى صار إلى عمه محمد بن مروان بالغنائم الكثيرة ، ومحمد بن مروان يومئذ في وسط بلاد أرمينية . قال : وجاءت الخزر ثانية حتى نزلت مدينة الباب كما كانت من قبل ، وأقام محمد بن مروان بأرض أرمينية ضابطاً لها وقد أذل من بها من الكفار ومعه ابن أخيه مسلمة بن عبد الملك ، فلم يزالوا هنالك إلى وقت من الأوقات ـ وسنرجع إلى خبرهم إن شاء الله تعالى ـ .

ثم رجعنا إلى خبر الأزارقة

قال : ثم كتب عبد الملك بن مروان إلى خالد بن عبد الله بن أسيد[١] وهو أمير العراقين فأمره أن يوجه المهلب بن أبي صفرة إلى حرب الأزارقة . قال : فعزم خالد بن عبد الله على حرب الأزارقة ، وبلغ ذلك قطري بن الفجاءة صاحب الأزارقة ، فقام فيهم خطيباً وقال : يا معاشر المهاجرين ! إنه قد صار أمرنا إلى ما كنا عليه ، وقد كان الناس في المهابة على ما كانوا عليه . فقال له عبيدة بن هلال : يا أمير المؤمنين ! أو لا تخاف يوماً مثل يوم عبد الله[٢] بن ماحوز ؟فقال قطري : إننا نخاف ولكن مع الخوف رجاء . قال : ثم سار من بلاد فارس حتى تقاربوا من الأهواز فجبوا الخراج وقتلوا من ناواهم وقوي أمرهم ، وتسارع الناس إليهم من كل ناحية .

وأقبل وجوه أهل البصرة إلى خالد بن عبد الله بن أسيد[٣] فقالوا : أصلح الله الأمير ! إن المهلب بن أبي صفرة ولي[٤] نعمة أهل هذا المصر قد أمنوا به البلاء وألبسوا به العافية ، وليس عليه أثار ولا له حاسد ، وقد صار أمر الأزارقة إلى ما كانوا عليه بالأمس ، وليس لهم غير المهلب لأنه قد ذاقهم ومارسهم في غير موطن ، وهو السيف الذي لا يغمد ، والحجر الدامغ لمن عَنَد . قال فقال خالد بن عبد الله : إني

---

(١) عن الطبري ، وقد مرّ ، وبالأصل : « أسد القشيري » وفي الطبري ١٩٦/٦ أن عبد الملك كتب إلى بشر بن مروان وكان والياً على البصرة كتاباً يأمره فيه أن يبعث المهلب إلى حرب الأزارقة . انظر نسخة الكتاب في الطبري ١٩٦/٦ .

وتوجه المهلب إلى الأزارقة ، ولم يلبث الناس إلا عشراً حتى أتاهم نعي بشر بن مروان ، واستخلاف خالد .

(٢) الأصل : عبيد الله .

(٣) الأصل : أسد .

(٤) في الكامل للمبرد ١٢٨٢/٣ إنما أمن أهل هذا المصر بأن المهلب بالأهواز . . . وإن نحيت المهلب لم تأمن على البصرة الأزارقة .

قد سمعت كلامكم وأنا نازل عند ما تحبونه إن شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال : فخرج[1] الناس من عنده ، وأقبل خالد على من كان عنده من بني عمه فقال : ويحكم يا معشر قريش ! والله لقد ذهب المهلب بحظ هذا المصر وأمير المؤمنين يظن أن أحداً لا يقوم مقام المهلب ، وأيم الله لولا أني أكره أن يكون من يدي أمر يعصيه أمير المؤمنين[2] لبعثت أخي عبد العزيز إلى حرب الأزارقة ! فقال له بعض بني عمه : أيها الأمير ! إن أمير المؤمنين قد رأى مكان أخيك عبد العزيز فلا تعصه وابعث المهلب إلى حرب الأزارقة كما أمرت . فقال خالد بن عبد الله : حتى أنظر في ذلك .

قال : وغلبت الأزارقة على الأهواز[3] فعزم خالد بن عبد الله أن يسير إليهم بنفسه ، وأشار عليه نفر من بني عمه بذلك فقالوا : أيها الأمير ! إنك إن سرت إلى الأزارقة بنفسك فهزمتهم سقطت منزلة المهلب من عيون الناس ونظر الناس إليك بعين الجلالة .

قال : فعندها عزم خالد بن عبد الله[4] على المسير إلى الأزارقة بنفسه وأقبل إليه المهلب فقال : أيها الأمير ! إنك سائر إلى هؤلاء القوم وأنا أعلم بحربهم منك ، وليس لك بد من أن تحمل أموالك وسلاحك في السفن ، فانظر إذا تقاربت من القوم فاعمل على أن تدخل سفنك إلى نهر الأهواز ، وتخندق على عسكرك خندقاً ثم تقاتلهم بخيلك ورجلك ، فإن غلبتهم تقدمت ، وإن غلبوك رجعت إلى خندقك . قال : فتبسم خالد ثم قال : يا أبا سعيد ! إن الأمر أسرع من ذلك وأسرع مما تذهب إليه ، أتظن أني أريد أن أشتو هنالك ، إنه ليس الخندق من شأني . قال : فانصرف

---

(١) بالأصل : فخرجوا .

(٢) وكان الأمر بإرسال المهلب إلى حرب الأزارقة قد جاء ـ كما ذكرنا ـ مباشرة بكتاب من عبد الملك إلى بشر بن مروان .

(٣) والسبب في ذلك ، أن المهلب لما سار بالناس ، ولم يلبث إلا قليلاً جاءه النعي بموت بشر فانصرف عنه كثير من الناس من أهل البصرة والكوفة . (الطبري) ولما أبى خالد إلا عزل المهلب فقد قدم المهلب البصرة وكان هذا أيضاً من الأسباب التي أضعفت التصدي للخوارج .

(٤) الأصل : عبيد الله .

المهلب إلى منزله[١] وهو يقول : إني لأرى أمراً ضائعاً .

قال : وجمع خالد بن عبد الله ما أراد من المال والسلاح وما يحتاج إليه من آلة الحرب ، فحمل ذلك كله في السفن وعلى الظهر في الآلة والسلاح الشاك ، فاقتتل القوم قتالاً شديداً ، وانهزم خالد بن عبد الله وسلمت سفنه بجميع ما فيها من مال وسلاح ، ثم ملؤها[٢] قصباً وأشعلوا فيها النار وأطلقوها ، فأقبلت السفن تهوي والنار ملتهبة فيها كأنها الجبال . قال : وصاحت الأزارقة : يا خالد ! يا مفلس ! يا مخذول ! ذهبت أموالك وبقيت فضيحتك ؛ قال : فأنشأ كعب بن معدان الأشقري[٣] يقول أبياتاً مطلعها :

أيا ابن أسيد لست ممن ترومهم　　　فخلهم من يومهم للمهلبِ

إلى آخرها.

قال: وأقبل رجل من الأزد إلى المهلب فقال له : أبا سعيد ! ما يقعدك فقد بلغت الأزارقة إلى فسطاط مازن ؟ قال : فتبسم المهلب ثم قال : قد كنت أرى هذا بعينه : قال : ثم دعا المهلب بابنه يزيد ، فقال له : يا بني ناد في قومك واخرج إلى القوم فإني لاحق بك إن شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله . قال: فخرج يزيد بن المهلب فنادى في قومه من الأزد ، فأجابوه سراعاً ، فخرج في خمسمائة[٤] رجل [من] بيته وسائر قومه ، فالتقى القوم فاقتتلوا ساعة[٥] ، وانهزمت الأزارقة من بين يدي المهلب وأصحابه حتى صاروا إلى الأهواز فنزلوها ؛ فأنشأ صاحبهم قطري بن الفجاءة يقول :

ألم يأتها أني لعبت بخالد　　　وجاوزت حد اللعب لو لا المهلبُ[٦]
وإنا أخذنا ماله وسلاحه　　　وسقنا له نيرانها تتلهبُ
فلم يبق منه غير مهجة نفسه　　　وقد كان منه الموت شبراً وأقرب

---

(١) كذا ، وما في الكامل للمبرد ١٢٨٣/٣ أن المهلب كان في عسكر خالد ، في فرقة من فرقه .
(٢) يعني الخوارج ، انظر تفاصيل أوردها حول هذه المعركة المبرد في الكامل ج ١٢٨٣/٣ .
(٣) بالأصل : الأشعري .
(٤) في الكامل للمبرد ١٢٨٤/٣ : في مائة فارس .
(٥) انظر ما ورد في الكامل للمبرد ١٢٨٤/٣ .
(٦) يعرض بخالد بن عبد الله ويذكر ضعفه في لقاء الأزارقة ، وكيف تغيرت الحال حين تولى القيادة المهلب .

ولكن منينا بالمهلب أنه رجا[1] قاتل في داجل الخلق منسب

قال : فخرج المهلب إلى البصرة ، فقال له خالد بن عبد الله بن أسيد : أردتُ أمراً كنتَ أولى به مني ، أنت والله أعلم بحرب القوم ، غير أني قد رأيت رأياً ! قال المهلب : وما ذاك ؟ أصلح الله الأمير ! فقال : أولّيك خراج الأهواز فتمضي إليها وتنفي الأزارقة عنها وتقيم بها ، وأولّي أخي عبد العزيز حرب القوم ؛ فقال له المهلب : أيها الأمير ! أنا لا أصلح للخراج ، وأخوك عبد العزيز لا يصلح لحرب[2] الأزارقة ، لأن هذا الأمر له شأن يسكع عنده الجبان ويثبت عنده الحازم .

قال : ثم وثب رجل من بني تميم يقال له سلمة بن عبد الله السعدي وكان شاعراً مجيداً ، فأنشأ يقول أبياتاً مطلعها :

أيا ابن أسيد وكنت امرأ من أهل الحجاز من أهل الورعِ

إلى آخرها . ثم أنشأ الصلتان العبدي في ذلك يقول أبياتاً مطلعها :

أيا ابن أسيد تبعت الهوى وشر الفعال الهوى والمنى

إلى آخرها. قال : فغضب خالد بن عبد الله من مقالة هؤلاء القوم وأبى أن يوجه إلى حرب الأزارقة إلا أخاه عبد العزيز . قال : وإنما أراد خالد بن عبد الله[3] أن يُري أهل البصرة غناه عن المهلب وأن يسقط منزلته من عيون الناس ، وأمره بالمسير إلى الأهواز ليجبي خراجها وينفي الأزارقة عنها . قال : وعلمت الأزارقة أن المهلب سار إلى ما قبلهم ، فتنحوا من بين يديه إلى أرض فارس ، ونزل المهلب بالأهواز على خراجها .

وتهيأ عبد العزيز للمسير إلى الأزارقة ، فانتخب من الرجال ما أراد ، وقربت أثقاله للرحيل ، فأنشأ رجل من عبد القيس يقول أبياتاً مطلعها :

أمامة لا تلحى فإنك مائقة على طول ليلى من حذار الأزارقة

إلى آخرها . قال : وسار عبد العزيز في جيشه ذلك[4] ، وكتب خالد بن

(١) في شعر الخوارج ص ١٢٧ : شجّى قاتل .
(٢) الأصل : للحرب .
(٣) الأصل : عبيد الله .
(٤) في ثلاثين ألفاً (الكامل للمبرد ١٢٨٦/٣) .

عبد الله إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أيده الله بأن المهلب بن أبي صفرة رجل يجبي البلاد ويطاول العدو ، وقد وليته خراج الأهواز ، وقد بعثت أخي عبد العزيز إلى حرب الأزارقة ومناجزتهم ، وأمثال المهلب في الناس كثير . قال : فكتب إليه عبد الملك بن مروان : أما بعد فإن خطأي فيك حين وليتك أمر العراق كخطئك في عبد العزيز حين توليه الحرب وتولي المهلب الخراج ، انظر إذا ورد عليك كتابي هذا فاضمم أخاك عبد العزيز إلى المهلب ، وابعث المهلب إلى حرب الأزارقة ، فإنه رجل قد عرفهم وجربهم ومارسهم في غير موطن قبل هذا اليوم ـ والسلام[1] ـ .

قال : فكتم خالد بن عبد الله هذا الكتاب ولم يظهره للناس ، قال : وجزع أهل البصرة من إرسال عبد العزيز إلى حرب الأزارقة وعلموا أنه لا يقوم بحربهم . قال : وكتب عبد الله بن رفاع العامري من الشام إلى خالد بن عبد الله بهذه الأبيات :

قد أتاك الذي رأيت من الأمـ ـر فأخطأت كل رأي سديد
ليس للشام بالعراق عميد غير شيخ يكنونه بسعيد
ذاك ذاك المهلب بن أبي صفـ ـرة لا زال في العلى والمزيد
ليس يدري النحوس أين رأوه وهداه إليه سعد السعود
ليس عبد العزيز قد علم النا س كشيخ العراق يابن أسيد
ليس مثل المهلب بن أبي صفـ ـرة فينا المتوّج الصنديد
أجمع الناس في البلاء عليـ ـه حين خافوا من العدو المبيد
فنفاهم بالضرب في قحف الرأ س وطعن يصمى الرشاش شديد
فلئن أنت لم تعده إلى القو م فما ما تخافه ببعيد
إن عبد العزيز يصلح للخفـ ـض وقرب النسا وأكل الثريد
ولجزر الجزور والعصب والريـ ـط وذا الكبش النطاح الصيد
إن يكن يهزم الكتائب بالطعـ ـن وقرع الحديد فوق الحديد
فادعون ذاك الذي منع المصـ ـر ولم يبق غير قطع الوريد
بعد أن زالت الكعاب عن الخد ر جهاراً وشاب رأس الوليد

---

(١) في الطبري ٦/١٧٠ ـ ١٧١ أن خالد بن عبد الله كتب إلى عبد الملك بعد هزيمة عبد العزيز ، انظر فيه نسخة كتابه وانظر رد عبد الملك عليه . وانظر الكامل للمبرد ٣/١٢٩٦ ـ ١٢٩٧ .

ردّ عبد العزيز واستقبل الأمر فما من أزاله برشيد

قال: فبلغ هذا الشعر المهلب وكان يبعث إلى عبد الله بن رفاع هذا في كل سنة بعشرة آلاف درهم وأوصى بنيه به بعده ، وكان يزيد بن المهلب يجريها عليه إلى أن مات .

قال : وسار عبد العزيز بن عبد الله نحو الأزارقة فجعل يطوي البلاد حتى صار إلى فارس . قال : وسمعت به الأزارقة فطمعوا فيه ولم يعدوه بشيء ، فسار إليه قطري بن الفجاءة وعبيدة بن هلال وعطية بن الأسود وعمرو القنا وصالح بن مخراق وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير ، فسار إليه هؤلاء السبعة في سبعة آلاف من نخبة الأزارقة حتى صاروا إلى دار أبجرد بأرض يقال لها جور . فلما أرهجت الخيل من بعد التفت عبد العزيز إلى دهقان دار أبجرد فقال : هذه التي أراها بقر أو غنم ؟ قال فتبسم الدهقان ثم قال : أيها الأمير ! هذه خيل العدو ، ألا تراها كأنها حبل ممدود .

قال : ودنت الخيل بعضها من بعض ، فاقتتل[١] القوم ساعة ، وانهزم عبد العزيز من بين يدي الأزارقة ، ووضع السيف في أصحابه ، فقتل منهم مقتلة عظيمة واصطلم العسكر بما فيه[٢]، وأخذت امرأة عبد العزيز وهي[٣] ابنة المنذر بن[٣] الجارود العبدي ، فأنشأ بعض أهل البصرة[٤] يقول :

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم ... وتركتهم صرعى بكل سبيلِ
من بين ذي عطش يجود بنفسه ... وملحب بين الرجال قتيل
وتركت قومك[٥] لا أمير عليهم ... فارجع بخزي[٦] في الحياة طويل
ونسيت عِرسك إذ تقاد سبية ... تبكي العيون برنة وعويل

(١) الأصل : اقتتلوا .
(٢) الطبري ٦/ ١٦٩ وفي الكامل للمبرد ٣/١٢٨٧ أن عبد العزيز ناهضهم ساعة ثم انهزموا مكيدة فاتبعهم فقال له الناس لا تتبعهم فإنا على غير تعبية فأبى ، فلم يزل في آثارهم حتى اقتحموا عقبة . . . ونزل خلفهم وكان لهم في بطن العقبة كمين فلما صاروا وراءها خرج عليهم الكمين . . . وانحاز عبد العزيز واتبعه الخوارج فرسخين يقتلونهم كيف شاؤوا .
(٣) عن الطبري ١٦٩/٦ وبالأصل : أم .
(٤) هو ابن قيس الرقيات ، والأبيات في الطبري ١٧٣/٦ .
(٥) الطبري : جيشك .
(٦) الطبري : بعارٍ .

ثم قدمت الأزارقة امرأة عبد العزيز فنودي عليها كما ينادى على الإماء ، فبلغت [قيمتها] كذا وكذا ألفاً ، فتقدم قطري بن الفجاءة فضرب عنقها[1] ، فأنشأ الصلتان العبدي يقول :

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم وتركتهم صرعى بكل مكانِ
لما رأيت أبا نعامة مقبلاً يدعو عبية والرماح دواني
وأخاهما عمرو القنا وفوارساً شُمُّ الأنوف معانقي الأقران
ولعبد رب في الهياج غماغم ولصالح شغب على الفرسان
أسلمت عرسك والبلاء موكل بالقوم عند تشاجر المرآن
وزعمت أنك كالمهلب نجدة فحرمتها والبيت ذي الأركان

قال : وأقبل المنهزمون[2] من أصحاب عبد العزيز حتى صاروا إلى الأهواز ، وبها يومئذ المهلب بن أبي صفرة فخبروه بأمر الوقعة ، فاغتم المهلب لذلك غماً شديداً ، ثم أمر بالجسور فقطعت خوفاً من أن تدخل الأزارقة إلى البصرة . وبلغ ذلك أهل البصرة فنزل بهم أمر عظيم من هزيمة عبد العزيز وفضيحته وقتل المسلمين ، ثم خرجت رؤساؤهم إلى الأهواز إلى المهلب فقالوا له : أبا سعيد ! أرأيت ما نزل بالمسلمين من هذا العدوّ ؟ فقال لهم المهلب : قد رأيت ذلك ، غير أن خالد بن عبد الله اتبع هواه وجاءني بأخيه ، فولاه أمراً أعظم منه وولاني أمراً أصغر مني ، وإنما أراد بذلك ما قد علم ، فوالله ما ضرني ولا نفعه ، ولا وضعني ولا رفعه ، غير أنه أهدى خطأه إلينا هذه المصيبة الذي قد استوى فيها المعزى والمعزى عليه ، وقد قطعنا هذه الجسور ونحن مقيمون حتى ننظر ما يكون بعد هذا .

قال : ثم دعا المهلب رجلاً من أصحابه يقال له الصعب بن يزيد الجهضمي فقال له : ويحك يا صعب ! إنه قد أبطأ عنا خبر عبد العزيز ، فلا ندري قتل أم أفلت ؟ وأخوه خالد بن عبد الله قد شغلته الفضيحة عن طلبه[3] ، ولكن احمل معك

---

(١) في الطبري ١٦٩/٦ « أبو الحديد الشني » ، وفي المبرد ١٢٨٩/٣ « العبدي » وقيل إنه التحق بعد بالبصرة فرآه آل المنذر فقالوا : ما ندري أنحمدك أم نذمك ؟ فكان يقول : ما فعلته إلا غيرة وحمية .

(٢) بالأصل : أقبلوا المنهزمين .

(٣) وكان المهلب قد أرسل إلى خالد فتى من الأزد أخبره بهزيمة أخيه عبد العزيز (انظر الطبري ١٧٠/٦ والكامل للمبرد ١٢٩٣/٣) .

شيئاً من الكسوة وامض[1] ، فلا ترجعن إلا بخبره حيث كان من أرض الله ! قال : فحمل الصعب بن يزيد ما أمر به المهلب وخرج من الأهواز ، فلم يزل يسير حتى دخل أرض فارس ، ثم جعل يسأل عن عبد العزيز حتى أصابه في أداني أرض جروز[2] مما يلي دار ابجرد في خرابة عند عجوز ، ومعه شرذمة من أصحابه ، وإذا هو جالس يوقد ناراً ؛ فلما نظر إليه الصعب بن يزيد ناداه فقال : مرحباً بالصابر المخذول ! قال : فرحب به عبد العزيز ثم قال : كيف تركت أبا سعيد - يعني المهلب ؟ فقال له الصعب : أبو سعيد والله كثير البكاء عليك ، لائم لأخيك فيك . فقال عبد العزيز : معك شيء من الطيب؟ قال : نعم معي طيب وكسوة . قال : فبكى عبد العزيز ثم قال : يا صعب كان المهلب أولى مني بما أنا فيه ، وكنت أحوج إلى ما في يده منه ؛ يا صعب ! النار والعار هزيمة من يدي عدو وفضيحة في حرمة ، إني لأستحيي أن أرفع رأسي إليك ؛ قال : ثم جعل يقول :

ألم ترني والله بالغ أمره | تمنيت أمراً والأماني طوائلُ
تمنيت ما كان المهلب ناله | وزين ذاك الجحدري مقاتل
فلم آل في حرب الأزارق مثله | ولا مثله في الناس حاف وناعل
أبى الله إلا أن يبين فضله | وكل سؤول كالذي قلت قائل
منيت بأمر ينكس الرأس مثله | أردده في الصدر والدمع هامل

قال : ثم بكى عبد العزيز وانتحب ، فكساه الصعب بن يزيد ما كان معه من الثياب ودفع إليه الطيب الذي حمله له . ثم رجع إلى المهلب فأخبره بذلك . فقال المهلب : ويحك يا صعب فكيف رأيت ؟ فقال : أيها الأمير ! لا تسأل عن شيء ، رأيته والله بشر وعرّ ، أما النهار ففي أفنية النخل ، وأما الليل ففي دهليز عجوز . فقال المهلب : والله ما أظنه يجتمع مع الناس في مجلس بعد هذه الفضيحة ، فأنشأ المغيرة بن حبناء التميمي في ذلك يقول أبياتاً مطلعها :

قرت العين بالذي حدث الصعـ | ـب به من فضوح عبد العزيزِ

---

(١) الأصل : امضي .

(٢) جروز موضع من بلاد فارس ، كانت فيه وقعة بين الأزارقة وأهل البصرة وأميرهم عبد العزيز (معجم البلدان) .

إلى آخرها. قال: ثم إن عبد العزيز مضى إلى مكة[1] فأقام بها حياء من الناس .

قال : واجتمعت الأزارقة وشجع بعضهم بعضاً وأقبلوا يريدون البصرة ، وبلغ ذلك خالد بن عبد الله أمير البصرة ، فضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم يدر ما يصنع ؛ ثم كتب إلى المهلب : أما بعد ! فإني كنت عصيتك يوم الأهواز وعصيتك في عبد العزيز ، وأنا أكره أن أعصيك اليوم ، وليس لهذا العدو الكلب أحد سواك ، وإنما تقاتل عن مصرك وتذب عن حريمك ، فسر رحمك الله إلى عدوك ، وأفرج هذه الغمة عن بلدك ـ والسلام ـ .

قال : فلما وزد الكتاب على المهلب وقرأه نادى في أصحابه فجمعهم إليه . ثم قال : اعلموا أنكم جندي الذي جيّشكم الله لنكاية هذا العدو ، ولو دخلتم البصرة لم تحشروا إلى ثانيه إلا بالسيف ، وأنا أعلم إن اتصل خبر عبد العزيز بأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فإن خالداً لمعزول لا محالة[2] ، وهذا عدو قد كلب علينا ، وليس يجمل بنا إلا الإمساك عنه ، ولكنا نسير إليه فنكفه عن مصرنا إلى أن يأتي أمر أمير المؤمنين . قال فقال الناس : أيها الأمير ! أمرك سمع وطاعة ، فسر بنا رحمك الله حيث شئت .

قال : فسار المهلب من الأهواز يريد الأزارقة ، وبلغهم ذلك فساروا نحوه ، والتقى القوم فاقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل ثم تحاجزوا ، وبات الفريقان جميعاً يحرسان بعضهم بعضاً .

فلما كان من الغد وثب المهلب فعبى أصحابه ميامن ومياسر وكمناء وأجنحة ، وعبت الأزارقة كذلك ، ودنا الجيشان بعضهم من بعض . وخرج رجل من فرسان

---

(١) في الكامل للمبرد ١٢٩٣/٣ قدم على خالد هو والمهلب .

(٢) مرّ أن خالداً أرسل بكتاب إلى عبد الملك يخبره بهزيمة أخيه وجواب عبد الملك له .

قال المبرد في الكامل ١٢٩٦/٣ أنهى عبد الملك كتابه إلى خالد : وقد جعلت عقوبتك عزلك .

وولى بشر بن مروان وهو بالكوفة وكتب إليه :

أما بعد فإنك أخو أمير المؤمنين ، يجمعك وإياه مروان بن الحكم ، وإن خالداً لا مجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب بن أبي صفرة فوله حرب الأزارقة فإنه سيد بطل مجرب ، وأمدده من أهل الكوفة بثمانية الآف رجل .

الأزارقة يقال له الحصين بن مالك شاكاً في سلاحه ، حتى وقف بين الجمعين على فرس له أدهم كالغداف ، ورفع صوته وجعل يقول أبياتاً مطلعها :

إن عبد العزيز يوم جزور[1]   كان يرجو رجا المهلب فينا

إلى آخرها . قال : فالتفت حبيب بن المهلب إلى رجل من أصحابه يقال له سعد بن نجد فقال له : ما ترى يا سعد ؟ فقال : إن شئت كفيتك الرجل ولكنه عار عليك ، لأنه قد سمى باسمك ولا أظنه يطلب غيرك ، فقال حبيب : صدقت ، ولا أحب أن يبارزه غيري ؛ ثم حمل عليه حبيب والتقيا بطعنتين ، طعنة في لبته طعنة فقتله . فلما قتل الحصين بن مالك جزعت الأزارقة عليه جزعاً شديداً ، فأنشأ عبيدة بن هلال اليشكري[2] يقول في ذلك :

قل للحصين لقد أصبت سعادة   بما كنت ما مارسته بمصيبِ
وما كان في جمع المحلين فارس   يبارزه في النقع غير حبيب
وأي امرىء يأوي الجزور بمعرك   يهاب ولكن كنت غير هيوبِ
فيا رب يوم قد دعاني لمثلها   فلم أك فيما سالني بمجيب

قال : ثم تقدم محرز بن هلال أخو عبيدة بن هلال حتى وقف بين الجمعين على فرس له وهو يقول : اللهم ! إني أسألك الجنة ومرافقة أهل النهروان ، ثم حمل فلم يزل يقاتل مقبلاً غير مدبر حتى قتل .

قال : فدخل على الأزارقة من مقتل محرز بن هلال مدخل عظيم و[اغتموا] غماً شديداً ، وتقدم أخوه عبيدة بن هلال بعد ذلك حتى وقف بين الجمعين على فرس له يرثي أخاه محرزاً ، وهو يقول أبياتاً مطلعها :

عجبت لأحداث الملاء وللدهر   وللحين يأتي المرء من حيث لا يدري

إلى آخرها[4] قال : ثم حمل عبيدة بن هلال فقاتل قتالاً شديداً ، واستماتت

(١) بالأصل : جرور . وقد مرّت قريباً جروز .
(٢) الأصل : السكري .
(٣) الأبيات في شعر الخوارج ص ١٠٩ .
(٤) بعده في شعر الخوارج ص ١١٠ :
إذا ذكرت نفسي مع الليل محرزاً   تأوهت من حزن عليه إلى الفجر

الأزارقة بعد مقتل محرز بن هلال ، فعزموا على المناجزة والقتال . قال : وثبت لهم المهلب وأصحابه إلى الزوال وصارت الدائرة عليهم ، فقتل منهم بشر كثير وولوا مدبرين ، واحتوى المهلب وأصحابه على كراعهم وعامة أموالهم .

واتصل الخبر بأهل البصرة فاشتدت لذلك ظهورهم ، ثم وثب الأحنف بن قيس فقال : يا أهل البصرة ! اشكروا الله ثم المهلب ، فوالله لقد جلا الله به عنا أمراً عجز عنه القرم الحازم ! والله ! أن لو قلنا أن البصرة كلها للمهلب وأن الله تعالى أفاءها عليه كما أفاء غيرها على غيره لصدقنا . قال : فقال[1] الناس : صدقت أبا بحر ! ولن يجحد ذلك إلا عدو للإسلام ؛ قال : فأنشأ حنظلة بن عرادة في ذلك يقول :

أقول وعيني تجتلي كل كوكب ... ألا إن هذا المصر فيءُ المهلبِ
نفى الذل عن أبنائنا ونسائنا ... مولهة من بين بكر وثيب
فلولا دفاع الله عنا لحلقت ... بنا يوم جاؤوا الجسر عنقاء مغرب
وقد كسفت شمس النهار وأطبقت ... صبابة يوم أزرقي عصبصب
فلا تكفروه واشكروه وعقبه ... ولا الابن مما كان بالأمس كالأب

قال : وبلغ عبد الملك بن مروان ما كان من أمر عبد العزيز وفضيحته بدارابجر، فأقبل على جلسائه ثم قال: إن خالد بن عبد الله عصاني في الذي أمرته ولست أقدر على عقوبة له هو أكثر من عزله وفضيحته في قريش . ثم كتب إليه : أما بعد ! فلو كانت عقوبتي إياك على قدر ذنبك[2] إذاً لأتاك مني ما لا تقوم له ولا بقية بعده[3] ولكني جعلت عقوبتك عزلك ، وذلك أني عهدت إليك في المهلب بن أبي صفرة عهداً وأمرتك بتقدمته ، فلما ملكت أمرك آثرت أخاك على طاعتي ، وإني الآن قد وليت بشر بن مروان ما في يدك من العمل ، فسلمه إليه ـ والسلام ـ .

ذكر ولاية بشر بن مروان العراقين

قال : وكان بشر بن مروان يومئذ عاملاً على الكوفة ، فضمت إليه البصرة فكان

= سرى محرز والله أكرم محرزاً ... بمنزل أصحاب النخيلة والنهر
انظر معجم البلدان (النخيلة) .

(١) بالأصل : فقالوا .

(٢) عن الكامل للمبرد ١٢٩٦/٣ وبالأصل : دينك .

(٣) في الكامل للمبرد : لأتاك من نكيري ما لا بقية لك معه .

عامل العراقين جميعاً . قال : فدعا بشر بن مروان بعمرو بن حريث المخزومي فاستخلفه على الكوفة وأقبل إلى البصرة ، فلما دخلها واستقر بها وإذا كتاب عبد الملك بن مروان وقد ورد عليه[1] : أما بعد يا بشر ! فإن أخو أمير المؤمنين وشقيقه ، ومن زينه زينه وشينه شينه ، فإن خالد بن عبد الله أمرته بأمري فقدم أمره وأخر أمري ، وذلك أنه عزل رجلاً مثل المهلب حجر الإسلام وشجا العدو ، واستعمل ملكاً لم يدعه إليه إلا قرب رحمه واتباع هواه ، فإياك يا بشر أن تعزل المهلب عن حرب الأزارقة ! فأعزلك كما عزلت خالداً ـ والسلام . قال : ثم أثبت عبد الملك بن مروان في كتابه إلى أخيه بهذه الأبيات :

يا بشر إنك إن عصيت فهذه ... فعل كفعل أبي أمية خالدِ
عزل المهلب والمهلب حية ... صماء ما لسليمها من عائد
وجأ أخاه بالذي قعدت به ... حره علي ولم أكن بالراقد
عاجلته قبل العتاب بعزله ... وأخفته ببوارق ورواعد
ولو أنني أمهلته يمشي بها ... مرحاً وكان أبو أمية رائدي
أطرى أخاه كأنني عريته ... وتشرب الصهباء شرب البارد
فلقد جنى عبد العزيز جناية ... ما عارها أبداً بعار بائد
وجدوا الدواء بكل داء معضل ... إلا دواء الحمق ليس بواجد
فارم الأزارق بالمهلب إنه ... شيخ العراق وفيهم كالوالد
وكفى به لله درك وحده ... قد يكتفي من رأيه بالواحد

قال : فكتب إليه بشر بن مروان : أما بعد يا أمير المؤمنين ! فإني كنت للمهلب على حالة نقلني الله عنها إلى ما هو خير منها ، ولو وكلني الله إلى رأي لرضيت بغير رضا وأخذت من غير ثقة ، ولكنه أدراني الخطأ خطأً والصواب رأياً ، وقد أنفذت في المهلب ما أمرني به أمير المؤمنين أيده الله تعالى ، ولم يكن يأتيه مني إلا ما يحبه ـ والسلام ـ . قال : ثم أثبت بشر[2] في كتابه هذه الأبيات :

سواء ومن أرسى ثبيراً مكانه ... عصيتك أو دليت في ظلمة القبرِ
وللموت أدنى من خلافك طرفة ... وهل لي إن خالفت أمرك من عذر

---

(١) انظر الكامل للمبرد ١٢٩٧/٣ والطبري ١٩٦/٦ .
(٢) الأصل : بشراً .

إذا كان بشر في الأمور كخالد — وصاحبه الأدنى فشلت يدا بشر
رأى خالد عزل المهلب للذي — أراد وكانت تلك من عجب الدهر
أيعزل ميمون النقيبة حازماً — لأجبن من بوم يروع من صقر
فلا أحرم الدهر المهلب سوله — ولا أخرج الدهر المهلب من أمري
إذا أنا لم أتبع هواك فما الذي — أقول لربي يوم ألقاه في الحشر
فأمرك عندي يملأ الصدر هيبة — وأهون منه ما يضيق به صدري

قال : ثم دعا بشر بن مروان بأسماء بن خارجة الفزاري وعكرمة بن ربعي البكري فقال لهم : إنه قد ورد علي هذا الكتاب في المهلب من أمير المؤمنين وهوائي من ورائي في غيره . فما الذي عندكم من الرأي ؟ فقال أسماء بن خارجة : أيها الأمير ! إن أمير المؤمنين ما ولاك ما أنت فيه إلا ليعمل برأيك ، فامض هواك فيمن يريد ؛ فقال له عكرمة بن ربعي[1] : أيها الأمير ! لا تفعل فإن عزل المهلب عن الأزارقة متصل بعزلك ، وإن أمير المؤمنين لا يحملك على مخالفته ، فلا تخالفه وأنفذ المهلب إلى حرب الأزارقة فليس لهم أحد سواه .

قال : فلم يلتفت بشر بن مروان إلى مقالة عكرمة بن ربعي وغلبه هواه ورأيه ، فأرسل إلى المهلب فعزله عن حرب الأزارقة وأمره بالرجوع إلى البصرة ، فرجع وطمعت الأزارقة في الظفر ، فرجعوا من سابور فارس حتى نزلوا الأهواز ، ثم كتب صاحبهم قطري بن الفجاءة إلى بشر بهذه الأبيات :

ألا قل لبشر إن بشراً مصبح — بخيل كأمثال السراجين شزبِ
يقحمها عمرو القنا وعبيدة — مفدًّى خلال النقع بالأم والأب
هنالك لا تبكي عجوز على ابنها — فأبشر بجذع للأنوف موعب
ألم ترنا والله بالغ أمره — ومن غالب الأقدار بالشر يغلب
رجعنا إلى الأهواز والخيل عكف — على الخير ما لم يرمنا بالمهلب

قال : فلما سمع بشر بن مروان هذه الأبيات كأنه أفكر في قوله ، ثم دعا وجوه الناس فقال لهم : أخبروني هل تعلمون مكان أحد يقوم بحرب الأزارقة غير المهلب ؟

---

(١) في الكامل للمبرد ١٢٩٨/٣ أن عكرمة أشار على المهلب أن يكتب إلى عبد الملك يعلمه بمرض المهلب ، فكتب إليه مع وفد فأطلعه أحد أعضاء الوفد أن علة المهلب لا تمنعه من الخروج فقال عبد الملك : أراد بشر أن يفعل ما فعل خالد . فكتب إليه يعزم عليه أن يولي المهلب .

قال : فتكلم[١] قوم ممن يبغضون المهلب ويحسدونه فقالوا : نعم أيها الأمير ! هذا محمد بن عمير بن عطارد وهو رجل من ربيعة ، وهذا زحر بن قيس هو رجل من اليمن ، وكل واحد من هؤلاء يمكنه القيام بحرب الأزارقة ! قال : فأرسل بشر بن مروان إلى أولئك الثلاثة[٢] فدعاهم ثم ندبهم إلى حرب الأزارقة ، فقالوا : أيها الأمير ! إنه قد دعي إلى هذا الأمر قبل اليوم من هو أكثر منا غنًى فلم يقدموا عليه ولم يقوموا به ، وليس لهذا الأمر إلا المهلب . قال : وكان بشر لم يعجبه ذلك ؛ فأنشأ رجل من الأزد في ذلك يقول :

يا بشر إنك للمهلب ظالم	والظلم عند المسلمين قبيحُ
فارجع ففيك وفي أخيك بقية	طال اللجاج وطال ذا التجليح
إن المهلب لا يبلّ سليمه	وعدوّه حتى الممات جريح
وله إذا عدم الرجال عقولهم	عقل يبيد به الرجال صحيح
ما زال مذ عقدت يداً آراؤه	تغدو عليه خطة وتروح
ليس الذين دعوتهم أمثاله	وهواك في غير المهلب ريح
فاز المهلب بالفعال وقدحهم	فيما ألم من الأمور تسيح
فارم[٣] العدوّ به وكن مستيقناً	أن العدو بسهمه مذبوح
ألزمته ذنباً ولو أنصفته	مات العتاب وأوتر التصريح

قال : ففشا هذا الشعر في الناس حتى انتهى إلى بشر بن مروان ، فأيقن بشر[٤] أن الأزارقة غالبة على البلاد ، فقال : والله إني لأستحي أني رأيت المهلب بالأمس غناي عنه وأحتاج إليه اليوم بالأهواز وغداً بالجسر وبعد غد[٥] بالبصرة ، وإنما يعمل برأي أمير المؤمنين فامض المهلب إليهم ودع اللجاج .

قال : فعندها بعث بشر بن مروان إلى المهلب فدعاه ، وقد عمد إلى امرأته هند بنت أسماء بن خارجة فأقعدها من ورائه خلف الحجلة لتكون هي التي تكلم

(١) بالأصل : فتكلموا .

(٢) كذا ، ولم يرد في الأصل إلّا اثنان . ولعل الثالث هو عمر بن عبيد الله فقد ورد في الكامل للمبرد أن بشر همّ بتوليته حرب الأزارقة ١٢٩٨/٣ وانظر الطبري ١٩٦/٦ .

(٣) الأصل : فارمي .

(٤) الأصل : بشراً .

(٥) الأصل : غداً .

المهلب . فلما دخل المهلب وسلم ، رد عليه بشر السلام ، ثم أمره بالجلوس فجلس ، وكلمته امرأة بشر فقالت : أبا سعيد ! إننا منك وأنت منا وإن كنا في غيرك ، وهذا بشر بن مروان أخو أمير المؤمنين وشقيقه ، وإن أخطأ فيك أمس فقد أصاب اليوم ، وقد دعاك إلى أمر قد دعاك إليه من كان قبله ، فأجبه إلى ما يدعوك إليه والسلام . قال فقال المهلب : إني قد سمعت كلامك أيتها المرأة ! ولكن ليقل الأمير ـ أكرمه الله ـ ما أحب. قال: فتكلم بشر بن مروان فقال: أبا سعيد ! لا تنظرن إلى ما كان مني بالأمس ، فإن هذا العدو قد كلبوا على الأرض وقد نزلوا منزلهم الأول بأماني الشيطان ، وليس لهم أحد سواك ، وإنما تجيب أمير المؤمنين وتدفع عن مصرك ، وتصلح أمراً قد أفسده غيرك ، وقد حال ما كان في صدري من أمرك ، فهات الآن ما عندك ؟ فقال المهلب : أيها الأمير ! إني قد علمت الذي كان في قلبك ، والأمير أيده الله أهل أن يتفانى عنه[1] وإن كانت منه زلة ، عندي أن أقاتل هذا العدو على ما قاتلتهم أمس . قال بشر : فلك إذاً ما كان لأصحابك قبل اليوم ، أعطيك وإن أردت المزيد بعد الوفاء . قال : فدعا بشر بخلعة فجعلها عليه وقلده سيفاً وعقد له عقداً ، فخرج المهلب من عند بشر بن مروان حتى صار إلى منزله ، فلما كان من الغد نادى في الناس فجمعهم ، ثم وضع لهم العطاء فأعطاهم وتجهز ، وخرج من البصرة في عشرة آلاف رجل من قومه من الأزد ومواليهم وثمانية آلاف من أخلاط القبائل ، ثم سار يريد الأهواز ؛ ورحلت الأزارقة من الأهواز حتى لحقت بسابور فارس ، ودخل المهلب إلى الأهواز فأقام بها ثلاثاً ، ثم رحل حتى نزل بمدينة رامهرمز[2] في جميع أصحابه .

قال : واعتل بشر بن مروان بالبصرة علة شديدة واستسقى بطنه فمات[3] ، وبلغ ذلك المهلّب فاغتم غماً شديداً ، وتفرق عنه عامة أصحابه فدخلوا البصرة ، وبقي المهلب برامهرمز في زيادة على عشرة آلاف ، فقام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن كنتم إنما تقاتلون هذا العدو لبشر بن مروان فقد مات بشر ، وإن كنتم إنما تقاتلون لله فاثبتوا على ما أنتم عليه ، فإن أمير المؤمنين حي

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .

(٣) ولم يلبث الناس في رامهرمز إلا عشرة أيام حتى جاءهم نعي بشر (الطبري ١٩٧/٦) . وفي الكامل للمبرد ١٣٠٠/٣ « شهراً » .

والعراق لا بد لها من أمير ـ والسلام ـ .

قال : وبلغ الأزارقة موت بشر بن مروان ففرحوا لذلك ، وكتب رجل منهم إلى المهلب وأصحابه بهذه الأبيات :

قل لقوم مع المهلب قد ما ... ت ابن مروان فارجعوا بسلامِ
ودعوا رامهرمز وقراها ... لا تمنوا أماني الأحلام
قبل أن يعطف الجياد عليكم ... عطفة الليث بالرماح الدوامي
وسيوف مهندات خفاف ... تترك الليث مقعصاً في القتام

قال : فكتب إليه كعب بن معدان الأشقري[1] بهذه الأبيات :

إن بشراً والله يرحم بشراً ... ويقي وجهه عذاب الجحيمِ
ويرى الدهر قوسه فرماه ... بخطوب من الخطوب عظيم
فلئن كانت المنون أتته ... إن فينا لمنع هذا الحريم
بأب الحرب وابنها وأخيها ... حل في منصب واسم كريم
[و] تمنى عناه في سالف الأز ... د عظام النهى وأهل الحلوم
ذاك ذاك المهلب بن أبي صفـ ... رة في الحرب كالهزبر الشنيم
حاد عنه عبيدة بن هلال ... ثم عمرو القنا بأنف رغيم
واسألوا عبد ربه ورؤسا ... وذرى وائل وحيّ تميم
من يقود الجياد يعثر في النقع ... بفرسانها دوامي الشكيم
ثم لا انصرف الأعنة والخيل ... صحاحاً كذا بغير كلوم

قال : ثم قام قطري بن الفجاءة في الأزارقة خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا معشر المهاجرين فإن بشر بن مروان قد مات وتفرق[2] الناس عن المهلب إلا قليل منهم ، وهذا العراق ليس به أمير ، فهل لكم أن تغنموا الفرصة من المهلب بن أبي صفرة بوقعة تواقعوه بها ؟ فلعلنا أن نظفر منه بشيء . قال : فقام عبيدة بن هلال اليشكري فقال : يا أمير المؤمنين ! إن المهلب لا يقيم بدار مضيعة ، وقد بقي معه من أصحابه من يثق بهم ، وهم الذين سرنا إليهم بالأمس فنفونا عن جسر

(١) الأصل : الأشعري . خطأ .
(٢) الأصل : تفرقوا .

الأهواز حتى بلغوا بنا إلى سابور ، ولو أن المهلب رأى منا تحركاً لم نبال[1] أن يسير إلينا فيمن معه فيلقانا ، كان الأمر له أم عليه . قال : فقام عبد ربه الكبير فقال : يا أمير المؤمنين ! دع عنك كلام عبيدة بن هلال ، فإن المهلب لا يبرح من رامهرمز أبداً ولو أقام بها وحده أو يأتيه المدد ، فإن أردته فهذا وقته ما دامت الخيل قد تفرقت عنه . قال : فقام عمرو القنا فقال : يا أمير المؤمنين ! دع عنك كلام هؤلاء ، واترك المهلّب ما تركك وأرده ما أرادك ، فليس الذي في يده بأعظم مما في يديك ، وإنك إن خاطرت لم يخاطر لأنه شيخ العراق ومعرك الحروب غير مدافع . قال : فقال قطري بن الفجاءة : أما إنه لولا علمي بأن المشورة فيها البركة لما شاورتكم في شيء أبداً ، غير أني أعلم رأيكم إن تركتم المهلب اليوم وطلبتموه غداً ندمتم أشد الندامة .

قال : وكتب المهلب إلى عبد الملك بن مروان يعلمه بجموع الأزارقة وما قد أزمعوا عليه من أخذ العراق . قال : فعندها ضاقت الأرض على عبد الملك بن مروان ، ولم يدر ما يصنع ، وخشي أن تتغلب الأزارقة على البلاد ؛ فأرسل إلى أهل بيته وخاصته فجمعهم ، ثم جمع سادات العرب ممن لهم النجدة والقوة والجلد ، ثم قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه .

---

(١) الأصل : نبالي .

فهرس الجزء الخامس

من كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي

الموضوع ــــــــــــــــ الصفحة

الموضوع ــــــــــــــــــــــــــــــــ الصفحة

الموضوع ——— الصفحة

فهرس الجزء السادس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

سلسلة أضواء اسلامية

صدر حتى الآن ٢٥ جزءاً من سلسلة أضواء إسلامية وهي سلسلة تضم كتيبات تتناول مواضيع عديدة تهم النشء الجديد ، وتسلط الضوء على العقيدة والقيم الإسلامية بأسلوب سهل مبسط للجيل الجديد في شبابنا المسلم .

سلسلة أضواء إسلامية متوافرة ضمن مجموعات كاملة وعلى أجزاء منفردة وسيصدر قريباً أجزاء جديدة من السلسلة .